ميزاب الرحمة الربانية

في

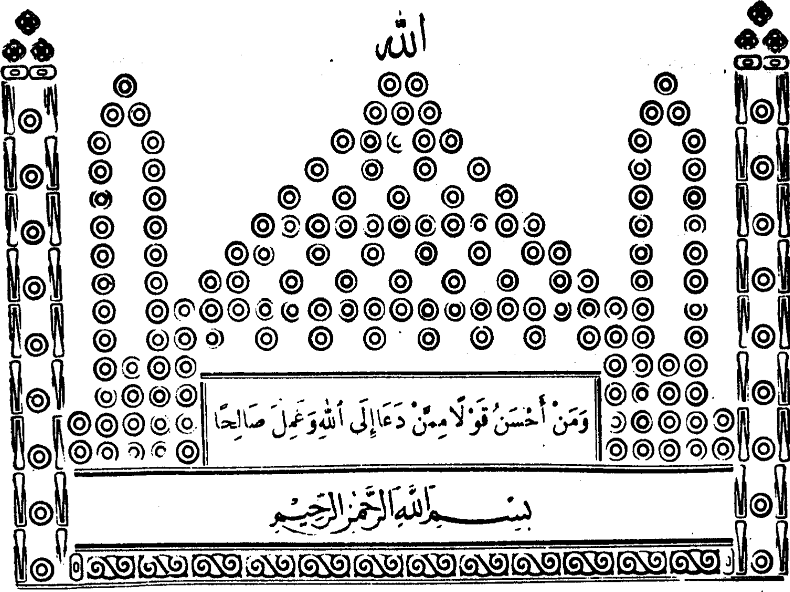
التربية بالطريقة التيجانية

تأليف

الشيخ العلامة العارف بالله سيدي عبيدة ابن سيدي
محمد الصغير ابن انبوجة الشنقيطي التيشيتي

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

مكتبة القاهرة
لصاحبها : علي يوسف سليمان
شارع الصناديقية : ميدان الازهر بمصر
ص.ب ٩٤٦ - تليفون : ٩٠٥٩٠٩



﴿ يقول العبد الفقير عبيدة بن محمد الصغير ابن أنبوجة أسبغ الله عليه ظلاله وختم بالصالحات أعماله ﴾

الحمد لله الشاكر التواب . العدل الواقى من أخلص فى المتاب . الصادق الوعد لمن اطمأن اليه وراقب وأناب . المهيمن الشاهد المانح معرفته لأولى الألباب . القائل ـ اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور ـ والله عنده حسن المآب ـ أحمده حمدا يوافى نعمه ويكافىء مزيده حمد متبرىء من الحول والقوة وهو الكريم الوهاب . وأشكره جل اسمه سبحانه وتعالى هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت واليه متاب . « وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم . وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم » . ﴿أما بعد﴾ فليعلم الواقف عليه المنصف . الناصح لنفسه المتعفف . المعرض عن التفكه بالأعراض . المقبل على سلامة مهجته الرافض للأغراض . ان جامعه مازال مترقبا من يتقدم من مقدمى هذه الطريقة لنشر مناشيرها على وجه التربية بها على الحقيقة . وإخراجها من جمل الاجمال . الكافى من شافه الشيخ التجانى من تحرير نبيه . وتربى بشكلة الاهمال مستغنيا بها عن نقطة الاعجام منهم كل جهبذ فقيه . فى الفهم عن الله بالاشارة تريه . ومن نور الله بصيرته فالاشارة تكفيه . وقد كان بين هذا الجامع وبين هذا الفجر الساطع . أربعة لوامع . كل واحد منهم ترياق نافع : وليس له من فريقه شبيه . وأقربهم منه شيخه الأخ الفائق . وشقيقه الرائق الراتق الفاتق مربيه . المشاهد عيانا وقيد المشافهة يحويه . وقد كان الشيخ التجانى رضى الله عنه قد سبى بالجمال اليوسفى مفرغا فى قالبه من كان بالمعاصرة والمحاضرة يليه . فاستغنى عن وضع صواع يبديه معيارا يميز به حقائق مايعتريه . فأتى على بصيرة مايأتيه . ونفى عن بينة ماينفيه . لما جهزت الجهابذة بجهازهم عبارات وصاياه . على سبيل التنبيه . وكفتهم اشارة مزاياه حين التوجيه . فكان فى شأنه وشأنهم

ماحكى الله تعالى عن يوسف واخوته من جعل بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفون اليد والكرامة برسم التمثيل والتشبيه . ففتحوا أمتعة الجد والتشمير لا التمويه . فوجدوا بضاعة بذل نوههم بالنزول بيابه ردت إليهم مع ماتساويه . فأخذوا الثمن والمثمون فرحين بذكر الأخوة المذكورة فيه نخالف من بعدهم خلف هدوا إلى مثل مامضي عليه الشيخ رضوان الله عليه ومن كان يناجيه . وكان ذلك أعز مايغاب عليه عند من يبتغيه . فأغفل جل الطبقة الثانية شكر نعمة رؤية الشيخ على الطبقة العليا في اجتماعهم به وتقدمه لهم عليهم وانه أحاط بما لديهم . وان ذلك الامر إلى الله لا اليهم . فطلبوا التجهيز باسقاط الوسايط . بين الخليفة العزيز . تاركين الوقوف بأدب ذلك الحائط . لنوع من التبريز فكانوا بألسنة أحوالهم في شأن المقدم عليهم . قائلين للشيخ مستعطفين . نحو ماحكى الله تعالى عن اخوة يوسف ـ يا أيها العزيز إنك كنت لنا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين ـ وكان لسان حال الشيخ رضي الله عنه يقول لهم نحو ماقال يوسف ـ معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ـ من المقدمين فانتبهوا ولكل مؤمن بنور الايمان بواسطة الشيخ مدد وجيه . للمتاع فاذا هو صواع الملك المعطاء قد استودعه رحل الاخاء . وكان تفقده تفقد الأبناء . وجاعل من جاء به بما يرضيه . فلهج هذا الجامع المسكين بصواع الملك فطفق بكيده له كيد من ابتغاه بتوفيق ربه . كيفية الأخذ له بالوجه اللائق النزيه . بعدما توسم انقراض الجيل الذي شاهد الشيخ وأخذ من فيه قائلا بحضرة الشيخ ومقدميه . ـ يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة ـ لخلوها من شكر الوسائط المكرمين ـ فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين ـ فقرره الشيخ ثانيا بما أحدثت طبقته في الحضرة من الغيرة . المفضية إلى دهليز الحيرة . فقال هل علمتم مافعلتم بمقدمي . ومن أنزلته واسطة المكان العلي . فاقروا للمقدم بالايثار متضرعين . ـ وقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين ـ وبكفران نعم المقدمين لمقرين . ويكون الشكر لهم من قبيل شكر الشيخ لمتبين . وان كنا لدحضين . إذ عمينا عن طريقة الشكر حجتنا . وكانت به استقامة محجتنا . فاستغفر لهم الشيخ ربه . وأدخلهم حزبه . فالتفت المقدم إلى المقدم عليهم . رافضين سنن الاستعلاء . آخذين بطريق الاخاء . بينهم على حد السواء . فأبى المقدم عليهم كل الإباء . وقالوا لقد غرنا قولكم انما نحن اخوة . ولكنا في الشيخ أسوة . فنزل بنا اعتقاد المساواة . فساقنا الى سوق غرر المساقاة . وصرفتكم خشية التعدي في التصرف . عن التصدي لهوادف التعرف : فما هو الا أن فصلت العير . وجاء البشير . وهبت ريح القميص وتخيلت مخايل الوبيص . فارتد متحيرا وهم بصراء . واتخذوا المقدمين سفراء . فلذلك استعمل هذا الجامع الصواع . واستعماله لايقتضي الصراع . ليترتب عليه آخرا وصل كل ابن قرة عين كان مفارقا لابيه ولتعي شكر الوسايط أذن واعية لم تكن تعيه . فلم يجد بدا مما حكى الله في أمر صواع الملك من مبتغيه ـ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه ـ تحقيقا للحكمة التي رتب بها الوجود الأقرب فالأقرب الملك الجليل ـ سنة الله التي قد خلت من قبل ـ وما لما رتب من تبديل ولا تحويل . منبها لنفسه . ولمن شاكله من أبناء جنسه . على كيفية استنشاق نسيم ماوصله ووصلهم على يد هذا الشيخ من الفضل الجزيل . بلا كبير مجاهدة من العويل والزويل . ومعلما لهم بأن المريد للشيخ زميل

لن يترك ابن حرة زميله * حتى يموت أو يرى سبيله

ومتشبثا بأذيال الشيخ الاخ الحقير . ليزداد به كيل بعير . فهو باعطاء ذلك الكيل جدير لما منحه بحمد الله من ملكة توجيه العير والنفير . وأعنى بالشيخ الأخ صاحب الجيش الكبير فى الرد على جموع النكير . سيدى محمد بن محمد الصغير . حفظه الله فقد ملكته تلك الملكة مقاليد العلوم اللدنية . وأعطته مفاتيح الفتوحات الوهبية . فما توجهت همته بحمد الله إلى عصماء منزل. إلا وغادرتها حلواء نزل فما كابد فى دهره علما قط . ولا تعسر عليه فى المقاصد تحرير نمط. وله عدة تآليف غير الجيش لاح شعاع الانتفاع بها فى البلاد. واستوى فى قبولها ذوو الاتقان من الحواضر والبواد. فمنها ﴿سرية الجيش﴾ المشهورة ومنها ﴿النفحة القدسية﴾ فى التصوف أرجوزة نظم فيها منهاج العابدين للغزالى رحمه الله. ومنها ﴿المصباح﴾ فى علم العربية نظمه لأدوات المغنى لابن هشام وله شرح عليه فى غاية الجودة ومنها ﴿تعليق على الآجرومية﴾ وهو مفيد ، متقن فيه ومجيد ومنها ﴿البحر المحيط﴾ فى الفاظ القرآن على المعدود والمتشابه والمرسوم غير المحمول والمحذوف فى ألفى بيت. ومنها شرحه عليه المسمى ﴿بالظل الممدود على البحر المحيط بهم المعدود﴾ ومنها فى الفقه ﴿تعليق على مختصر خليل﴾ بلغ فيه أثناء الصلوات وهو غاية فى الجودة. ومنها ﴿ نظمه لتبصرة ابن فرحون﴾ ولم يكمل. ومنها ﴿الركب﴾ فى الرد على بعض المنكرين على الشيخ خليل بل على كافة من قلده وترك تفسير القرآن والحديث ولم يتم بعد لحسم مادة انكار ذلك المنكر بمجرد الاقبال على رده فادال فيه لعلماء الشريعة من علماء الحقيقة كما عكس فى الجيش فآتى كل ذى حق حقه وبسط له رزقه . ومنها ﴿ نور القلب والعين ﴾ فى جواز بيع الغائب بالدين ﴿ ومقمعة المتعصبين ﴾ على ان ذلك نسبة من الطرفين. وان فيه شغل ذمتين . وله من الفتاوى والاحكام. ماتكاد تقصر عن تعداده الاقلام. وله أراجيز أخر على مواضع متفرقة من كتاب الاحياء ككتاب الصلاة وكتاب ذم الدنيا وذم علمائها ومدح علماء الآخرة إلى غير ذلك من نظم حظوظ العبد من أسماء الله الحسنى ونظم التوسل بها وغير ذلك ﴿وله من رقيق الشعر مالا يحصر﴾ فقل ان يتوجه الى مطالعة فن إلا وضع فيه تقييدا يحسن رونقه . ويروق سندسه وإستبرقه . ليكون تذ كاراوذ كرا . إما نظما وإما نثرا . تحسب فطنته فى طلب الصواب . جامدة وهى تمر مر السحاب. ولا ينشرح صدره لما لم يتصرف فيه من العلم بتقاييد تحقيقية منحة الهية . وموهبة اختصاصية . ولولا عدم الكفاية الضرورية الشاغلة للبال . لالتقت الملكة الصلاحية والقوة الفعلية منه بكل مجال . ولو كفى بصله . ما أهمل مسئلة . أدام الله عزه ومجادته . وأبقى رفعته وسيادته ﴿وقد كنت﴾ فاوضته فى تولى مراطلة تلك الاحمال . وكيفية المسير بالمتباين من الأثقال . فاعتذر بكثرة الأشغال . واستبطن همة فائدة السؤال . باشاراته المبصرة بشئون هذا المنوال. واستنهضته فبعث همتى إلى شد الرحال. وصحبتنى همته فانبعثت إلى التبصر بكيفية الترحال وترتيب مواقف تلك الحضرات. على سنن المنازل والمقامات . التى بناها بانيها على سبيل الرياضات والمجاهدات . على عكس ماعليه هذه الطريقة من التنعم بالطيبات وشكرها على أحسن الهيئات . تاركا العزو فيه إلا فيما قل لانه ماوضع إلا لمن يطويه على بلالته معتقدا منه الفضل، ويتلقاه بالقبول ويطلب منه العل والنهل. لا لمن يتعلل فى صحة مافيه بعسى ولعل. ولا لمن يبتغى النزال من قرنه ويستعمل عليه الحمل . وقد عهدت من نفسى قصر الباع . وضعف العضد والذراع . فلم أبلغ درجة التخريج والتصنيف. فضلا عن رتبة التصدى لصيغ التربية والتصريح . وأحرى في طريقة اكتفى أكابرها بالاشارات والعبارات . والنظر الى لوائح تلك الجدرات . فاستقامت ظواهرهم بأنواع

الإستقامات . وإستحدث البواطن من الجوارح الظاهرات وزج بهم بزيت زجاجتهم فى زواخر الأنوار وقد كاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار، فيا ليت فكرى أن جاء بنبذ المواد نبذة نبذة تقطع فلذ الأكباد فلذة فلذة فبينما أنا أشير إلى الشيخ الأخ بوضع عجالة فيه وأستشير إذ أنا بين مرابعها أسير . فإستنصرت الله جل إسمه وهو القدير . وإستوهبته الهداية فى شأنها فى الحال والمصير . والتوفيق فى المقام والمسير . فإليه تُرجع الأمور وتصير . وهو حسبى نعم المولى ونعم النصير . فجاءت بحمد الله وتأييده عجالة ومشتملة على مقدمة تشتمل على ثلاث درجات : ((الدرجة الأولى)) فى التعريف بهذا الشيخ وذكر نشأته وآبائه الأكرمين * ونسبه وعشيرته الأقربين . ((الدرجة الثانية)) فى ذكر نبذ من سيرته المصطفوية وأخلاقه الكريمة النبوية . ((الدرجة الثالثة)) فى ذكر أوراده ﷺ وسند طريقته المحمدية وفضل ورده لازم الطريقة، وذكر الوعيد لتاركيه وفضل أتباعه من الخليقة . وعلى ((خمسة أبواب * الباب الأول)) فى فضل الأدب عند أهل الخبرة . وأنه هو الذى منه دخل من دخل إلى الحضرة . وما يقطع المريد عن الوصول إلى الشيخ أو على يديه . من أحوال التأبى مما يحوم حواليه . وإن الفارق بين الظاهر والباطن العلمين التجلى بالظاهر والباطن الأسمين للفريقين . ((الباب الثانى)) فى كون هذه الطريقة طريقة شكر وذكر فضل الشكر وبيان حقيقته . ((الباب الثالث)) فى ذكر وضع طريقة الشكر السنية على كافة المقامات الدينية الإسلامية والإيمانية والإحسانية . ((الباب الرابع)) فى ذكر أطراف من النعم ترشد إلى تبصر الفكر ليكون المريد على بينة من ربه فى العجز عن القيام بوظيفة الشكر وبإنتهاء هذا الباب الرابع ينتهى منها المصراع . كما أنه بما بعده يتم الصوامع . ((الباب الخامس)) فى كيفية التربية بهذه الطريقة على ثلاث طرائق . تبدى من فضلها حقائق ودقائق وهو اللباب من هذا الكتاب : ((الطريقة الأولى)) جارية على سنن المقامات الثلاث للواصف . يجعل كل مقام ثلاث مواقف ((المقام الأول)) مقام الإسلام ومواقف التوبة والإستقامة والتقوى عند الاعلام ((المقام الثانى)) مقام الإيمان وموافقة الإخلاص والصدق والطمأنينة بأتم برهان ((المقام الثالث)) مقام الإحسان وموافقة المراقبة والمشاهدة والمعرفة عند ذوى العرفان ((الطريقة الثانية)) آتية بكيفية السلوك بالصلوات الخمس . للمحافظ عليها بالمعنى والحس . ((الطريقة الثالثة)) وافية بالسلوك بصلاة الفاتح لما أُغلِق . لمن ظفر بها وتعلق . ثم تتبعها ((بخاتمة)) فيها محصول الطريقة الأولى من هذا الباب . أعنى الخامس من هذه الأبواب . وبتمام هذه الخاتمة وتتمتها ينتهى الكتاب . جعله الله تعالى خالصاً لوجهه الكريم . ونفع به النفع العميم . وبالله تعالى التوفيق .

مقدمة

وهى تشتمل على ثلاث درجات

((الدرجة الأولى)) فى التعريف بهذا الشيخ وذكر نشأته وآبائه الأكرمين . ونسبه وعشيرته الأقربين . ليحصل الأنس للمشتاق إليه . والتشوق للسامع بخبره . ليرد عليه ممن يريد الإنخراط فى سلكه، والدخول فى ربقة ملكه . فيكون على بصيرة من أمره . ويقدره حق قدره . فنقول قال صاحب جواهر المعانى . وبلوغ الأمانى . فى فيض أبى العباس سيدى أحمد التجانى . وهو سيدى الحاج على حرازم بن العربى المغربى الفاسى أحد كبراء خاصة تلامذة الشيخ التجانى ﷺ هو يعنى الشيخ ﷺ وأرضاه من العلماء العاملين والأئمة المهتدين . وممن جمع شرف الجرثومة والدين وشرف العلم والعمل والأحوال الربانية الشريفة . والمقامات العلية المنيفة . والهمة العالية السماوية والأخلاق الزكية الرحمانية . والطريقة السنية السنية . والعلم اللدنى والسر الربانى . القطب الجامع . والغوث النافع . الوارث الرحمانى . والإمام الربانى . من أقامه الله فى وقته رحمة للعباد وبركة ونورا فى البلاد . موقع نظره من خلقه . وخزانة سره . ومظهر نفوذ تصريفه . فياض المدد والإمداد . كثير النفع للعباد عنده الكيمياء الخاصة التى تقلب الأعيان . وتحيل نحاس النفوس إبريزاً فى أقرب زمان . فيصير ظلامها نوراً . وحزنها سروراً . وتميط خبث شهوتها . وتلطف كثافتها . فإنتفع جل العباد . فى أقطار البلاد . بمدده الربانى . وسره الشريف المحمدى الصمدانى . من غير مجاهدة ولا تعب بمحض فيضه وفضله الرحمانى . العالم بالله . الناصر لسنة رسول الله . ذو السيرة النبوية . والأخلاق المحمدية . الدال على الله بحاله ومقاله الداعى إليه بإذنه بخلاله وفعاله . صدر الصدور . الفياض النور . والحجة الأعمد شهاب الدين ((سيدنا أبو العباس أحمد)) ولد ﷺ سنة خمسين ومائة وألف بقرية عين ماضى ونشأ بها فى عفاف وأمانة . وحفظ وصيانة . وتقى وديانة . محفوظاً بحفظ الله سبحانه . محروساً بالعناية . محفوفاً بالرعاية . مقبلاً على الجد والإجتهاد . مائلاً إلى الرشد والإنفراد . مستغلاً بالقراءة . معتاداً للتلاوة . على الهمة . متواضعاً معظماً عند الخاصة والعامة . قلت ((وتوفى ﷺ)) بفاس ودفن بها سنة ثلاثين ومائتين وألف، قال وحفظ القرآن فى صغره حفظاً جيداً فى سبعة أعوام من رواية نافع على الشيخ الصالح والأستاذ أبى عبدالله سيدى محمد بن حمو التجانى، وقرأ هو ﷺ على شيخه سيدى عيسى بعكاز الماضوى التجانى وكان رجلاً صالحاً مشهوراً بالولاية وكان مؤدباً للصبيان أيضاً بالقرية المذكورة وقد ذكر أنه رأى رب العزة فى النوم وقرأ عليه القرآن برواية ورش من أوله إلى آخره فقال له ربه هكذا أنزل وحصل على يديه النفع فى قراءة القرآن ((ثم بعد حفظه القرآن)) إشتغل بالعلوم الأصولية والفروعية حتى رأس فيها وحصل معانيها . قرأ على شيخه العالم العلامة . العارف بالله الدراكة . سيدى المبروك بن بو عافية الماضوى التجانى قرأ عليه مختصر الشيخ خليل والرسالة ومقدمة إبن رشد والأخضرى . ثم تمادى فى طلب العلم زماناً ببلده حتى حصل من العلوم ما انتفع به وكان يدرس ويفتى ثم مال ﷺ إلى طريق الصوفية . والمباحث عن الأسرار الإلهية . حتى تبحر فى فهم علومها والأحوال . والمقامات والعلل والوقت والحال . وله أجوبة فى فنون العلوم فابدأ فيها وأعاد . وحرر المعقول والمنقول وأفاد . ثم إشتغل بالطاعة وحببت إليه العبادة . وتاقت همته بالزهادة .

فكـان يكثر القيام فى الليالى المتطاولة . حتى إذا بلغ الأشد أرشده الله بسابق عنايته . لما أراد به من كرامته . فصار ﷺ يـدل عـلى الله . وينصح عباد الله وينصر سنة رسول الله . ويحيى أمور الدين . وقلوب المؤمنين . فأحيا الله بـه العـباد . ونفع بـه الحاضر والباد . وقد أحيا الله بـه سنن مغربنا بعد دروس آثارها . وخمود أنوارهـا . فإنتشر بـه الـلهج بذكـر الله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله . نسأل الله تبارك وتعالى أن ينظمنا فى سلكه . وفى دائرة حزبه بجاه حبيبه ونبيه . محمد وآله وصحبه . وأبوه ﷺ هو الشيخ الإمام . كهـف الإسـلام . وملاذ الأنام العالم الشهير . الورع الكبير . الدال على الله والجامع عليه . والداعي بحالـه ومقالـه إلـيه . أبـو عـبد الله صاحب الأنوار . سيدى محمد بالفتح بن المختار . وكان عالماً ورعاً متـبعاً للسـنة مدرساً ذاكـراً وكانت تأتيه الروحانية ويطلبون منه قضاء حوائجه فيقول لهم أتركونى بيـنى وبـين الله لا حاجة لى بالتعلق بسوى الله . وكان متعلقاً بالله . قائماً بالحق لله . فى سائر حركاته وسـكناته لا تأخذه فى الله لومة لائم .وأمه ﷺا هى السيدة الفاضلة . الزكية الكاملة . المطهرة الطيبة . الخـيرة المـنورة . فكانـت رحمهـا الله كثيرة الإرضاء والبرور . لوالده مع سعيها المشكور . قائمة بأداء حقـوق بعلها الشيخ سيدى محمد المذكور . ﷺ مطيعة لأمره وكلامه . شديدة الإعتناء بشأنه ومرامه . تـتحرى مـراده وتهـتم بما أراده . تراعى فيه حق مولاه . وما خوله وأولاه . الحرة النفيسة ((السيدة عائشـة)) بنـت السـيد الأثـيل . الـولى الجلـيل . سـيدى محمـد بالرفع أبن السنوسى التجانى الماضوى ((ولهمـا أولاد)) غـير شيخنا ﷺ ذكـوراً وإناثـاً ومـاتوا كلهم رحمهم الله فلم يترك منهم إلاّ أخوه سيدى محمد ولداً وبنتاً فحازهما ﷺ . ((وأما جده لأبيه)) ﷺ فهو السيد الأصيل . النزيه الجليل . ذو المـروءة والصـيانة . والحسـب والمكانة والديانة . سيدى المختار بن أحمد كان ﷺ زكياً مرضياً من أكابـر الأعيان وأفاضل الزمان . ((وأما جده الثانى)) فهو عالم العلماء . وأمير الأمراء . الزاهد الورع . الناصح المتـبع ((أبـو العـباس أحمد بن محمد بالفتح)) وهو رابع الآباء لسيدنا ﷺ ذو النهج القويم . والخلـق الكـريم . وهـذا السـيد ﷺ هـو الـذى وفـد أولاً لعين ماضى وتوطن بها وبنى وتزوج من تجان فكـانوا أخوالاً لسيدنا ﷺ ولهذا ينتسبون للتجانية وليس لهم نسب لأهل عين ماضى بل غلبت عليهم الكنية والشهرة لأجل مصاهرتهم لهم . ((وأما نسبه)) فهو ﷺ شريف محقق ويرفع نسبه إلى مولانا محمـد الملقب بالنفس الزكية إبن مولانا الحسن المثنى بن مولانا حسن السبط بن مولانا على ﷺ ونسبه ﷺ مذكـور فـى رسـومهم عـند أوائـلهم ومـع ذلـك فـلم يلتفـت سـيدنا ﷺ لذلـك لما هو عليه من الجد والإجـتهاد . ولم يكـتف بمـا هو مذكور من الآباء والأجداد . والرسوم وأخبار الأعيان والآحاد . حتى سـأل سـيد الوجـود . وعـلم الشهود ﷺ فى كل نفس مشهود . عن نسبه وهل هو من الأبناء والأولاد . ومـن الآل والأحفـاد . فأجابـه ﷺ بقولـه أنت ولدى حقاً كررها ﷺ ثلاثاً وقال له نسبك إلى الحسن بن عـلى صـحيح وهـذا واقـع يقظـة لا مـناماً ؟ . ((وأمـا عشيرته الأقربون إليه)) فهم أولاد الشيخ سيدى محمد ﷺ المكنى بأبى عمر وكان حافظاً القرآن العزيز ومشاركاً فى علوم الشريعة . ((وأخته وشقيقته السـيدة رقـية ﷺا)) . فكانـت أكـبر سـناً مـن سيدنا ﷺ . وكانت تأتيه إلى منزله ويكرمها ويواسيها ويرضـيها حـتى يبعـثها لمكانها عين ماضى، فماتت وتركت ولداً إسمه عبد الله حافظاً للقرآن ومشاركاً فـى بعض العلوم وله باع فى علم الحساب وهو من أصحاب سيدنا وأخذ عنه فهولاء المعرفون عندنا من عشـيرة شـيخنا ﷺ أ هــ الخ . الدرجـة الثانية: فى نبذ من سيرته المصطفوية وأخلاقه النبوية . ومن

حق هذه الدرجة أن تفرد بدفاتر . تبدى رشفة من بحرها الزاخر . ليتقاصر عن الطمع فى درك شم نفحاتها من كان ذا فهم قاصر . وجفن فاتر ((أما سيرته ﷺ)) فقد قال فى الجواهر لا خفاء أن الله أكمل لشيخنا وسيدنا أبى العباس أحمد التجانى ﷺ الشريعة . كما أكمل الله فيه الحقيقة . وسلك به بين صراطهما المستقيم أحسن طريقة . فشرب منهما لبناً خالصاً سائغاً وورث منهما مقاماً كاملاً بالغاً . وتمكن من الحالين . ورقى درجة كل من الكمالين . جارياً على مقتضى الأمرين . وسائراً على منهجيهما الأعدلين . مكافئ الطرفين . ومعتدل الوصفين . جبلاً بين سهلين . وبرزخاً بين بحرين . لا يذهب بحره ببره . ولا يبعد بره عن بحره . فقد مكنه الله من الإتباع غاية التمكين . وأنزله الله بالمنزل المكين . فهو ﷺ فى موافقة الشريعة . ومتابعة السنة آية . قد وصل فى التحافظ عليهما الغاية . وقف على حدود الله . حافظ بحدود الإله . واقف عند أوامره ونواهيه . لا أحد فى ذلك يقاربه أو يضاهيه . قد حكم السنة فى نفسه وعياله . وجعلها شعاره فى جميع أفعاله وأحواله . وأتقن رعاية رعيته فى داره . على ما كانت عليه من أسلافه . من حفظ أمر الدين وشعاره، فازدادت كمالاً على كمال . وجمالاً على جمال . حتى طارت بها كل مطار الأمثال وأعوز سيرها كثير الرجال . وتخلق بالأخلاق الشرعية . وجميع آدابها المرعية . فكان خلقه القرآن . وكل ما يأمر به الرحمن . يرضى برضاه ويسخط بسخطه فى كل أموره . ويأمر بأمره ويحذر بتحذيره . فتحقق بالإرث من رسول الله . وألتحق بالسابقين من أهل حزب الله . فتجده ﷺ شديد الحزم فى الدين عالى الهمة . فيه شديد الحرص على مهماته . بعد القيام بواجباته . شديد التحرز والورع فى الدين كثير التحفظ فيه والتحرز للأحوط ما رأيت أشد حزماً ولا أعظم ورعه منه . كله حزم وعزم لا يحب التأويلات ولا يميل إلى إرتكاب الرخص عارفاً عالماً مدرساً للعلوم كلها . والسيرة النبوية بأسرها . بصيراً بما زاد عليها وما نقص يعانق الكمالات . ويسابق الغايات . ويسارع إلى الخيرات . يستمع القول فيتبع أحسنه . ويبادر للعمل به . يغرى على فعل المأمورات . ويحذر من الوقوع فى المنهيات . ويعظم أمر الشرع العزيز ويجل أمر النبى ﷺ وكثيراً ما يستشهد بقول الله تعالى ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣) ويحب أن يفعل ما فعله النبى ﷺ ولو لم يكن فعله على سبيل الأمر لنا ولا يحب الخروج عن السنة فى شئ من الأشياء ولو دعت إليه الضرورة وكان لا بأس به فيقول الخير كله فى إتباع السنة والشر كله فى مخالفتها ويحض على العمل بالعلم كثيراً وخصوصاً لم يشتغل به، فعلى قدر رياح السفينة جريانها . وعلى قدر طبخ الحديد إحكام الصنعة فيه وإتقانها . وقد رزق هو ﷺ من القوة فى إتباعه أفعاله ﷺ ما يكافئ غزارة نوره . وعظم حاله . وكثيراً ما يحض على إيقاع الصلوات فى أوقاتها وفى الجماعات . وعلى قيام الليل لا سيما آخره يحث عليه ويداوم على غسل الجمعة ويؤكده لتأكيد سنته ويفعله على الوجه المسنون من كونه متصلاً بالزواح ويلبس نقى ثيابه إن كان وإلا ذهب إلى المسجد الجامع بما عليه ولا تراه يتطيب بالمسك ونحوه يومها وإن كان الطيب لها مستحباً ولا فى سائر الأيام وهو يحبه كثيراً ويجلب إليه ولعله لأجل ما كثر من إستعماله لأهل الرفاهية وكثير من السفهاء يقصد الترفه ويمشى هو ينافى سعيه لصلواته كلها ويحب فاعل ذلك عملاً بمقتضى الحديث إذا أتيتم الصلاة فأتوها بسكينة ووقار . ومن شأنه ﷺ يطلب التحقيق والتدقيق . فى كل شئ ما جل ودق ليقف على التحقيق . ويخرج بذلك من ربقة التقليد

والتصديق . فى كل أمر أمر فرد فرد حتى لقد إحتوى على العلوم الرسمية تحقيقاً وتدقيقاً وتفهماً وفى حل المشكلات حتى صار إماماً فى سائر العلوم يرجع فيها إليه ويقصد فى تبيينها لديه عالماً بعللها وحكمها وأصولها وفروعها وإستنباطاتها ومفهومها ومنطوقها وناسخها ومنسوخها وتبحر ﷺ فى جميع العلوم النقلية والرسمية حتى صار لا يضاهى . ولا يقاس بحره ولا يتناهى . كما صار كذلك فى علم الحقيقة على ما هنالك . فاستجمع بذلك شروط المشيخة والإقتداء على وجهها . وأتى على حقيقتها وكنهها . ويذكر الله تعالى فى كل أحيانه لا تفارقه سبحته يحب الإكثار من ذكر الله ويحض عليه ويواظب ﷺ على أوراده بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى الأعلى فى خلوته وبعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء فى خلوته أيضاً وكذلك له مرتب بعد صلاة العصر إلى الغروب ((وقال ﷺ)) لا نذكر ذكراً إلاّ ما رتبه لى رسول الله ﷺ وكثيراً ما يلازم الصلاة على رسول الله ﷺ فى جميع أحواله ويحض أصحابه عليها لا سيما صلاة الفاتح لما أُغلِق فإن فيها خير الدنيا وخير الآخرة وبها تنال جميع المطالب . ويبلغ بها الطالب أنواع المآرب . هذا حاله ﷺ . وكان يحفظ جوارحه مما نهى الله عنه فيعرض عن اللغو وما لا يعنى ويصون عنه لسانه ولا يسمع الباطل ولا يقدر أحد أن يذكره بمحضره وأن نطق أحد بمنهى رده إلى الصواب لا محالة كائناً من كان لا يتساهل فى ذلك يحذر من الغيبة غاية التحذير . وينفر منها كل التنفير . ويذكر ما ورد فى ذلك من آية أو حديث النبى البشير . ويطنب فى ذلك مبالغة فى النكير . ويتحرى الصدق ﷺ فى حديثه ويحض عليه وعلى تحريه ويسره من صادقه فى حديثه ويسوؤه من يكذب عليه ويعجبه الصادق فى فعله الذى يظهر كل ما من شأنه أن يفعله ولو كان قبيحاً ويستحسنه ويحظى عنده صدوق اللسان غاية الحظوة ولا يحب الإكثار من الحلف بالله مخافة الوقوع فى الحنث . ويغض طرفه ﷺ فلا تراه ذاهباً فى الطريق إلاّ ناظراً موضع ممره ولا يلتفت ذلك دأبه وعادته فإذا جلس مع الناس كان الغالب عليه التغافل عن أحوالهم يؤدب بذلك كل من حضر لديه ولا يحب ملاقاة الناس ولا الخوض معهم فيما هم فيه وإذا لقيه أحد من أصحابه لم يزده على السلام عليكم ولا يقدر أحد منهم أن يقبل يده حملاً على عدم التكلف وميلاً بهم إلى الأدب الباطنى وهو الأدب الحقيقى خلاف ما أعتاده الناس من تقبيل يد كل من يعظمونه هذا شأنه ﷺ مع من يعرفه وخالطه ٥ وأما الأجنبيون فأنه يسامحهم ويعذرهم مخافة أن يكسر قلوبهم فلا يمر فى طريق إلاّ أنكب الناس يسلمون عليه بتقبيل أطرافه وربما يزدحمون عليه وذلك لما يفاجئهم من جلالة ومهابة ويسرى إلى قلوبهم مما ألقى الله عليه من محبته ٥ وكان ﷺ فى بدايته قبل هذه الأزمنة ينكر كثرة تقبيل يديه وبزجر كل من فعله من قريب أو بعيد . وأما بعد ذلك فلم يبق على تلك الحال بل نقله الله إلى حالة الخلاء الدينية فصار حاله على ما وصفناه ﷺ وأرضاه . يصل رحمه الدينى والطينى ويحض على القيام بحقوق الأقارب ويوصى بالأبتداء بهم عند إرادة المواساة عملاً بما ورد فى الحديث، وأما رحمه الدينى فإنه من أعظم الناس مواصلة له وأكثرهم بروراً وإحساناً لأهل جانبه يواسى إخوانه وأصحابه وكل من له معرفة فى الله بأنواع المواساة ويحسن إليهم . ((وأما لباسه)) فيلبس المتوسط من الثياب مما يقيه الحر والبرد كما تلبس عامة الناس ولا يحب الأمتياز بثوب حسن ولا قبيح ويشدد النكير فى دعوى الفقر وما يشير إليه ويقول إلى الآن ما حصلت لنا التوبة والإيمان الكامل أو كلاهما هذا معناه تنبيهاً للسامعين . وإرشاداً للتابعين . والتعليم بالفعل . أبلغ

نصحاً . وأتم نجحاً . فجزاه الله عنا خيراً . وزاده منة وبراً . وكثيراً ما نراه يستعيذ من الدعوى ويقول أن عقوبتها الموت على سوء الخاتمة ويطلب الخمول ولا يحب الظهور ولا من يتعاطاه ويحب آل البيت النبوى المحبة العظيمة . ويودهم المودة الجسيمة . ويهتم بأمورهم . لا يزال حريصاً على إيصال الخير لهم . ويرشدهم إلى التخلق بأخلاق النبى ﷺ والعمل بسنته ويقول الشرفاء أولى الناس بالإرث من رسول الله ﷺ ويحض الناس على محبتهم وتوقيرهم والأدب معهم ويبين عظيم مجدهم ورفيع قدرهم . ((وأما أخلاقه ﷺ)) وهى ما تكيف به الأوصاف الحميدة . والأخلاق المجيدة . التى هى المسماة بمكارم الأخلاق وهى الذكاء والفطنة والشجاعة والنجدة والجبانة والشفقة والرأفة والرحمة والصبر والإحتمال والتواضع والأدب وعلو الهمة التى هى العفاف والصيانة والوفاء والفتوة التى هى الكرم والسخاء والحلم والأناة والعفو والإيثار والسعى فى حوائج الأبرار إحدى وعشرون فقد أكرمه الله تعالى بأوصاف جبل عليها فى أصل فطرته فلما فتح عليه عادت قربى إلى الله ووصلة لحضرته فأنزل كلاً منها بمحله ولما خلق لأجله فصارت كلها لله وفى الله فكان ذكاؤه فهمه عن الله فى مراده وأناته أتقانه للعبادة وصبره سكونه تحت مجارى الأقدار . وإحتماله قضاء الحوائج والأوطار . وشجاعته قوته فى الدين . ونجدته نصرة طريق المهتدين . وسخاوة بيع نفسه فى الله وعلى الله وعلو همته إنقطاعه إليه عما سواه وفتوته وفاؤه بمعاملة مولاه وكانت تلك الأوصاف تمهيد لهذه الأخرى ورقى بها فى درجات الإحسان مقامة كبرى . كل ميسر لما خلق له . ((ومن أخلاقه)) الكريمة النافعة العميمة الحنانة والشفقة والرأفة والرحمة لا نجده إلاّ عطوفاً رءوفاً شفيقاً يحن على المسلمين . ويرق للمساكين ويتألم بمصابهم . ويشفق لما بهم . ويلاطف ذوى الحاجات . ويواسى ذوى الفاقات ويود ذوى الإغترابات أكثر من ذوى الأقترابات ويميل إليهم . ويعطف عليهم . ويجالسهم . ويؤانسهم ويعاملهم . ((ومن أخلاقه)) العظيمة التى سبق بها من قبله . وأعجز من يأتى بعده . التواضع والأدب وحسن الخلق والمعاشرة رقيق القلب رحيماً بكل مسلم مبتسماً فى وجه كل من لقيه كل أحد يظن أنه أقرب إليه من غيره لما يرى من طلاقة وجهه وحسن كلامه وكثرة إقباله حتى إذا لقيه المحزون زال حزنه بمجرد لقائه هيناً ليناً فى كل شئ حتى فى مشيه يذكرك قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرض هَوْناً ﴾ (الفرقان: ٦٣) ما رأيت أحسن خلقاً ولا أوسع صدراً ولا أكرم نفساً ولا أعطف قلباً ولا أحفظ عهداً ووداً ولا أكثر علماً وفهماً منه ومع جلالة قدره يقف مع الصغير ويوقر الكبير ويجالس الضعفاء ويتواضع للفقراء ولا يقصد أحد معارضته بشئ من العلوم كلها إلاّ أفحمه فيبقى متحيراً متعجباً من غرائب العلوم والفهوم ويشهد حقوق الله عليه ويقول لم نوف لمن عرفناه حقه ولا نستوفيه أبداً، ويقول المؤمن هو الذى يرى حقوق الخلق عليه ولا يرى على أحد لنفسه حقاً . ((وأما أدبه)) ﷺ ظاهراً وباطناً فى الشريعة المحمدية ومع الله ﷻ فشئ بلغ فيه أقصى الغايات . وبرع فيه أهل البدايات والنهايات . حسبما يعلم ذلك من حاله ومقاله . ويشهد له ما تقدم من خلاله وفعاله . ومن أدبه ﷺ أنه ما رؤى قط ماداً رجليه إلى القبلة . ولا بصق فى المسجد قط ولا بصوت قط أدباً مع الحضرة . وأداء لحقها وإستحضار الربقة رقها . ((ومن صفته)) ﷺ لا يؤمه أحد إلاّ أن يكون فى داخل داره وعياله ويصلى هو خلف الأئمة إلاّ أن يكون مانع شرعى كآخذ الرشا وغيره فلا يصلى وراءهم وهذا كان فى إبتداء أمره وكان له إمام جامع بين الشريعة والحقيقة والإفادة وعلوم الطريقة خازن سره أبو عبد الله سيدى محمد بن محمد بن المشرى

الشريف الحسنى السباعى ودارهم دار علم وصلاح ورشد وفلاح ولازال هذا السيد مع سيدنا ﷺ من سنة ثمانية وثمانين ومائة وألف فلما وصل سيدنا ﷺ سنة ثمانية وتسعين ومائة وألف تصدر للإمامة بنفسه لموجب قام بـه لا ينفك عنه ولا تصح صلاته إلاّ بنفسه إلاّ إن قام به عذر شرعى فهو ﷺ يصلى إماماً بالناس إلى الآن ولا يصلى خلف أحد إلاّ فى الجمعة ورمضان وهو عام ثلاثة عشر ومائتين وألف . ((ومن أدبه)) ﷺ أنه لا يريد الخوض فى شئ من تصاريف أقدار الله ﷻ ولا التعرض للكلام فيما وقع ولا تمنى زوال ما هو واقع ويعد الخوض فى ذلك كله إعتراضاً على الله تعالى وسوء أدب معه وينسب القصور للنفس ويرى النقص فيها فيما يبتلى به العبد من القضاء بعد إعتراف أنه من الله تخلقاً بأخلاق الشريعة وتحققاً بأن الكمال لا ينسب إلاّ لله ولا ينسب لغيره وإن النقص وإن كان أثراً من آثار قدرته . لا ينسب إلاّ لغيره مراعاة لمقام الأدب معه تعالى. {وبالجملة} فأدبه مع الله ورسوله . وتواضعه فى نفسه للعام والخاص من أبناء جنسه . وصبره وإحتماله . وشفقته وحنانته . وعظيم فتوته . وعلو همته . هذه خصوصاً . وسائر أخلاقه عموماً . أمر عزيز الوجود . غريب الورود لا يتفق إلاّ لخواص الخواص من ذوى الصديقية والإخلاص . والمعرفة والتوحيد الخاص الذين إستغرقتهم رحمة الرحمن . وعمهم الفضل والإمتنان . وإذا أراد الله أن يظهر فضله على عبده . أهله لحبه ووده . ((وأما علمه)) ﷺ فطالع أجوبته فى الجواهر على الآيات القرآنية . والأحاديث النبوية . ورسائله وإشاراته . وتقرير عباراته . من فيوض أسراره . وأشعة أنواره . تجد العجب العجاب . الذى يكون عبرة لأولى الألباب . ولا علينا أن نورد منها ثلاثة أجوبة يحصل بها الإقناع وتشنف بها الأسماع ((قال فى الجواهر)) سألت شيخنا ﷺ عما ذكره بعض المفسرين فى حق سيدنا داود عليه الصلاة والسلام وأنه تمنى كذا بقلبه وأمر الرجل بكذا ليفعل كذا وكذا ((فأجاب)) ﷺ قال معاذ الله أن يصدر هذا من المعصوم وإنما حكى الله عنه أن الخصمين أختصما فى نعجة من الغنم لا غير كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَه تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ (صٓ: ٢٣) إلى قولـه تبارك وتعالى ﴿ وَأَنَابَ ﴾ ومن المعلوم عند المحققين أن القرآن لا يفسر إلاّ بالخبر الصحيح ولا يصرف عن ظاهره إلاّ إذا كان ظاهره يلزم منه المحال وكلا الأمرين منتف هنا فلا خبر صحيح مفسر للآية يعتمد عليه ولا قرينة تصرفها عن الظاهر وإذا فهمت هذا تبين لك أن الآية على ظاهرها وليس كما قيل من التأويل الذى لا ينبغى أن يذكر حتى فى صالح عامة المؤمنين فكيف يقال فى صفوة الله هذا التأويل الشنيع نعوذ بالله من التخليط ((قال وقلت)) للشيخ ﷺ فمما تاب سيدنا داود ﵇ قال الشيخ ﷺ من ظنه أنه أخطأ فى الحكم فقط لا غير هذا كما أخبر الله عنه ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ﴾ (صٓ: ٢٤) فأنظر رحمك الله هذه الطريقة البيضاء التى كل من سلكها باعد موارد الظن فاستمسك بهذا الحبل المتين واترك عنك كل تأويل مصدره من تخبيل العقل الخشين لتكون من المحسنين . ((قلت)) لسيدنا ﷺ فإذا كانت توبته مما ذكرت فما معنى قولـه تعالى ﴿ فَغَفَرْنَا لَه ذَلِكَ ﴾ (صٓ: ٢٥) قال لى غفر لـه ظنه قلت لـه ظنه ليس بذنب فى نفس الأمر قال أكابر الصديقين ليسوا كغيرهم فإنهم مؤاخذون بمثاقيل الذر لأن الحضرة مطلوبة بالأدب فمن كان فى حضرة الحق وغفل أو نسى ولو فى أقل قليل يؤاخذ ولم يعذر كغيره وإن كان فى ظاهر الشرع غير ذنب وذكر الشيخ ﷺ ما يعضد هذا من الحكايات فى آداب أهل الحضرة إلى أن قال فإذا كانت هذه الآداب فى حق أولياء الله تعالى فما بالك بصفوة الله من أنبيائه ورسله فهم أولى بمطالبة الأدب وعدم الغفلة ((وسألته)) ﷺ عن قولـه تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَين مَا كُنْتُمْ ﴾

(الحديد: ٤) وهو معهم أينما كانوا ونظائرهما وعن معنى القرب في قوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٥)، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦) وأن العلماء قد إختلفوا في ذلك لإختلاف فهومهم فمنهم من قال معكم بعلمه ومنهم من قال بذاته وكل واحد له أدلة وشواهد إلاّ أن من قال وهو معكم بعلمه هرب من التحيز والجهة ومن قال بالذات ألزمه في زعمه ما يناقض مذهبه فأردنا من سيدنا أن يبين لنا وجه الحق بنص شاف وجواب كاف ((فأجاب)) بقوله إعلم أن معية الحق ﷻ لكل شئ من الوجود وقربه لكل شئ من الوجود صفتان نفسيتان يتبعان ماهية ذاته فكما لا تعقل ماهية الذات ولا سبيل للعقل إلى شم روائح الوقوف على حقيقتها كذلك لا سبيل للعقل إلى إدراك حقيقة معية الحق لكل شئ وقرنه لكل شئ فهو ﷻ مع كل شئ بذاته وأقرب إلى كل شئ بذاته من وجه لا يدركه العقل في هاتين الحقيقتين فذاته جل جلاله متعالية متقدسة على جميع حدود الجرم والجسم ولوازمه ومقتضياته من دخول وخروج وقرب وبعد وإتصال وإنفصال وتحيز وإختصاص بجهة أو إحاطة بالظرفية أو صورة أو لون أو كبر أو صغر إلى غير ذلك من كونه جامداً أو سيالاً أو متحركاً أو ساكناً أو ملء العالم أو في جزء منه ولذا لا يقع عليه الوهم والعقل لأنهما في وقت الفكر لا يخرجان عن قيود الجسم ولوازمه فتعينت ماهية الذات العلية من وراء طور العقل والحس والفكر كما قال بعض الأكابر في هذا الحد لا يتمثل في النفس ولا يتشخص في الذهن ولا يتصور في الوهم ولا يتكيف في العقل لا تلحقه العقول ولا الأفكار ولا تحيط به الجهات ولا الأقطار ولما كان إنحصار العقل والفكر في هذه المدارك لا يخرج عنها طردهما ﷺ عن الجولان في هذا الميدان بقوله تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فإنكم لا تقدرون قدره وحيث كان الأمر هكذا في تحقيق ماهية الذات فإن معية الحق بذاته لكل ذرة من الموجودات وقربه لكل ذرة منها صفتان نفسيتان يتوقف تعقلهما على تعقل ماهية الذات وحيث كان تعقل ماهية الذات ممنوعاً لا سبيل إليه للعقل والفكر كذلك تعقل هاتين الصفتين معية وقرباً لكل شئ من الموجودات تعقلهما من وراء طور العقل والحس فلا إتصال ولا إنفصال ولا مسافة للقرب والبعد ولا حلول ولا مكان ولا دخول ولا خروج ولا تتعدد الذات بتعددها بالمعية ودونك وجهاً يوضح لك شيئاً من هذا الميدان إن عقلته فهو في الحادث فقط دون القديم فإن الرجل من أهل الجنة عنده مثلاً من الحور ما يتضاعف على عدد الملائكة بأضعاف مضاعفة ومع ذلك يجامعهن في الآن الواحد ويدرك لذة كل واحدة بإنفرادها على إختصاصها في ذلك الآن الواحد ويجامع كل واحدة منهن جماعاً متمكناً بمحله الواحد وذاته الواحدة من غير تعدد في ذاته ولا في محله ولا تعدد للآن الواحد ولا تأخير ولا تقديم ولا إشتراك في ذواتهن في محل واحد إلاّ أن تعقل هذا في هذه الدار من وراء طور العقل والحس لكنه في سعة القدرة الإلهية واقع وهذا وإن لم يسلمها أرباب الحدود العقلية فقد دلت عليه الأخبار الصحيحة بما تقرر في الحديث الذي معناه أن الرجل من أهل الجنة يجامع جميع نسائه في مقدار يوم من أيام الدنيا ويمكث في جماع كل واحدة مقدار سبعين سنة في اليوم الواحد من أيام الدنيا فإذا عرفت هذا في الحق الحادث وصححته فخذه سلماً ترتق به إلى تصحيح القرب والمعية في حق القديم لكل ذرة من الموجود في كل آن من الزمان من غير تقديم ولا تأخير ولا إفتراق ولا تعدد وفي هذا القدر كفاية لمن تعقل الأمر إلى أن قال إن قرب الحق ومعيته للموجودات من وراء طور الحس والعقل لا مطمع للحس والعقل في إدراك حقيقتهما أعني القرب والمعية

مالم يدركا حقيقة ماهية الذات إلى أن قال* وأما القول بأنه مع الموجودات بالصفات من قدرة وارادة وعلم إلى آخر الصفات «فالجواب» ان هذا القول يستلزم الجهة والتحيز للذات العلية وهو باطل . وبيانه انه متى أحلت معية الذات للحوادث يلزم أن تكون خارجة عن جميعها ويلزم من ذلك خروجها عن كرة العالم بأسرها فيلزم اما أن تكون محيطة بالكرة وهى ظرف لها والكرة فى جوفها وهو محال لان هذا من قيود الجسم وإن كانت غير محيطة بالكرة فيلزم اما تخصيصها بجهة من جهة الكرة وهو الذى هرب منه من هرب من الجهة فوقع فيها لانه متى قال القائل بخروج الذات العلية عن كرة العالم لزم احاطتها إحاطة الظرف بمظروفه أو تخصيصها بجهة من جهات الكرة وكلا الوجهين محال عقلا فلم يبق إلا أن تكون مع كل شىء من المحدثات على الوصف الذى يليق بجلال الذات العلية تنزه وتقدس عما يقولون علوا كبيرا إلى أن قال وأما معية العصمة والعناية والنصر والاختصاص فمختصة باهل الخصوص وهذه المعية أى معية الذات عامة فهى مع كل شىء على أى حال كان ذلك الشىء من عدو أو حبيب أو قريب أو بعيد فهو على الحد الذى ذكرفيها سابقا والسلام ﴿وسألته﴾ رضي الله عنه عن قوله تعالى ـ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ـ ﴿فأجاب﴾ رضى الله عنه بقوله هو خطاب منه سبحانه وتعالى فى بساط الحكمة ثم خطابه فى فى بساط الحقيقة والمشيئة هو قوله تعالى ـ ولا يزالون مختلفين ـ الآية فهذا هو الواقع لأن خطاب المشيئة لا يتأتى انتفاؤه وأما خطاب الحكمة فيمكن انتفاؤه فى بعض الموجودات لأن أمر الله مسوق إلى المشيئة لا إلى الحكمة والحكمة سجاف الى المشيئة قال صاحب الحكم رضى الله عنه الى المشيئة يستند كل شىء ولا تستند هى لشىء وكذلك قوله سبحانه وتعالى ـ وماأرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ـ وذلك خطاب فى بساط الحكمة فلذلك وقع فيه التخلف وكفر كثير من الخلق بالرسل ولو كانت طاعة الخلق مقدرة فى المشيئة ما أمكن أن يعصى الرسل أحد اه باختصار أنظر الجواهر ﴿قال﴾ ومهما تكلم رضى الله عنه فى مسئلة من علم الظاهر خرج منها لعلم الآخرة لاسيما التفسير والحديث لما احتوى عليه باطنه من خوف الله تعالى ومراقبته وعدم التفاته لزخارف الدنيا كأنه يشاهد الآخرة بين يديه وتقريراته العلوم الظاهرة رجعت كلها فى الحقيقة علوما باطنة وكثيرا ما يقول مما معناه العالم من يشكل الواضح ويوضح المشكل لسعة علمه وكثرة فهمه وحسن نظره وتحقيقه وأما علومه الباطنة الحقيقية المستمدة من الأنوار الإلهية فهو قطب رحاها وشمس ضحاها ﴿يقول﴾ من سمع كلامه فيها هذا كلام من ليس وطنه الا غيث الله تبارك وتعالى وهذه العلوم محلها القلب وهو معدن الأسرار ومطالع الأنوار ولهذا لا يمكن التعبير عنها ولا يعرف حلاوتها إلا من اتصف بها وذاقها ولا شك أن السادات المتصفين بصفات الأحوال هم الذين ورثوا الأنبياء حقيقة واقتدوا بهم ظاهرا وباطنا فجمعوا بين الشريعة والحقيقة على أكمل وجه وقد فاقهم سيدنا رضى الله عنه وحصل له ماحصل لهم فهو رضى الله عنه القدوة للمقتدى . والهداية للمهتدى . لجمعه بين لطائف الأحوال . وصحيح الأقوال والأفعال . باطنه حقائق التوحيد . وظاهره زهد وتجريد . وكلامه هداية لكل مريد ﴿وأما كرمه﴾ رضي الله عنه فمن أخلاقه وسجاياه كثرة انفاقه فى سبيل الله منذ نشأ يتقلب كيف شاء جعل الله له الكرم وصفا طبيعيا ثم صرفه فيه تصريفا شرعيا إلى أن أرقاه الله سبحانه مرقى الكمال وصيره ممن لا يشهد لنفسه ملكا ولا مالا فجمع الله له بين الحالتين جمعا صنعا من الله ومن أحسن من الله صنعا ﴿ومن عادته﴾ رضى الله عنه اخفاء الصدقة جدا حتى لا يشعر انسان بما يصدر عنه من الاحسان فى عموم الأوقات وغالب الأحيان فاذا أعطى شيئا لا يعطيه بيده

انما يأمر بذلك ويرسل به ويوصى المرسل معه بالكتمان وقد يباشر الإعطاء بيده اذا كان المعطي له من الموالين له من الأصحاب وغيرهم ممن يعرف أنه لا ينوه به ولا يفشي سره (ومن كرامته) أنه لا تصل عطيته أحدا الا وجدته على حين ضرورة وشدة احتياج لا يجد ما يحاوله ولا ما يناوله كان سيدنا بات ينظر اليه أو ظل معه مطلعا عليه فيوقع كل ذلك مواقعه وينزله مواضعه على بينة من ربه وبصيرة فى أمره ويوفى فيما يعطيه كل ذي حق حقه من قريب أو بعيد جامعا بين العدل والإحسان مراعيا الحال كل انسان فيمتع أولاده وأهله وعياله ويوالى عليهم بره ونواله شأنه فى ذلك كله بديع وحاله في ذلك بأسره رفيع لا يدع شيئا الا أمتعهم فيه على وجه شرعى من قصد كمايته اياهم وتنعيمهم بأنعم مولاهم لا على الرفاهية والترفه واضحة عليهم آثارها يدخر لهم لاغناء نفوسهم فوق ما يحتاجون ويصرح أحيانا بأنه لولا الرفق بهم والجرى على مقتضى عقولهم وصونهم عن أن يتشوفوا لما بأيدى الناس ما ادخر شيئا فيخزن من قوت سنتهم طعاما واداما وعسلا وفاكهة ما يكفيهم ويكفى أضيافهم به وأضعاف أضعافهم فى عدد أهل نفقته أو من يرد عليه فيؤكل عنده الوسق من القمح فى نحو يومين أو ثلاثة وأما فى وفود ركب الزائرين فلا تقدر لذلك قدرا (ومن عادته) أنه لا يخرج شيئا لاضيافه أو لغيرهم الابعد كفاية من بداره وإن أخرج يوما طعاما لم يكن فيها غيره حاضرا عوضهم آخر مثله لا محالة وينبه على ذلك ويربى به غيره مخافة التوصل لحق بترك آخر (ومن شأنه) حفظ الطعام واحترامه وعادته اجراء الصدقات على ممر الليالى والأيام . وبالجملة فسخاؤه رضي الله عنه عظيم واحسانه جسيم ليس على سنن ما يؤلف وانما هو خارق للعادة وخارج عن الأمور المعتادة (وأما فتوته) فاشهر من نار على علم وهى عندهم أكثر ما تستعمل فى المواساة والعفو عن الإساآت ولشيخنا رضى الله عنه من هذه الأوصاف أعظم نصيب والسهم الذى ما عثر عليه فى هذا الوقت مصيب (وأما حلمه) وعفوه فشأنه رضى الله عنه الصفح عمن اشتغل باذايته وعدم المؤاخذة له والنظر فيه بعين الحقيقة والتماس المعذرة له ويقول اذا نظرت الى الناس وما يجرى عليهم من قدر الله عذرتهم وإنما يجىء الملام من عدم شهود أمر الله النافذ ويحن مع ذلك عليهم ويشفق من حالهم مخافة أن يدركهم الهلاك بسبب تماديهم على فعلهم ذلك وكثيرا ما يعاملهم حرصا على إزالة ضغنهم ومحو ما فى قلوبهم وإذا اشتكى له أحد من أصحابه اذاية أحد سلاه عن ذلك وحمله على العفو والحلم وحضه على الاشتغال بما يعنيه ولا يحب المعتنين بنصرة أنفسهم ولا المشتغلين بملاحاة الرجال ولا يحب الغلظة ولا الفظاظة ولا أهلها ويقول إن الحليم يحلم الله عنه ويستشهد بقوله صلعم «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» ويقول لهم بضعفائكم ترحمون ولا عمل أحسن من ذلك لكم ومن عفا عفى عنه ويعرض عن جهل الجاهلين ويصبر لجفوة الجافين ويعفو عن إذاية المؤذين بل يحسن إليهم زيادة على العفو حتى يستحيي منه المسىء غاية الحياء ويخجل غاية الخجل ويتعجب من عفوه عنه ثم تفضله عليه ومن سابق سيئاته التى عادت كالحسنات لديه والكلام على حلمه وعفوه أوسع وأرفع (وأما وفاؤه) رضى الله عنه والوفاء نوع من الفتوة فمنه إذا استسلف شيئا رضى الله عنه قضاه بسرعة ولا يتوانى فى ذلك ولا يغفل ألبتة وما حفظ له تأخير قضاء دين قط حفظا من الله *ومنه وفاؤه بمعاملة الإخوان وحفظ عهودهم وعهود أصحابه فى كل أوان على ما قدمناه قبل *ومنه وفاؤه فى معاملة مولاه وعبادته له وقيامه لله فى سائر حركاته وسكناته حيث لا يقطع شيئا ابتدأه ولا يرجع من شىء الله عزم عليه وأعظم بذلك وفاء ومنة من الله وعطاء والكلام على وفاء سيدنا رضى الله عنه أوسع دائرة من أن يستوفى (وأما علو همته) فى ورعه وزهده

وموعظته وحديثه فقد بلغ فى ذلك كله الغايات وإذا رأيت سيرته علمت بأنه مفرد وأنه هو سيد الورعين والزاهدين فى زمانه لايجارى فى ذلك ولا يبارى فيما حازه هنالك علقت همته العليا بمعالى الأمور فتجاوزت الأواسط منها إلى الصدور وكيف تقف همة من ليس مناه الا سيده ومولاه قد خلف وراءه كل منتهى وأن إلى ربك المنتهى (وأماخوفه) فهو رضى الله عنه كثير الخوف من الله متطاول الاحزان فى سبيل اناء وربما سمع لصدره أزيز ودوى من شدة خوفه لاسيما ان كان وحده فى خلوته وقد أرخينا لسان القلم وأطلقنا عنان الهمم فى ذكر بعض مزاياه لتكون نصب العين وننفى بها عنا نعقة غراب البين ومالك فى فضل جنابه المأثور الا كرشفة عصفور من بحر مسجور فلاندرى أى فعاله أبين. ولا أى خلالة أحسن . بل هو كما قال القائل اذا سكنت جاءت بكل مليحة * وان نطقت جاء بكل مليح .

فاجعل أيها الأخ همتك فى التلقى لانواره بتلمح استشعار احضار صورته المشرفة نصب عينى قلبك حتى تكون بمنظر من عينى رأسك وصفة ذاته الكريمة كما فى الجواهر وصورة شكله الفخيمة تتميز بوجوده العيانى كما تتميز بوصفه العرفانى (إنه رضى الله عنه أبيض مشرب بحمرة معتدل القامة عظيم الهيبة منور الشيبة ذو صوت جهورى وسمت بهى . وقدر على حلول المنطق فصيح اللسان يعبر عن مراده غاية البيان » ولاشك أن معاطاة أوصافه قلبا وقالبا ترياق للامراض القلبية والعلل النفسية وكم تعرض لنا أمراض معنوية وتتراكم على القلب ظلمات ردية فتنجلى بسبب معاطاتها وموالاة ساحاتها والحمد لله حق حمده كما ينبغى لجلاله ولعظيم سلطانه لا نحصى ثناء عليه والنعم كلها منه وإليه فليس شيخك من تجعل بينك وبينه عهدا بلسانك وتعتقد مشيخته بجنانك وإنما شيخك من جذبك من قلبك وأخذ بمجامع لبك ونفعتك حرمتك واحاطتك همته متعنا الله بقربه وأماتنا على حبه وجعلنا من خاصة حزبه انه ولى ذلك والقادر عليه لاملجأ ولا منجا منه إلا إليه «ولا علينا ان نورد هنا نبذة ملفقة من رحلة التهانى فى حلية الشيخ التجانى رضى الله عنه لجامع الكتاب وهى ستمائة بيت ونيف فقلت »

فلم ير كالشيخ التجانى حلية ... تحلى بها تلا وحلى بها بلا
يداه صناع فى الوصول ولم نجد ... اذا استوجب السلف الفتى بهما مطلا
فكم ساقنا بأساوكم أستا أسى ... وكم سقتنا شهدا وجرعتا دفلا
وأعملتا التكسير فى سالم البنا ... وألزمتا التصحيح ماكان معتلا
فما زال من حفاظ أهل زمانه ... بما قد تعاطى من علوم نفت جذلا
فجاء على علم الرسوم من اصلها ... وجاز إلى لوح الفهوم وقد أغلا
وحاز فناء فى بقاء وسكرة ... بحلة صحو فى مغيب فذا الجلا
تراه إذا مارسته حاضرا وما ... يراه بعيد قلبه حمل الثقلا
يذكرنا ما كان من برحاء من ... يكابد أمر الوحى أعظم به شغلا
فاغرق فى بحر الحقيقة حاملا ... لرايه جذب لايرام ولايعلى
فليس يجاري فى الاشارة والوحى ... وليس يبارى فى عبارة ماحلا
مواجده فاقت وامداده رقت ... واحواله دلت شهودا من اعتلا
فدارت على محض الفناء بربه ... رحى حاله سكرا وصحوا به رفلا

تحلى فلون الماء لون انائه ... زمانا كبعض الاصفيا نزهة الاملا

ومن بعد يلفى ساكنا متحركا ... ومضطربا حاز التماسك منشلا

وذا سكرة فى صحوة مترسلا ... وذا حضرة فى غيبة أسست نبلا

ومازال منحاشا الى الله راغبا ... عن الخلق فى اسناد شىء ولو قلا

شهود وجود الحق وصفا بخلقه ... واكوانه واسماله منزع أغلا

حوى الجود والمجهود من عين جوده ... ترامى وبالمجهود علاه من دلا

له همة سباقة وعزمة ... ترى الرجع عن امر تحاوله جهلا

لو اهتم يوما بالثريا لنالها ... ومافوقها من عرش عالمها سهلا

أتته على النهج الخلافة منحة ... وألقت عصاها عنده تبتغى النجلا

تحلى بكشف الايم واليتم جيدها ... فاعظم به بعلا وأكرم به نجلا

بكلية الشيخ التجانى قد سرت ... علوم الجمالى والجلالى فلا فلا

على أكمل الهيئات تم نتاجه ... سلوكا وجذبا فى العلية والسفلا

فشب على مرقى مناحى جدوده ... كما قد تنواها مباديها طفلا

تجمع فيه كل ما كان قبله ... شتيتا لحاز السبق من بينهم خصلا

خلافته معقولة قبل كونها ... وآثاره منقولة كلها نقلا

لئن أخرت وقتا فهاهى حرية ... بتقديمها بين الألى قدموا فضلا

تقلد من المصطفى البر وحده ... فلاح فلاح المستظل به ظلا

يميل إلى الراحات شكرا لربه ... على طرف جدواصل الحزن والسهلا

وهو على متن الصراط الذى بنى ... به رصد الاغواطر يفته المثلا

فقيدت هداة الاتقيا النغري له ... بلبيك لبيك العزيز من استحلى

لهم عنده سقيا بكاس روية ... تعلهم علا وتنهلهم نهلا

أحال فلوس النفس أبريز وقته ... من اصحابه من حينها اكتسبت تلا

عليك رضا الرحمن يا شيخيا الرضا ... وأرضاك عنه واستفدنا الرضا فضلا

﴿ وقلت فى وصف حضرته ﴾

بحضرته العلياء لا تسمع اللغا ... بحال ولا يثنى سوى ذكره جلا

خذ العفو وأمر لم يجزها لغيرها ... ولم يعز اضراب بكلا ولا بل لا

وإن قال فيها قولة ما تلبثت ... خلا ريثما تملى لمن حضر الإملا

وجلاسه تمضى على قلب واحد ... كأن على اليافوخ طير السكرى حلا

اذا ماطرا أمر تحروا مراده ... وقوفا مع الأمر الذى شاءه فعلا

فان ينه كانوا عنه أورع منته ... وان يك منه أمر ابتدروا كلا

على صدد الجلاس من مورث له ... وقد تخلف الوراث مورثها حملا

(وقلت أصف أتباعه أنهم مظهره)

كفتنا موالاة الجهابذة الالى ... قفوه مباراة الاساتذة الفضلا
فلم يقف مثلاه سوى فاضل حوى ... مفاخر لم يعدم زواخر تستملا
لهم أرج يذكو فئوحا ولن ترى ... رعاعا مروعا بينهم بل ترى عدلا
وقادتهم سيماهم فى وجـوههم ... تدلك مرأى قبل أن تجد الفعلا
وعين الفتى صدق المرار ولم يزل ... على فيه مافيـه يلوح ولو قلا
حماة اذا ماالدين سيم بضيعة ... هداة اذا ماالجهل عم الورى شغلا
رعاة السهى والشمس لم تك همة ... لهم بسوى عليا محاولها صلا
اساة اذا ما الغـرور بشبهـة ... نهاة اذا ماالنهى ألفوا له أهـلا
خلال رأينـاها مشاهـدة بهم ... فلم تنخرم أصلا ولم تنقطع فصلا
ولم لاوفرع الشيء أحرى باصله ... ولو احدثت اسواء باساته خبلا
أبى صادق الميعاد غير الحلى كما ... أبى الشيخ إلا أن يكون له خلا

الدرجة الثالثة : فى سند طريقته المحمدية وذكر أوراده رضي الله عنه المرضية وفضل ورده لمن لازم الطريقة وذكر الوعيد لتاركه وذكر فضل أتباعه من الخليقة)

قال فى جواهر المعانى أما سند طريقته رضي الله عنه فقد أخذها عن سيد الوجود ﷺ يقظة لامناما ثم قال له ﷺ لامنة لاحد عليك من الاشياخ فرتب له (صلعم) كافة أوراده فصار من سيد الوجود جميع استمداده * وأما أوراده رضى الله عنه فهى من أعظم الاوراد وفيها من الفضل مالا يخفى على أهـل السداد وهي من أملح مارتب أهل الله فى زواياهم قصدا الجمع على الله لمن خالطهم ووالاهم لتنضبط أوقاتهم وتنظم بها حالاتهم سلك رضى الله عنه بذلك مسلك السادات الـكرام العارفين الـكمل الأعلام أئمة الملة المحمدية عليه من الله الصلاة والسلام حتى بدت بظهوره الطريقة وجاءت بحمد الله موافقة للحقيقة فلأوراده رضي الله عنه عذوبة فى الأسماع ممزوجة بعضها ببعض كلها شهية السماع فقد أبدى فيها ما كان كامنا واجاد وأبلغ فيها للراجى غاية المراد فرتب أورادا متخذة للآخرة زادا فجاءت بحمد الله رائقة المعنى لذيذة الطعم سـهلة المجنى وستقف ان شاء الله على أساسها وحقيقتها وتشاهد حسنها وطلعتها وما أودع من السر المكنون فيها مما تستدل ان شاء الله تعالى به على كمال إرثه من رسول الله (صلعم) وحاله وتعلم مامن الله تعالى به عليه من عميم إفضاله فهو كما قيل

من مثلـكم ياأبا الخيرات يشبهكم ... قد حزتم السر والأخلاق والشيما
والله مارأت العينان مثلـكم ... فى العصر قاطبة [illegible] العلما

وقد قال الشيـخ زروق رضى الله عنه لما تكلم على الاوراد قال فى آخر كلامه وبالجملة فاحزاب المشايخ رضى الله عنهم صفة حالهم ونـكتة مقالهم وميراث علومهم وأعمالهم وبذلك جروا فى كل أمورهم. لابالهوى قبل كلامهم وربما جاء بعدهم من أراد محاولة ذلك بنفسه لنفسه فعاد ماتوجه عليه بعكسه وماهو إلا كما يحكى عن النحلة علمت الزنبور طريق النسج فنسج على منوالها وصنع بيتا على مثالها ثم ادعى أن له من الفضيلة

مالها فقالت له هذا البيت واين العسل وإنما السر فى السكان لا فى المنزل قاله فى الجواهر ه وقال فيها أيضا ولم تزل أوراد سيدنا رضى الله عنه منذ ظهرت للعيان تظهر لها البركات الكثيرة من تيسير المطالب وبلوغ المآرب إلى الآن واستخرجت منها بحمد الله جل جلاله نسخا عديدة للوجود وانتشر صيتها فى أقصى البلدان عن اذن سيد الوجود فلم تزل بين العباد مشهورة وأسرارها ظاهرة منشورة فهى من أعظم الذخاير وأسنى المفاخر فأسأل الله تعالى أن لا يعدمها من وجوده وأن يبقى أنوارها محفوفة بشهوده «اماورده» الذى يلقن لكافة الخلق الذى رتبه له سيد الوجود فهو «أستغفر الله مائة مرة والصلاة على رسول الله (صلعم) باى صيغة كانت مائة مرة . ثم لا إله إلا الله مائة مرة) وهذه الاذكار بعينها هى التى رتب له رسول الله (صلعم) وأمره بتلقينها لكل من طلبها من المسلمين لا يمنعها من أحد كائنا من كان وكون الصلاة على النبى (صلعم) بصلاة الفاتح لما أغلق أفضل وأكمل لما فيها من الفضل العظيم والثواب الجسيم الذى لا يقدر قدره إلا الذى امتن به من فيض فضله العميم «قلت» وسيأتى فى الخاتمة ان شاء الله تعالى ذكر بعض فضلها وسرها «ثم قل» ويليها فى الفضل روح الصلوات وهى «اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله» فالاولى لمن له أهلية والثانية للمتوسط والثالثة لغيرها «ووقته» بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء ومن فاته فى هذين الوقتين لعذر فالنهار كله وقت والليل كذلك ومن فاته ورد فليتداركه على ممر الدهور ومن أخذه وتركه تركا كليا أو متهاونا حلت به عقوبته ويأتيه الهلاك وهذا اخبار من سيد الوجود (صلعم) لشيخنا رضى الله عنه ونصه (صلعم) «كل من أخذ عليك ذكرا قل له فى وصيتك له ذكرنا هذا عظيم وإياكم والتفريط فيه وإياكم وتركه لأن الصلاة على النبى عظيمة وهى باب الكمال وهى المدخل الاعظم ومن تركها لا يجد بابا من الله يدخل على الله منه» «وشرطه» المحافظة على الصلوات فى أوقاتها فى الجماعة إن أمكن والطهارة البدنية والثوبية والمكانية واستقبال القبلة وعدم الكلام إلا لضرورة (وشرطه الخاص به) ان قدر عليه استحضار صورة القدوة بين يديه وأنه جالس بين يديه من أول الذكر إلى آخره ويستمد منه وأعظم من هذا وأرفع وأكمل وأنفع أن يستحضر صورة المصطفى (صلعم) وانه جالس بين يديه (صلعم) بهيبة ووقار وإعظام واكبار ويستمد منه بقدر حاله ومقامه ويستحضر فى ذلك معانى ألفاظ الذكر ان كانت له قدرة على فهمها وإلا فليستمع لما يذكر بلسانه ليشغل فكره عن الجولان فى غير ماهو بصدده ويعينه هذا على الحضور وهذا الورد الذى ذكرناه هو لازم الطريقة فلا معدل لاحد عنه وأما غيره من الاوراد التى سنذكرها فهو مخير فى الفعل لها والترك ولا يلقن هذا الورد لمن عنده ورد من أوراد المشايخ حتى يتركه وينسلخ منه ولا يعود اليه أبدا وعاهد الله تعالى على ذلك فعند ذلك يلقنه الورد من له الاذن الخاص من الشيخ رضى الله عنه وإلا فلا يلقنه له ان لم ينسلخ عن ورده الذى بيده فيتركه ووردة وطريقته لان أوراد المشايخ رضى الله عنهم كلها على هدى وبينة من الله تعالى وكلها مسلكة وموصلة إلى الله تعالى وهذا ليس منا تكبرا واستعلاء على المشايخ رضى الله تعالى عنهم حاشا وكلا ومعاذ الله تعالى بل هذا الشرط مشروط فى طريقتنا لا غير فمن أراد الدخول فى طريقتنا فلا بد له من هذا الشرط ولا خوف عليه من صاحبه ولا من غيره أيا كان من الاولياء الاحياء والأموات لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وكل من أذنته وأمرته بتلقين وردنا واعطاء طريقتنا فليحافظ على هذا الشرط وإلا فقد رفعت عنه الاذن ولا ينفعه هو فى نفسه ولا لمن يلقنه إياه فليحكم هذا الشرط

والسلام وكذلك من أخذ وردنا وأخذ طريقتنا فلا يزور أحدا من الاحياء أصلا وأما الاموات فيزورهم بنية انهم أبواب الله تعالى ويطلب من الله تعالى عند مواصلته اياهم رضا الله تعالى ورضا رسوله ورضا شيخه لاغير « وأما أوراد الزاوية فهى الاستغفار باى صيغة مائة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق مائة مرة أو خمسين والهيللة مائتين أو مائة وجوهرة الكمال إحدى عشرة بل اثنتى عشرة مرة وهى « اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية الخ » وهذه الوظيفة لازمة للطريقة وتكفي فى وقت واحد وان تيسرت فى الوقتين فحسن بخلاف الورد المعلوم فهو لازم فى الوقتين ولا تغنى الوظيفة عن الورد ولا الورد عنها وتقضى كالورد وإن كانوا جماعة من الاخوان فى بلد يجتمعون لها وهو شرط فيها والواحد يقرؤها وحده كالمسافر « ومن اوراده اللازمة للطريقة » ذكر الهيللة بعد صلاة عصر يوم الجمعة مع الجماعة إن كان له اخوان فى البلد فلا بد من جمعهم وذكرهم جماعة وهذا شرط فى الطريقة من غير حد ولا حصر على قاعدة الطريقة الخلوتية وإن كان وحده ولا اخوان له يذكر الهيللة وحده وهذا شرط من شروط الطريقة أبدا سرمدا، وكان شيخنا رضى الله عنه لا يسامح فى التخلف عنها اه هذا ما لصاحب الجواهر « ولنذكر » ما تلقيناه من غيره بأوضح بيان وأتم تبيان فنقول قال الشيخ الاخ النحرير فى الجيش الكبير ما نصه أما ألفاظه فمائة من أستغفر الله ومائة من الصلاة على النبي (صلعم) بأى صيغة والافضل أن تكون بلفظ صلاة الفاتح لما أغلق ومائة من لا إله إلا الله ثم يختم موفية المائة بمحمد رسول الله (صلعم) هذا هو أصل الورد الذى رتبه للشيخ سيد الوجود ﷺ وهو لازم الطريقة لا معدل لاحد عنه ﴿ ثم زيدت وظيفة ﴾ وهى أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ثلاثين مرة وخمسون من لفظ الصلاة على النبي ﷺ بلفظ الفاتح لما أغلق عند بعض التلاميذ إلا لعذر كضيق وقت فباى صيغة ثم سبحان ربك رب العزة الى العالمين مرة ثم مائة من لا إله إلا الله يختم موفية المائة بمحمد رسول الله عليه سلام الله ﴿ ثم اثنتا عشرة ﴾ من جوهرة الكمال للمتوضئ وتنوب عنها عشرون من صلاة الفاتح لما أغلق لغير المتوضئ ومن أتى بالجوهرة وهو متيمم أو العكس فان أمكنه التدارك أتى بما عليه وإلا أستغفر الله ﴿ ورأيت ﴾ بخط محمد بن عبد الله بن وديعة الله العلوى أنه يزيد ـ ان الله وملائكته يصلون على النبي ـ الآية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو من جلة أصحاب شيخنا سيدى محمد الحافظ العلوى رضى الله عنه * ويأتى باثنتى عشرة مائة من التهليل يختم كل مائة بمحمد رسول الله (صلعم) بعد صلاة العصر من يوم الجمعة إن كان وحده وان كان معه اخوان أتوا بعدد غير محدود اه « وعن بعض التلاميذ » يذكرون قدر ساعة وهذا من الاوراد اللازمة للطريقة أيضا وليس الختم بالرسالة لازما للواحد فى ذكر الجمعة ولا شىء فى تركه وأما الجماعة فيذكرون عند ختم الهيللة فى الوظيفة وأما ذكر الجمعة فلا يذكرونه فيه كما كتب لنا به شيخنا سيدى محمد الحافظ رضى الله عنه وقد وقفت على كتاب الاجازة بخط شيخنا التجانى رضى الله عنه للشيخ سيدى محمد الحافظ وفيه التخفيف فى الوظيفة والحضرة ويشترط فى ذكر الجمعة والوظيفة الاجتماع إلا لعذر وفائدة ذلك تعاضد أنوار قلوب الذاكرين واظهار لآية الاسلام عند درو سهاو إعانة لضعفاء المسلمين على الذكر مع ما ورد فى الحديث من نزول الرحمة والسكينة وذكر الله لهم فيمن عنده كما قدمنا فى مبحث الاجتماع للذكر وتستفتح الجماعة لهما بالفاتحة والواحد مخير وتختمان بدعاء وصلاة على النبي (صلعم) والزيادة عمدا سوء أدب والنقص عمدا مبطل وكفارتهما سهوا مائة من الاستغفار والاولى فى ذكر الجماعة التحليق وإذا تفاوتوا فللمسبوق أن يبتدىء معهم من حيث وجدهم

ويقضى مافاته بعد التمام وله أن يبتدىء ذكره سراحتى يبلغ محلهم ويدخل معهم وليس للسابق أن يمكث حتى يبلغه صاحبه وإذا كان بعضهم فى العشرين وبعضهم فى الجوهرة فان كلا من الطائفتين تقوم وتحلق وحدها وليس فى ذلك التحرك المنهى عنه ومن بدل الاستغفار بلفظ آخر من ألفاظه أعاده بما عينه له الشيخ وأما الصلاة فقد تقدم أنها تجزى بكل صيغة . وأما أوقات هذا الورد فذكر الجمعة بعد صلاة العصر إلى الغروب . وأما الوظيفة فان تيسرت فى الصباح وفى المساء فذلك أفضل وإلا كفت فى واحد منهما . وأما المئون الثلاث فتقال فى الصباح والمساء والمراد بالمساء من دخول وقت العصر إلى ثلث الليل الاول والصباح من طلوع الفجر إلى حل النفل هذا ما الزروق وغيره والقضاء من وراء هذين الوقتين «ورأيت» لبعض تلامذة شيخنا الحافظ وهو محمد بن عبد الله المذكور ان المراد بالصباح فى وردنا من طلوع الفجر إلى صلاة العصر والمراد بالمساء من صلاة العصر إلى طلوع الفجر والاول هو الذى عليه عامة أهل الورد وفائدة توسيع وقته ايقاعه على سماح فى النفس إذ قد لايتيسر أمره ان كان له وقت واحد مع أن ذلك أحفظ لاقامته وإلا فقد تتوالى الاشغال فيؤدى إلى تركه لو ضيق وقته «وقال» فى مبحث شروطه أما شروطه فطهارة الحدث والخبث وترك الكلام الكثير وعدم الاجتماع مع ورد آخر واستقبال القبلة والمحافظة على الصلوات فى أوقاتها فى الجماعات إلا لضرورة فى هذا كله وأن لاينقص الركوع عن قدر مايقال فيه سبحان ربى العظيم ثلاثا والسجود عن قدر مايقال فيه سبحان ربى الأعلى ثلاثا والاربعة الاول شروط وجوب وغيرها شروط كمال والحائض لايمنعها الحيض من الورد وعليها ماقدرت عليه من شروطه وصاحبه لايزور المشايخ بنية التعلق بهم ويعظم الاولياء كلا ويعظم أهل الورد كلا وتكفيه أوراد شيخه فى أغراضه الدينية والدنيوية إلى أن قال وله أن يزور القبور ليتذكر بها الآخرة اه «وبالجملة» فالمنهى عنه من الزيارة زيارة التعلق كزيارة الاكابر الذين تعلمون من أنفسكم الاعتقاد فيهم والتعلق بهم ومن تأهل للتقديم فله أن يقدم من كان أهلا للتقديم فى إعطاء الورد لمن طلبه وله أن يقدم عشرة تحته لا أزيد ان احتيج لهم لبعد مسافة أو عذر آخر إلى أن قال وللمقدم ماللشيخ من الحرمة وأما مايسقطه من الاعذار فالمرض والسفر أما المرض فصاحبه مخير بين الاتيان بالورد وعدمه ويكتب له أجره «واما السفر» فلايسقط به إلا الوظيفة فيما كتب لنا به أخونا المكرم وشيخنا المحترم باتم بن حم ختار الحاجى خلافا لبعض من لقيناه من تلامذة شيخنا سيدى محمد الحافظ فى عدم سقوطها بالسفر والله تعالى أعلم انتهى ه وكثرة الخلاف تدل على سعة مادة الاغتراف * ومن أوراده المطلقة «اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى ورحمتك أرجى عندى من عملى ثلاثا صباحا مساء» وهى من المكفرات * ومنها استغفار الخضر عليه السلام «اللهم انى أستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ماوعدتك به من نفسى ثم لم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطنى فيه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك ياعالم الغيب والشهادة من كل ذنب اذنبته فى ضياء النهار أو سواد الليل فى ملا أو خلا أو سر أو علانية ياحليم ثلاثا» من ذكره غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر * ومنها وظيفة اليوم والليلة ثلاثا صباحا ومساء «لا إله إلا الله الله أكبر لا إله إلا الله وحده لا إله إلا الله ولا شريك له لا إله إلا الله له الملك وله الحمد لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم» من ذكره لم يكتب عليه ذنب حتى يمسى أو يصبح * ومنها القبول العمل «تباركت الهى من الدهر إلى الدهر وتعاليت الهى من الدهر إلى الدهر وتقدست الهى من الدهر إلى الدهر وأنت ربى ورب كل شىء لا إله إلا أنت ياأكرم الاكرمين والفتاح بالخيرات

أغفر لى ولعبادك الذين آمنوا بما أنزلت على رسولك» ٥ ومنها «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك
له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وابن امته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وان الجنه
حق وأن النار حق» من قاله يدخل الجنة من أى باب شاء على ما كان من العمل * وكان رضى الله عنه يكثرمنها
عند النوم * ومنها «سبحان من تعزز بالعظمة سبحان من تردى بالكبرياء سبحان من تفرد بالوحدانية
سبحان من احتجب بالنور سبحان من قهر العباد بالموت وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله
وصحبه وسلم» من داوم عليه يبعث الله تعالى له ملكا يؤدى عنه الصلوات الفوائت يعنى الفرائض التى ترتبت
فى ذمته لكن لا يعتمد هذا بل ان ترتبت صلوات فى ذمته فليقضها وفضل الله أوسع * ومنها «الفاتحة أربعاد ركل
صلاة ثم آية الكرسى مرة ثم قوله اللهم انى أقدم اليك بين يدى كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل
السموات وأهل الأرض وكل شىء هو فى علمك كائن أو قد كان أقدم اليك بين يدى ذلك كله
الله لا إله إلا هو الحى القيوم الخ ثم سورة الاخلاص مرة يضع يده على عينيه ويقرؤها ويضع يده على صدره
ويقرؤها ثم أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الارض ولا فى السماء
وهو السميع العليم ثلاثا دبر الصلوات ، ثم يامن أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر
ياعظيم العفو ياحسن التجاوز ياواسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة وياسامع كل نجوى ويامنتهى
كل شكوى ويا كريم الصفح وياعظيم المن ويامبتدئا بالنعم قبل استحقاقها ياربى وياسيدى ويامولاى
وياغاية رغبتى أسألك أن لا تشوه خلقى بالبلاء فى الدنيا ولا بعذاب النار بقدر الطاقة فى الصباح والمساء
ثم حزب البحر فى الصباح والمساء واوله «يا ألله ياعلى ياعظيم ياحليم الخ» وهو مشهور * ومنها المسبعات العشر
المعلومة فى الصباح والمساء وهى (الفاتحة مع البسملة سبعا . ثم المعوذتان مع البسملة سبعا سبعا . ثم الاخلاص
مع البسملة سبعا. ثم الكافرون مع البسملة سبعا ثم آية الكرسى سبعا. ثم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبعا . ثم اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك
النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما سبعا. ثم اللهم اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات
الأحياء منهم والاموات سبعا. ثم اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل
بنا وبهم يامولانا ما نحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رءوف رحيم سبعا) * ومنها دعاء ذكره أبو طالب
فى قوت القلوب وهو قوله ﴿ أنت الله لا إله إلا أنت رب العالمين أنت الله لا إله إلا أنت الحى القيوم أنت الله لا إله
إلا أنت العلى العظيم أنت الله لا إله الا أنت العفو الغفور أنت الله لا إله الا أنت مبدىء كل شىء واليك يعود
أنت الله الذى لا اله الا أنت لم تلد ولم تولد أنت الله لا اله الا أنت العزيز الحكيم أنت الله لا اله الا أنت الرحمن
الرحيم أنت الله لا اله الا أنت ملك يوم الدين أنت الله لا اله الا أنت خالق الخير والشر أنت الله لا اله الا أنت خالق
الجنة والنار أنت الله لا اله الا أنت الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا أنت الله لا اله الا أنت
الفرد الوتر أنت الله لا إله إلا أنت عالم الغيب والشهادة أنت الله لا إله إلا أنت الملك القدوس أنت الله لا إله الا
أنت السلام المؤمن المهيمن أنت الله لا إله إلا أنت العزيز الجبار المتكبر أنت الله لا إله الا أنت الخالق البارىء
أنت الله لا اله الا أنت الأحد المصور أنت الله لا اله الا أنت الكبير المتعال أنت الله لا اله الا أنت القادر المقتدر
القهار أنت الله لا اله الا أنت الحليم الكريم أنت الله لا اله الا أنت القادر الرزاق أنت الله لا اله الا أنت أهل الثناء
والمجد أنت الله لا اله الا أنت تعلم السر وأخفى أنت الله لا اله إلا أنت فوق الخلق والخليقة أنت الله لا اله إلا أنت الجبار

المتكبر اه ﴾ يذكر فى الصباح والمساء * ومنها ﴿ سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ملء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم ﴾ اه من غير حصر ولا وقت من ذكره مرة واحدة يكتب عند الله من الذاكرين الله كثيراً ويكون له قصر فى الجنة ويكون أفضل من ذكره بالليل والنهار وتحاتت عنه ذنوبه وينظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه * ومنها صلاة رفع الأعمال وهى ﴿ اللهم صل على سيدنا محمد النبي عدد من صلى عليه من خلقك وصل على سيدنا محمد النبي كما ينبغى لنا أن نصلى عليه وصل على سيدنا محمد كما أمرتنا أن نصلى عليه ﴾ فقد ورد فى بعض الآثار أن من صلى بها عشرا فى الصباح وعشرا فى المساء رفع له مثل عمل أهل الأرض * ومنها حزب النجاة المسمى بالدور الاعلى لابن العربى الحاتمى أوله ﴿ اللهم اني أسألك يا ألله ياحى ياقيوم بك تحصنت فاحمنى الخ ﴾ . ومنها حزب التضرع والابتهال وهو ﴿ إلهى وسيدى ومولاى هذا مقام المعترف بكثرة ذنوبه وعصيانه وسوء فعله وعدم مراعاة أدبه حالى لا يخفى عليك وهذا ذلى ظاهر بين يديك ولا عذر لى فأبديه لديك ولا حجة لى فى دفع ما ارتكبه من مناهيك وعدم طاعتك فقد ارتكبت ما ارتكبه غير جاهل بعظمتك وجلالك وسطوة كبريائك ولا غافل من شدة عقابك وعذابك ولقد علمت أنى متعرض بذلك لسخطك وغضبك ولست فى ذلك مضاداً لك ولا معاندا ولا متصاغرا بعظمتك وجلالك ولا متهاونا بعزك وكبريائك ولكن غلبت على شقوتى وأحدقت بى شهوتى فارتكبت ما ارتكبته عجزا عن مدافعة شهوتى فحجتك على ظاهرة وحكمك فى نافذ وليس لضعفى من ينصرنى منك غيرك وأنت العفو الكريم والبر الرحيم الذى لا تخيب سائلا ولا ترد قاصدا وأنا متذلل لك متضرع لجلالك مستمطر جودك ونوالك مستعطف لعفوك ورحمتك فاسألك بما أحاط به علمك من عظمتك وجلالك وكرمك ومجدك وبمرتبة ألوهيتك الجامعة لجميع صفاتك وأسمائك أن ترحم ذلى وفقرى وتبسط رداء عفوك وحلمك وكرمك ومجدك على كل ما أحاط به علمك مما أنا متصف به من المساوى والمخالفات وعلى كل ما فرطت فيه من حقوقك فانك أكرم من وقف ببابه السائلون وأنت أوسع مجدا وفضلا من جميع من مدت اليه أيدى الفقراء المحتاجين وكرمك أوسع ومجدك أكبر وأعظم من أن يمد اليك فقير يده يستمطر عفوك وحلمك عن ذنوبه ومعاصيه فترده خائبا فاغفر لى وارحمنى واعف عنى فانما سألتك من حيث أنت لا تصافك بعلو الكرم والمجد وعلو العفو والحلم والحمد الهى لو كان سؤالى من حيث أنا لم اتوجه اليك ولم أقف ببابك لعلمى بما أنا عليه من كثرة المساوى والمخالفات فلم يكن جزائى فى ذلك الا الطرد واللعن والبعد ولكنى سألتك من حيث أنت معتمدا على ما أنت عليه من صفة المجد والكرم والعفو والحلم ولما وسمت به نفسك من الحياء على لسان رسولك (صلعم) أن تمد اليك يد فقير فتردها صفرا وأن ذنوبى وإن عظمت وأربت عن الحصر والعد فلا نسبة لها فى سعة كرمك وعفوك ولا تكون نسبتها فى كرمك مقدار ما تبلغ هباءة من عظمة كرة العالم فبحق كرمك ومجدك وعفوك وحلمك اللواتى جعلتهن وسيلة فى استمطارى لعفوك وغفرانك أعف عنى واغفر لى بفضلك وعفوك وإن كنت لست أهلا لذلك فانك أهل أن تعفو عمن ليس أهلا لعفوك وكرمك فأنت أهل أن تمحو فى كل طرفة عين جميع ما للمخلوقات من جميع المعاصى والذنوب يا مجيد يا كريم يا عفو ياذا الفضل العظيم والطول الجسيم . ثم صلاة الفاتح لما أغلق الخ مرة وينبغى لمن دعا بهذا الدعاء أن يجمع همته فقد قال شيخنا رضى الله عنه همة الإنسان قاهرة لجميع الاكوان * ومنها حزب السيفى وأوله ﴿ اللهم أنت الله الملك الحق المبين القديم المتعزز بالعظمة والكبرياء الخ ﴾ ولم يسعنا جلبه برمته لكثرته ولا

جلب حزب البحر لشهرته ولا حزب النجاة ولا يلقن الثلاثة الا لخاصته * ومنها الأسماء الإدريسية التي أولها ﴿سبحانك لا إله إلا أنت يارب كل شيء ووارثه ورازقه وراحمه واحدا وأربعين اسما وآخرها ياغياثي عند كل كربة ومجيبي عند كل دعوة ومعاذي عند كل شدة ويارجائي حين تنقطع حيلتي ياغياثي﴾ وتركنا جلبها طلبا للاختصار ومنها فاتحة الكتاب بالخاصية المعلومة التي هي من أعظم الأسرار والكنز المطلسم الذي لم يظفر به أحد من خواص الابرار سوى شيخنا رضي الله عنه فقد تفضل به عليه النبي المختار (صلعم) ﴿ومن أدعيته﴾ التي أجرى الله على لسانه قوله ﴿ اللهم اجذبني اليك قلبا وقالبا بجواذب عنايتك وألبسني خلعة استغراق أوقاتي في الاشتغال بك واملأ قلبي وجوارحي بذكرك وحبك والشوق اليك امتلاء لا يبقى في متسعا لغيرك واسقني كأس انقطاعي اليك بتكميل البراءة من غيرك وعدم التفات قلبي لسواك واجعلني بك لك قائما وعنك آخذا ومنك مستمعا وإليك ناظرا وراحما وعليك معولا وفيك متحركا وساكنا مطهرا بفيوض تجلياتك من جميع الحظوظ والبقايا ومن جميع المساكنات والملاحظات لغيرك وحل بيني وبين النفس وهواها والشيطان بسرادقات عصمتك لي منهم وأدم لي صفاء الوقوف بين يديك بك لك من حيث ترضى بما ترضى كما ترضى مثل أكابر الصديقين بين يديك وحفني بجنود نصرك لي وتأييدك لي وعونك لي بكمال توليك لي بعنايتك لي ومحبتك لي واصطفائك لي وحل بيني وبين غيرك من أول الأمر إلى آخره حتى تميتني على ذلك واجعلني في الدنيا والآخرة من أهل ولايتك الخاصة الكاملة الصرفة التي لا شائبة فيها لغيرك انك على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ﴾ قال شيخنا رضي الله عنه من قرأ هذا الدعاء فليجعل ألفا من الصلاة على النبي (صلعم) في الصباح وألفا في المساء وليدع بهذا الدعاء خلف كل ألف سبعا ويهدي ثواب الصلاة لرسول الله (صلعم) تنظيما وجلالا له ويكون ذلك بترتيل وحضور قلب قدر الاستطاعة ويداوم على هذا مع لزوم الاعتزال والصمت وتخفيف الاكل والشرب في غير افراط ولا تفريط ويحفظ قلبه من الجولان في أمر الدنيا والنساء والشهوات ومن سخط المقدور ومن الجزع من كل لا يطابق الهوى في الوقت فمن فعل هذا يرى من الاسرار والأنوار ما لا يدخل تحت حصر وبالله تعالى التوفيق ومنها قوله (اللهم حققني بك تحقيقا يسقط النسب والرتب والتعيينات والتعلقات والاعتبارات والتوهمات والتخيلات حيث لا أين ولا كيف ولا رسم ولا علم ولا وصف ولا مساكنة ولا ملاحظة مستغرقا فيك بمحو الغير والغيرة بتحقيق بك من حيث أنت كما أنت وكيف أنت حيث لا حس ولا اعتبار إلا أنت بك لك عنك منك لأكون لك خالصا وبك قائما وإليك آيبا وفيك ذاهبا باسقاط الضمائر والاضافات واجعلني في جميع ذلك محفوفا بعنايتك لي وتوليك لي واصطفائك لي ونصرك لي آمين ﴾ أربعين متوالية أو موزعة على الاوقات وهذا الدعاء للمنقطعين إلى الله تعالى * ومنها لكل مطلوب ﴿ اللهم إني أسألك بما وراءه حجب جلالك من سبحات وجهك التي لو ظهرت للوجود لتدكدك وانحرق وصار محض العدم أسألك بتلك السبحات وجلالتها وعظمتها أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأسألك أن تعطيني كذا وكذا ويسمي حاجته ﴾ ومنها قوله ﴿ اللهم إني أسألك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأسألك أن تعطيني وتعطي فلانا كذا وكذا جمعا أو إفرادا من كل ما شئت من ابتداء خلقك إلى انتهاء يوم القيامة في كل مقدار طرفة عين لكل واحد على انفراده عشرين فيضة من بحر رضاك وأن تعطي كل واحد في كل فيضة أوفر حظ ونصيب من كل خير سألك منه سيدنا محمد نبيك ورسولك صلعم ما علمت من ذلك وما لم

أعلم من خيرات الدنيا والآخرة والنجاة من كل شر استعاذك منه سيدنا محمد نبيك ورسولك صلعم ما علمت من ذلك وما لم أعلم من شرور الدنيا والآخرة ومغفرة جميع ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر في الدنيا والآخرة وأداء جميع تبعاتنا من خزائن فضلك وكرمك لا من حسناتنا والذي في كل فيضة غير الذي في الاخرى وهذا كله غير الذي تقدم وأسألك أن تعطيني وكل واحد منهم جميع ذا وذاك وأن تجيبني وكل واحد منهم في جميع ذا وذاك بمحض فضلك وكرمك ﴾ ومنها قوله ﴿ الهنا أنت المحرك والمسكن لكل ما وقع في الوجود من الخيرات والشرور في حكمك الحل والعقد في جميع الأمور فبيدك وعن جميع مشيئتك تصاريف الاقدار والقضاء المقدور وأنت أعلم بضعفنا وعجزنا وذهاب حولنا وقوتنا عن تباعدنا عما يحل بنا من الشرور وعن اتصالنا بما نريد الوقوف فيه من الخيرات وما يلائم أغراضنا في جميع الأمور وقد وقفنا ببابك والتجأنا لجنابك ووقفنا على أعتابك مستغيثين بك في صرف ما يحل بنا من الشرور وما ينزل بنا من الهلك مما يجري به تعاقب الدهور ولا قدرة لنا على حمله ولا قوة على طله فضلا عن وبله وأنت العفو الكريم والمجيد الرحيم الذي ما استغاث بك مستغيث إلا أغثته ولا توجه إليك مكروب يشكو كربه إلا فرجته ولا ناداك ضرير إلا من أليم بلائه الا عافيته ورحمته وهذا مقام المستغيث بك والملتجىء اليك ارحم ذلي وتضرعي بين يديك وكن لي عونا وناصرا ودافعا لما يحل بي من المصائب والاحزان ولا تجعل عظائم ذنوبي حاجبة لما ينزل بنا من فضلك ولا مانعة لما أتحفتنا به من طولك وعاملنا في جميع ذنوبنا بعفوك وغفرانك وفي جميع زلاتنا وعثراتنا برحمتك وإحسانك فانا لفضلك راجون وعلى كرمك معولون ولنوالك سائلون ولكمال عزك وجلالك متضرعون فلا تجعل حظنا منك الخيبة والحرمان ولا تنلنا من فضلك الطرد والخذلان فانك أكرم من وقف ببابه السائلون وأوسع مجدا من كل من طمع فيه الطامعون فان لك المن الاعظم والجانب الاكرم وأنت أعظم كرما وأعلى مجدا من أن يستغيث بك مستغيث فترده خائبا ويستعطف أحد نوالك متضرعا اليك فيكون حظه منك الحرمان لا اله الا أنت يا علي يا عظيم يا مجيد يا كريم يا واسع الجود يا بر يا رحيم ﴾ تذكر هذه الاسماء من قولك لا إله إلا أنت الخ عشرين مرة * ثم صلاة الفاتح لما أغلق الخ عشرا في أوله وعشرا في آخره فان المداومة بهذا الدعاء كل ليلة سبعا أو خمسا أو ثلاثا تدفع عنه كثيرا من المصائب وإن تحتم نزولها نزل به لطف عظيم فيها * قال شيخنا رضي الله عنه في بعض وصاياه وان قدر أحدكم على أن يكون تضرعه في كل يوم وليلة بهذا الدعاء فليفعل * ومنها قوله ﴿ اللهم عليك معولي وبك ملاذي وإليك التجائي وعليك توكلي وبك ثقتي وعلى حولك وقوتك اعتمادي وبجميع مجاري أحكامك رضاي وباقراري بسريان قيوميتك في كل شيء وعدم احتمال خروج شيء دق أو جل عن علمك وقهرك حتى لحظة سكوني ﴾ اه قال شيخنا رضي الله عنه في بعض وصاياه فان قدر العبد على ارتحال القلب الى الله بكل وجه وعلى كل حال بحركة القلب حسا فهو الغاية وان لم يقدر فليلازم بعد كل صلاة هذا الدعاء ثلاثا أو سبعا ثم يمر به على قلبه في غير الصلوات ويحمل نفسه عليه حتى يصير له ذلك حالا فاذا داوم عليه كلما رأى من أحوال النفس ما لا يطابق هذا الدعاء ذكر نفسه بمعاني هذا الدعاء وصبر على حمل نفسه سهل عليه تعلق القلب بالله تعالى برفض كل ما سواه وهذا باب كبير من العلم يعلمه من ذاق أدنى شيء من علوم الرجال ويعلم قدره فلا تهمله * وله من الادعية غير هذا فلا نطيل بذكرها وقد تحقق بحمد الله تعالى بجميع ما تضمنته من المطالب وانطوت عليه من المآرب وهذا مما اشتهر وشاع وانتشر * ومن صلواته التي أملى عليه رسول الله صلعم ياقوتة الحقائق

على سيد الخلائق وهى ﴿ اللهالله اللهاللهم أنت الله الذى لا اله الا أنت العالى فى عظمة انفراد حضرة أحديتك التى شئت فيها بوجود شئونك وانشأت من نورك الكامل نشأة الحق وانطقها وجعلتها صورة كاملة تامة تجدمنها بسبب وجودها من انفراد أحديتك قبل نشر أشباحها وجعلت منها فيها بسببها انبساط العلم وجعلت من أثر هذه العظمة ومن بركاتها شبحة الصور كلها جامدها ومتحركها وأنطتها باقبال التحريك والتسكين وجعلتها فى احاطة العزة من كونها قبلت منها وفيها ولها وتشعشعت الصور البارزة باقبال الوجود وقدرت لها وفيها ومنها ما يماثلها مما يطابق أرقام صورها وحكمت عليها بالبروز لتأدية ماقدرته عليها وجعلتها منقوشة في لوحها المحفوظ الذى خلقت منه ببركته وحكمت عليها بما أردت لها وبما تريد بها وجعلت كل الكل فى كلك وجعلت هذا الكل من كلك وجعلت الكل قبضة من نور عظمتك روحا لما أنت أهل له ولما هو أهل لك أسألك اللهم بمرتبة هذه العظمة واطلاقها فى وجد وعدم أن تصلى وتسلم على ترجمان لسان القدم اللوح المحفوظ والنور السارى الممدود الذى لا يدركه دارك ولا يلحقه لاحق الصراط المستقيم ناصر الحق بالحق اللهم صل وسلم على أشرف الخلائق الانسانية والجانية صاحب الأنوار الفاخرة اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته واخوانه من النبيين والصديقين وعلى من آمن به واتبعه من الأولين والآخرين اللهم اجعل صلاتنا عليه مقبولة لا مردودة اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله اللهم اجعله لنا روحا ولعبادتنا سرا واجعل اللهم محبته لنا قوة نستعين بها على تعظيمه اللهم واجعل تعظيمه فى قلوبنا حياة أقوم بها أستعين بها على ذكره وذكر ربه اللهم واجعل صلاتنا عليه مفتاحا وافتح لنا بها يارب حجاب الاقبال تقبل منى ببركة حبيبى وحبيب عبادك المؤمنين ما أنا أؤديه من الأوراد والاذكار والمحبة والتعظم لذاتك الله الله الله أه آمين هو هو هو آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله آمين ﴾ ومنها جوهرة الكمال التى فى آخر الوظيفة فانظر تمامها فى موقف الطمأنينة وهاتان الصلاتان أعنى ياقوتة الحقائق وجوهرة الكمال بارزتان من الحضرة المحمدية * ومنها الصلاة الغيبية فى الحقيقة الأحمدية فانها برزت من الغيب من غير إنشاء أحد وهى ﴿ اللهم صل وسلم على عين ذاتك العلية بأنواع كمالاتك البهية فى حضرة ذاتك الأبدية على عبدك القائم بك منك لك اليك بأتم الصلوات الزكية المصلى فى محراب عين هاء الهوية التالى السبع المثانى بصفاتك النفسية المخاطب بقولك - واسجد واقترب - الداعى بك لك بإذنك لكافة شئونك العلمية فمن أجاب اصطفى وقرب المفيض على كافة من أوجدته بقيومة سرك المدد السارى فى كلية أجزاء موهبة فضلك . المتجلى عليه فى محراب قدسك وانسك . بكمال ألوهيتك . فى عوالمك وبرك وبحرك فصل اللهم عليه صلاة كاملة تامة بك ومنك واليك وعليك . وسلم عليه سلاما تاما عاما شاملا لأنواع كمالات قدسك . دائمين متصلين على خليلك وحبيبك من خلقك . عدد ما فى علمك القديم . وعميم فضلك العظيم . ونب عنا بمحض فضلك الكريم . فى الصلاة عليه . صلاتك التى صليت عليه . فى محراب قدسك . وهوية أنسك . وعلى آله وصحابة رسولك ونبيك . وسلم عليه تسليما عدد إحاطة علمك . اه ﴾ وهذه الصلاة مشيرة إلى الحضرة الأحمدية التى لا مطمع لاحد بنيل مافيها بل اختص (صلعم) وحده بمقامها * قال شيخنا رضى الله تعالى عنه أول شرحه لهذه الصلاة الغيبية بعد كلام فالحاصل أن له (صلعم) مقامين مقام حقيقته الأحمدية وهو الأعلى ومقام حقيقته المحمدية وهو الأدنى ولا أدنى فيه فكل ما أدركه جميع الوجودات من العلوم والمعارف والفيوضات والتجليات والترقيات

والأحوال والمقامات والأخلاق إنما هو كله من فيض حقيقته المحمدية وإما في حقيقته الأحمدية فما نال منه أحد شيئا اختص به وحده (صلعم) الكمال عزها وغاية علوها انتهى * وقال في موضع آخر فهو أحمد من حمد الله تعالى له * قلت وذلك لأنه (صلعم) كملت فيه أنواع التجليات كلها فالموجودات بأسرها على اختلاف مشاربها منه أدركت منه تجليات الأسماء والصفات المتجلي بها عليهم فيه وأما تجلي الذات فلم يكن في الوجود لأحد من خلقه إلا له (صلعم) فاحمد من مقتضيات المعرفة وهي من مقتضيات التجلي والتجلي الذاتي ليس كالتجلي الأسمي والوصفي فلكل تجل منها معرفة ولكل معرفة مايطابقها من الحمد فهو (صلعم) عين الحمد كما أنه عين المعارف فمعرفته (صلعم) معرفة الله كما أن طاعته طاعة الله ومحبته محبة الله تعالى وسيأتي مزيد بيان لذلك في آخر مقام الإحسان ﴿وبالجملة﴾ فالجامع بين الحضرتين الحمد فان كان الحمد حمد المرتبة التي هي الالوهية الجامعة لمعاني جميع الأسماء والصفات فذلك حمد الحضرة المحمدية التي تغابن فيها الصديقون في الترقيات والتجليات فيما بينهم وهي مقيدة ومرتبطة بالخلق ارتباط الخلق بالحق تعالى وإن كان الحمد حمد الذات العلية التي لم يشترك في تجليها أحد معه (صلعم) فذلك الحمد حمد الحضرة الأحمدية وهي مطلقة فهو في الحضرة المحمدية حامد ومحمود بقيد الوجود وفي الحضرة الأحمدية حامد ومحمود بعين الثبوت في غيب العدم فهو (صلعم) عبد الله من حيث الأسماء والصفات فقد حمده الأولون والآخرون لوجود حجاب محمديته الذي غاشوا تحت ظله إذ لا طاقة لهم بمشاهدة تجلي الذات العلية وهو أيضا عبد الذات من حيث غيبيته واختصاصه بالتجلي الذي لم يدركه دارك ولم يحمد فيه حامد غيره * وهذه الصلوات الثلاث من أقوى الأدلة على انفراد شيخنا رضي الله عنه بشرب من مراتب بطون الحقيقة المحمدية الخمس لم يسبق اليه ولم يحم قبله فيما بلغنا قطب حواليه فدل ذلك على أنه الولي المكتوم. والقطب المفهوم. رضى الله عنه وأرضاه وجعلنا في حماه إذ تقدم أول هذه الدرجة أن نتائج قرائح المشايخ صفة حالهم ونكتة مقالهم وهل ينضح الاناء إلا بما حواه. وهل اللسان إلا دليل على ماانطوى عليه القلب وآواه. كما قيل

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

﴿ومما يدلك﴾ على تمام بصيرته. وقوة نوره وكمال معرفته كما في الجواهر اخباره عن الأولياء الماضين من الأكابر وغيرهم كأنه رضي الله عنه معاصر لكل من أخبر عنه منهم فقد أخبر رضى الله تعالى عنه عن حال غير واحد منهم ووصفهم بما يشير الى مقاماتهم وما خص الله به كل واحد من الخصوصية يخبر عن حاله ومقامه وما أدركه وهل هو من أهل التصرف أو غيره كأنه رضي الله عنه يرى وصف حاله عيانا ويشرح حال كل من تقدمه من أكابر الأولياء كسلطان الأولياء مولانا عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه وابن العربي الحاتمي وأبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي وسيدي أبي مدين الغوث وسيدي أحمد بن يوسف وغيرهم رضى الله تعالى عنهم فلا نطيل بذكرهم انتهي (قال في الجواهر) سمعته رضى الله عنه يذكر رجل من تولى القطبانية من بعده صلعم الى وقتنا هذا وكل من ذكره يصف حاله وما حصل له من المقامات العلية. والأحوال السنية. كل على حسب ما أولاه مولاه. واصطفاه وارتضاه. وهذا كان منه رضى الله عنه قبل هذا الوقت * وأما الآن فالغالب عليه السكوت رضى الله تعالى عنه وأرضاه. ومتعنا برضاه (قلت) وما ذاك الا لكماله اذ المقام مقام ذوق واطلاع. لا مقام تعمل بدرس واجتماع (وقال في الجواهر) فمن كماله رضى الله عنه وعرفانه الاتم. معرفته لاسم الله العظيم الأعظم. حسبما

أخبرنا بذلك فقد قال رضى الله عنه أعطيت من اسم الله العظيم الاعظم صيغا عديدة وعلمنى صلعم كيفية استخرج بها ما أحببت من تراكيبه وأخبرنى بخواصه العظام وكيفية الدعاء به وكيفية سلوكه وهذا الأمر لم يبلغنا عن أحد أنه بلغه غير سيدنا رضى الله عنه لأنه قال أعطانى سيد الوجود صلعم الاسم الخاص بسيدنا على كرم الله وجهه بعد أن أعطاني الاسم الأعظم الخاص بمقامه صلعم وقلت لسيد الوجود صلعم ائذن لى فى جميع أسراره وجميع ما احتوى عليه ففعل صلعم (ومن كماله أيضا) رضى الله تعالى عنه وعلو منصبه الشريف . ما أوتيه من مقام الخلافة وخطة التصريف . ووليه من النيابة والتحكيم والأمر النافذ العميم . من جلب نفع . ودفع ضر . فهو يجلب بقوته ويدفع . ويضع بهمته ويرفع ويرقى بإذن الله تعالى وينزل . ويولى بأمر الله تعالى ويعزل . على حسب ماصرفه فيه مولاه . ومكنه منه وأولاه . فحكمه نافذ عن أمر الله وأمره بأمر الله من غير حول منه ولا اختيار . بل بقدرة العزيز الجبار (ومما اشتهر) من تصرفه وانتشر . وبزغ للعيان وظهر . تصرفه فى أمراء الزمان . وولاة الاوان . وهذا أمر قد شاع وذاع . وملأ الأفواه والاسماع . وقد أطنبنا فى تعداد أوراده ليكون المريد على بصيرة فيما ينقص منها ويزيد . مما يناسب حال سيره . لتمام ايصال خيره وأحجمنا عن تتبع ما تضمنته من الفضائل خشية الإطالة . ولكون هذه العجالة . موضوعة لمن تنهضه الاشارة قبل العبارة . فيكتفى بأى مخبر أن من أوراد شيخك كذا وكذا لصدق الطوية فى ذلك . والانكباب على ماهنالك . ولم يسعنا جلب وصاياه اتكالا على ما بسط فى جلبه صاحب الجواهر . وسرده الشيخ الأخ فى آخر الجيش الكبير . فلينظر فى ذلك . ليتبصر بمضمونها فى دينه المريد السالك . كما وكلنا إلى الجيش أمر توجيه ألفاظ الورد وذكر فضائلها ﴿ثم رأينا أن نورد من الوصايا تبركا بلفظه . الأخذ من قلب المريد بحظه جملة يسيرة من آخر وصية له﴾ أولها وصية لمن أراد نصيحة نفسه ونصيحة ربه الجارية على حد قوله (صلعم) الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم إلى أن قال ومن ابتلى بشىء من مخالفة هذا الأمر فليرجع إلى الله تعالى بالضراعة والابتهال والاستغفار والانكسار . والتذلل والاحتقار . معترفا بين يدى الله تعالى بعجزه وضعفه ثم الوقوف مع الله تعالى بلزوم الذلة والمسكنة فى مركز الافتقار والاضطرار وخوف القلب من مزعجات سطوته . وفرقه من خفى مكره . ولزوم الرضا والتسليم له سبحانه وتعالى لكل واقع فى الوجود بلا انزعاج ولا اضطراب ولا طلب لزواله إلا ما كان من أفعال نفسه فليبادر إلى التوبة فيما وقع من خروج أفعاله عن الشرع فانه لا يحل البقاء فى ملابسته شرعا وان يعلم أنه من حكم الله فلا عذر له فى ترك التوبة وليعمل بعضا من أوقاته فيما يجرى على يديه من النفع لعباد الله لا عموما بل خصوصا الاقرب فالاقرب من غير افراط ولا تفريط وليكن شديد الاهتمام بحقوق اخوانه فى طريقته التى لا يمكنه التأخر عنها لكن ملازمة الواجب منها فقط من غير أن يجعلها هجيراه فان لكل عاقل أوقاتا يخلو فيها بربه لا يمكنه التأخر عنها والاشتغال عنها وأوقاتا يجالس فيها اخوانه فى الطريقة لله تعالى لتذكير أو تعليم أو استفادة مما لم يكن عنده من العلم من غير افراط ولا تفريط ثم ليتحين فى خلوته مع الله تعالى الاوقات الفاضلة كوسط الليل بعد نوم الناس إلى طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء عاملا فى ذلك بالتشديد والتقريب فى معرفة ما يقدر عليه ولا يوجب للنفس كسلا ولا ضجرا جاريا على حد قوله (صلعم) ان هذا الدين يسر وان يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة

وبشيء من الدلجة . وقوله (صلعم) ان هذا الدين متين فتوغل فيه برفق ولا تبغض لنفسك عبادة الله فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى الحديث. وقوله (صلعم) خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وليحذر كل الحذر من المجالس وما آخذ العلم التى تؤدى إلى الدخول فى مداخل العامة أو الاحوال المخزية فان من تبع ذلك لا يفلح لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وليكن اهتمامه بالاخذ فى خاصة نفسه ولا يجعل لاخوانه فى منافعهم إن أهل لذلك إلا ما فضل عن أوقاته * قال مالك رضى الله عنه وقد سئل عن طلب العلم فقال حسن ولكن اعرف ما يلزمك من صباحك إلى مسائك فالزمه فانه آكد على لوازم الشخص فى خاصة من الامور التى يطالبه الله بها ولا يسامحه في تركها ومن أعرض عن ذلك متعللا بطلب العلم فقد خسر الدنيا والآخرة وأما القول الحق فى ذلك فليس لك إلا الله سبحانه وتعالى فلا تشتغل عنه بغيره ولا تجعل لنفسك إلى سواه منتجعا ولا إلى الاعراض عن بابه تعللا ولا عن الانحياش اليه فى الشدائد والمضايق والكروب ملجأ ولا فى الرخاء وتواتر النعم عن مراعاة شكره مصرفا وليكن الامر فى ذلك جاريا على قول أبى العباس المرسى رضى الله عنه أوقات العبد أربعة لا خامس لها وهى اما أن تكون فى وقت نعمة فمقتضى الحق منك وجود الشكر أو تكون فى وقت شدة فمقتضى الحق منك وجود الصبر أو تكون فى وقت معصية فمقتضى الحق منك وجود التوبة أو تكون فى وقت طاعة فمقتضى الحق منك شهود المنة وهذه الحدود الذى ذكرها فيها استغراق أوقات العبد كلها وهى المذكورة فى قوله (صلعم) من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر ثم سكت (صلعم) حتى قال بعض الجالسين ماذلك يا رسول الله قال أولئك الذين لهم الامن وهم مهتدون أراد (صلعم) بقوله لهم إلا من عذاب الله فى الآخرة وهم مهتدون فى الدنيا وليكن فى جميع ماذكرناه خالصا لله تعالى لا يخالطه شيء من غير الله تعالى وهذه الوصية لاصحاب الحجاب وأما من صفت له المعارف حتى رسخت قدمه فيها فهو مع ما يعطيه وقته وحاله ومقامه وتجليه ليس له عن نفسه اختيار ولا مع غير الله تعالى قرار والسلام انتهى مما أعرفه رضى الله تعالى عنه بالنصح الانفع جملة وتفصيلا * وأما فضل الورد وما أعد الله لتاليه من الاتباع فآثار شهية السماع قال فى الجواهر قال رضى الله تعالى عنه وسألته (صلعم) لكل من أخذ عنه ذكرا أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر وأن تؤدى عنهم تبعاتهم من خزائن فضل الله لا من حسناتهم وأن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شيء وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة وأن يدخلوا الجنة بلا حساب ولا عقاب فى أول الزمرة الاولى وأن يكونوا كلهم معى فى عليين فى جوار النبى (صلعم) فقال لى (صلعم) ضمنت لهم هذا كله ضمانة لا تنقطع حتى تجاورني أنت وهم فى عليين وكل هذا وقع يقظة لا مناما وأنتم وجميع الاحباب لا تحتاجون إلى رؤيتى إنما يحتاج إلى رؤيتى من لم يكن حبيبا لى ولا أخذ عنى ذكرا ولا أكلت طعامه وأما هؤلاء فقد ضمنهم لى بلا شرط رؤية مع زيادة انهم معى فى عليين وأن من رآنى فقط غايته يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ولا يعذب ولا مطمع له فى عليين إلا أن يكون ممن ذكرتهم وهم أحبابنا ومن أحسن إلينا أو أخذ عنا ذكرا فانه يستقر فى عليين معنا وقد ضمن لنا هذا بوعد صادق لا خلف له إلا أنى استثنيت من عادانى بعد المحبة والاحسان فلا مطمع له فى ذلك فابشروا بما أخبرتكم به فانه واقع لجميع الاحباب قطعا . ثم قال رضى الله عنه ومن أخذ عنى الورد المعلوم الذى هو لازم الطريقة أو عمن أذنته يدخل الجنة هو ووالداه وأزواجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بلا حساب ولا عقاب بشرط أن لا يصدر منهم سب ولا بغض ولا عداوة بدوام محبة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات . وكذلك مداومة الورد إلى الممات

* ثم قال رضى الله عنه قلت لرسول الله (صلعم) هل هذا الفضل خاص بمن أخذ عنى الورد مشافهة أو هو لكل من أخذه ولو بواسطة فقال لى كل من أذنته وأعطى لغيره فكأنه أخذه عنك مشافهة وأنا ضامن لهم . قال صاحب الجواهر قلت وهذه الكرامة العظيمة المقدار وهى دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب لمن أخذ ورده ودخول والديه وازواجه وذريته لم تقع لاحد من الاولياء ولا بلغتنا من أخبار سادتنا رضى الله عنهم وان وقع لهم أن من رآهم أو رأى من رآهم يدخل الجنة كالشيخ عبد القادر الجيلانى وسيدى عبدالرحمن الثعالبى ومولاى التهامى رضى الله عن جميعهم لم ينقل عن هؤلاء عدم الحساب والعقاب لاصحابه أولمن رآه كما وقع لشيخنا رضى الله عنه فهى خصوصية لشيخنا رضى الله عنه ولاصحابه ومع هذا قال رضي الله عنه محذر الاصحابه ومرشدا لما فيه صلاحهم أقول لكم ان سيد الوجود (صلعم) ضمن لنا أن من سبنا ودام على ذلك ولم يتب لا يموت إلا كافرا . وأقول للاخوان ان من أخذ وردنا وسمع مافيه من دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب وأنه لا تضره معصية ثم طرح نفسه فى معاصى الله ألبس الله قلبه بغضنا حتى يسبنا فاذا سبنا أماته الله كافرا فاحذروا من معاصى الله ومن عقوبته ومن قضى الله عليه منكم بذنب والعبد غير معصوم فلا يقربنه إلا وهو باكى القلب خائف من عقوبة الله والسلام «ولقد صدق» صاحب رحلة التهامى فى مدح شيخنا التجاني حيث يقول في وصف ورده رضى الله عنه وأرضاه

تنبه لامداد يشاهد ربها	عيانا محيا سيد الكون إذ تجلى
له البيضة المربات بالالف حسبة	بخمسة الآف وافراخه أغلى
ثلاث مئين منه كالست إثره	من الورد وقتيه وراخمس من صلى
لجاءت بترتيب يطابق حال من	اراد سلوكا من مواطنه السفلى
فصدر بالتطهير أول وهلة	من الذنب باستغفاره فنفى النذلا
وشفعه بالكنس للدرن الذى	بقاياه تجلى بالصلاة على الاجلى
وثلث بالذكر المعظم شأنه	لحلة أنوار لها أحكم الغسلا
فاوجز حرفيه حثيثا لعودة	لشدة تاثير بألفاظها تتلى
وطول وسطاه لجمعية قضت	بالفة حرفيها المجموع مايتلى
باعدادها الاول البقايا مزالة	وبالفضل من أعدادها استأنف الوصلا
فلم تطل الاشياخ قيد مريدهم	لتدارك الامداد منهم له نجلا
وأطلق هو القيد ثابت عزمة	بان الذى لقاه مرسى به فضلا
يغار على أمر التدارك غيرة	ولو طال ما بين النوال فلا مطلا
بلا خلوة ربى وربوا بخلوة	فشتان مابين اليزيدين من هلا
فراديس عليين أعلى جنانها	منازل أتباع قفوه ترى نزلا
بخير رعيل كان أول واصل	وما حوسبوا كلا وما كلفوا كلا
بذا غبطته الكمل الغر إذ لهم	نجاح من أدى الورد واستحفظ الالا
وأما ميادين السباق فلم يكن	ضمان بها فما يعانونه نقلا
خصوصية حازت إبانة رفعة	ومحض احتثاث للمريد ولوزلا

على أنه إن دام منه اقتحامه　　محارم رب العز أربت له غلا
ومن يكتسب غلا من الشيخ ينخرط　　بسلك الالى سخط الا له بهم حلا
فأبشر بحب منه بالقلب راسخ　　وحذر لبغض منه قد ألزم السفلا

نحمده جل اسمه ان جعل محمداً صلعم حظنا من الأنبياء وجعلنا حظه من الأمم وأن جعل هذا الشيخ رضى الله عنه نصيبا من الأولياء وجعل شيوخته وهمته لنا صحبة من الهمم وقسمة من أعظم القسم فله المنة الطولى وله الحمد في الآخرة والأولى .

﴿ الباب الأول فى فضل الآداب عند أهل الخبرة وأنه هو الذى دخل منه من دخل إلى الحضرة وفى ذكر ما يقطع المريد عن الوصول الى الشيخ أو على يديه من أحوال التأبي مما يحوم حواليه وفى أن الفارق بين الظاهر والباطن العلمين التجلى بالظاهر والباطن الأسمين للفريقين ﴾

إعلم ادبنا الله وإياك بأحسن تأديب وجعل لنا ولك أوفر حظ ونصيب أن الأدب كما فى شرح الخاتمة لليدالى رحمه الله مأخوذ من أدبته أدباً مثل ضربته اذا علمته رياضة النفس ومكارم الأخلاق وأدبته تأديبا مبالغة وتكثيرا ومنه أدبته تأديبا اذا عاقبته على سيئة لأنه سبب يدعو الى حقيقة الأدب ويقال انه مأخوذ من المأدبة وهى الدعوة الى الطعام وسمى بذلك لأنه يدعى اليه * قال القشيرى رحمه الله حقيقة الأدب اجتماع خصال الخير وقيل هو استعمال ما يحمده قولا وفعلا وقيل الأخذ بمكارم الأخلاق وقيل هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك * وقيل للحسن البصري قد أكثر الناس فى علوم الأدب فما انفعها عاجلا وأفضلها آجلا فقال الفقه فى الدين والزهد فى الدنيا والقيام بما لله عليك .
وقال ابن القاسم خدمت مالكا عشرين سنة فكانت ثمانية عشر منها فى تعليم الأدب وسنتان منها فى تعليم العلم فليتنى جعلت المدة كلها فى الأدب ولقد أحسن القائل .

لجلسة مع أديب فى مذاكرة　　أنفى بها الهم أو أستجلب الطربا
أشهى الى من الدنيا وزخرفها　　وملئها فضة بل ملئها ذهبا

واختلف في الأدب وامتثال الأمر أيهما أفضل قال الصوفية الادب أفضل لان الصديق رضى الله تعالى عنه تأخر عن المحراب ولم يمتثل أمره عليه السلام باتمام الصلاة وقال الفقهاء امتثال الامر أفضل وبنوا على ذلك قول المصلى فى التشهد اللهم صل على محمد من غير أن يقول سيدنا امتثالا لقوله صلعم قولوا اللهم صلى على محمد وقيل للعباس أنت أكبر أم النبى صلعم فقال هو أكبرمنى وأنا ولدت قبله * قال شارح الخاتمة قلت ويشهد لسلوك الادب والله أعلم امتناع على كرم الله وجهه من محو اسمه صلعم من الصحيفة مع أمره بذلك قال المناوى من أصول الادب التى يقع بتركها الطرد والإبعاد حفظ حرمة المسلمين سيما دائرة الحق من العباد والزهاد ومفتاح إسقاط حرمتهم استحقار ما منحهم مولاهم قال الشعرانى ومن الادب عدم الكلام فى شأن الدنيا أصلا في المسجد وفى الحديث يأتى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد ويعقدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا فلا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة ولا صلاة لهم ولا صوم لهم ولا زكاة لهم وهم من الله مبعدون إلى أن قال فتقف عليهم ملائكة فيقولون اسكتوا يا أعداء الله اسكتوا يا بغضاء الله فاذا صلوا ضربت وجوههم بصلاتهم وانقلبوا الى دورهم وقد سخط الله عليهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما سألت النبى صلعم سنين عن كلام المسجد فما زادنى إلا تشديدا ولا رأى الى فيه رخصة ثم قال يا ابن عباس اقرأ

فى بيوت أذن الله أن ترفع الآية ويروى الحديث في المساجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب انتهى المراد منه وفى ارشاد السالك للشيخ سيدى محمد الكنتي فلتكن عنايتك بحسن الادب ظاهرا وباطنا فما دخل الحضرة من دخلها الا من الادب كما اليه الاشارة بقوله تعالى مخاطبا الكليمة عليه السلام فى مقام المناجاة اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى احتراما للبقعة وقياما بالحضرة لانهما كانا من جلد حار غير مدبوغ وعند أهل الاشارة النعلان المال والولد وقيل الدنيا والآخرة وذلك نهاية مقام العارفين من خلع ماسوى المعروف تعالى بالفناء عن الاغيار والاستغراق فى بحر شهود أحدية الواحد القهار وقد أخبر تعالى عن كمال أدب نبيه المصطفى المبرء من كل عيب وجفاء بقوله ـ مازاغ البصر وماطغى ـ يريد والله أعلم باسرار كتابه أنه صلعم تأدب بغاية الأدب فى مقام الكفاح بمستوى الرغب والرهب بحيث ما زاغ بصره صلعم يمينا وشمالا وماطغى أى ماجاوز ما أمر به مما يعرض للرائى الذى لاأدب له بين يدى الملوك والعظماء من التفاته يمينا وشمالا ومجاوزة بصره لمابين يديه فنى الحديث « أدبنى ربي فأحسن تأديبي » بل هو صلعم بالمكانة التى لايلحقها أحد سواه فان عادة النفوس إذا أقيمت فى مقام عال رفيع أن تتطلع الى ماهو أعلى منه وفوقه ألاترى أن موسى عليه السلام لما أقيم مقام التكليم والمناجاة طلبت نفسه الرؤية فقال رب أرنى أنظر اليك ونبينا (صلعم) لما أقيم فى ذلك المقام وفاه حقه فلم يلتفت بصره ولاقلبه الى غير ما أقيم فيه ألبتة فلم يزل (صلعم) فى خفارة كمال أدبه مع الله تعالى وتكميل مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاوز السبع الطباق وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب سبق به الأولين والآخرين اذلم يصل اليه نبى مرسل ولاملك مقرب فانصبت له أقسام القرب انصبابا وانشقت له سحائب الحجب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا وأقيم مقاما غبطه به الأنبياء والمرسلون فاذا كان فى المعاد أقيم مقاما من القرب ثانيا يغبطه به الأولون والآخرون ويكفى من ذلك ما أدب الله به أصحاب رسوله (صلعم) فى محكم تنزيله كقوله ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله الى قوله وأنتم لاتشعرون وقال ـ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله الى قوله ـ أكثرهم لايعقلون ـ الآيات وقال وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الى قوله عظيما مع مايحكى من ائتمار الصحابة بذلك وامتثالهم لحقائق ماهنالك ففى البخارى ومسلم عن انس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية ـ ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم ـ الآية جلس ثابت بن قيس فى بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبى (صلعم) فسأل النبي (صلعم) سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ماشأن ثابت أيشتكى فقال سعد إنه لجارى ماعلمت له شكوى قال فأتاه فذكر له قول رسول الله (صلعم) فقال ثابت أنزلت هذه الآية وقد علمتم أنى أرفعكم صوتا على رسول الله (صلعم) فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبى (صلعم) فقال هو من أهل الجنة وزاد فى رواية فكنا نرى يمشى بين أظهرنا من أهل الجنة وقال أبو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لايكلم رسول الله (صلعم) إلا كأخى السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ماحدث عمر النبى (صلعم) بعد ذلك فيسمع النبى (صلعم) كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أى جلالا له وتعظيما وأدبا معه أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى الآية وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يستوصف الناس وجه رسول الله (صلعم) فقيل له فى ذلك فقال ماتمكنت من النظر الى وجهه الكريم منذ أسلمت ان استقبلنى لم أتمكن من النظر اليه هيبة له واجلالا وان استدبرنى لم انظر اليه مخافة أن يكون ذلك خيانة (كان الصحابة) رضوان الله عليهم يبتدرون فضل

وضوئه(صلعم) وفضل غـذائه وخلقان ثيابه تبركابه ويزدحمون عليها ويتبركون بريقه الشريف فلا يتنخم نخامة إلا وقعت فى كف أحـدهم فدلك بها وجهه وجلده ويتمرغون بمواضع جلوسه ونومه ويتوزعون قلامة أظفاره وما يحلق ويقص من شعره الشريف ويتنافسون فى خدمته فمنهم من يحرسه ومنهم من يخدمه عامة الخدمة كانس بن مالك بن النضر الخزرجى خدمة(صلعم) عشر سنين ولما احتضر قال لثابت هـذه شعرة من شعر رسول الله(صلعم)فضعها تحت لسانى فدفن وهى تحت لسانه ومنهم من كان على وضوئه ومنهم من كان على وسادته ومنهم صاحب بغلته وصاحب راحلته الى ان عدعدة من أموره تولى كل واحد منهم ماتولى منها فقام بالادب فيها أحسن قيام وأتمها على ماأمر به أكمل اتمـام الى أن قال فقد أخرج القاضى عياض فى الشفاء من حديث الترمذى « أن رسول الله(صلعم) كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس وفيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم اليه بصره إلا أبو بكر وعمر فانهما ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما » وفى حـديث صفته اذا تـكلم أطرق جلساؤه كان على رءوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلعم ورأى من تعظيم أصحابه ومارأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكـفهم ومسحوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها واذا أمرهم بامر ابتدروا أمره و اذا تـكلم خفضوا أصواتهم عنـده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلمـا رجع الى قريش قال يا معشر قريش انى جئت كسرى فى ملـكه وقيصر فى ملـكه والنجاشى فى ملـكه وانى والله مارأيت ملـكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه . وقد رأيت قوما لا يسلمونه أبدا * وفى ابن عطية قال ابن زيد معنى لا تقدموا لا تمشوا بين يدى رسول الله وكذلك بين يدى العلماء فانهم ورثة الانبياء. وهو ظاهر فى أن معناه التقدم الحسى ثم هذا النهى عن التقدم باق الى يوم القيامة لم ينسخ سواء كان التقدم حقيقة أو حكما فالتقدم بين يدى سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه فى حياته لا فرق بينهما عند كل ذى عقل سليم اه بتلفيق الى أن قال وفى هذا القدر كفاية فى التنبية على أن مبنى طريق القوم على قواعد الادب القرآنية والسنة السنية وانهم اعاقلدوا فى مذهبهم الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح والصدر الاول الا بن قال فيهم(صلعم) « خير هذه الامة قرنى ثم الذين يلونهم » اه وبالجملة فالأئمة المقتدى بهم مثله (صلعم) فى ذلك لما فيه من أدب الدين وأدب النفس و بقدر امتثال الادب معهم فى أقوالهم وأفعالهم وحسن الظن بهم يكون الانتفاع اذ الاعتقاد فيهم هو رأس مال المريد فقد قيل لا يبلغ المريد غاية الانتفاع حتى لا يكون عنده فى الـكون غير ربه ونبيه وشيخه وماذلك الا لسريان حبهما بكليته وعدم اهمال شىء صدر له منهما معتقدا كونه عبودية بحيث يكون اتباعه لهما فى العادات كاتباعه لهما فى العبادات كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى موقف الاستقامة من مقام الاسلام وماقعد بكثير من المريدين غير التهاون والاستخفاف بجناب الشيوخ فهم جاعلون مريدهم بحيث جعلهم فان صحبهم محاورة صحبوه معاشرة وان صحبهم محاضرة صحبوه مباشرة ويكيلون لمن وافاهم بقلبه أو بحسه على وفاء الـكيل أو بحسه فليقلل المريد من ذلك أو ليـكثر » وأما ما يقطع المريد عن الوصول إلى الشيخ رأسا فهو الاختيار » قال فى الجواهر وأما اختبار الشيخ ووزن أفعاله وأحواله فلا يصلح وما اتبع أحد ذلك قط فاصلح لأن ذلك مغلاق لأبواب الله تعالى فان من أراد ذلك واتبعه فى جميع الخلق أراه الله تعالى صفة النقص فى كل مخلوق فلا يطمئن لأحد « وأما ما يقطعه عن الوصول على يديه فقد قال فى الجواهر أيضا مانصه قال سيدنا رضى

الله عنه الأمور التي تكون سببا لطرد المريد عن الشيخ منها الاغراض ومنها الاعتراض بالقلب واللسان ومنها كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ بأمر لا يطابق المعرفة ومنها سقوط حرمته من القلب « فاما الأغراض فسواء كانت دنيوية أو أخروية وذلك أن الشيخ لا يصحب ولا يعرف إلا الله عز وجل لا لشيء وهى فى أمرين بعنى الصحبة فاما أن يواليه لله تعالى بان يقول هذا ولى الله وأنا أواليه لله وسر ذلك فى قوله صلعم مخبرا عن الله من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب وفى طيه من والى لى وليا الأجل أنه ولي اصطفيته واتخذته وليا وهذا هو السر الاكبر الجاذب للمريد إلى حضرة الله تعالى والامر الثانى أن يعلم أن الشيخ من عبيد الحضرة ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب وما يفسد المرء فيها من الأوطار والأرب فاذا علم هذا يصحبه ليدله على الله تعالى وعلى ما يقربه إليه فالصحبة فى هذين الأمرين لا غير ومن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة فاذا عرفت هذا فاعلم أن الرب سبحانه وتعالى يعبد لا لغرض بل لكونه إلها يستحق الالوهية والعبودية من ذاته لما هو عليه من محامد الصفات العلية والأسماء الالهية وهذه هى العبادة العليا وكذلك الشيخ يصحب لا لغرض بل لتجلبه موالاته إلى ولاية الله تعالى وتعرف منه الآداب المرضية وما يشين العبد فى حضرة الله تعالى وكل ما كان من متابعة الهوى ولو كان محمودا فهو شين على العبد فى حضرة الله تعالى ولذا أمرت الشيوخ بقمع المريدين وزجرهم عن متابعة الهوى فى أقل قليل لأن المريد فى وقت متابعة الهوى كافر بالله صريحا الا تلويحا لكونه نصب نفسه إلها وعصى أمر الله تعالى وخالفه فهو يعبد غير الله تعالى على الحقيقة ليس من الله فى شيء وإن قال لا إله إلا الله فى هذا الحال قال له لسان الحق كذبت بل أنت مشرك ومن هذا القبيل خرج قوله صلعم ما تحت قبة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع فاذا عرف المريد هذا فلا يغضب على الشيخ ولا يتغير إذا لم يوافق هواه فى غرضه فان الشيخ أعرف بالمصالح وأدرى بوجوه المضار والتلميذ جاهل بذلك فاذا طلب منه غرضا من أى فن كان ولم يساعده الشيخ عليه فليعلم أن الشيخ منعه منه لاجل مصلحته ودفع مفسدته فاذا عود نفسه التغير على الشيخ فى مثل هذا طرد عن حضرة الله تعالى وانقطع عن الشيخ فاذا غضب المريد على الشيخ بعد تغيره انقطع انقطاعا كليا لا رجوع له أصلا وأما الاعتراض بالقلب أو باللسان فانه سيف صارم يقطع الحبل بين الشيخ ومريده فلا يعترض شيئا من أمور الشيخ فان لم توافق ما عنده من ظاهر العلم أو باطنه فليعلم أن هنا كدقائق بين الشيخ وربه لا يدريها التلميذ والشيخ يجرى على منوال تلك الدقائق التى بينه وبين ربه فاذا خالف صورة ظاهر الشرع فليعلم أنه فى باطن الأمر يجرى على منوال الشرع من حيث لا يدريه الخلق وأما كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ فإنها من جهله بالله تعالى وبمراتبه الخلقية وذلك أن الحق سبحانه وتعالى تجلى فى كل مرتبة من مراتب خلقه بأمر وحكم لم يتجل به فى غيرها من المراتب وذلك التجلى تارة يكون كمالا فى نسب الحكمة الالهية وتارة يكون صورته صورة نقص فى نسب الحكمة الالهية ثم إن ذلك التجلى وإن كانت صورته صورة النقص فى نسب الحكمة الالهية فلا محيد لتلك المرتبة عن ظهور التجلى فيها بصورة ذلك النقص لان ذلك ناشيء عن المشيئة الربانية وكل تعلقات المشيئة يستحيل تحولها لغير ما تعلقت به فلا بد لكل عارف من ظهور النقص فى ذاته . ثم ان ذلك النقص تارة يلابسه بصورة كمال للدقائق التى بينه وبين ربه وتارة يلابسه متعمدا أنه نقص وليس له فى هذه الملابسة إلا معاينة الحكم الالهى الذى مقتضاه القهر والغلبة بحيث أن لا محيد للعبد عنه فاذا رأى المريد من شيخه بشرية تقتضى النقص إما شرعيا وإما مما يخل بالمروءة

فليلاحظ هذه المعانى التى ذكرناها وليعلم أن ذلك لايخرج الشيخ عن حضرة ربه ولا يزحزحه عن محل قربه ولايحطه عن كمال أدبه فإذا عرف هذا فلايرفض شيخه لظهور البشرية وكل مريد يطلب مرتبه للحق يتعلق بها القرب والوصول يريد أن لايظهر فيها نقص كان لسان حاله ينادى عليه لامطمع لك فى دخول حضرة الله تعالى لان كل المراتب لابد لها من نقص فليس يظهر الكمال صورة ومعنى وحسا بريئا من النقص بكل وجه وبكل اعتبار إلا فى ثلاث مراتب فقط لاماعداها وهى الرسالة لمن دخل حضرتها والنبوة لمن دخل حضرتها والقطبانية لمن دخل حضرتها فإن هذه الثلاثة لاصورة للنقص فيها والباقى من المراتب يظهر فيها النقص فى الغالب وقد لايظهر فإن هذه المراتب الثلاث ولو ظهر فيها صورة نقص فذلك النقص هو غاية الكمال وانما ينتقصه المرء بجهله واليه يشير قوله ﷺ « ما بال أقوام يتنزهون عن الشىء أفعله فوالله انى لأعلمهم بالله وأخشاهم له » اه وأما سقوط حرمته فهى أكبر قاطع عن الله وسقوط الحرمة هى عدم ظهور المبالاة اذا أمره أو نهاه ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده هو أن لايشارك فى محبته غيره ولا فى تعظيمه ولا فى الاستمداد منه ولا فى الانقطاع اليه بقلبه ويتأمل ذلك فى شريعة نبيه ﷺ فان من ساوى رتبة نبيه ﷺ مع رتبة غيره من النبيين والمرسلين فى المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع اليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على أن يموت كافرا الا أن تدركه عناية ربانية بسبق محبة الهية فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه ﷺ فى التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع اليه بالقلب فلا يعادل به غيره فى هذه الأمور ولايشرك معه غيره * ومن أكبر القواطع عن الله أن ينسب ماعنده من الفتح والاسرار لغير شيخه لان تلك الأنوار الالهية الواردة على العبد بالاسرار والاحوال والمعارف والعلوم والترقى فى المقامات كل نور منها يحن الى مركزه وهى الحضرة الالهيه التى منها برز وفيها نشأ ولكل شيخ من أهل الله حضرة لايشترك فيها مع غيره فاذا ورد منها نور بأمره من الامور التى ذكرناها ونسب الى غير تلك الحضرة من الحضرة الالهية اغتاظ ذلك النور وطار ورجع الى محله ، وصور ذلك فى نسب الحكمة الالهية أن الله قضى فى كتابه بنسبة كل ولد إلى أبيه قال تعالى ــ أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ــ فمن نسب نورا الى غير محله من الحضرة الالهيه فقد أساء الأدب فى حضرة الحق وكذب على الله والحضرة لاتحمل الكذب فلذا يطرد ويسلب والعياذ بالله تعالى اه ماأملاه علينا من حفظه ولفظه فى مجلس واحد اه من الجواهر ﴿قلت﴾ ولايقدح فى صدق المريد توجهه الى الله تعالى بشيخه فى قضاء حوائجه الدنيوية والأخروية بعد انعقاد الصحبة أولا على أحد أمرى الصحبة المحمودة بل من تمام تعلقه بشيخه أن يكل أموره اليه كافة حتى يكون بحيث لا يرى مددا الا منه ولا فتحا الا عنه وان به جميع الفتوحات النورانية والظلمانية من الاقوات الجسمانية والروحانية لكن الذى يقدح ويقبح عدم التسليم ورفع حرج الصدر فى عدم قضاء ذلك الوطر بعد التوجه بجاه الشيخ والوقوف ببابه والتمسك بجنابه اذ لعل قضاءه موجب للحيرة وحاجب عن وصول الحضرة المراد لها الشيخ فليحسن المريد الظن بشيخه فيما لم يصل اليه على يديه ﴿وأما الفارق﴾ بين العلم الظاهر والباطن فهو كما فى الجواهر أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل لكل شىء ظاهرا وباطنا فلنفس الانسان ظاهر وباطن لانها من جملة الاشياء فقد يدرك الانسان مايدرك من مدركاته بظاهر نفسه المعبر عنه بالخيال والمثال والحواس ولايدرك بباطنها شيئا وقد يدرك مايدرك من مدركاته بباطن نفسه فيباشر العلم باطن النفس وذلك العلم المباشر لباطن النفس ويختص بعلم المعارف الحقية وسر المعرفة وسر التوحيد فإذا فهمت

هذا وعلمت أن الحق سبحانه وتعالى هو الظاهر والباطن وأن البطون له ذاتى فاعلم أن الانسان لا يدرك باطن نفسه وظاهرها شيئا إلا بما هو من أحكام تجليات اسمه الظاهر والباطن فاذا تجلى الحق سبحانه وتعالى باسمه الظاهر لظاهر من تجلى له أدرك علما ظاهرا من العلوم الظاهرة وفتح عليه بذلك العلم الذى هو بصدده ولم يزهد فى شيء من الموجودات لحصول ماحصل من العلوم وحب الدنيا والآخرة لانجلاء النفس بما وصل إلى ظاهرها من التجلى ولم يزهد فى شىء لعدم التجلى إلى باطن نفسه وامتلائه به وان تجلى سبحانه وتعالى باسمه الباطن لباطن نفس من تجلى له حصل الادراك بعين البصيرة فيكون ادراك صاحب هذا المقام بعين البصيرة لا بالفكر والنظر فيدرك بعين بصيرته عالم الحقائق وعالم المعانى فلا يبقى عنده فيما يدركه بعين بصيرته اشكال ولا احتمال ويستريح من تعب الفكر فيفتح عليه عند وصول هذا التجلى إلى باطنه بالعلوم الالهية وعلوم الاسرار وعلوم الباطن وما يتعلق بالآخرة ومعرفة أحدية الوجود ونفيه عما سوى الحق ويظهر له سر التوحيد وسر المعرفة ويزهد فيما سوى الحق سبحانه ويضيق عن كل غير ولم يبق فيه لسوى الحق متسع لامتلاء باطن نفسه بما وصل اليه من التجلى فتنكشف لعين بصيرته حقائق الاشياء فيدرك بعين بصيرته رتبة الحق من رتبة غيره فلم يبق لغير الحق فى قلبه قدر لما أدرك بعين بصيرته ما أدرك من حقيقة رتبته اهـ فاذا تمهد هذا علمت أن لا خلاف بين أهل العلم الظاهر والعلم الباطن إلا باختلاف التجليين المذكورين والتجلى عبارة عن ظهور الحق بأي تجل كان فأهل الظاهر كما في الجواهر بدءا من دهليز الكثرة فارتقوا التحقيق الوحدة ليتم ظهور الكمالات الأسمائية فاشتغلوا في كيفية اصلاح العروج عاجلا وآجلا ولم يلتفتوا إلى بيان كيفية النزول فى المراتب اكتفاء بكون معرفة ذلك يحصل بالعروج قال تعالى ـ ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر ـ أى بالمنازل والمعارج الأخروية وأهل الباطن بدءوا من الوحدة فاشتغلوا بعد العروج إليها كشفا ومشاهدة لغلبة سكر الحال بمقتضى حالهم ومقامهم فى بيان اسرار الوجود واحاطة الوجود وسريان نوره فى المراتب بالنزول حتى وقفوا ببصائرهم على وحدة وجود حقائق ذرات الوجود ذرة ذرة إذا الموجودات ليست بأمر زائد على حقائق مختلفة ظهرت بوجود واحد تعين وتعدد فى مراتبها وبحسبها لا أنه إذا اعتبر مجردا عن الاقتران بهذه الحقائق يتعدد فى نفسه فاتفق التجليان فى المرجع وهو الرجوع إلى الله تعالى فطالب الحقيقة والسلوك اليه تعالى من طبائع النفوس فان العبد خلق مطبوعا على الادبار عن الله والاشتغال عنه باشتغاله بمقتضيات طبعه وهواه «ومطلب ظاهر الشرع أيضا» الرجوع إلى الله تعالى مما العبد فيه على حد قوله تعالى ـ ففروا إلى الله ـ يعنى من مقتضيات طبعكم وهواكم كقوله ـ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ـ والانابة إلى الله تعالى هى الرجوع عن متابعة النفس والهوى فان هذا المسلك هو مسلك جميع الصديقين فانهم سلكوا إلى الله تعالى بالرجوع من أنفسهم وهو اهم إلى الاشتغال بالله تعالى والدءوب على خدمته والأدب بين يديه فان العبد أبدا هو بين يدى الله تعالى علم ذلك أم جهله فاذا أعطى قسطا من مناسبة الحضرة انتبه وإعلم ولا استمر على جهله ونسبة الحضرة نسيان جميع الاكوان وذهابها من عقل الانسان لبروز ماهنالك من العلوم والمعارف والاسرار التى لا تدرك ولا تعرف والعجائب التى تعجز العقول عن ذكر مالها من مصرف انتهى باختصار وتلفيق وتقديم وتأخير وبالله تعالى التوفيق

{ الباب الثانى فى كون هذه الطريقة زادها الله عزا ، ووكز شناتها وكزا ، وأز السعاة فى إطفاء

أنوارها أزا ، وهزهم بزعازع الحرمان من مطلوبهم هزا، يريدون ليطفئوا نور الله بزخرف أقوالهم علانية وركزا ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره برد طعن المعمى رمزا وغمزا، إلى نحره وبزمعينيه فى مصارع الهوان بزا ، طريقة شكرا ستدرارا لفيقته وفى ذكر فضل الشكر وبيان حقيقته ﴾

اعلم أيدك الله بنور قدسه ، وأحلك فى رياض أنسه ، أن هذه الطريقة طريقة شكر . وأن الشكر هو صراط الله المستقيم . الذى قعد عنده اللعين الرجيم . وهو ما كانت عليه الصحابة رضوان الله عليهم وهو الذى داوى به كلومهم الطبيب الأكبر . الطيب الأطهر . سيد الوجود. وعلم الشهود (صلعم) وعلى آله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الورود . على الحوض المورود . مما زادهم على الدعوة منه المجابة منهم غير التشريع بالوفاء بالعقود. وتحديدا الحدود. فأوضح لهم من السبيل سنن القصد. وبين لهم ما بين الحد والحد . فكان من جملة ما أنزل الله عليه سورة المائدة فناداهم أولا بصفة الايمان على لسان إمام مبينى الأحكام . ثم أمرهم بالوفاء بعقود الاسلام . ثم بين طريق الحلال والحرام. فأحل لهم بهيمة الأنعام . والطيبات من الطعام . ورفع عنهم الحرج بعد تضييقهم على أنفسهم بعبادة الأصنام . ليطهرهم وليتم سوابغ نعمه ليشكروه على ذلك الانعام . وأرشدهم لما علم منهم تحديد ربقة الضيق على أنفسهم بعد حلها بجب الاسلام ما قبله إلى تناول ما أحل لهم . فأمرهم بتناوله على سبيل البر والتقوى والشكر على الامتنان . ونهاهم عن التعاون على الاثم والعدوان . فإتمام النعمة أكمل الدين . ورضى لهم الاسلام دينا الرضا المبين . فمن هذا الرفق دخلوا هذا الدين المتين . وتمادوا عليه حتى أتاهم اليقين . فقال ـ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم ـ الآية وقال ـ ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ولكن يريد ـ الآية ـ وقال يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ـ وقال ـ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ـ وقال ـ اليوم أكملت لكم دينكم الآية ـ وقال ـ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا ـ الآية ومن هذه الآية استروحت مقامات الدين الثلاث مقام الإسلام والتقى فيه من الشرك ومقام الايمان والتقى فيه من المعاصى ومقام الاحسان والتقى فيه مما لا بأس به حذرا مما به بأس وقال ـ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ـ فعبدوا ربهم لما شاهدوا طلعة نبيه طالعة عليهم فى أفق الانعام . بموجب التوفير والاعظام . فلم تكن له رغبة إلا اليه . ولا اتكال إلا عليه . فاستعملوا مائدة الرفق وما هيأ لهم من الطيبات من الرزق . فأقلقهم داعى الشوق . وأوقفهم على بساط الخوف من الفوق. فحمى الشوق شول طواياهم عن تأثير الشهوات فيها بالذوق وساقهم إلى موارد الخشية بالأحسن من السوق . إذ قيل لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق فاستعانوا بموافقة الهوى العانى على مخالفة الهوى الجانى فظهرت لأجله أشعة بصائرهم فتراءت لهم حقائق الأمور على ما هى عليه فأحقوا الحق وأبطلوا الباطل وما يحوم حواليه . فأبصروا الآخرة التى كانت غائبة عنهم . لديهم . حتى كأنها لم تزل فكانت أقرب إليهم . من أن يرحلوا اليها . فحق بذلك حقها عندهم وأبصروا الدنيا الحاضرة لديهم قد انكسف نورها . وانقطع سرورها . وأسرع إليها الفناء والذهاب فغابت عن نظرهم بعد أن كانت حاضرة فظهر لهم بطلانها حتى كأنها لم تكن فأنتج لهم نور ذلك اليقين الزهادة فى الدنيا والتجافى عن زهدها . والاقبال على الآخرة والتهيؤ لنزول حضرتها يشهد لذلك حديث حارثة

ومعاذ رضى الله عنهما ه روى أنس بن مالك رضى الله عنهما قال ﴿ بينا رسول الله (صلعم) يمشى إذا استقبله شاب من الأنصار فقال له النبي (صلعم) كيف أصبحت يا حارثة فقال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ماتقول فان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال يارسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأني بعرش ربى بارز وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها فقال أبصرت فالزم عبد نور الله الايمان قلبه فقال يارسول الله ادع لى بالشهادة فدعا له فنودى يوما فى الخيل ياخيل الله اركبى فكان أول فارس ركب وأول فارس استشهد فبلغ أمه ذلك فجاءت إلى رسول الله (صلعم) فقالت يارسول الله أخبرني عن ابنى فان يك فى الجنة فلن أبكى ولن أجزع وان كان غير ذلك بكيت ماعشت فى الدنيا فقال ياأم حارثة ليست بجنة ولكنها جنة فى جنان وحارثة فى الفردوس الأعلى فرجعت وهى تضحك وتقول بخ بخ ﴾ ه وروى أنس أيضا ﴿ أن معاذ بن جبل رضى الله عنه دخل على رسول الله (صلعم) وهو يبكى فقال له كيف أصبحت يامعاذ قال أصبحت بالله مؤمنا قال النبى (صلعم) إن لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ماتقول قال يانبى الله ما أصبحت صباحا قط إلا ظننت أنى لا أمسى ولا أمسيت مساء قط إلا ظننت أنى لا أصبح ولا خطوت خطوة قط إلا ظننت أنى لا أتبعها الأخرى وكأنى أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التى كانت تعبد من دون الله وكأنى أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال (صلعم) عرفت فالزم ﴾ فانظر إلى هذين الرجلين الفاضلين لما أشرق عليهما نور اليقين وتمكن من قلوبهما أى تمكين صدر منهم ماصدر مماذكراه من فنون العبر. وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار التابعين. وأئمة الدين رضى الله عنهم فهنيئا لهم قد خرجوا من جنة فانية. إلى جنة باقية. ولو لم يكن من النعيم سوى مشاهدة نور النبوة بين أظهرهم لكفاهم ـ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ـ فقاموا بوظائف شكر نعمة وجوده (صلعم) ولم يكونوا كمن أنكرها اذ هو نعمة الله المشار اليها بقوله ـ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ـ على ماقاله بعض المفسرين ولم يزالوا آخذين طريق الأدب معه بتأديب الله لهم بقوله ـ لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم ـ الآية وفيه للمفسرين قولان كما فى إرشاد السالك أحدهما أنكم لاتدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قولوا يارسول الله يانبى الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت والثانى أن المعنى لاتجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا إن شاء أجاب وإن شاء ترك بل إذا دعاكم لم يكن لكم بد من إجابته ولم يسعكم التخلف عنه البتة فان المبادرة إلى إجابته واجبة والمراجعة بغير إذنه محرمة فعلى هذا المصدر مضاف إلى الفاعل أى دعاءه إياكم فمذهب الشافعى كما هو المعتمد فى مذهب مالك أن الصلاة لاتبطل باجابته (صلعم) وقال جماعة تجب الإجابة وتبطل الصلاة كما أدبهم بوجوب الاستئذان عند الانصراف فى أمر يجتمعون عليه من خطبة أو جهاد أو رباط قال الحسن فغيره (صلعم) من الأئمة مثله فى ذلك لما فيه من أدب الدين وأدب النفس كما قدمنا فى الباب الذى قبله ه ثم أدبهم بأدب عدم استشكال قوله بقوله تعالى ـ وما آتاكم الرسول فخذوه ـ الآية وقوله ـ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ـ الآية فرأس الأدب معه (صلعم) كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقى خبره بالقبول والتصديق دون أن تحمل العبد معارضة خيال باطل يسميه أصحابه معقولا أو لا يسمونه شبهة أو شكا فيوحد بالتحكيم والتسليم والانقياد والاذعان كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل فهما توحيدان لا نجاة للعبد إلا بهما توحيد المرسل وتوحيد المتابعة فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره

وقال ـ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ـ فهو أعظم حرمة عند الأمة من السيد عند عبده ألا ترى أن العبد إذ علم أن بموته ينجو السيد لا يلزمه أن يلقى بنفسه إلى التهلكة ويجب لانجاء النبي (صلعم) وقد تقدم هنا بأبسط من هذا في باب الأدب فانظره ثم استمر من بعدهم من السلف الصالح رضوان الله عليهم على حالة الشكر والأدب إلا أنهم أي الصحابة وجدوا النقص في قلوبهم حين نفضوا أيديهم من دفن رسول الله (صلعم) لما كانوا يستمدون من رؤية أنوار طلعته (صلعم) مادام بين أظهرهم ثم لم يزل في انتقاص عند العموم واستمر الخصوص ثم قل الخصوص فصار خصوص الخصوص فاندرست الأعلام واستولت الأوهام حتى قال إمام الطائفة الجنيد رضي الله عنه ﴿علمنا هذا الذي نتكلم به قد طوى بساطه منذ عشرين سنة وإنما نتكلم في حواشيه﴾ وقد ضرب الناس لذلك مثلا فقالوا تشاجر الحق والباطل فقتله الباطل وخاف أن يطالب به فأحرقه فجاء أهله فلم يجدوا الارماده فعملوا منه حبرا وكتبوا به الكتب فقاموا وقد فاتتهم الطيبات المألوفات غضة طرية فحصل لهم الاضطرار فألجأهم إلى الرياضات والمجاهدات فكابدوها في مخمصة استيلاء العموم آتين ما تركه الصحابة رضي الله عنهم لعدم الاضطرار الواقع بعدهم من قوله ـ فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم ـ فجددوا الدين بالتأليف آخذين ما آتاهم ربهم من الامداد قد علم كل أناس مشربهم ﴿وفي شرح الخاتمة لليدالي رحمه الله تعالى﴾ أول من نهج هذا العلم وفتق به الألسنة ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف قناعه الحسن بن يسار البصري وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعه من أحد من إخوانه فقيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك فممن أخذت هذا العلم فقال من حذيفة اليماني وقيل لحذيفة نراك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله (صلعم) فممن أخذت هذا العلم فقال من في رسول الله (صلعم) خصني به دون أصحابه وكان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني وأن من لم يعرف الشر لا يعرف الخير وكان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أسأله فأقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأل عن دقائق الأعمال خصني به «وأول من أظهر هذا الفن بعد حذيفة الحسن» وكان من المذكرين وكانت مجالسه مجالس الذكر يخلو بها مع إخوانه وأتباعه من النساك والعباد مثل مالك بن دينار وثابت البناني ومحمد بن واسع وأيوب السختياني وفرقد السنجي وعبد الواحد بن زيد ويقول هاتوا انشروا فيتكلم عليهم في هذا العلم من علوم اليقين والقدرة وخواطر القلوب وفساد الأعمال ووسواس الصدور وآفات النفوس «وكان الحسن من خيار التابعين وقد لقي سبعين بدريا وثلاثمائة صحابي ٥ وولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه سنة ست ونيف وعشرين بالمدينة * وكانت أمه مولاة لأم سلمة رضي الله عنها» ويقال انها أرضعته وكان يشبه كلامه كلام رسول الله (صلعم) * وقال سيدي زروق علم التصوف مراد للتخلق لا ينبغي أن يهمل ولا أن يقتصر عليه دون عمل به وان قل لأنه مقصده فإن تعذر عمله فلا يبطل علمه لأن العمل شرط كمال في علم التصوف والفقه لأنهما شقيقان في الدلالة على أحكام الله تعالى وصفاته فلهما حكم الأصل الواحد لا شرط صحة إذ لو شرط في العلم العمل لبطل أخذه وللزم الدور كما أنه لو شرط في الأمر والنهي العمل لزم ارتفاعهما بفساد الزمان وذلك غير سايغ شرعا ولا محمود في الجملة « ومفاتيح الفتح في علم التصوف أربعة * الأول » إحكام المبادى بتصحيح المعتقد * الثاني العمل بما علم على قدر الاستطاعة من غير اكثار ممل ولا إقلال مخل فإن عمل بما علم أورثه

الله علم مالم يعلم * الثالث الرغبة إلى الله تعالى واللجأ إليه فى الفتح على قدر الهمة من غير اعتماد على حسب أو نسب أو إيقاف ذلك على عمل أو سبب .. الرابع العمل على السنة والتشوف لحقائق الأمور والتفطن لمواد الأحوال حتى لا تكاد تسقط منه شعرة إلا انفطن لها لجودة قريحته وذكاء فطنته انتهى من شرح الخاتمة ثم لم يزل النقص فى الدين حتى كاد يذهب بالكلية لولا حديث « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى قيام الساعة » ﴿قال فى إرشاد السالك﴾ وبالجملة فهم قوم خرقوا مقامى الإسلام والإيمان إلى مقام الإحسان وذلك أن الدين اقامة واستقامة فالإقامة وظيفة الظاهر وجمال أعمال الجوارح والاستقامة وظيفة الباطن وجمال الأعمال القلبية فالفقهاء استفرغوا المجهود فى تحرير الإقامة بالإتيان بالعبادة بشروطها وأركانها وسننها وآدابها المتممة لها وسموا ذلك فقها والماهر فيه فقيها والعارفون استفرغوا المجهود فى تحرير الإتيان بالعبودية بحقائقها وشروطها وآدابها المتممة لها وسموا المتمكن فى ذلك عارفا وصوفيا وعلمه معرفة وتصوفا وجمال الإقامة بالإتيان بالأعمال الظاهرة على أكمل الوجوه التى واظب عليها رسول الله (صلعم) وإيرادها موارد الجمال السنى دون إفراط ولا تفريط لأن الغلو كالتقصير لما فيه من الانحراف عن جادة أفعاله (صلعم) العادلة المستقيمة ويشهد لذلك قوله تعالى — قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله — وقوله (صلعم) «صلوا كما رأيتمونى أصلى» وأهل الإقامة والإستقامة المعتصمين بكتاب الله المجاهدين فى متابعة رسول الله المقتدين بالصحابة الناصرين لدين الله ثلاثة أصناف أصحاب الحديث والفقهاء وعلماء الصوفية ﴿فأما أصحاب الحديث﴾ فانهم يتعلقون بظواهر حديث رسول الله (صلعم) وهؤلاء عسكر الدين قد تمسكوا بقوله تعالى — وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فاشتغلوا بسماعه ونقله وتدوينه وتدبره وتمييز صحيحه من سقيمه ولهم فى ذلك أئمة مشهورون هم حراس الدين ورعاته ﴿وأما الفقهاء﴾ فانهم فضلوا على أصحاب الحديث بعد قبول علمهم والاتفاق معهم بما خصوا به من التفقه والاستنباط فى فقه الحديث والتعمق فى دقيق النظر فى ترتيب الأحكام وحدود الدين فبينوا المجمل وميزوا الناسخ من المنسوخ والأصول من الفروع حتى وضعوا كل شيء موضعه ولهم فى ذلك أئمة مشهورون قد دونوا المسائل وأظهر وللقوم الحقيقة وفرعوا الأصول وشرعوا وبينوا مبهم أحكام الدين وأعلامه ﴿ وأما الصوفية﴾ فإنهم اتفقوا مع الفقهاء وأصحاب الحديث فى تفسيرهم وقبول علمهم ولم يخالفوهم فى معانيهم ورسومهم إذا كان مخالفا لاتباع الهوى مربوطا بالأسوة والاقتداء ومن لم يبلغ من الصوفية مبلغ الفقهاء وأصحاب الحديث فى الرواية والدراية ولم يحط بما أحاط به العلماء رجعوا إليهم فيما يشكل عليهم من أحكام الشرع وحدود الدين فإذا أجمعوا فهم على اجماعهم وإذا اختلفوا فالصوفية فى مذهبهم على الأخذ بالأحسن والأولى والأتم احتياطا وليس فى مذهبهم طلب التأويلات وركوب الشبهات إذ فى ذلك الخروج عن الاحتياط ثم إنهم بعد ذلك خصوا بعلوم عالية وتعلقوا بمقامات رفيعة وتكلموا فى علوم المعاملات من رعاية ومراقبة وحرمة وإخلاص وتهذيب واستقامة وتوكل وتفويض وثقة وتسليم سميت معاملات لأن العبد لا تصلح له معاملة الحق مالم يتحقق بهذه المقامات فالمعاملة عندهم عبارة عن توجه النفس الإنسانى إلى باطنه الذى هو الروح الروحانى والسر السريانى واستمدادها منه ما يزيل الحجب عنها ليحصل لها قبول المدد فى مقابلة إزالة كل حجاب وهذا إنما يصح لعبد يملك ناصية الزهد ثم الورع ثم الحزن فمن ملك ناصية هذه الثلاثة استحق أن يصير من أهل المعاملات انتهى «قلت وبها يخرج من قيد الغفلات

ويأنف عن مراتع الشهوات إذ قل لا يخرج الشهوة إلا خوف مزعج أو سوق مقلق كما تقدم فالخوف في واد والشوق في واد آخر فالخوف يكون بسوط أسباب الوعيد والوقوف ببصر البصيرة على حقائق موارد الهلاك الحديد والشوق يكون بالتبصر بما عليه المشتاق إليه من الانعام بالمزيد وتذكره بحسن محامده وتكفله لمن شاهد ذلك منه بالمزيد والخوف يكون بالابعاد والمجادلة الخشنة والشوق يكون بالحكمة والموعظة الحسنة . والواصل بكل منهما واصل إلى حضرة القدس . ورائع في رياض الأنس . إذ كل منهما قد حاز مكابدة ومجاهدة . فمكابدة الخوف هو ما يكابده الخائف من الهرب والشغب . ومحاسبته لنفسه على موجب العطب . برسم الرهب . ومكابدة الشوق هو ما يعانيه المشتاق من رؤية تقصيره في معاملة المنعم عليه ومقابلته الإحسان بالاساءة على بساط الرغب حتى أنه لو بذل نفسه في مرضاة محبوبه . لرأى ذلك دون مرغوبه . لما يشاهد . من عوائد الإحسان . وموائد الامتنان . ثم أنظر ماذا ترى بين من يرتقب فضلك وثوابك ومن يرتقب عدلك وعذابك . وأنت في غنى عن الموجب من كل ثم لما غاظت الطباع . واستكت الاسماع . وعلبت الانفس من تهيأ لبرازها . وتحصنت بحصن اعتزازها . إذ هي الطائفة الاخرى التي لم تقدروا عليها قد أحاط لله بها وصارت لا تؤثر فيها المعاول . ولا يفي بمحاسبتها في فائتها المحاول . وانصبت الذنوب انصباب المطر . وسمحت خبائث الانفس بابراز ما كانت غالبا تخفيه من القذر . طالبة النزال . في معركة القتال ولا تزال . فخلا لها الجو وصفرت وباضت ورضت شامخ الحق وهاضت . واستطالت وشمخت بالأنف . لما رأت من طول الامد بينها وبين النور النبوى بعد المائة والالف ظهر لها سنة ست وتسعين خاتمة الاعيان . ومجدد الملة المحمدية بمرصوص البنيان . القوى في الظاهر والباطن . الكامل الأنوار والمحاسن . العلى المقام الراسخ التمكين والمرام . المتصف بكمال الارث من رسول الله صلعم الجليل القدر الشهير . الذكر . منور الشيبة . عظيم الهيبة . ذو الكلمة النافذة . في الأمر والنهى عن المنكر العائذة . باظهار السنة . واخماد البدعة . فهو جدير بأن يلقب بمحي الدين . ومبين سنن المهتدين . فريد دهره . ووحيد عصره { الشيخ أبو العباس سيدى أحمد التجاني } الناشر مناشير التهاني . فجاء على فترة من الامداد وكثرة من الأوراد . معيدا ما مضى ما عليه السلف الصالح من الرفق . المشار إليه بقوله صلعم « يا عائشة ارفقي فقد يوجد بالرفق مالا يوجد بالعنف » مفيضا على نحو ما أفاض سيد الوجود صلعم لأصحابه من الخروج من الرق . مذكرا بما أفادته آية ـ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ـ فسار بسيرته . ممدا من تزين بزينته . بتنوير بصيرته . فسلك أقوم طريق . وأسس بنيانه على التحقيق . وقال طريقتنا طريقة شكر . وماذاك إلا لما لاح له من لوائح أعلام النبوة وشافه صاحبها مشافهة صدق . وعاينه معاينة حق . فخصه بتخصيص ما كان عليه عمل عامة أصحابه الغر . من مجانبة العسر والأخذ باليسر . فلقنه تلقينا . وكفى به فضلا مبينا . وقال له لا منة لأحد من الأشياخ عليك كما قدمنا في بيان سندورده وسيرته فأورده موارد الاختصاص من قرب . وخصه بالشراب من مورد عذب . وكذلك المواهب السنية . والفضائل السنية . فعلم أنها موهبة جديدة . أهلها قد مضوا منذ مدة مديدة . فقابلها بالشكر جزاء وفاقا . فربى بها الشيوخ والأطفال . وحاز لمائدتها الانعام والاعراف والانفال (قال الشيخ الاخ) في الجيش الكبير ناقلا عن الذهب الإبريز في مناقب سيدى عبد العزيز وطريقة الشكر هي الأصلية وهي التي كانت عليها قلوب

الأنبياء والأصفياء من الصحابة وغيرهم وهى عبادته تعالى عن إخلاص العبودية والبراءة من جميع الحظوظ مع الاعتراف بالعجز والتقصير وعدم توفية الربوبية حقها وسكون ذلك فى القلب على ممر الساعات والازمان فلما علم تبارك وتعالى منهم الصدق فى ذلك أتاهم بما يقضيه كرمه من الفتح فى معرفته ونيل أسرار الإيمان به عز وجل فلما سمع أهل الرياضة ماحصل لهؤلاء من الفتح جعلوا ذلك مطلوبهم فجعلوا يطلبونه بالصيام والقيام ودوام الخلوة حتى حصلوا على ماحصلوا عليه فالهجرة فى الأولى إلى الله ورسوله لا إلى الفتح ونيل المكشوفات والهجرة فى الطريقة الثانية كانت إلى الفتح ونيل المراتب والسير فى الأولى سير القلوب وفى الثانية سير الابدان والفتح فى الأولى هجومى لم يحصل فى البعد تشوق له بخلاف الفتح فى الثانية والطريقتان معا على صواب لكن طريقة الشكر أصوب وأخلص وهما متفقتان على الرياضة لكنها فى الأولى رياضة القلوب بتعلقها بالحق سبحانه والزامها العكوف على بابه والالتجاء إليه فى الحركات والسكنات والدوام وإن كان الظاهر غير ملتبس بكبير عبادة ولذا كان صاحبها يصوم ويفطر ويقوم وينام ويقارب النساء ويأتى بسائر وظائف الشرع التى تضاد رياضة الأبدان انتهى ﴿ قلت ﴾ ومبنى هذه شهود المنة ونتيجتها الفناء عن رؤية النفس فى العمل للاستغراق فى شهود المعمول له ومبنى تلك مكابدة العمل ونسبته إليها ونتيجتها مراقبة الله عليها فى كل حال ما كما ستقف عليه إن شاء الله فى طريقة السلوك بالصلوات الخمس ولا تعتقد أن معنى الشكر عدم المبالاة بخطرات القلوب . وترك الوقوف بالبصيرة على خفايا العيوب . والاسترسال فى ارتكاب الذنوب . والانحراف إلى أسباب الغفلات . والاتصاف بسفساف الأمور فى حالة من الحالات . والانخراط فى سلك المنهمكين فى الشهوات وتضييع الأوقات . بالجلوس على الطرقات . وصرف الهمة إلى الصفات البهيمية التى لا يرضى عاقل صرف الهمة إليها من التنعم بضروب الملابس والترفه بترفه ذوى الهيئات . فلاولا كلا والله لا يليق ذلك بمن هو أدنى منه بمراحل . ولا بمن لم يبلغ من بحر معرفته الساحل . فحاشا منصبه الاعلى . وقدمه الراسخ فى الولاية الأعلى . وقد وقفت فى بيان سيرته وأخلاقه على مايشفى الغليل . ويبرىء العليل . بل الشكر عنده رؤية منة المنعم النامية التضييق على النفس بأنواع الرياضات . من الاعتزال فى الفلوات . وتقويم اعوجاجها بسياط المجافات والاستقصاء فى استجلاب مشاق العبادات والتكاف بالتربية بادخال الخلوات فالبيضة منه بخمسة آلاف . وأفراخها باضعاف أضعاف الأضعاف ولا يستبعد ذلك فى حق من خص بالارث النبوى . وشرب من المشرب العلوى . وخلا بالعطف البكري . وقام بالتحرى العمرى . وفاضت زواخره وأسرعت مواخره . وتتابعت مفاخره . فنال بالشكر من دون كبير مجاهدة أقصى الآمال . وبلغ بالرفق أكمل مقامات الرجال وهذه الأمة كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره . فقد يدخر لبعض المتأخرين . ماعسر على كثير من المتقدمين . فكان طعامه ماوجد . لا مافقد ولا ماعهد فلا يرد الطيب لمنافاة التضرع ، ولا يتكلفه ميلا إلى التمتع . ولباسه ماسمح به الحال . فان حسن فلا يقف منه البال . وإن خشن فلا يضيق بخشونته المجال . عبد يعبد . ينتظر من سيده مايرد (فى الجواهر ما نصه) وكثيرا ما كان رضى الله عنه يذكر الناس نعمة المنعم مولاهم وماخولهم وأولاهم . يرشد بذلك إلى محبة الله سبحانه والحياء منه أن يعصى بسبب ما أسداه لعبيده ومايجريه عليهم دائما وأبدا من إفضاله وإحسانه . ويتلو وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ويكثر الكلام فى ذلك جل أوقاته . من غالب أحيانه . ويبين ماهو مستمر على العبد دائما وأبدا من نعمة النفع والدفع المحسوسة والمعنوية والظاهرة والباطنة يفصل كل ذلك

تفصيلا . ويأتى عليه بيانا وتحصيلا . فيبين أن الإيمان بالله ورسله من النعم الباطنة الدائمة المستمرة على العبد وأن الله يمده به فى كل لحظة لحظة ويمسكه عليه خطرة خطرة ولم يسلط عليه فيه شيطانا مريدا يفسده عليه . ولا جبارا عنيدا يسلب عنه ما منه لديه . عناية منه سبحانه به ورحمة . وفضلا ونعمة . ولو سلط الشيطان على افساده كما سلط على افساد الأعمال الكفر كثير من الناس بعد إيمانهم . وانقلبوا بعد ربحهم إلى خسرانهم . ولكن الله امتن بحفظه على الانسان كما متن بتخصيصه بسابق الفضل والاحسان . وبأى سبب استحق العبد هذه النعمة حيث أعطيها يوم قدرت المقادير وقسمت القسم حيث لا وجود لذاته هنالك ولا عمل يتقرب به إلى معطيها ولا شىء يدلى به بل هو محض الجود والامتنان . والفضل والإحسان . ولو شعر الإنسان بهذه النعمة العظمى وعرفها لاستغرقه الفرح بالله تعالى واستولى عليه سلطان المحبة والشغف بهذا المعطى الكريم . والمولى العظيم . الذى خلق فهدى . وتفضل فأعطى وخصص أولا واجتبى . ولا يزال رضى الله عنه فى محافله يعدد نعم الله تعالى على عبده المتصلة والمنفصلة وما ساق له منها فى أرضه وسمائه ثم يتلو ـ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ـ والناس كلهم غرقى فى بحر النعم إلا أنهم لا يشكرون وقليل من عبادى الشكور وإذا أراد الله بعبد خيرا وأن يجعله من خصوص عباده عرفه ما عليه من النعم وألهمه شكرها ولم يزد شيئا على ذلك يكون مخصوصا فكل الناس منعم عليه والمخصوص من شاهدها ويقول الشكر باب الله الأعظم وصراطه الأقوم ولهذا قعد الشيطان بسبيله يصد عنه المؤمنين ثم يذكر شاهدا على ذلك قوله تعالى حكاية عن قول اللعين لأقعدن لهم صراطك المستقيم الآية ويقول أقرب الأبواب إلى الله باب الشكر ومن لم يدخل فى هذا الزمان على باب هذا الشكر لم يدخل لأن النفوس قد غلظت يعنى فلا تتأثر برياضة ولا بطاعة ولا تنزجر بمحاسبة ولا بمناقشة فإذا استغرقها الفرح بالمنعم غابت عن ذلك كله وطوت مسافتها وكل وعد فى كلام الله تجده مقرونا بالمشيئة إلا الشكر فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وأكده بلام القسم ونون التوكيد ويقول لنا عندما يتلو الآية هذه اللام هنا للقسم كأنه يستفهمنا فنقول له نعم ويقول انظروا كيف قدم الله الشكر على الإيمان اعتناء بشأنه فقال ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وربما عبر به عن الإيمان وفسره به كما تشير اليه المقارنة فى هذه الآية فيقول الإيمان هو الفرح بالنعم فيجعل الفرح الذى هو شكر القلب إيمانا ولا إشكال إذ الإيمان لا يكون حقيقيا الا معه إذ هو نتيجته ولازمه وقد يكون العطف فى الآية للتفسير فيؤخذ منها ما قاله رضي الله عنه من أن الإيمان هو الشكر ولو عرف الإنسان حقيقة الشكر لملىء قلبه وطار عقله محبة فى الله وسرورا . وفرحا وحبورا . جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وما أحسن اليك فى الحقيقة إلا ربك وهو الذى سخر لك قلوب عباده فلو شاء لعكس (قلت) كما سيأتى مستوفى قريبا عن الاحياء ويقول رضى الله عنه ينبغى للعبد أن لا يطلب إلا مولاه مخلصا لا لحظ عاجل أو آجل فاذا طلبه كذلك حصل له فى ضمنه الدنيا والآخرة وفرق بين من يطلبك ومن يطلب لك فليس من أتاك زائرا ثم قال أردت منك كذا كذا كمن أتاك محبة فيك ورغبة فى رؤيتك لا لشىء آخر شتان ما بينهما فيصرف رضى الله عنه عن الحظوظ واللحوظ وكل ما يشعر بالشعور بالنفس ويتلو قوله ـ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ـ . ويقول أصل كل شىء المحبة وأصل سبب المحبة هو شهود الحسن والاحسان فهما رقى درجة الايمان وما تكلم رضى الله عنه فى فن من فنون الطريق إلا أشار فى كلامه اليها ودل بحاله ومقاله عليها اه (قلت) وأما حقيقة الشكر فانها كما فى الاحياء تنتظم من ثلاثة أصول علم وحال

وعمل فالعلم معرفة كون النعمة من النعم والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح واللسان ولابد من بيان ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فإن ماقيل فى حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معرفته (فالأصل الأول) العلم بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التى يتصور الإنعام بها منه على المنعم عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه بقصد وإرادة ولايتم هذا العلم حتى تعلم حق الله تعالى أن النعم كلها من الله تعالى وهو المنعم والأواسط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد إذ التقديس هو الرتبة الأولى فى معارف الايمان فاذا عرفت ذاتا مقدسة عرفت أنه لا مقدس إلا واحد وماعداه غير مقدس فيحصل التوحيد فيعلم أن كل ما فى الوجود فهو موجود من ذلك الواحد فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة فى الرتبة الثالثة إذ ينطوى فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل فكل من وصلت اليك نعمة على يده فهو مضطر إذ سلط الله عليه أن ألقى فى نفسه أن خيره فى الدنيا والآخرة فى أن يعطيك ما أعطاك فهو إذا انما يعطيك لغرض نفسه ليتوصل بنفعك إلى نفعه فاتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى يرجوها وإنما المنعم حقيقة من سخره لك وأزعجه مضطرا إلى نفعك فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل بمجرد هذه المعرفة كنت شاكرا (والأصل الثانى) الحال الثمرة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع خضوع وهيبة وهو أيضا فى نفسه شكر على تجرده بشرط أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام وصوره هذا فى ملك أراد الخروج إلى سفر فانعم بفرس على إنسان فيتصور فرحه بالفرس من ثلاثة أوجه. أحدها كونه ما لا ينتفع به موافقة الغرضه فهذا فرح من لا حظ له فى الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده فى صحراء فأخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرح . الوجه الثانى كون فرحه من حيث استدل به على عناية الملك به حتى لو وجده فى صحراء أو أعطاه غير الملك لما فرح به لاستحقاره له بالاضافة إلى مطلوبه من نيل المحل فى قلب الملك . الوجه الثالث كون فرحه ليتوصل به إلى خدمة الملك متحملا مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه متشوفا إلى درجة الوزارة حتى لا يصل شيء من الملك إلى أحد إلا من تحت يده فالأول لا يسمى شاكرا أصلا لأن نظره مقصور على الفرح بالنعمة من حيث إنها موافقة لغرضه والثانى داخل فى معنى الشكر من حيث أنه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفته بالعناية التى تستحثه على الإنعام فى المستقبل كحال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وإنما الشكر التام فى الفرح الثالث وهو الفرح بالنعم من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه والنظر إلى وجهه الكريم على الدوام فهذه هى الرتبة العليا وأمارته أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للآخرة ومعين عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله لأنه لا يريد النعمة لكونها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لكونه جوادا بل من حيث إنه يحمله فى صحبته الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذا قال الشبلى رحمه الله الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة * وقال الخواص رحمه الله شكر العامة على المطعم والملبس والمشرب وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها من انحصرت عنده اللذات فى البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلوب فإن القلب لا يلتذ فى حال الصحة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وإنما يلتذ إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض

المرضى اشياء الحلوة ويستحلى المرة حتى قيل فى ذلك

ومن يك ذافم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

فإذن هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فإن لم تكن إبل فمعزى وإلا فالدرجة الثانية أما الأولى فخارجه عن كل حساب فشتان بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس الملك كذلك من يريد نعم الله ليصل بها اليه ومن يعبد الله لينعم عليه (الأصل الثالث) العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق باللسان كافة الأذكار المتضمنة للتحميدات والتهليلات وغيرها أو بالجوارح كاستعمالها نعم الله فى طاعته والتوفيق من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الاذن أن تستر كل عيب تسمعه فيدخل هذا فى جملة شكر نعمة هذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به «كما ورد أنه صلعم قال لرجل كيف أصبحت فقال بخير فأعاد السؤال حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله واشكره فقال هذا الذى أردت منك» وكان السلف رضى الله عنهم يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء بإظهار الشوق والمسئول إما أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شىء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء أفضى به الضعف إلى الشكوى ان تكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبلى والقادر على إزالة البلاء وذل العبد لمولاه عز وجل والشكوى ذل وإظهار الذل للعبيد مع كونهم أذلاء قبيح قال الله تعالى . إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم . فالشكر باللسان من جملة الشكر انتهى من الإحياء للغزالى رحمه الله تعالى وأما ما يتعلق بالقلب) فقصد الخير واضماره لكافة الخلق وحسن الوجهة إلى الحق باضمار الرجوع عن جميع المخالفات وتسليم النظر للواسطة سيد الوجود صلعم فى سائر التشريعات وتصفية الباطن مما عسى أن يكون قد علق به من آثار المخالفات القادحة فى الورود على مقتضى التوحيد المخلدة عن العثور على فوائد الاخلاص والتجريد المفضى إلى موائد الصدق وطمأنينته المنتجة مراقبة الملك المعبود ومشاهدته فى مشهود ومعرفته الموفية بجميع العهود إذ ما خلق إلا لمعرفة جميع الوجود فهذه هى أصول معانى الشكر المحيطة بمجموع حقيقته * قال فى الاحياء وأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخصوص فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب وقول من قال إن الشكر هو اعتكاف بادامة حفظ الحدود فقد شذ منه عمل اللسان وقول من قال شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيليا إشارة إلى أن المعرفة من معانى الشكر فقط وقول الجنيد الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وأقوالهم تعرب عن أحوالهم اشتغالا بما يهمهم أو بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على قدر الحاجة وكفى بالشكر فضلا أن قرن بالذكر قال تعالى . فاذكرونى أذكركم . الآية فهو مفتاح كلام أهل الجنة قال تعالى : وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده . وهو خلق من أخلاق الربوبية قال تعالى : شكور حليم . وقد قدمنا ان الله تعالى قد استثنى فى وعده بالاغناء والاجابة والرزق والتوبة فقال . فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء . وقال . فيكشف ما تدعون إليه إن شاء . وقال . يرزق من يشاء . وقال . ويغفر لمن يشاء . ولم يستثن فى المزيد فقال . لئن شكرتم لأزيدنكم . وكيفية العمل على الشكر دوام لجأ العبد إلى الله تعالى أن يهديه إلى ما يحبه ويرضاه

وأن يتولاه. فيما ولاه ويديم شكر نعمة مولاه فيما أولاه . وأن لا يحتقر منه نعمة وإن قلت . ولا يركن إلى منه دون الوصل وإن جلت. وأن يعمل بقدر الاستطاعة. وينتظر ما تجرى به الاقدار فى كل ساعة . فلا ينقص رجاؤه عند ورود المخالفات. ولا يزيد عند تتابع الطاعات . ويشاهد من نفسه التقصير فى كل وقت من الأوقات ولا وقف الفتح على عمل أو سبب . وتتساوى عنده فى ذلك جميع النسب . إذ العبد مجبور .فاذا أذعن فمأجور . وإن تسخط فمأوزور . وأمر الله قدر مقدور . وبالله تعالى التوفيق

❋ الباب الثالث : فى وجه وضع طريقة الشكر على المقامات الثلاث بأحسن رئى وأثاث ❋

إعلم شرح الله صدرى وصدرك وقدس بالتوفيق سرى وسرك أن الشكر ولو كان واحدا من مقامات اليقين التسع هو جامع لمقامات الدين الثلاث باصوله الثلاث المتقدمة وهى العلم والحال والعمل فالعلم علمك بالنعمة من المنعم والحال فرحك الحاصل بانعامه والعمل القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح ومنها اللسان فالعلم يثمر الحال والحال يثمر العمل فكان العلم بمثابة مقام الاسلام بجامع البداية والحال بمثابة مقام الايمان بجامع الوسيطة والتمكين والعمل بمثابة مقام الاحسان بجامع النهاية مع أن لكل منهما ارتباطا بالآخر كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى فالإسلام بهذا الاعتبار عنوان الايمان كما أن العلم عنوان الحال والاحسان ثمرة الايمان وخاصيته كما أن العمل ثمرة الحال ونتيجته فلا إسلام لمن لا ايمان له كما أنه لا علم لمن لا حال له ولا إحسان لمن لا إيمان له كما أنه لا حال لمن لا عمل له فمن لا علم له بالنعمة لا يفرح بها فضلا عن أن يشكرها ولا تصديقا ولا إحسانا كذلك من لا علم له بالإسلام أصلا لا يؤمن به فضلا عن أن يحسن فى استعماله مع أن العمل عنا بخصوصه متعلق باللسان والجوارح والقلب فاستغرق المقامات كلها فشكر اللسان الاقرار بالنعمة كما أن الإسلام التلفظ بالشهادتين وشكر القلب الفرح بالنعمة كما أن الايمان تصديق بالقلب وشكر الجوارح القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه كما أن الإحسان تحسين وظائف الدين الإسلامية والايمانية قال تعالى. وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة. وقال . وذروا ظاهر الإثم وباطنه . فترك باطن الاثم من الحقد وسوء الظن إلى غير ذلك من آثام القلب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح الظاهر هو الشكر للنعم الظاهرة فبهذا تعلم أن القائم بوظيفة حقيقة الشكر قائم بمقامات الدين الثلاث، وقد ذكر فى الاحياء أن من أرسل إليه ملك فرسا وزادا ليتوصل بها إليه لا لغرض الملك بل لغرض المرسل إليه فقط واستعمله فى خدمة الوصول إلى الملك على الوجه الذى قصد الملك فقد شكر نعمة ذلك الملك فكذلك من اعتقد أن النعم كلها ما لها إلى الوصول العبد إلى الله تعالى لكرامة العبد لا لغرض الله سبحانه واستعملها فى كيفية الوصول إليه فقد شكر نعمة الله تعالى فيحتاج إذن إلى أن يعلم أصول النعم حتى يستعمل منها ما يكون له وصلة إلى السعادة الابدية ويترك الباقى وراءه ظهريا ويتيقن أنه إنما خلق له فتنة مع كونه نعمة على وجه التسامح لأنه يفرح بوصوله ويتأذى خاطره بفقده فالنعم كثيرة العدد والوجود من العبد محتاج إلى العد قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكثرتها وظن عمومها قعد من قعد عن الشكر وذلك عين المكر

تكاثرت الظباء على خراش . فما يدرى خراش ما يصيد

فنقول إن النعمة بالحقيقة كما فى الاحياء هى السعادة الاخروية وكل سبب يوصل إليها ويعين عليها إما

بواسطة واحدة أو بوسائط «ثم إن النعمة من حيث هى نعمة تنقسم إلى ما هو نافع فى الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيهما كالجهل وسوء الخلق وإلى ما ينفع فى الحال ويضر فى المآل كالتلذذ باتباع الشهوات وإلى ما يضر فى الحال ويؤلم ولكن ينفع فى المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع فى الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع فى الحال المضر فى المآل بلاء محض عند ذوى الابصار وتظنه الجهال نعمة كالجائع يجد عسلا فيه سم يعده نعمة ان كان جاهلا وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سبق اليه والضار فى الحال النافع فى المآل نعمة عند ذوى الالباب بلاء عند الجهال كالدواء البشع فى الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة . ثم ان الخيرات كلها تنقسم الى ما هو مؤثر لذاته والى مؤثر لغيره والى مؤثر فى ذاته ولغيره فالاول كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الاخرى التى لا انقضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها. الثانى ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا فى ذاته كالدراهم فلولا الحاجة لكانت هى والحصباء بمنزلة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايصال اليها صارت عند الجهال محبوبة فى نفسها حتى جمعوها وكنزوها وتصارفوا عليها بالربا وظنوا أنها مقصودة لذاتها .. الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين إلى لقاء الله تعالى أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات الدنيا وتقصد أيضا لذاتها فان الانسان يحب سلامة رجله ولو لم يمش بها فالأول هو النعمة تحقيقا والثالث نعمة ولكن دون الأول وأما الثانى فلا يوصف بانه نعمة إلا من حيث انه وسيلة فيكون نعمة فى حق من يقصد أمرا ليس يمكنه أن يتوصل اليه إلا بها فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية لكانت عنده كالعدم اهـ بتلفيق فاذا علمت أن النعمة حقيقة فانما هى السعادة الاخروية، وكل سبب يوصل اليها ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط وأن النافع من النعم حقيقة ما فيه النفع الدنيوى والأخروى جميعا وانه هو المؤثر لذاته فاعلم أن هذا كله منحصر فيما به وجود الحياة الفانية رأسا ثم ما يكون به قوامها ثم من تكون به الحياة الباقية موصلة إلى السعادة الابدية فأما الحياة الفانية فسببها الولدان المنفصل عنهما وأما قوامها فبالأغذية والصحة وأما الموصل إلى السعادة الأبدية بعد وجود هذين فهو المربى الاصلى سيد الوجود (صلعم) وواسطته الشيخ فمدار الشكر على هذه الثلاثة أعنى أبوى الطين ثم ما به القوام ثم أبوى الدين الموصلين للسعادة الابدية وقد جمعها فى قوله تعالى ـ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ـ الى قوله ـ أن اشكر لى ولوالديك الى المصير ـ فقوله تعالى لى اشارة الى اقامة الشكر لله تعالى باللسان المنزل منزلة مقام الاسلام إذ الاسلام عنوان اقامة شكره الاسباب الموجودة من الصحة والاغذية القائم بها وجوده ووجود والديه فكأنه قال له أسلم لى ليستقيم لك اقرارك بالشكر وقوله ولوالديك اشارة الى اقامة الشكر لنوالدين فى سببيتهما فى اخراجه من العدم والقيام بتربيته دينا ودنيا تنزيلا له منزلة مقام الايمان فكأنه يقول له وآمن بى فكما لا يستقيم الاسلام بدون الايمان كذلك لا يستقيم شكرى بدون شكرهما لارتباط البعض بالبعض وتلك والله أعلم فائدة العطف بالواو وقوله الى المصير استئناف لتحسين العبد وظيفتى الشكر مستشعرا أن الكل منه واليه فكأنه قال واحسن فى شأن الشاكرين كما أحسن الله إليك بان هداك للشكرين الأولين قائما بوظيفة الاحسان المشار إليها بقوله فى الآية الاخرى ـ رب أوزعنى أن أشكر نعمتك الى قوله ـ وأن أعمل صالحا ترضاه ـ أى بأن لا أشاهد نعمة إلا منك فانت المنعم أولا وآخرا انى تبت اليك

من مخالفتك بعدم الشكر أولا ثم من التقصير فيه ثم مشاهدة النعمة من غيرك فلذلك أردفه بقوله أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا فاقيم من مجموع ذلك الاقامة والاستقامة اذ الاقامة منوطة بوجود أبوى الطين وبالصحة والاغذية لكل من الولد والوالدين إذ لولا هذه لما قام محل تقوم به الاستقامة أصلا والاستقامة حاصلة من وجود الابوين الموصلين لله تعالى وهما النبى ﷺ والشيخ والواسطة المبصران بكل من الاقامة والاستقامة فالزم طاعتهما كما ألزم طاعته وأوجب شكرهما كما أوجب شكره تعالى ولو كان هو المنعم حقيقة لان شكر الوسائط هو المقام الاكمل ولا تقل إن الوصلين ليسا ابوين لانا نقول إن حقهما أعظم وأرفع رتبة من حق أبوى الطين لأن أبوى الطين سببان فى الوجود الفانى والنبى (صلعم) والشيخ سببان فى الأمداد الموصل إلى بلوغ المراد ولا علينا أن نبين معنى الإقامة والاستقامة عندهم . قال فى إرشاد السالك الاستقامة هي حقيقة الإحسان وهى لاتتم إلا بضميمة مالا بد منه من الإقامة التى هى علم الأحكام ومقام الإسلام ثم كل من الإقامة والاستقامة لا تقوم مبانيهما ولا تتم معانيهما إلا بضميمة لمقام الإيمان الذى هو كالروح لكل من مقامى الإسلام والإحسان إذ هو كالنهاية لمقام الإسلام والبداية لمقام الإحسان إذ للاسلام معنى يخصه هو الانقياد للعمل بما كلف به العبد من وظائف الدين مع مالا بد منه من التصديق وللايمان معنى يخصه هو تصديق القلب بجميع ما تضمنه الدين من الأخبار بالغيب مع مالا بد منه من شعبه وللاحسان معنى يخصه هو تحسين جميع وظائف الدين الإسلامية والإيمانية بالأتيان بها على أكمل شروطها وأتم وظائفها سالمة من شوائب عللها خالية من طوارق آفاتها ويسمى صاحب كل مقام من مقامات الدين بما يغلب عليه فاذا غلبت على المتدين أوصاف الظاهر دون أوصاف الباطن حتى صار باطنه يستمد من الأنوار ظاهره سمى بالغالب عليه وهو الاسلام فاذا اطمأنت النفس إلى أحكام الظاهر واستأنست بما تطالع من حقائق الغيب وخالطتها بشاشة ذلك بحيث صار ظاهره يستمد من أنوار باطنه وغلب عليه ذلك سمى بالغالب عليه وهو الايمان فاذا تصفت النفس وتطهرت وصارت نورا يضىء منها الظاهر والباطن سمى بالغالب عليه وهو الإحسان على عادة العرب من إعطاء الحكم للاغلب والاكثر فكل مقام لا بد أن يكون فيه معنى من غيره فمن مقل ومن مكثر فجميع وظائف الدين الظاهرة والباطنة من عقود الايمان وأعمال الجوارح واخلاص المقاصد والصدق فى العبودية والتخلص من آفات النفس وعللها وغير ذلك من معانى الاحسان داخل تحت مسمى الاسلام والايمان والاحسان فللدين بداية هى الاسلام وتمكين هو الايمان ونهاية هى الاحسان فالاسلام يشتمل على وظائف الظاهر وهى الغالبة عليه وذلك من عالم الشهادة فتسارع إليها الطباع البشرية وتتأنس بها فقدمت فى تعريف الدين فى حديث جبريل المشهور معاملة للنفوس البشرية بما لا نفرة لها فيه أولا لما جبلت عليه النفوس من الأنس بعالم الشهادة حين علقت به وأخلدت إليه حتى كأنها لا تعرف غيره والإيمان يشتمل على وظائف الباطن وهى الغالبة عليه وذلك من عالم الغيب وكانت النفس قد ارتاضت بالتكليفات الظاهرة فدرجت إلى ما وراء ذلك من عالم الغيب وهى الأعمال الباطنة القلبية وانفتح لها باب من الأعمال الظاهرة وأشرقت عليها من ذلك أنوار الحقائق الربانية فتعلقت همتها بعالم الغيب ونقلت إلى الوفاء بالاعمال الباطنة ثم لما تمكنت فى الاعمال الباطنة واطلعت على عالمها الروحاني وأشرفت على طهارته الفطرية وتعلقت همتها بعالم الملكوت نقلت إلى الوفاء بالاسرار الإحسانية فادركت غاية طهارتها وتصفيتها واطلعت على معارف الحقائق الالهية وأفيض عليها من بحار العلوم اللدنية اه وسيأتى طرف من هذا أول مقام

الايمان من الباب الخامس (ولنرجع إلى مابوب له) وهو الشكر على وجه الاعتراض فنقول قد يقال هذا الشكر الذى جعلتموه أساس هذه الطريقة يكاد العقل يحيله فى نفس الأمر إذ الشكر إنما يعقل فى حق منعم هو صاحب حظ فى الشكر ليزيد الثناء عليه محله فى القلوب أو يظهر كرامته فيزيد صيته وجاهه أو بالخدمة التى هى إعانة على بعض أغراضه أو بالمثول بين يديه فى صورة الخدم وذلك تكثير لسداده والله تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وشكرنا اياه بما لاحظ له فيه يضاهى شكرنا الملك المنعم علينا بالنوم فى بيوتنا أو نركع أو نسجد اذ لاحظ للملك فيه كما لاحظ لله تعالى فى أفعالنا كلها مع أن كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وسائر الأمور التى هى أسباب حركاتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمه فكيف نشكر نعمته بنعمته ولو أعطانا الملك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر له وركبناه وأعطانا مركوبا آخر لم يكن الثانى شكرا للأول مقابل الثانى يحتاج لشكر آخر لا يمكن الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدى إلى أن يكون الشكر محالا فى حقه تعالى من هذين الوجهين وهما كون المنعم لاغرض له وكون كل ما نتعاطاه فعله ﴿فنقول﴾ قال فى الاحياء بعد سوق هذا الاعتراض هاهنا نظران من علوم المعارف نظر يعين لتوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا أنه الشاكر وأنه المشكور وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس فى الوجود غيره وأن ذلك صدق فى كل حال أزلا وأبدا لأن الغير هو الذى يتصور أن يكون له بنفسه قيام ومثل هذا الغير لاوجود له بل هو محال أن يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما لا قيام له بنفسه فلا وجود له بنفسه بل هو قائم بغيره فان اعتبرت ذاته ولم تلتفت إلى غيره لم يكن له وجود البتة وإنما الوجود هو القائم بنفسه فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد فاذا ليس فى الوجود غير الحى القيوم وهو الواحد الصمد فاذا نظرت من هذا الوجه عرفت أن الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب وهذه رتبة لا تفهمها إلا بمثال حد عقلك فلا يخفى عليك أن المصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه وكل ما فى الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته فاذا لم يحب إلا نفسه ويعبر عن هذه الحالة بفناء النفس أى فنى عن نفسه وعن غير الله تعالى انتهى ﴿وسيأتى فى مقام الاحسان﴾ الكلام على الفناء وفناء الفناء النظر الثانى نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يعبد شكرا وهؤلاء هم العميان من كلتا العينين فنفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو الحى القيوم القائم على كل نفس بما كسبت ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لفرقوا بين الموجد وبين الموجد إذ ليس فى الوجود إلا موجود واحد وموجد فالموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان والقسم الثانى أبصروا باحدى العينين وجود الحق سبحانه وأثبتوا موجودا آخر مع الله تعالى لما قام بهم من العسر وهؤلاء مشركون تحقيقا كما أن الأولين قبلهم جاحدون تحقيقا فان جاوز واحد العور إلى العمش أدركوا تفاوتا بين الموجودين فأثبتوا عبدا وربا فبقدر إثبات التفاوت والنقص من الموجود الآخر دخلوا فى التوحيد ثم ان كحلت أبصارهم بما يزيد فى أنوار ما يقل العمش وبقدر ما يزيد فى إبصارهم يظهر نقصان سوى الله تعالى فلا يزال يفضى بهم النقصان إلى المحو حتى ينمحق غير الواحد الحق فلا يرى إلا الله فيبلغ كمال التوحيد فكتب الله المنزلة هى الكحل والكحالون الرسل جاءوا داعين إلى التوحيد المحض وترجمته قول لا إله الا الله فالواصلون إلى كمال التوحيد هم الاقلون

والجاحدون أيضا قليلون وهم على الطرف الأقصى المقابل لطرف التوحيد إذ عبدة الأوثان قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الأكثرون فالأنبياء بعثوا الدعوة الخلق إلى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول مسافة بعيدة وعقبات شديدة والشرع كله إنما جاء لتعريف سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يمكن النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فظهر في ذلك المقام الاضافة الى تلك المشاهدة أنه الشاكر وأنه المشكور ولو فرضنا أن ملكا من الملوك أرسل إلى عبد قد بعث اليه مركوبا وملبوسا ونقد الأجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك وليس للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره ولا يزيد في ملكه ولا ينقص من ملكه فكان قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لا غير فالعبد لا يكون شاكرا إلا إذا استعمل ما أنفذه مولاه فيما أحبه لأجله لا لأجل مولاه وإلا فقد كفر النعمة وكفر بأن لا يستعمل ذلك فيه أصلا بأن يعطله أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه والأخير أقبح من الأول وأولى بالتعرض لسخط الملك فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وفيهم من ركب فيه الشهوات لتكمل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وإنما سعادتهم في القرب منها فأعدلهم من النعم ما يقدرون به على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر تعالى اذ قال ـ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ـ الآية. فاذا نعم الله آيات يترقى العبد بها عن أسفل سافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غني عنه قرب أم بعد والعبد منها والقرب بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه فان الله لا يرضى لعبده الكفر والمعصية وان عطلها ولم يستعملها في طاعته ولا في معصيته فهو أيضا كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آلة للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر لنعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل متكاسل ترك الاستعمال له عاص استعماله في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه فقد بان بهذا كون الشكر يكون شكرا وليس للمشكور فيه حظ فإنا لم نعن بشكر إلا صرف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا صرفت في المحبة بفعل الله فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله قد أثنى عليك وثناؤه نعمة أخرى منه اليك فهو الذي أعطى وهو الذي أثنى وصار أحد فعليه سببا لصرف فعله الثاني إلى جهة محبته فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى أنك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجده كأنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى أنك محل له وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك فوصفك بأنك شاكر إثبات شيئية لك وأنت شيء إذ جعلك خالق الأشياء شيئا وإنما أنت لا شيء إذا كنت أنت ظانا لنفسك شيئية من ذاتك فباعتبار جعله لك فأنت شيء والا كنت لا شيء تحقيقا وإلى هذا أشار ﷺ حيث قال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » لما قيل له ففيم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل فبين قوله ان الخلق مجاري قدرة الله ومحل أفعاله وان كانوا هم أيضا من أفعاله وهو سبب لعلم الخلق والعلم سبب لانبعاث داعية حازمة إلى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية أيضا من أفعال الله تعالى وهو سبب لحركة الاعضاء

وهى أيضا من أفعال الله ولكن بعض الفعل سبب للبعض أى الأول شرط للثانى أى وجود البعض متوقف على البعض لا أن البعض موجد للبعض بل ممهد شرط الحصول لغيره ولما كان قوله سببا لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف والخوف سبب لترك الشهوات والتجافى عن دار الغرور وذلك سبب الوصول إلى جوار الله والله تعالى مسبب الأسباب ومرتبها وأضيف لنا المدح أو الذم فمن سبق له فى الأزل السعادة يسر له هذه الأسباب حتى تقوده بسلسلها إلى الخير ويعبر عن مثله كل ميسر إلى ما خلق له ومن لم تسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء فينشأ عن ذلك عدم العلم وعدم الخوف وعدم التجافى فيبقى فى حزب الشيطان ـ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ـ فاذا تمهد هذا علمت أن الشكر لا يتم إلا بمعرفة ما يحب الله تعالى عما يكره ولا بد من تمييز ذلك ﴿فنقول﴾ لذلك مدركان أحدهما السمع ومستنده الآيات والأخبار والثانى بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا عسير جدا ولأجل عزته أرسل الله تعالى الرسل فمن لا يطلع على أحكام الشرع فى جميع أفعاله لم يكن له القيام بحق الشكر أصلا وأما الثانى الذى هو النظر بعين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى فى كل موجود خلقه إذ ما خلق شيئا فى العالم إلا وفيه حكمة وتحت تلك الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة إلى جلية وخفية أما الجلية فكالعلم بأن الحكمة فى خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشا بالابصار فيه والليل لباسا بالسكون فيه والاستتار وفيها حكم أخرى دقيقة وكحكمة الغيم ونزول الأمطار لشق الأرض بأنواع النبات مطعما ومرعى للانعام والقرآن منطو على جمل من الحكم الجلية التى تحملها أفهام الخلق دون الدقيقة التى يقصرون عن فهمها وكالحكمة فى الكواكب بأنها زينة للسماء الدنيا وكاعضاء الحيوان تنقسم إلى ما تعرف حكمتها كالعلم بأن العين للابصار واليد للبطش والرجل للمشى وأما غيرها من الأعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق والاعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها إلا الآحاد ولا يعرفون إلا قدرا يسيرا بالاضافة إلى علم الله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وكذلك جميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراتها عن حكم كثيرة من واحد إلى عشرة ألف فاذن كل من استعمل شيئا فى جهة غير الجهة التى خلق لها ولا على الوجه الذى أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى فمن ضرب غيره بيده لا فى شىء فقد كفر نعمة اليد إذ خلقت له اليد لينتفع بها لا ليهلك بها غيره ومن نظر إلى ما لا يحل له فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس إذ الابصار يتم بهما اذ خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه فى دينه ودنياه ويتقى بهما ما يضره فقد استعملهما فى غير ما أريد بهما إذ المراد بخلق الخلق وخلق الدنيا أن يستعان بهما على الوصول إلى الله تعالى ولا وصول اليه الا بمحبته والأنس بها فى الدنيا والتجافى عن دار الغرور ولا أنس الا بدوام الذكر ولا ذكر الا بالمحبة ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر ولا الفكر الا بدوام البدن ولا يبقى الا بالأرض والماء والهواء والغذاء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والأرض وخلق سائر الأعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله تعالى هى النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة قال الله تعالى ـ وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون ـ فكل من استعمل شيئا فى غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله فى جميع الأسباب التى لا بد منها انتهى بتلفيق وبعضه بالمعنى ثم إذ زال الاشكال من استحالة الشكر وعلمت حقيقة الشكر فى حقه تعالى فاعلم أن الخلق كله علويه وسفليه كله

نعمة منه إليك لارتباط بعضه بالبعض ولدلالة كله عليه جل اسمه دلالة ذرة واحدة من ذراته بما أودعه فيها من الحكم الجلية والخفية كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى فى الباب الذى يتلوه وبالله تعالى التوفيق.

﴿ الباب الرابع فى ذكر أطراف من النعم ترشد الى تبصر فكر الفهم لبعض دقائق الحكم
ليكون على بصيرة فى العجز عن القيام بوظيفة الشكر ﴿ وذكر الموجب
الصارف للخلق عن الشكر وكلها فى كتاب الشكر من الإحياء ﴾

اعلم أيدك الله بنور القدس وأحلك فى رياض الأنس ان الشاكر للنعم على سبيل الاجمال لا يخلو من ادعاء قيام بوظايف شكرها ولا من قصور عن نظر دقائق حكمها فلا علينا أن نأتي بأربعة أطراف منها لتقطع طرفا من التقصير وتحسم مادة التكبر مما كان ظاهرا فى غاية الظهور أو خفيا ولكن ليس فى نهاية الخفاء المستور ﴿ ولنبدأ أولا بطرف من هذا الاخير ولنذكر حكمة واحدة من حكمة تضمنها فرد واحد من الأسباب التى بها قوام وجودك خارجا عن جسدك لا ينفعك إلا من وراء جدر » ثم نتبعه بطرف فى ذكر أقل قليل من حكم ادراكك » ثم بطرف فيما به غذاؤك وبه قوامك « ثم بآخر فيما يوصله إليك حتى تعتبر وتعلم حسن القيام بالشكر وقبح كفران النعم بسبيل الفكر ﴾ فنقول قال فى الاحياء من نعم الله تعالى أن خلق الدرهم والدينار وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة فى أعيانهما ولكن يضطر الخلق إليهما من حيث إن كل انسان محتاج إلى أعيان كثيرة فى مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغنى عنه كمن يملك الزعفران وهو محتاج إلى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغنى عنه ويحتاج إلى الزعفران فلابد بينهما من معاوضة ولا بد فى مقدار العوض من تقدير إذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى مثله فى الوزن أو الصورة. وكذا من يشترى دارا بثياب أو عبدا بخف أو دقيقا بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان الجمل كم يساوى من الزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة إلى متوسط يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل وجه رتبته ومنزلته حتى إذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوى من غير المساوى فخلق الله الدينار والدرهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدر بهما الأمور فيقال هذا الجمل يساوى كذا من الدراهم وهذا القدر من الزعفران يساوى كذا أيضا فهما من حيث إنهما مساويان لشىء واحد متساويان وإنما أمكن التقدير بالنقدين اذ لا غرض فى أعيانهما ولو كان فى أعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض فى حق صاحب ذلك الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك فى حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فلذا خلقهما الله لتتداولهما الأيدى ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل وخلقا لحكمة أخرى وهو التوسل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عزيزان فى أنفسهما ولا غرض فى أعيانهما ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ملكهما فانه ملك كل شىء لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك إلا الثوب فلو احتاج إلى طعام ربما رغب صاحب الطعام فى الثوب لأن غرضه فى ذاته مثلا فاحتيج إلى شىء هو فى صورته كأنه ليس بشىء وهو فى معناه كأنه كل الأشياء والشىء انما تستوى نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكى كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له فى نفسه وتظهر به المعانى فى غيره فهذه هى الحكمة الثانية . وفيهما أيضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكام فقد كفر نعمة الله فيهما كمن كنزهما فانه كمن حبس

حاكم المسلمين. وكذا من جعلهما آنية فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالا ممن كنز فان الخزف والحديد يقومان مقامهما فى ذلك وصاحب الحياكة والكنس ليس كغيره فى كرم النفس فمن لم ينكشف له هذا السر بالنظر كشف له بالترجمة الالهية بقوله تعالى ـ والذين يكنزون الذهب والفضة ـ الآية وبقوله عليه السلام «من شرب فى آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر فى بطنه نار جهنم» الى غير ذلك من حكم منع المصارفة فيه فى بعض الأحكام وجوازها فى بعضها كل ذلك داخل تحت نطاق حكمة فيهما لا تقوم لها الجبال اهـ فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين فينبغى أن تجعل ذلك معيارا فى شكر النعمة وكفرانها فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغى أن يصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من كان قد عرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ولا تصادف جواهر الحكم في قلوب هى مزابل الشهوات وملاعب الشيطان ـ وما يذكر الا أولوا الألباب وإذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صدر منك فانه إما كفر واما شكر اذ لا يتصور أن ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه فى لسان الفقه الذى يعبر عنه مرة بالكراهة ومرة بالحظر وكل ذلك بالحظر عند أرباب القلوب فان من استنجي عندهم باليمين أو بصق مثلا في جهة القبلة أو استقبلها فى قضاء الحاجة فقد كفر نعمة قوة اليمين وشرفها باستعمالها فى أخس مع وجود اليسرى وكفر نعمة شرف القبلة مع وجود غيرها من الجهات إذ القبلة وضعت لكمال العبادة إلى غير ذلك من وضع الاشياء فى غير محلها مما حجر الشرع فيه كراهة أو حظرا والفقيه لا يقدر على تفخيم الامر فى هذه الامور مسكين بل باصلاح العوام القريبة درجتهم من درجة الانعام فكل ما راعاه الانبياء والاولياء من الآداب وتسامحنا فيه فى الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة وإلا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران بالنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب وبعضها أشد من بعض لاخراجه بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد. وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة فقد كفر نعمة الله فى خلق الاشجار وخلق اليد فاليد لم تخلق للعبث والشجرة إنما خلقها الله تعالى وخلق لها العروق وساق إليها الماء وخلق فيها قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ الغصن منتهى اعتداله فينتفع به عباده فكسره قبل اعتداله لا على وجه الانتفاع مخالف لمقصود الحكمة وعدول عن العدل وان كان من ملك الغير فذلك أيضا عدول عن العدل مرتين ولو كان محتاجا نعم الخلق عباد الله والارض مائدته وقد أذن لهم فى الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدته لعبيده فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها من يده لم يمكن منها لان اللقمة صارت ملكا له بالاخذ باليد وصاحب اليد أيضا مملوك ولكن إذا كانت لقمة بعينها لا تفى بحاجة كل العبيد فالعدل فى التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدلى بذلك الاختصاص عن مزاحمته فكهذا كان ينبغى أن تفهم أمر الله تعالى فى عباده ولذلك نقول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه وأمسكه وفى عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق فى طاعته أموال الدنيا إذ بها ترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا فى حد فتاوى الفقه لان مقادير الحاجة خفية والنفوس فى استشعار الفقر فى الاستقبال مختلفة وأواخر الآجال غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجرى مجري تكليف الصبيان والوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم فهم بحكم نقصانهم لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم فى اللعب واللهو وإباحتنا ذلك لهم لا يدل على أن اللهو واللعب حق فكذلك إباحتنا للعوام

حفظ الاموال والاقتصار فى الانفاق على قدر الزكاة لضرورة ماجبلوا عليه من البخل لا تدل على أنه غاية الحق الى الحق الذي لا كبوة فيه والعدل الذى لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الراكب فكل عباد الله ركبان لمطايا الابدان إلى حضرة الملك الديان. فمن أخذ زيادة عليه ومنعه من راكب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل خارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله فمن فهم حكمة الله فى جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر فقد رجع الكلام إلى أن الله تعالى حكمة فى كل شيء وأنه جعل بعض أفعاله أفعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة إلى غاياتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من ان تنساق إلى الغاية المرادة فهو كفر فاذن أشكر العباد أحبهم إلى الله وأقربهم اليه الملائكة ولهم أيضا ترتيب وما منهم إلا وله مقام معلوم وأعلاهم فى رتبة القرب اسرافيل عليه السلام وإنما علت درجتهم لانهم فى أنفسهم كرام بررة. وقد أصلح الله تعالى بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهم أشرف مخلوق على وجه الارض وتلى درجتهم درجة الأنبياء فانهم فى أنفسهم خيار. وقد هدى الله بهم سائر الخلق وأتم بهم حكمته وأعلاهم رتبة نبينا ﷺ وعليهم إذ كمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم فى أنفسهم صالحون. وقد أصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره. ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا ﷺ كان أفضل من سائر الانبياء فانه أكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء. ثم يلى العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا دين أنفسهم فقط فلم تتم حكمة بهم إلا فيهم ومن عداهؤلاء فهمج رعاع اهـ من الاحياء بحذف وتلفيق «قلت» بسيد الوجود (صلعم) تم نظام الوجود وبه قوام كل موجود. وحكمة الايجاد مقدمة على حكمة الامداد. فلولا وجوده رأسا لما وجد موجود. ثم لولا حجابيته بعد لما انتفع موجود بوجوده فكيف يدخل ميادين الافضلية والفاضلية الحالية والمآلية. إذ هو الاب الاول الذى تناسل الخلق كله من حقيقته المحمدية تناسل ذرية آدم من آدم عليه الصلاة والسلام أنظر آخر مقام الاحسان. من الباب الخامس تظفر بغاية البيان

«الطرف الثانى فى ذكر أقل قليل من حكم ادراكك وشرح بعض حالك»

اعلم أن الله تعالى أعطاك الحواس كلها وأشرك معك البهائم فيها ثم خصك وأكرمك بصفة أخرى وهى أشرف من الكل وهو العقل فبه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها وما يضرك فى المآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتفع بعقلك فى الاكل الذى هو سبب صحتك وهو أخس فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة فى عالمه فالحواس الخمس كالجواسيس له وأصحاب الاخبار الموكلين له بنواحى المملكة. وقد وكلت كل واحدة منها بما تختص به فواحدة بأخبار الالوان وأخرى بأخبار الحر والبرد والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه الجواسيس يقتنصون الاخبار من أقطار المملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك والحس المشترك قاعدة فى مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحى العالم فيأخذها وهى مختومة ويسلمها إذ ليس له إلا أخذها. فأما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن إذا صادف القلب العاقل الذى هو

الأمير والملك سلم الانها آت إليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة لايمكن استقصاؤها فى هذا المقام وبحسب مايلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهى الاعضاء مرة فى الطلب ومرة فى الهرب ومرة فى إتمام التدبيرات التى تعدله فهذه سياقة نعمة الله عليك فى الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الاغشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كأنه بياض البيض ولكل واحدة من الطبقات صفة وشكل وهيئات وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الاطباء كلهم فهذا فى حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لايمكن أن تستوفى حكم الله تعالى وأنواع نعمه فى جسم البصر وطبقاته فى مجلدات كثيرة مع صغره فكيف بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه فهذه مرامز إلى نعم الله تعالى بخلق الادراكات

« الطرف الثالث فيما به غذاؤك وقوامك »

اعلم أن رؤيتك الطعام من بعد لاتفيد شيئا ثم إذا وصلت إليه وتحركت له لايكفيك ذلك مالم تأخذه فافتقرت إلى آلة باطشة فأنعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان تمدان إلى الأشياء لاشتمالهما على مفاصل كثيرة لتتحرك فى الجهات فتمتد إليه وتنثنى إليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هى الأصابع وجعلها فى صفين بحيث يكون الابهام فى جانب ويدور على الأربعة الباقية ولو كانت مجتمعة أو متراكبة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت لك آلة للضرب وإذا نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة فى القبض ثم خلق لها أظفارا وأسند إليها رؤس الاصابع حتى تلتقط بها الأشياء الدقيقة التى لاتحويها الاصابع فتأخذها برءوس أظفارك ثم هب أنك أخذت الطعام باليد فمن أين يكفيك هذا مالم يصل إلى المعدة وهى فى الباطن فلا بد وأن يكون من الظاهر دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا إلى المعدة مع مافيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام إلى المعدة ثم إن وضعت الطعام فى الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فيحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس العليا على السفلى لتطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن ذلك فقسم الأسنان إلى عريضة طواحين كالاضراس وإلى حادة قواطع كالرباعيات وإلى مايصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحى ولولاه لما تيسر الاضراب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل الفك الأسفل متحركا حركة دورية والفك الأعلى ثابتا لايتحرك فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى فان كل رحى صنعه الخلق يثبت منه الحجر الأسفل ويدور الاعلى إلا هذا الرحى الذى صنعه الله تعالى إذ يدور منه الاسفل على الاعلى فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب أنك وضعت الطعام فى فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام إلى تحت الاسنان أو كيف تستجره الاسنان إلى نفسها أو كيف يتصرف باليد فى داخل الفم فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان فانه يطوف بجوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الاسنان بحسب الحاجة

كالمجرفة التي ترد الطعام إلى الرحى هذا مع ما فيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن يزلق إلى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت هذا اللسان عينا يفيض اللعاب بها وينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فانك ترى الطعام من بعد فتثور وتصب اللعاب حتى تتحلب أشداقك والطعام من بعد بعيد ثم هذا الطعام المطحون المنعجن من يوصله إلى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالى المريء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق وتضغط حتى ينقلب الطعام بضغطه فيهوي إلى المعدة في دهليز المريء فاذا ورد الطعام على المعدة فهو خبز وفاكهة منقطعة فلا يصلح لان يكون لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لا بد وأن يطبخ طبخا تاما تتشابه أجزاؤه فخلق الله المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتنغلق عليه الأبواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة اذ عن جانبها الايمن الكبد وعن الايسر الطحال وعن قدام الترب وعن خلف لحم الصلب فتتعدى الحرارة إليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه أجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتي كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد فينصب فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولي عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر وتحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء إلا أن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد من جميع ما يطبخ إحداهما الخلط السوداوي والآخر الصفراوي ولو لم تفصل عنه الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا إلى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولا هما لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا إلى الاعضاء فخلق الله سبحانه الكليتين وأخرج من كل واحد عنقا طويلا إلى الكبد ، ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عنقها ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من جذبة الكبد حتى يجذب ما يليها بعد الطلوع من العروق الرقيقة التي في الكبد إذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيا من كل ما يفسد الغذاء ثم إن الله تعالى أطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع أقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من المرفق إلى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل إلى الاعضاء بأن يصير إلى العروق المنقسمة شعرية كعروق الأوراق في الأشجار بحيث لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الاعضاء ولو حلت بالمرارة آفة فسد الدم وحصلت له الأمراض الصفراوية وان حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي حصلت الأمراض السوداوية كالبهق والجذام وان لم تندفع المائية نحو الكلية حدث منه الاستسقاء وغيره ثم انظر إلى حكم الفاطر الحكيم كيف رتب منافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة أما المرارة فانها تجذب بأحد عنقيها وتقذف بعنق آخر إلى الامعاء ليحصل

له فى ثقل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث فى الامعاء لدغ يحركها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثقل وينزلق وتكون صفرته لذلك وأما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة ثم يرسل منها فى كل يوم شيئا إلى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقى مع الثقل وأما الكلية فانها تتغذى بما فى تلك المائية من دم وترسل إلى المثانة ﴿ ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى فى الاسباب المعدة للاكل ﴾ ولو ذكرنا احتياج البدن إلى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة إلى صاحبه وكيفية تشعب العروق والاعصاب من الدماغ إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس ثم كيفية تركيب الاعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها وباطنها لطال الكلام وكل ذلك محتاج إليه للاكل ولامور أخر سواه إلى غير ذلك مما لا تحيط به الدفاتر فانظر إلى نعمة الله عليك أولا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا الاكل وهى أخسها ثم لا تعرف منها إلا أنك تجوع فتأكل والحمار أيضا يعلم أنه يجوع فيأكل ويتعب فينام إلى غير ذلك فاذا لم تعرف أنت من نفسك إلا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك فقس على الاجمال ما أهملناه من جملة ماعرفناه حذرا من التطويل انتهى

(الطرف الرابع فى نعم الله تعالى فى الأصول التى تحصل منها الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الآدمى بصنعته بعد . وفى الاسباب الموصلة للاطعمة إليك)

فنقول إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فنيت وبقيت جائعا فما أحوجك إلى أن تنمى الحبة فى نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفى بجميع حاجتك فخلق الله تعالى فى حبة الحنطة من القوى ماتغتذى به كما خلق فيك فإن النبات إنما يفارقك فى الحس والحركة ولا يخالفك فى الاغتذاء لأنه يغتذى بالماء ويجتذب إلى باطنه بواسطة العروق كما تغتذى أنت وتجتذب ونشير إلى غذائه فنقول كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج إلى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذى بكل شىء بل تحتاج إلى شىء مخصوص بدليل انك لو تركتها فى البيت لم تزد لأنها لا يحيط بها إلا الهواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها دون الماء ولو تركتها فى الماء لم تزدد ولو تركتها فى أرض لا ماء فيها لم تزدد بل لابد فيها من أرض يمتزج ماؤها بالأرض فيصير طينا وإليه الإشارة بقوله تعالى ـ فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا ـ ثم لا يكفى الماء والتراب إذ لو تركت فى أرض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج إلى تركها فى أرض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الأرض حتى يغذيها واليه الاشارة بقوله تعالى ـ وأرسلنا الرياح لواقح ـ وإنما القاحها فى إيقاع الازدواج بين الهواء والماء والأرض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان فى برد مفرط وشتاء شات فتحتاج إلى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الله الرياح عليها لتسوقها بإذنه إلى أقطار العالم وهى سحاب ثقال حوامل بالماء . ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الأرض فى وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة . وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تنفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشى ونعم الله فى الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن احصاؤها وأما الحرارة فإنها لا تحصل بين الماء والأرض وكلاهما بارد . فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها مسخنة للارض فى وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد والحر عند

الحاجة إلى الحر وإلى رطوبة تنضجها وانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم. ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى أن الشجرة الصغيرة تفسد إذا أظلتها شجرة كبيرة. وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضا ولا نطيل فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منهما عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله — ربنا ماخلقت هذا باطلا — وقوله عز وجل — وماخلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين — وكما أنه ليس في أعضاء بدنك عضو إلا لفائدة والعالم كله كشخص ... وآحاد أجسامه كالاعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول فلله تعالى في ملكوت السموات والآفاق والأنفاس والحيوان والنبات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فإن من أحب عالما لا يزال مشغوفا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك الأمر في عجائب صنع الله تعالى فإن العالم كله من تصنيفه فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتأليفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه فإذا النبات لا يتم إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك إلا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك إلا بحركاتها ولا تتم حركاتها إلا بملائكة سماوية وكذلك يتمادى إلى أسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرنا على ما أهملناه اهـ * ثم إن الذي ينبت لا يمكن أن يؤكل على حاله بل لا بد في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض فلنعين رغيفا واحدا ولننظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الأرض فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي يثير الأرض والفدان وجميع أسبابه. ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء ثم تنقية الأرض من الحشيش. ثم الافراك. ثم الحصاد. ثم التنقية. ثم الطحن. ثم العجن. ثم الخبز. ثم انظر إلى عدد الأشخاص القائمين بها وعدد آلاتها التي يحتاج إليها من الحديد والخشب وغيره وانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيره وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن وكيف جعل الأرض قطعا متجاورات مختلفة ﴿ فإن نظرت علمت أن رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لا كلك يا مسكين مالم يعمل فيه أكثر من ألف صانع ﴾ فابتد من الملك الذي يجري السحاب لينزل إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة إلى عمل الإنسان فاذا استدارت قربت من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان في تلك الآلات حتى إن الابرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يدفع عنك البرد لا تكمل صورتها إلا بعد أن تمر على يد الابري ... مرة ويتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجعل الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت إلى عمل ... الذي يحصد به البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وأنت لم تقدر عليه أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لأن يعمل هذه الصنائع الغريبة اهـ ثم هذه الأطعمة لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الأرض وقد تبعد عنهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها

البحار والبرارى فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حب المال وشره الربح مع أنهم لا يغنيهم فى غالب الأمر شيئا بل يتحملون من المشاق كثيرا فاما أن تغرق بهم السفن أو تنهبها قطاع الطريق أو يموتوا فى البلاد فتأخذها السلاطين وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لو عرفوا فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد فى طلب الربح ويركبوا الأخطار ويغروا بالأرواح فى ركوب البحار فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب اليك . وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل فى البرارى * وانظر إلى الابل كيف خلقت وإلى الفرس كيف مدت بسرعة الحركة إلى الحمار كيف جعل صبورا على التعب وإلى الجمال كيف تقطع البرارى وتطوي المراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش . وانظر كيف سيرهم الله بواسطة السفن والحيوانات فى البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج وتأمل ماتحتاج إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج إليه السفن فقد خلق الله جميع ذلك إلى حد الحاجة وفوق الحاجة انتهى ﴿تنبيه﴾ إعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها ثم إن عرفوها ظنوا أن الشكر عليها قول اللسان الحمد لله الشكر لله ومادروا أن الشكر استعمال النعمة فى إتمام الحكمة المرادة بها وهى طاعة الله عز وجل فلامانع من الشكر بعد هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة والشيطان فتراهم لجهلهم لا يعدون مايعم الخلق فى جميع أحوالهم نعمة فلذا لايشكرون على جملة ماذكرنا من النعم لانها عامة مبذولة للخلق فى جميع أحوالهم فما لا يرى كل واحد لنفسه اختصاصه به لا يعدونه نعمة فلا يشكرون الله على روح الهواء ولو أخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم أو حبسوا فى بيت فيه هواء حار لهلكوا فإن ابتلى أحدهم بشىء من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها فصار شكرهم موقوفا على سلب النعمة ثم ردها وهذا غاية الجهل فان النعمة المبذولة فى جميع الأحوال أولى بالشكر من المبذولة فى بعض الأحوال فلاترى البصير يشكر صحة بصره حتى يعمى فعند ذلك لو أعيد عليه أحسن الشكر فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذي يتطرق إليه الاختصاص من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى كما شكا بعضهم فقره إلى بعض أرباب البصائر فقال أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف فقال لا فقال ايسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا فقال لا فقال أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف فقال لا قال أما تستحى أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا ثم إن النعم العامة على الخلق هى فى الحقيقة خاصة فما تغنى عنك عين غيرك إذا فقدت عينك إلى غير ذلك فاذا نظرت إلى من هو دونك خلقا خلقا تبصرت ولو لم يكن واقعا فى نفس الأمر فان من شرف العقل أن يفتخر به من ليس عنده فاذا كان اعتقادك أنك من أعقل الناس وأحسنهم خلقا فواجب عليك شكر ذلك فان كنت كذلك فظاهر وإلا فاعتقادك ذلك نعمة من النعم فى حقك انتهى بتلفيق واختصار وبالله تعالى التوفيق . إلى هنا انتهى المصراع من كتاب الميزاب * ويتلوه الصواع وهو آخر الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ﴾

﴿ الباب الخامس فى كيفية التربية بهذه الطريقة والكلام فيه على ثلاث طرائق ﴾

(الأولى) درجنا بأذكارهذاالوردعلى سبيل التدريج بالمقامات الدينية كمادرج الساحلى رحمه الله ومن نحا منحاه من مشائخ التربية بالتعريج ومن لفظه الجاذب . أنقل فى الغالب (الثانية) جرينا فيها على مهيع السلوك بالصلوات الخمس . لمن حافظ عليها [illegible]منى والحس (الثالثة) نبهنافيهاعلى السلوك بصلاة الفاتح لما أغلق لمن بها قلبه تعلق . وذلك كله مأخوذ من كلام شيخنارضى الله عنه كما يعلم ذلك من طالع كلامه . وعرف مرامه * أما الأولى فقدرتب ورده اللازم عليها بأفصح عبارة . وأداره على جميع وظائفها أكمل إدارة * كماهوظاهر بأوضح أمارة * وأما الثانية فقدأدرجهافي درع الورد القميص بطريق الإجمال لاعلى سبيل التنصيص * وأما الثالثة فقد أشار اليها بإشاراته الموجزة تماماعلى الذى أحسن به من مواعده المنجزة . فأقام للمريد فيهاأول وهلة . عمود لازم الطريقة حتى لاحت له لوائح الوصلة . فترك المريد درجة العموم لدرجة التخصيص . فتنبه لشرط المحافظة على إقامة الصلاة بلائح الوبيص . فأخذ خصوصا من عموم . واتخذالورد كالتابع المعموم . بعدأن كان متبوعا فى الرسوم . ثم انتهز الفرصة فيما كان مدخرا عنه أول سلوكه من الصلة . بالصلوات المستعملة . فخصوص الخصوص المعمم قبل من منح المانح . فاستغرق الأوقات بصلاة الفاتح . كما سنبينه إن شاء الله فى محاله ومواده . وما الذى فضل فى رزقه من لذيذ طعم الثمرات براده . فالأولى جامعة الشيخ والنبى ﷺ معا وكلاهما نائب عن الله تعالى * ووجه تقديمها على أختيها كونها الباعثة للمريد رأسا على الدخول لحضرة الشيخ رضى الله عنه * والثانية جامعة على الله تعالى إذ نتيجتها الفناء . كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى * والثالثة تقضى بجمعية المريد على الشيخ إذ العثور على الشيخ المربى أغرب غريب . وهى ترشد اليه بضميمة صدق المريد فى طلبه غير واقع فى شك مريب *

﴿ الطريقة الأولى فى التربية بأذكار هذه الطريقة التجانية . جارية على المقامات الدينية الاسلامية والايمانية والاحسانية ﴾

اعلم أبان الله لى ولك معالم التحقيق وسلك بى وبك أنفع طريق . أن التربية عبارة عن تلقين الشيخ مريده أوالأخ أخاه دينه شيئا فشيئا لازالة حجبه الحاجبة له عن مشاهدة مولاه فيئافيئا . بمداواة أدواء نفسه حتى يتفيأ هافيئافيئا . على حسب تطوراته طورافطورا [illegible] تعالى ـ وقد خلقكم أطوارا ـ ولكل طور حكم فكما أنه لم يخلق دفعة كذلك لا يتخلق بغتة وذلك يكون بالأخذ بالبداية أولا فى مقام الاسلام حتى إذا أحكمه واتصف بمقتضاه بلغه إلى التمكين الذى هو مقام الايمان حتى إذا أحكمه واتصف بمقتضاه بلغه إلى النهاية . ثم لا يرفع قدما إلى النهاية حتى يتخلص من وظائف التمكين كما لا يرفع قدما إلى التمكين حتى يتخلص من وظائف البداية أو يقارب إذ لا مطمع فى النهايات الا

بتصحيح البدايات . فمن صحت بدايته . صحت نهايته . ومن استقامت بدايته . استنارت نهايته . وهذه البدايات والنهايات هي منازل السائرين الى الله تعالى وكلها مبنية على قواعد التوحيد وعليها أسها حتى يبلغ السالك غايتها المعبر عنها بالمعرفة اذ المطلوب منه اخلاص العبودية لربه وكنس الأغيار من فناء قلبه . الذى هو بيت ربه . ومستودع كنز غيبه . فيعبده بمعرفته أولا . ثم بالاخلاص ثانيا . ثم بالاحسان فى عبوديته ثالثا وهو جماع الدين فالحد الأول سير فى مقام الاسلام بالتنقل عن دركات المساخط الى درج المراضى على كواهل الاستقامة والحد الثانى سير فى مقام الايمان بالخروج عن أوهام ما يصدر من العبد من عقد وعمل لله تعالى بقصر النظر عن فردية الحق وانفراده بما يوصل الى العباد من نعمق الايجاد والأمداد والحد الثالث سير فى مقام الإحسان بإفراد القلب وعوالمه بالاجماع عليه تعالى والانفراد له عن كل شىء سواه ـ وأن الى ربك المنتهى ـ

﴿ تربية مقام الاسلام وما حواه بطريقة شيخنا التجانى رضى الله عنه وأرضاه ﴾

اعلم أولا من حسن التربية حمل السالك على مالا يعجز عن القيام به فى كل الاحوال فأولا على الاستقامة فى تأدية الفرائض ورواتبها وأوراد الصلوات بعد ضبط نفسه على الانهماك والاسترسال مع العادات . لأن المطلوب اثبات أعمال اللزوم وان قلت * فقد روي أن النبى ﷺ كان اذا عمل عملا أثبته . وكان يقول أحب الأعمال الى الله أدومها وان قل ثم لزوم كل انسان على قدر قوته وجلادته لأن المريد مستنصر الشيخ قال تعالى ـ وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر ـ والمعتبر من ذلك النصر اللائق بالمستنصر * فرخاء يؤذي الأنام غلاء * ومن استغاث بك فأغثه لا تعنته والمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى فليحثه على مراعاة حق الباب الذى منه الدخول الى الحضرة وهو الأدب كما تقدم فى بابه ولذلك جعلناه أول باب من هذا الكتاب وليتخذ سبحة يحفظ بها عدد ورده خوف وقوف البال على العدد من التخليط فذلك أسلم له من اشتغال البال . وأولى لجمع الحال * فقد روى أن أبا القاسم الجنيد رضى الله عنه كان لا تزال سبحته فى يده فقيل له أنت مع شرفك تحتاج الى سبحة يشير الى عمارة أنفاسه بالذكر فقال شىء وصلت به الى الله لا أفارقه وليكن على الطهارة بقسميها واستقبال وترك كلام كما ذكرناه فى الدرجة الثالثة من المقدمة اذا الذاكر مهما توجه لاداء ورده كان بمثابة القادم على ربه الحاضر له يخاطب ويناجى ملكا عظيما يستجرى منه النوال والامتنان . ويستوجب منه البرة والاحسان . بلسان الاضطرار وعنق الذلة والانكسار . فقبيح قطع ذلك بعارض حايل أو اشتغال عنه بشاغل بل الذى ينبغى للمتوجه ربط نفسه للوفاء بذلك العدل المتعاقد عليه وليكن على هيئة تقتضى الخضوع فان لهيئة الظاهر تأثيرا فى الباطن بحسب مقتضى الهيئة ثم ليصور مقدمة الاولى به ويشخص القدوة ومقدمية الوسايط بينه وبين القدوة الا على واضعا الرحل . ومحاذيا النعل بالنعل . وجاعلا مدده من عندهم . ومعتقده كمعتقدهم . وألفاظه بارزة من بينهم ويرى نفسه كأنه كان خالعا ربقة الاسلام من عنقه وكفره نعمة الاسلام اذ كان عابدا فى ذلك لهواه المحض وهو أكبر معبود عبد فى الأرض فان المنعم عليه الذى تقاعد عن صرف النعمة مصرفها أصلا أو صرفها فى بعض مخالفات النعم كمن صرفها فى سائر مخالفاته ولو كان بينهما تفاوت كما قدمنا وكأن ملقنيه يقولون له أسلم تسلم هذا مقام الإسلام والاقرار بنعمة الملك العلام . فيجيبهم اجابة من دعى للشهادة فتشهد طالبا غفران

كفران نعمة الإسلام مادا عنقه لما يترتب عليه من احكام . فيقول تائبا من المخالفات أستغفر الله ولا يزد على ذلك اللفظ اذ هو في مقام مطلق الخروج من الفسوق والعصيان . حتى يتم عدده المعلوم وليتنفس بين الالفاظ قدر مايقول له ملقنوه قل كأنه في حلقة من حلق الذكر من أهل الحضرة ثم يقول اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله تبركا وتوسلا في قبول الكتاب وإجابة الاستغفار ورفع الحجاب فقد جاء «مامن دعاء إلا و بينه و بين السماء حجاب فاذا صلى على النبي انخرق الحجاب وإذا لم يصل على رجع الدعاء » فهى فى هذا المقام مطلوبة بغيرها ولذا اقتصر على لفظ سيدنا محمد دون وصف فلو كانت مرادة لنفسها لاستثمر ناثمرتها بزيادة وصفت على الاسم الشريف حتى يتم عدده المعلوم منها ولا يترك لفظة السيادة فان فيها سرا يظهر للازم هذه العبادة إذ الادب هنا مقدم على الامتثال كما سبق فى باب الادب ثم يقول لا إله إلا الله فقط على نحو الخارج من الكفر الداخل بها فى زمرة الاسلام بالشكر إذ المقصود فى هذا المقام مطلق التوحيد والصلاة المذكورة قبل قامت مقام تمام الشهادتين على المعنى المراد منها هنا وهو التبرئ والتلبس بالاتباع والاعانة على التوقى من واردات العقوبة فى هذا المقام والمراد بها فى مقام الايمان الاهتداء إلى حقائق المعتقدات والمراد بها فى مقام الاحسان الاهتداء إلى أسرار المشاهدة فلا حرج فى ترك ذكر الرسالة مع كلمة الاخلاص بهذا الورد فى سائر المقامات إذ الرسول هو القائد الشاهد الداعى إلى الملك الواحد والسالك متشبث بأذياله فى سائر أحواله. ومقدم له بين يدى مقالة . فكان الرسول والقدوة والسالك متحزبون على تصحيح توحيد السالك. وانقاذه من المهالك . بالاذكار الثلاثة فصارت فى حقه بمنزلة الذكر الواحد إذ لا قيام لاحدها بدون الآخر والصلاة عليه والاقرار بالسيادة أوفى من مجرد التلفظ بتمام التشهد فى الهيللة فذكرها قبلها خلف معطى التكلة . مع أنه قد وردت ألفاظ الهيللة خالية من لفظ الرسالة. ونعنى بمطلق التوحيد اللفظى التقليدى من غير نظير كما هو الواقع لحديث العهد بالدخول فى الاسلام فبدوام تصور الالقاء على هذه الصورة يقع التأثير ويشهد له حديث «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ،فاذا كانت اثنينية الابوين بمجرد الالقاء الحيالى على الفطنة والذكاء من الملقى اليه أثرت فى أصلية صفاء الفطرة حتى نقلتها لفرعية الخبث فتأثير جمعية ملقنى الحضرة من المقدمين والقدوة فى فرعية الخبث يردها إلى الصفاء الأصلى مع التبصر المدعى من الملقى اليه أحرى نعم اعتقاد الملقى اليه فى الملقى هو الشأن كالصبى مع أبويه فانه لا أحظى منهما لديه وما أصاب المريد من الحرمان فى ذلك فهو من عند نفسه وقابل التخيل هنا فى الالقاء بعدم الفطنة هنالك من الصبر والذكاء وهذا الالقاء المذكور هو الذى وصل به القول شيخنا رضى الله عنه لمريديه فتذكروا وبصرهم فتبصروا فصارت المقامات فى حقهم مجالس ﴿ كما قال صاحب الجواهر فى باب سيرة شيخنا رضى الله عنه ﴾ فمجالسه فى ذلك رياض مزهرة كل مجلس ومايتفق فيه بحسب حكم الوقت وما يفتحه الله له وعلى يديه من أرزاق الحاضرين فربما يقرر فى المجلس الواحد من ذلك أنواعا منوعة من معارف وأسرار . وتذكرة واعتبار . وحمل على شكر واصطبار . وسكون تحت مجارى الأقدار . وحمل على العمل وترك الأمل وترغيب وترهيب . وتقريب وتحبيب . وتبشير وتحذير كل ذلك يجري فى محفل واحد فيأخذ كل من الحاضرين نصيبه وينتفع به كل على قدر حاله وقد يغلب عليه فى المجلس الواحد نوع واحد منها فيبين لهم مراتب الدين ومقامات اليقين . ويريهم الطريق الموصلة اليها . والمقدمة المنتجة لها . فيظهر لهم التوبة وكيفيتها

وما يوصل اليها . والزهد وسببه والشكر والصبر وكيفيتهما وترك التدبير والاختيار مع الله ويبرهن على كل ذلك بما لا يجهله أحد ويبين مواقع كل ذلك بمايعلمه كل أحدحق يعلم كل ذلك علما ويحصل ذوقاوفهما ويباشر القلب يقيناوجزمافلايقوم جليسه من ذلك المجلس إلاوقد نقل كل ذلك أوجله عنه اه.

﴿ قلت ﴾ ولاغروفان كل كلام يبرز وعليه حلة القلب الذي برز منه ان صادف قابلا فاماجلبه الانواع الكثيرة بالمجلس الواحد فقدأتى على سنن سيرة موروثه ﷺ وتربيته أصحابه بالقرآن لان السورة الواحدة قدتنزل مشتملة على وعدووعيد وقصة ومثل وعبرة ونهى وأمر فيخبرهم بهاعلى نحوما أنزلت فيأخذ كل من الحاضرين ما قسم له منهاعلماوذوقاوهمامتلازمان يومئذ فمن مقل ومن مكثر لترادف أنوار طلعته ﷺ وتكامل وجهتهم لجهته ولم يحتاجوا لترتيب الأذكار ولا لتعيين المقامات على وجه الاعتبار لاتحاد المقصد الذى عليه بناء سيرهم وهو مشاهدة طلعته والتلقى من فيه فلامحل لمتابعة الهوى لتركهم أكبرها عندهم يومئذ وهو ترك العمل بمقتضى المعاصرة التى تنفى المناصرة * وأماجلبه النوع الواحد بالمجلس الواحد فانمايومىء به إلى وجه السلوك والتربية التى يحتاج إلى تمهيد مأخذه وتبيين منفذه بعد فقدان طلعته رضى الله عنه ومغيب مشافهته بان تجعل الاذكار مناسبة للاحوال اقتداء أيضا بموروثه سيد الوجود (صلعم) فى فعله ارشادا لامته بعد مغيب رؤيته وفقد صحابته فقدأشار (صلعم) إلى ذلك بقوله «ألا أخبركم بدائكم ودوائكم فداؤكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار. وقوله «سبحان الله» أو «ينقص الرطب إذا يبس » فاستعمل التنزيه فى حالة التغيير والتبديل حفظا للنفس من طوارق التشبيه وصونا لها من لحوق ركيك الاوهام . ومن هنا شرع التسبيح للساهى. وقوله «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد الراوى بيده ستين» ليرد وارد الجزع عن نفس قد تمكن فيها معنى التوحيد بنفى ماسوى الله تعالى فلا يجد الجزع إليها سبيلا. وقوله «الله أكبر خربت خيبر» معلما بتصغير ماورد عليه من أمر خيبر وتحقيره ليذهب على النفس عارض استكثار العدو ويتلاشى ماسوى الله تعالى فى جنب عظمته فيقوى جأش الجيش فى استقبال أمر العدو وأشار إلى ذلك بمشروعية الذكر فى أيام الاعياد نفيا للعلل الطارئة عليهم. فلا إله إلا الله نفى لعلة سكون النفس إلى البسط المشروع فى الاعياد والميل إلى متاع الدنيا. والله أكبر طرد لاستكثار النفس عدد الخلق عند بروزهم واستكبارها باظهار التجمل .وسبحان الله اخماد لعلة النفس فى انفعالها لما ظهر من الخلق من تحولهم من حال إلى حال . والحمد لله محو لعلة النفس فى نسيان المنعم بالمنعم لتقوم بحق المحسن المنان. ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم إخراج للنفس من علة الركون إلى تدبيرها فى تطريقها ثم جعل التكبير ثلاثا تأكيدا فى محو أغلب العلل فى ذلك اليوم فاتيانه ﷺ بالاذكار بحسب الأحوال صريح فى مراعاة اختلاف الأطوار فهو الطبيب الأعظم والنبى الأرحم ومن أمعن النظر فى جلبه رضى الله عنه ماجلب مماقدمناه وأجال الفكر فى اشتراطه رضى الله عنه المحافظة فى ورده على الصلوات فى أوقاتها فى الجماعة واستعماله الطمأنينة فى أركان الصلاة وجد ذلك الشرط وحده وافيا بالمراد من التربية لأبناء الحكمة بلبان الملاطفة لما علم ان الآتى بالصلاة على الوجه المحمود بحضور واصل لامحالة لحضرة ربه ومتحف بقربه وإياك ثم إياك أن تحاشي القدمين حالة ذكرك إلى الاستمداد من الشيخ فان ذلك هو الذى قعد بكثير من المريدين كما قدمنا فى الترجمة على سبيل الاستعارة فلله الحكمة البالغة فى وساطتهم بين القدوة والمريد الأدنى وربط البعض بالبعض من الأولى فالأولى إلى

ذلك الأعلى فسبحان من ربط الاسباب بالمسببات ﴿ولنكتف﴾ فى هذا المقام بمواطأة السمع لذكر اللسان حتى لايشذ السمع عما يقوله اللسان ولا يعجم بتلمح معنى الذكر قبل احكام المواطأة إذ طلب تلمح معناه ربما شغل السمع عما يقوله اللسان فيكون كل واحد منهما فى وادو القلب أعلق بوادى السمع ولاسيما لربط اللسان بالذكر ثم ان حصلت استقام تلمح القلب لمعنى الذكر بل قد يحل بديهة لموافقة الأخوين السمع واللسان على القلب إذ المقام مقام الظواهر والسرائر هنا طفيلية ولو كانت عين المطلوب آخرا ﴿ وبيان ذلك﴾ أن الذكر له لفظ ومعنى فاللفظ محله اللسان والمعني محله القلب والقلب مشغول بمعان أخر تأتى بها الحواس التى من أقواها السمع فاذا انحسمت مادة السمع بتوجهه إلى اللفظ ولم تبق الا هواجس القلب والبصر المشغول بصفة الاطراق وهيئة الخضوع والانكسار والاشفاق تفرغ القلب لملمح المعنى أحب أم كره مادام اللسان يذكر وارتسام لفظ الذكر فى الخيال من مبادى صلاح الأحوال فى هذا المقام ه وليحافظ على كف كافة الجوارح الظاهرة مما يقتضى تكذيبه لأنه جاء تائبا من كفران النعم واستقامتها هى مصداق توبته سيما اللسان والسمع أول شهود الإسلام كما سنبينه قريبا ممهدا قبل موقف التوبة من هذا المقام ولأن الجوارح كلها أصبحت تقول للسان اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا وليشكر نعمة من وفقه لحفظ مالم يحفظ تصديقا للزيادة بالشكر وليكن استفتاحه الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق الحمد لله الذي جعلنا مسلمين اللهم توفنا مسلمين لامبدلين ولامغيرين برحمتك ياأرحم الراحمين ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم رب اغفرلى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرا جزى الله عنا سيدنا محمدا صلعم ماهو أهله اللهم اجزعنا شيخنا وسيدنا أبا العباس أحمد التجانى أفضل ماجزيت به شيخا عن مريديه واجزعنا مقدميه وجميع أشياخنا وإخواننا خيرا اللهم أرضهم وارض عنا بجاههم عندك رضا لاسخط بعده انتهى وليعين من تقلد منته من المقدمين مااستطاع ويذكرهم فردا فردا حتى يبلغ الشيخ رضى الله تعالى عنه . ثم إن كان الملقن لقن لاعن الشيخ أومقدميه فقد أضرا بأنفسهما والافقد أصابا ثم ان لقن وترك ولم يعن فى كيفية السلوك فهذا له على ملقنه بالفتح حق أخوة الشيخ فقط وان لقن وأعان وكانت عينه من ورائه فهذا له عليه ما للشيخ من الحرمة » ثم ان الاوراد تؤخذ والمراد الانخراط فى سلوك ملقنها وتؤخذ لصفاء القلب . فأما المريد الأول فمقصده الأجر والتحصن وعليه اعتقاد حرمة الشيخ والسلامة من اضمار قادح يقدح فيه وإحكام الالفاظ ومبانيها على نحو مالقن والمحافظة على ذلك كمية وكيفية ومقامه العموم وجزاؤه الجنة . وأما المريد الثانى فمقصده المعرفة وعليه زيادة على ماعلى الأول تلمح معانى الالفاظ واستحضار القاء المقدم وشيخه الاقدم ونبيه الاكرم ويتقيد حتى يكون بحيث لايتحرك حركة إلا برأى منهم تخيلا أولا وتحققا آخرا أولا يأتيه مدد إلا ويعتقد أنه إنما ناله على أيديهم فهذا مقامه الخصوص ومناله المعرفة وجزاؤه الرؤية فإن الرؤية فى الآخرة بحسب المعرفة فى الدنيا فمن وفى وفى نقص الكيل وبخسه ومن نكث فلايلو من الانفسه ثم هو مطالب بشغل الفكر لتلمح معنى الذكر فيما بين ورديه تعمير بدون لفظ وهكذا حتى يكون المعنى يأتى بادنى سبب حين الذكر فالتلمح من مبادى ذكر القلب ﴿قال الساحلى﴾ رحمه الله تعالى فاقرب وسائل الذكر ذكر اللسان أولا ثم ذكر القلب ثانيا ثم ذكر الروح ثالثا وذلك أن صاحب البداية إذا أراد لفظ الذكر على لسانه وتابعه الفكر بتدبر معناه المرة بعد المرة انطبع مقتضى ذلك المعنى فى النفس فلا هاذلك المقتضى بما

تضمنه من الصفات الحميدة وانتفى عنها مايغايرها من الصفات الذميمة وبحسب الدءوب والمداومة على الذكر
كما ذكر يكون استحكام اتصاف النفس بما يقتضى الذكر من الصفات حتى يصير ذلك لها طبعا يصعب عليها
العدول عنه فذكر اللسان يحرك الفكر لتهبر معناه وتدبر معناه يحرك النفس للاتصاف بمقتضاه واتصافها
بمقتضاه يؤذن بطهارتها وتصفيتها وطهارتها وتصفيتها سبب للورود على عين الحقائق ومطالعة الاسرار
مشاهدة حتى يفنى مالم يكن ويبقى مالم يزل وتبدو لوائح معرفة النفس بالله تعالى وهو القطب الذى عليه
مدار أفلاك جميع الوسائل القرآنية وغيرها وهى أقصى أمد السالكين فكان الأولى بأهل البداية دوران
أقرب الوسائل على ألسنتهم مداومة بالتكرار ليسرع التأثير فى قيام حقيقة الذكر بالنفس لأن النفس مالم
تشرب من بحبوحة الخلاص ولا شربت من عين الصفاء ولا تطهرت من جميع الكدورات فانها بما خامرها
من الأوهام داخلها ومن الأسقام لا تجيب داعى وسائل الذكر لاول وهلة لتوالى خطرات الاهوية عليها فإذا
أردنا خلاص النفس من عللها وطهارتها من أوهامها بالطريقة الذوقية والتربية الحكمية فالعمل فى ذلك
أن ينظر الأهم فالاهم من علل النفس ثم ينظر أخص وسائل الذكر فيؤمر بالمداومة عليه نطقا باللسان
وتدبر المعناه بالفكر فلا يزال كذلك حتى يقوم معنى ذلك بالنفس ويرسخ فيها رسوخا ثابتا بحيث
لايمكن معه ورود تلك العلة على النفس أصلا ثم كذلك فى سائر علل النفس يسلط على كل نوع منها
مايختص بذلك معناه بذهابه من أنواع الذكر حتى يعود مكان أنس النفس بما قد أذهب الذكر عنها من
عللها وحشة ومكان القبول نفرة اهـ وعللها كما علمت ناشئة عن مخالفتها أمر خالقها ظاهرها وباطنها
لانها كانت فى غاية الصفاء قبل التاوبث بذلك الجفاء (وفى شرح الخاتمة لليدالى مانصه) فائدة قال المناوى
فى شرح الحكم لايصح زوال ما كان جبليا فى النشأة وإنما التبديو فى العمل بصفاته الردية ولذا قال تعالى
ومن يوق شح نفسه ولم يقل ومن يزل شحه ولهذا عين الشارع للصفات مصارف فقال لاحسد الافى اثنتين
فحث على الحسد الذى هو غبطة أهل الخير لا على تمنى زوال النعمة ونهى عن التبختر فى المشى وأباحه
فى الحرب لقهر العدو وقس عليه فان مافى أصل النشأة محال أن يزول الا بانعدام الذات اولا (وقال زاوق)
وماجبلت عليه النفوس لايصح انتفاؤه عنها بل ضعفه وقوته فيه وتحويله عن مقصد لغيره كالطمع
لتعلق القلب بما عند الله تعالى توكلا عليه ورجاء فيه والحرص على الدار الآخرة بدلا من الدنيا والبخل
فيما حرم ومنع والكبر على مستحقه ولرفع الهمة على المخلوقين حتى يتلاشى فى همته جميع المقدورات فضلا
عن المخلوقات والحسد للغبطة والغضب لله حيث أمر به والحقد على من لا نسبة له من الله حسب اعراضه والتعزز
على الدنيا وأهلها والانتصار للحق عند تعينه إلى غير ذلك إلى أن قال وفائدة التدقيق فى الاحوال معرفة
المرء بنفسه وتواضعه لربه ورؤية قصوره وتقصيره وإلا فليس فى قوة البشر التبرى من كل عيب بازالته
إذ لو أنك لاتصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا فليبدأ أولا بمراعاة الظواهر حتى
إذا أحكمها قام لمراعاة وظائف السرائر شكر النعم المنعم فهو حقيق بأن يطاع فلا يعصى وأن يشكر فلا يكفر
فاول مايدعى إليه التوبة من كفران الانعام بتشريعات الاسلام ومن عدم شكران ماوصل إليه من حاسة
السمع الموصلة إلى القلب مابه استنهض حاسة الكلام للاقرار والاخبار عن القلب بما استقر به الاسلام
من حسن القرار ثم إذا أحكم التوبة شرع فى توفية مقام الاسلام إذ الاسلام لا يتم إلا بالجوارح السبعة وهو
الآن لم يستعمل غير السمع واللسان اللذين شهدا على الاسلام مع بقايا بقيت عليهما من وظائفه لم يأتيا بها

بعد وذلك فى التمثيل ان الشارع رسول الملك الاعلى وخليفته فى الارض دعا القلب ملك الجسم بواسطة السمع إلى شكر نعمة الايجاد والانعام وأن الدين عند الله الاسلام والقلب من وراء ستور الاجسام فخرج إليه السمع وقال له ان القلب قد أجابك فقال له الشارع لا أصدقه حتى يأتى بشاهدين على ذلك إذ لا بد فى الحكم من شاهدين ثم لا أمل من زيادة الشهود حتى تبلغ عددا يستحيل تواطؤهم على الكذب ولعل ذلك هو مستند القائل بذلك العدد فى حد الاستفاضة فدخل السمع على القلب فاخبره فاستنهض القلب إلى الشارع اللسان معه شاهدا آخر فخرج إلى الشارع بدفوفه فى مشهد من مخارج حروفه فقال عند استواء صفوفه هذا الذى جاءك به السمع هو صادر عن القلب ولولا أنه فى حجب الغيب لخرج اليك حتى يزيل خاطر الريب وكان السمع واللسان من رعية القلب فى خمسة سواهما وهما أهل الوزارة الحقيقية المعتمد عليهما فى الخبر لان السمع مبلغ له والآخر مبلغ عنه وغيرها هواجس كالبارق فقال الشارع الآن حصلنا على حصول الاسلام وشكر الانعام ثم لا نزال نترقب خيانة تصدر لنا من رعيته وجواسيسه إذ بصلاح الراعى تصلح الرعية فهو قبل اقامة هذين مدع وبهذين الشاهدين صار مقيما وما كل مقيم مستقيم ولا بد من كل منهما كما أنه ما كل منعم عليه بشاكر وما كل شاكر شكره على سنن القصد ليكون على بصيرة من أمره فى القبول والرد «فبهذا المعنى» تعلم أن جعل الشارع قول لا إله إلا الله ترجمة على ما فى القلب من الاسلام ليس بأمر سهل فلم يعتبره حتى ضرب عليه الدم ووقع الزلزال والرجف فاحتيج إلى معنى التوبة أولا ثم إلى الاستقامة ثم إلى التقوى وهى مواقف مقام الاسلام الثلاثة فسميناها مواقف تفاؤلا لسرعة قطعها إلى ما وراءها فالاولتان مقدمتان للاخيرة وهى نتيجتهما «فنقول» وبالله حصول المأمول «الموقف الاول» من مواقف مقام الاسلام التوبة وهى هنا الرجوع من كفران النعم بالمخالفات بشكرها بالطاعات وهى على ثلاثة أقسام توبة من تضييع الواجبات بفعلها وتوبة من التلبس بالمحرمات بتركها وتوبة من تحمل المظالم بردها شكر الان شرع له ما يتقرب به لحضرة ربه وهو لاغنى له عنها ولا بد له منها إذ لولا التشريع لما اهتدى لربه سبيلا. ولو استعان بمن فى الارض قبيلا . ولكان كمن يشم روائح الاطعمة وهو محتاج إليها ولا يدرى أين هى ويظهر ان تصفى أن احتياج العبد لشرائع الاسلام أشد من احتياجه إلى الطعام فكان بها على بصيرة من أمره فيما يتداول للادواء من الادوية وفيما يرده من الافناء والاودية فاول التوبة انتباه القلب من رقدة الغفلة ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة ويصل لى هذه الجملة بالتوفيق والاصغاء إلى ما يخطر بباله من زواجر الحق سبحانه يسمع قلبه ففى الخبر واعظ الله فى قلب كل مسلم فاذا فكر المرء فى صنيعه. وأبصر ما هو عليه من قبيح الفعل وشنيعه. من مقابلة الاحسان بالاساءة وتودد مولاه اليه بالنعم مع غنى مولاه عنه وتبغضه إلى مولاه بالمعاصى مع فقره اليه سنحت فى قلبه ارادة التوبة والاقلاع عن قبيح المعاملة فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والاخذ فى جميل الرجعى والتأهب «وللتوبة أربعة شروط» الاقلاع والندم والعزم على أن لا يعود وقصد معاملة الحى القيوم بتعظيمه وخوف كفران نعمه بمخالفة أمره وهذا هو قلب سائر الشروط وعليه مدارها «ولها أربعة آداب. أولها» ترك الاصحاب الذين ألفهم على العصيان والتقصير وترك من يتوسم فيه الشر إذ الطبع يسرق الطبع والمرء على دين خليله ولا يتم له ذلك إلا بالمواظبة على الذكرى التى تزيده رغبة فى التوبة وتوافر دواعيه على إتمام ما عزم عليه بما يقوى خوفه ورجاءه فعند ذلك تنحل من قلبه عقدة الاصرار على ما هو عليه من قبيح الافعال ويفارق الزلة فى الحال . ويبرم العزيمة على عدم العودة فى الاستقبال . ثم لا يكون أسرع إلى المعصية منه

إلى المتاب وماتخلله . فان التائب من الذنب كمن لاذنب له . وثانيها مواصلة أهل الخير ومؤالفتهم فالوحدة خير من جليس السوء . وثالثها اجتناب مواضع اللهو والهوى فان النفس تنبعث بذلك إلى الشهوات . ورابعها عدم ذكره شيئا من لذاته التي خلت إلا على وجه التوبيخ عليه واستقباحه ليسكن شره النفس فالخاص بهذا الموقف من الاذكار الاستغفار لخبر «الا أخبركم بدائكم ودوائكم فداؤكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار وأما غيره من الصلاة عليه (صلعم) فللتبرك والتوسل فى قبول المتاب وهى هنا خالية من الاوصاف وكلمة الاخلاص لتحقيق التوبة كأنه يقول لايغفر الذنوب إلا الله وتوحيد هذا الموقف التقليدى كما قدمنا» ومن آداب الذكر الغير المشروطة فى لازم الطريقة) خلو البطن متوسطا والاعتزال وقت الذكر عن الناس بمكان خال عن الشواغل لما فى ذلك من تهيئة الفكر للاقبال على معنى الذكر ومدافعة الخواطر المغايرة لمعنى الذكر فهى وان لم تذهب عنه بالجملة فتذهب شيئا فشيئا حتى لايبقى لها أثر ومواطأة السمع للسان هى المقصود الاهم إذ بها يرتسم لفظ الذكر فى القلب فيكون سببا لتخصيص النفس وتطهيرها واستحضار صورة القدوة فيما يلقى إليه كما تقدم فاستحضاره ومتابعته فيما يلى هو المطلوب الاعظم لما فيه من سر الاتباع وهو القصد الذى يجعله بين يديه وذلك أيسر من تلمح معنى المتلو وانفع ولاسيما مادام التالى فى قيد الظواهر فالمقاصد هى أرواح الاعمال ولا يستقيم عمل لاروح له والقصد هو ماتحصل به القاعدة التى عليها بناء الذكر يدل بمعناه على مايراد من الذكر وتختلف المقاصد باختلاف الاذكار وهو فى مواقف الاسلام الثلاثة المعاهدة على ترك المخالفة والمتابعة والتحرز من واردات العقوبة بالقاء الزمام . بيد القدوة والامام . القائد لحضرة الملك العلام بتوقيع مشاهدة الانعام . والاعلام بأن أعظمه نعمة الاسلام . فيكون كما خطر الملقن المستحضر بباله مصحبه المعنى المراد له الملقن ولايجاوز نظره محل جلوسه مطرقا على هيئة تقتضى الذلة والانكسار لان ذلك فى حقه أشد وطئا وأقوم قيلا تاركا الافعال الكثيرة بتحريك الحواس إذ الفكر يتشعب بحسب تشعب الشواغل الواردة عليه من قبل جوارح الاحساس وثمرة الاستغفار الخوف من عقاب الله لاجل مخالفته أو الشوق إلى حضرة الله يفرح الله بتوبته فلابد للسالك من تعاهد أحواله فى ذكر موقفه فان كان قد انتهض منه نفذ إلى الموقف الذى يليه وإلا بقى فيه ولو طول عمره ويعرف ذلك بالثمرات إذ لكل ذكر قدمناه ثمرة وعلامة معتبرة ثم الثمرات تختلف على قدر أرزاق السالكين تسقى بماء واحد ويفضل الله بعضها على بعض فى الأكل إذ هى دائرة على أصول ثابتة لاتختلف عند المحققين فلا يرقى سالك من ذكر إلى آخر حتى تظهر عليه ثمرته المختصة به فاذا ظهرت عليه فى موقف التوبة مثلا شواهد تمكن استبشاع مقابلة الاحسان بالاساءة والحياء من مواصلة الزيادة بذكر الاستغفار من كفران النعم ومقابلتها بالمخالفة وتاقت نفسه إلى قضاء شكر فائتها والتأهب لمستقبلها فقد نفذ وإلا فلا ثم لاينبغى للسالك ان يسأم من طول مقامه فى الذكر الواحد فان الذاكر بخير على كل حال وهل هو إلا من جملة الذاكرين الله كثيرا الذين مدحهم الله فى محكم تنزيله فليشكر الله على هدايته إلى التبصر بانقاذ مهجته ولينظر إلى من هو أسوأ حالا منه عند شامته يرضى بحاله والى من هو فوقه عند انحلال عزمه وليكن ذلك بباله وليكن لربه خير منتظر . فالدنيا كلها منتظر فان من أعطى الشجرة يعطى الثمرة ومن يسر الذكر يستعمل الفكر . وقد كان شيخنا رضى الله عنه وارضاه يقول همة الانسان . قاهرة لجميع الاكوان . متى تعلقت بمطلوب وسعت فى ذلك المطلوب على الجادة المستقيمة بحيث لاينالها فى طلبها سآمة ولارجوع عن المطلوب

ولايصعب عليها صعوبة طلبه ولاينالها شك ولاتردد بل باعتقاد جازم أن تناله أو تموت فى طلبه اتصلت بمطلوبها ولوكان وراء العرش انتهى. ويقال الذكر منشور الولاية ومنار الوصلة فمن أعطي الذكر فقد أعطى المنشور يريد جلوسه على بساط الولاية والله تعالى يقول فى حديث قدسى أنا جليس من ذكرنى كناية عن القرب فأى شىء أفضل من قرب الله تعالى ولله در ابن عطاء الله حيث يقول «اكرمك كرامات ثلاثة جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به إذحقق نسبته لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك» يشير رحمه الله بذلك إلى ماخصك به من اجراء ذكره على لسانك وهو لايليق بك من حيث أنت لاتقدر على تحصيله لنفسك ومن أنت حتى تكون محلا لذكره وموضعا لتوفيقه وبره فهذه كرامة ذكرك له وهى غاية الاكرام ونهاية الفضل والانعام وكرامة جعلك مذكورا به عند الخلق فيقال هو ربك وأنت عبده أو وليا أو صفيه وهو الآمر وأنت المأمور وأنت الذاكر وهو المذكور من حيث إكرامه لك بالخصوصية التى هى النسبة لديه وكرامة جعلك مذكورا عنده فى الملأ الأعلى ولو لم يكن له غير هذا لكفاه وأغناه فلايضيق السالك ذرعا بتأخر أمد العطاء وليجد فان من جد وجد ونتيجة هذه الثمرة توجع الباطن لفوات الخير ثم المحاسبة على فواته ثم الاشفاق ثم الحذر من الوقوع فى موجب الهلاك ثم الهرب منه فعلا ثم الرجوع الى صلاح الحال ثم المبادرة إلى الخلاص ثم المحافظة على ذلك ثم الرفق بأهل الاسلام ثم عقد التوبة بروابط الإنابة ثم الوفاء بما عاهد عليه من ترك المخالفة. والفرق بين الاشفاق والحذر أن الاشفاق لايفارقه الترجيح فاذا اتصفت النفس بهذه الصفات نفت القسوة ثم الانهماك فى الشهوات ثم الاخلاد الى التضييع ثم الاسترسال المؤدى الى الوبال ثم التثبيط مع الشهوات والتلبس بالمحرمات والركون الى اللذات ثم التفريط فى الواجبات ثم الاعراض عن الاجابة بتصامم الغفلة ثم البطالة فى الأعمال والشتات فى الأحوال والهذر فى الأقوال ثم طوارق العدوان باطفاء شرر الشره ثم التردد بأوهام الهوى مع قلق الطباع ثم الميل إلى الشهوات، وعلامة حصول هذه النتيجة توقع الغبن يوم التغابن لمافاته من الغنيمة بصرفه مدة المخالفة من عمره فيما لاسبيل لرده فيورثه الفرار فيما يستقبل مما يوجب العودة إلى انفصام تلك العروة والانتهاض لأداء الحقوق الحقية والخلقية من غير توان والفرق من الموت قبل استدراك الفيئة والمواطبة على مايمسك عليه هذا الحال فيورثه ذلك الزهد فى الدنيا والتشاؤم بسوء عاقبتها والرغبة فى الآخرة والتصديق بالوعد حتى يكون كأنه هو المراد بجميع المواعيد وجميع التوبيخات فى نقض العهود فيرى التقصير لازما والتضييع ثابتا واعلم أن من لازم صاحب هذا الموقف أن لايفارق حفظ أحواله واقامة حدوده والمحافظة على الصلوات الخمس لاوقاتها المختارة مؤداة بأحسن أحوالها من التؤدة فى أركانها واحضار الفكر لتدبر القراءة والاذكار فيها مبادرا إلى الجماعة عند النداء ولايترك الرواتب وليحسن الطهارة لها وان كان عليه قضاء فوائت اقتصر على الشفع والوتر وركعتى الفجر وليجعل مكان سائر نوافله قضاء الفوائت وليحافظ ذو المال على الزكاة وذو الأبوين على برهما والتماس رضاهما وعلى صلة رحمه ولو بالزيارة أو بالسلام وذو البيع والشراء على براءة ذمته من التبعات فى ذلك فليؤد الاقامة وليؤت كل ذى حق حقه ولايحقد على مسلم ولاينطو على مكر وخديعة وليحفظ جوارحه وليقيدها بقيد الشرع وذو القرآن على وظيفته من تلاوته وليجعل لنفسه حظا من صيام التطوع ليكسر شره النفس وأقله ثلاثة من كل شهر وليتعلم مالا بدله من تعلمه فيما يفعله من حين يصبح الى حين يمسي وليكن كلما مال فكره الى شىء مما يخالف التوبة زجره وردها الى حضرتها حتى يداخله الحضور شيئا فشيئا

فينعكس عنده الأمر فتأنس النفس بالحضور فى الذكر فان أدام هذا فلاتزال حاله فى صلاح حتى يبلغ الغاية وان هو أرخى لنفسه زمامها فى خطراتها أثناء ذكره فلايفارقه الذهول أبدا فالخراب يتصل بالخراب والعمارة بالعمارة حتى إذا حصل على مواطأة السمع واللسان وتعوده. واستحضر الشيخ وتودده باستغراق تصوره واستشعار تخلصه من مفارقة السمع للسان واستنفر القلب من الكفران بنعمة لإسلام. ونعمة حاستى السمع والكلام. وعطفته عواطف الامتنان بنسيم رياض النوم على شكر مافات من النعم. وعلى مقابلتها بنقيض ماأمر به المنعم. بماأنعم من الفضل والكرم. وطرحته رياح الحياة بفضاء الشناء. وانبعث باعث الرجاء. بصدق الوعد مكان داعى الإساءة والجفاء وقويت مادة الجد. بسلوك جادة الشوق طاويا مسافة البعد. اذ بالشوق ينبرم عقد العزم ويرتص أساسه. ويشد صرح العلم ويظهر قياسه وقوبل الافراط بالافراط والاعتدال بالاعتدال فى الانخراط. شرع فى الاستقامة فيحتاج الى معرفة معناه. فنقول وبالله حصول المأمول.

﴿ الموقف الثانى من مواقف مقام اسلام الاستقامة ﴾

وهى على قسمين استقامة خاصة وهى استقامة السر فى نهج المشاهدة من غير التفات لغير الله تعالى محفوظا عن رؤية الرسوم مطهرا من شوائب الأوهام مغمورا فى أسرار بحار الحقائق وليست هى المقصودة هنا. واستقامة عامة وهى اعتدال السير على نهج السنة من غير تحريف واستواء السلوك على سبيل الشرع من غير تبديل ولا تغيير: قائما بوظيفة شكر نعمتى الايجاد والامداد وقدمت فى هذا المقام ليرسخ فى نفس السالك معنى الاتباع بالمحافظة على السنة فيكون ذلك واقياله عند ورود حقائق النهايات عليه من الغرق فى لجج التعطيل عند ركوب بحار التحقيق وهى حافظة من الزيغ هداية إلى الصراط المستقيم وبها يسهل السير ويقرب القصد فمن لم يعمل عن السنة فقد استقام فلامطمع فى الترقى إلى منازل التخصيص الابها ومن حرمها ضاع عمره وخاب سعيه. ولها ظاهر وباطن فالظاهر تحلية الجوارح بحلية السنة وتعديلها بقانون الشرع وتهذيبها بآدابه وطهارتها من جميع المخالفات والعصيان إذلا استقامة لمخالف. وأما الباطن فتحليته بأخلاق الشرع وتهذيبه بآداب السنة واستقامة الباطن أصل فى استقامة الظاهر لأن الباطن هو المنفق على الظاهر المشير عليه والظاهر خديم الباطن عن رأيه يتحرك وعن اشارته يسكن وان كان قد يصل إلى الباطن من استقامة الظاهر أنوار تقوى مادة عزمه وتبرم عقدانتهاضه ولها خمسة شروط الأول مواصلة أهل السنة ومجانبة أهل البدعة. الثانى تعلم العلم النافع الهادى الى وظائف الشرع والداعى إلى احكام السنة الثالث تسليم النظر للشارع عليه السلام فى جميع ماصدر عنه من قول أوفعل بحسن ظن وصدق طوية وانشراح صدر من غير تأويل صاد عن السبيل وليس للعقل نظر دون الشرع فان أمور الشريعة ووظائف السنة منوطة بنسب بينها وبين سعادة الآخرة وشقاوتها منها مافتح الله تعالى للعقل فى إدراكها ومنها ماحجبه عنه ولم يجعل له سبيلا إلى العثور عليه الا بأخبار من الشارع صلعم فيما أخبر عنه فتحقيق العبودية الاجابة بالسمع والطاعة لله سبحانه ولرسوله من غير بحث ولا نظر فى وجه الارتباط والتناسب. فحسب السالك أن يتلقى أحكام الله تعالى الواصلة اليه على لسان رسوله ﷺ بالقبول ويقول سمعت واطعت ويلقى زمام تعبده بيد الشارع. الرابع استعمال آثار السنة من قول أوفعل أو مقصد باعتدال من غير تعمق ولاميل مع أوهام الوسواس لإخراج ذلك للعبادة عن مقصدها الشرعى ولا يصدر ذلك غالبا إلا من خبال فى العقل أوجهالة فادحة بأحوال السنة يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ودين الله يسر. الخامس بناء كل حركة أوسكون من أمور السنة على قاعدة قصد القربة وحسن المعاملة لله تعالى

فإن الأشياء التي تكون خالية عن قصد القربة والمعاملة لا أثر لها في تنوير الباطن.. وآدابها خمسة {الأول} متابعة النبي (صلعم) في جميع ماورد عنه من الأقوال والأفعال والحركات والسكنات مما يرجع لعبادة أو عادة إذ يبعد أن يكون فعل من أفعاله أو قول من أقواله أو حال من أحواله عن الاعبودية فيه كيف وهو رأس أهل المراقبة وإمام أهل المعرفة فحق السالك أن لا يتساهل في ذلك حتى يقول ما يرجع إلى العادات لا معنى للاتباع فيه فالميل عن اتباعه فيما قل أو جل لا يخلو عن خسران ، الثاني الأخذ بالاعم فالاعم من أقواله وأفعاله (صلعم) فهو الأحوط وإن كان الأخص أصح لاسيما فيما يرجع إلى الترغيب والترهيب. الثالث أن يقصد بالمتابعة تعديل حركات نفسه وسكناتها حتى تنفعل النفس لذلك التعديل فتتصف به . والعدل وضع الأشياء في مواضعها من غير تحريف ولا يتوصل اليه إلا بالمتابعة . الرابع أن يبني المتابعة على أن يضبط نفسه بضابط شرعي يقمعها عن هواها المخرج لها عن طريق الشكر ويربطها بروابط الاقتداء به (صلعم) ويخرجها عن أنظارها وعن ارخاء رسنها بيدها الذي تغلب عليها به الصفة البهيمية ويلجمها بلجام الاتباع مقيدة بقيد الاقتداء. فكل فعل بغير اقتداء وإن كان طاعة فهو عيش للنفس بهواها وما كان بالاقتداء فهو قيد لها . فمن الاتباع ما يحمل على تركه الكفر والزندقة كالفرائض . ومنه ما يحمل على تركه ضعف في الايمان كالسنن. ومنه ما يحمل على تركه العجز والكسل كالرغائب. ومنه ما يحمل على تركه ضعف الفطنة وعمى البصيرة عن تلمح البركات كعوائد المباحة والاتباع المطلق يكر على جميع ذلك بالقيام والاقتداء . الخامس مدافعة الخواطر العارضة عند التلبس بالاتباع بأن يمضي على قصده ويلاقي جميع الاوهام فالحزم أن لا يعدل عن كل شيء مما يريد الاتباع فيه إلا بنص جلي لا معارض له فالمحبة الصادقة تكون بالاتباع في كل حال حتى لا تنحل عروة من عرى الاتباع في حالة من الاحوال فمقصد هذا الموقف المتابعة على يد القدرة كما تقدم وذكره الا كيد المستعمل حينئذ الصلاة على النبي (صلعم) للمناسبة التي بينها وبين حال طالب اتباع السنة والموافقة التي يقتضيها اقتفاء آثار الشرع فإن الله تعالى أوجب علينا محبته واتباعه والمحبة بحسب ذكر المحبوب من الاقلال والاكثار والغيبة والحضور وبحسب المحبة يكون الاتباع. وأما غير الصلاة من الاستغفار فيه والتهليل فلا يسام طلو بين لذاتهما فالاستغفار من الصغائر ومن بقايا جراحات الكبائر والتهليل لحفظ التوحيد النظري الذي أنتجته الاستقامة فالصلاة عليه خصوصية في تنوير الباطن إذ بمجردها يحصل نور يشرق أرجاء الباطن فتذهب الظلم باشراق ذلك النور فيهتدي للقيام باتباع النبي (صلعم) لما كان عنه غائبا قبل ذلك والسالك طالب طريق النجاة وسبيل المعرفة بالله تعالى ولا مطمع في ذلك إلا بدليل ولا دليل كرسول الله (صلعم) فلابد من التمسك بركابه والتعلق بجنابه فلهذا طلبت الصلاة في كل مقام ومع كل حال فلا مطمع في كمال اتباعه لمن قصر في محبته كما لا يطمع في كمال محبته من قصر في ذكره فمحبته (صلعم) تتأكد من وجوه أعظمها محبة الله تعالى إياه وشكر النعم التي وصلت الينا على يده من الايجاد والامداد وتعارف الأرواح بروحه (صلعم) فإن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتنا كر منها اختلف وتعارف الأرواح لا يكون إلا بإخلاص المحبة له وذلك لا يكون إلا بالادمان على ذكره والاكثار من الصلاة عليه وفي الاتصال بروحه (صلعم) من الأسرار ما لا يدرك بغير ذلك لأن مقامه أرفع المقامات والمتعلق به يظفر بكل مطلوب ويصل إلى كل مرغوب فالانوار الفائضة عليه (صلعم) والمستفيضة لا تنقطع أبدا فينبغي للمريد أن يستجلبها إليه من الحبيب الحريص عليه أبدا سرمد الافتقار .

إلى رفع ظلماته باستجلاء صورة الحبيب واستحضاره (صلعم) فى صلاته واذكاره ومهما خرج عن هذا العارض عاد إليه حتى يستصحب ذلك ويستمر حالة لازمة وهجيرى ملازمة ولو فى أغلب أحواله لكثرة الموانع * وبالجملة فليست الصلاة فى هذه الطريقة إلا مصباحا يهتدى به ونورا يستبصر بسببه ﴿ومثال ذلك﴾ بيت فيه أنواع من الذخائر والاعلاق والفوائد النفيسة وله باب يدخل إليه ومنه يصل الضوء إلى من أراد الوفود عليه لينال من ذخائره واعلاقه وفى البيت حيات وعقارب وله مفتاح فمن تحيل ودخل البيت من غير بابه حتى دخل إلى عرصاته ورحابه ليصيب من تلك الذخائر والفوائد . والاعلاق والموائد . ولم يقع بصره على شىء لانسداد الباب وظلمة الرحاب وإن كان له عثور على ما أراد من تلك الذخائر فبالحس وربما وقعت يده على عقرب أو حية فلدغته فأهلكته قبل العثور على المطلوب والظفر بالمرغوب ومن عمد إلى المفتاح فاستصحبه وذهب إلى ما أراد مذهبه فتح الباب ودخل الرحاب وأبصر بضوء الباب ما فيهما من العجب العجاب فأخذ ما أراد وتجنب تلك الحيات والعقارب والآفات والمصائب فسلم منها ونال بغيته فالبيت القلب والاعلاق ما أودع من أسرار الحقائق والعقارب والحيات هى العلل الطارئة على القلب والآفات الداعية إلى الفتن المورطة فى الاهواء والمحن والباب اتباع النبى المصطفى (صلعم) والمفتاح الصلاة عليه (صلعم) بلا تقصير ولا جفاء فمن أعمر قلبه بالصلاة على الحبيب أطلعته أنوارها على أسرار الغيب وأبصر ما انطوى عليه الكون من الآفات وأنواع الغرور والمخالفات ومن دخل البيت من غير بابه * أفضى به ذلك إلى غضب الله وعذابه . نسأل الله السلامة من الآفات والأمن من الشرور والمخالفات . إنه ولى العفو والمعافاة . فلا يزال صاحب هذا الموقف يصلى عليه حتى تظهر ثمراتها عليه . وتلوح أسرارها ولابد فى كل حال من استغفار إذ لا تعرو حالة عن سببه . ففى مواقف التوبة من الكبائر وأما هنا فمن الصغائر كالجراحات كما تقدم وفيما يأتى من المواقف فمن الغفلات والخطرات واللحظات أو للتقصير فى سبب الارتقاء فى درجات معارف الولايات فليبدأ أولا بذكر الاستغفار ثم ليتبعه الصلاة ثم الهيللة بعد بناء على مقدماته وألفاظه التى خلت فى موقف التوبة وتنوعات الاذكار بتنوعات العلل فى كل مقام وموقف وهذه الطريقة سدد الله أهلها . ورضى عن مرشدها وممليها . جل تنوعات أذكارها باسماء النبي (صلعم) وألفاظ الصلوات عليه كما ستقف عليه إن شاء الله ﴿فالشيخ﴾ رضى الله عنه وأرضاه سداها المحض الوصول إلى الحضرة فهى فى الجملة موصلة إلى الحضرة فما لم يف به لازم الطريقة وجد فى الوظيفة وما لم يوجد فيها وجد فى الأدعية وما لم يوجد فى الجميع أتت به سيرته رضى الله عنه فليتخلق المريد بأخلاقه . يجد من إنفاقه وارفاقه . فلن يعدو السالك منها المناسب لعلله والمنظف لحلله . وإنما كان التنويع باسمائه (صلعم) وصفاته لبروزها أنوارا من حضرة الاختصاص وأسرع الكيفيات فتحا ما كان بكاف الخطاب أو تائه أو ياء النداء فإن ذلك يحرك دواعى الإجابة لداعى الافتقار الذى يسلك طريق العبادة . ولتماهد معنى الذكرين ورديه أقوى تأثير ولا يقطع موقف التوبة حتى يتمكن من صورة القدوة لدوام تصوره فإذا دخل هذا الموقف تفرغ للتصور الذات الكريمة معه جالسة بين يديه عليها جلباب من نور ممدة له مستبطنا وصفها الاجمالى كما قال واصفه ﷺ ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ سائلا منهما انقاذ مهجته وإسكان روعته مجتهدا فى صرف باله وفكره إلى مقعده الذى هو تصور قدوته ونبيه تائبا على يديهما مستقيما شكرا لله على نعمة الاسلام . وما أوصلها اليه من السمع والكلام . وعلى استقامة جوارحه فى ترك الآثام .

ملتمحامى ماجاءعنوامن معانى ذكره إذالمعنى داخلة باحكام المواطاةأولا ولوكان المقام مازال مقام الظواهر
لماعلم من كون الألفاظ قوالب المعانى والسر فى المعانى لا فى القوالب وحرام ورود الأسرار على قلب غافل عن
تدبر المعانى فلا يزال كذلك حتى يتيسر له تصور ظاهر الصورة الكريمة بكونه ﷺ أزهر اللون عظيم الهامة
ربعة القدر جل الشعر إذا فرقه انفرق وإلا فلا يجاوز شحمة أذنه إذا هو وفره واسع الصدر دقيق الشعر الواصل
منه إلى السرة كالخيط واسع شق العينين شديد سوادهما وبياضهما مشربا بحمرة مستور عظام الوجه باللحم
واسع الجبين مقوس الحاجبين مع طول وامتداد بدقة فى طرفيهما وشعرهما غير مقرون بينهما عرق يبدوه
الغضب ﷺ طويل الأنف مع ارتفاع يسير فى وسطه ودقة فى أرنبته له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله
أنه مرتفع الوسط لتلألئه كث اللحية سهل الخدين أى غير مرتفع الوجنة ضليع الفم واسع شقه بحسن لما
يترتب على ذلك من الفصاحة محدد الأسنان فى صفاء مفلج الثنايا والرباعيات كأن عنقه جيد دمية أى صورة
من رخام لشدة بياضه وتلألئه فى صفاء الفضة ضخم البدن متناسب الأعضاء مستقيمها فى أحسن تقويم
متماسكها لشدة ارتباط بعضها ببعض سواء البطن والصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم رءوس العظام أنور
ماليس بارزا للشمس من الجسد أبيضه أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر عارى الثديين طويل
الزندين واسع الكف ممتلئه لحما وهى مع ضخامتها لينة سائل الأطراف والكف والقدم متجافى الأخمص
وهو الموضع الذى لا تناله الأرض من القدم أملس القدمين ينبوعنهما الماء ممتد العصب ليس به تعقد ممتلىء
القدم لحما إذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشى هونا ذريع المشية كأنما ينحط من صبب وإذا التفت
التفت جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة ﷺ فهو
عروس المملكة فلا يزال مراعيا هذه الألفاظ الدالة على الصورة الكريمة حتى يتشوف إلى معانى صفاتها
الباطنة وما اختصت به من الخصائص السنية فحينئذ تنطبع الصورة البشرية على نحو ما كان يصف الواصف
فى حديث الصفة له ﷺ انطباعا ثابتا متأصلا فى النفس متصلا فلا يتماسك على أول زيادة على لفظ الاسم
الشريف لما سباه من ظاهر الصورة الكريمة الاخذ بمجامع لبه واستجلاء ذاته الشريفة فى مرآة فكرة
فتلقى اليه صلاة رفع الاعمال المشهورة فإن فيها زيادة لفظ النبي واستحقاقه الصلاة عليه حسا ومعنى من كافة
المملكة ثم يتشوق إلى ما غاب عنه من أوصافه الباطنة فيخطر بباله أنه ما نبىء إلا لسر فيه دون غيره ولذلك
فهو السيد الوحدانى وجب التعظيم له والتوقير والمبايعة والمتابعة قال تعالى ـ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون
الله ـ من يطع الرسول فقد أطاع الله ـ ثم الناس فى انطباع الصورة على طبقات بحسب مشاربهم وأذواقهم
فى الصدق والحضور فمنهم من لا يثبتها إلا بعد تأمل وإعمال فكر وهو أضعف القوم لبقاء بعض البقايا
الخاصة بهذا الموقف بنفسه وهو قليل الرؤية له ﷺ فى المنام وإن رآه رآه على غير كمال ومنهم من يثبت
الصورة الكريمة فى نفسه أحيان ذكره والصلاة عليه لاسيما فى الخلوات عندما يتمحض الفكر فى معنى
التصلية فإذا فتر غابت عنه وهو أخص من الأول ولكن مع بقية فيه من مقتضى موقفه ورؤيته فى النوم على
الصورة الكاملة ودوامها بحسب استصحاب حضوره فى فكره. ومنهم من اذا سد عينيه بالنوم وغاب عن
الحس قليلا رآه فى أغلب أحواله . ومن من إذا سد عينيه يقظة أو مناما رآه بعين بصيرته على كل حال وهم أهل
النهايات الذين اطمأنت قلوبهم بذكر الله ووصلة الحبيب ووراء هذا ما هو أعلى درجة وهو أن يراه بعين رأسه
عيانا فى عالم الحس وهذا من جائز الكرامات التى يتحف الله سبحانه بها أولياءه انظر الجيش الكبير * ومن

عوارض هذا الموقف الخطرات الشيطانية مستندة إلى تأويلات تشير الى الاقلال من التصلية وذلك مكر من الشيطان ليقلل ذكره فيضعف حبه فيختل عمود اتباعه فيرجع على عقبه . سببه غيبة الفكر عن تصور الصورة الكريمة عند التوجه بالصلاة والاشتغال عن تتبع خصائصه النبوية وعلاجه الوقوف على خصائصه وكراماته وما أفاض على أمته من الخيرات وقد يأتى هذا العارض أيضا فى شأن القدوة حتى يميل المريد إلى خلع الربقة والخروج من العهدة لعوارض تعرض له فى دنياه فيكون ممن يعبد الله على حرف والسبب كالسبب والعلاج كالعلاج . ومنها ما قد يعرض عند حلاوة الصلاة عليه من النشاط إلى حب السماع والميل إلى نغمات الأصوات لاسيما بالأمداح النبوية حتى ربما أفرط وأناله بطالة ميلا مع تحرك الطباع واهتزازها فيجره إلى هتك ستر الوقار وخرق حجاب الأدب بنكير الصياح والخروج عن الاعتدال ظانا أن ذلك من مزعجات المحبة سببه انفعال الطباع للهوى لما جبلت عليه النفس من التأثر بالألحان ولو صدقت هذه المحبة لم يفارقها الوقار لان المحب يشاهد بسره محبوبه ويلازم خيامه وربوعه . وعلاجه الوقوف على رسم العلم والتأسى بالصحابة والصبر على مدافعة الهوى مع كيفية صلاة تقتضى التوقير . ومنها التشوق إلى زيارة قبره بما داخل قلبه من بشاشة حبه حتى يذهل عن مقتضى العقل ويتشتت عليه باطنه بوعثاء السفر سببه مكر من الشيطان لئلا تنطبع الصورة فى السر فيشغله عن نظرات الجدرات . وعلاجه إقامة ميزان الشرع ومشورة ذوى العقول فالكيس من أسكن حبيبه بين الضلوع واشتغل عن الربوع ﴿واعلم﴾ أن من علامات حب النبى ﷺ كثرة الثناء عليه والصلاة والدعاء له واتباع سنته ومعادات من خالفه ومحبة من وافقه ثم لانطباع الصورة علامات منها المثابرة على الفضائل وشرف الهمة بالتنزه عن الرذائل تطهيرا للظاهر مع ما أمكن من الباطن والمواظبة على أفعال السنن والحرص على التخلق بأخلاق الشرع حتى يرى الصدود عنه نقصا وملازمة الادب مع الجناب النبوى باقامة العدل جامعا بين جلاله بالتعظيم وجماله بالمحبة والسرور وتحرك الطباع عند سماع ذكره واستحلاء ذكره والتلذذ به . ومنها السلوة عن جميع المحبوبات ميلا إليه حتى يستحسن جميع مألوفات الشرع في العادات والعبارات وأكبر العلامات شدة المثابرة على متابعة النبى ﷺ وموافقته في جميع الحركات والسكنات فيما قل أو جل وإذا تمكن حبه ﷺ لم تغب صورته الكريمة عن البصيرة لحة وهى الرؤية الحقيقية لان رؤية البصر إنما هى مطلوبة لتؤدى حقيقة المبصرات الى عين البصيرة فيحصل عند البصيرة الاطلاع على حقية ما أداه البصر اليها من المبصرات واذا صارت النفس مرآة لصورته الكريمة ﷺ لا تغيب عنها فذلك هو العلم اليقينى الذى لا شك فيه . وفرق بين من يروى عن بصيرته وبين من يروى عن بصره ومع ذلك فرؤية البصر ربما داخلها الاوهام ورؤية البصيرة صافية لا وهم فيها ولا خيال ثم أن الخيال على نوعين متصل ومنفصل فالمتصل يذهب بذهاب المتخيل والمنفصل حضرة ذاتية قابلة دائما للمعانى والأرواح فتجسدها بخاصيتها . ومن هذا الخيال المنفصل يكون الخيال المتصل على نوعين أحدهما ما يوجد عن تخيل وهو ما يمسكه الانسان فى نفسه من محسوس أحس به أو من مصور صورته القوة المصورة ان شاء لصورة لم يدركها الحس من حيث مجموعها لكن جميع آحاد المجموع لابد أن يكون محسوسا . والثانى هو ما لا يوجد عن تخيل مثل ما يراه النائم فليس ما يراه من الصور فى نومه عن تخيل مع كونه خيالا فيرى الاعراض صورا قائمة بنفسها تخاطبه ويخاطبها أجسادا لا يشك فيها وكذلك المكاشف يرى فى يقظته ما يراه النائم فى نومه . ثم إن من الناس من يدرك هذا التخيل بعين الحس ومنهم من

يدركه بعين الخيال أعنى فى حال اليقظة وأمافى النوم فبعين الخيال قطعا فاذا تمثلت لعينك فى اليقظة صور غيبية مدركة لا تدرى بما أدركتها هل بعين الخيال أو بعين الحس وكلا الإدراكين بحاسة العين فانها تعطى الإدراك بعين الخيال وعين الحس وأردت أن تفرق بين الادراكين بكلتا العينين إذ الفرق بينهما دقيق فانظر إلى المتخيل بنظرك فان اختلفت عليك أكوان المنظور اليه اختلافه فى التكوينات وأنت لاتنكر أن ذلك المنظور اليه هو ذلك بعينه ولا يقيدك النظر عن اختلاف التكوينات فيه كالناظر إلى الحرباء فى اختلاف الأكوان عليها فالحرباء متى قابلها السوادمثلا كانت كالغراب أو البياض مثلا كانت كالديك الأبيض أو الخضرة صارت كالحمامة الورقاء فأكوانها ألوانها وتكويناتها غرابيتها أو حماميتها أو ديكيتها الحاصلة بخاصية المقابلة فالناظر اليها أى الحرباء يدركها بعينه لايشك فى كونها حرباء مع اختلاف الأكوان والتكوينات عليها ولا يشككه ذلك فى كونها حرباء فذلك المدرك به ذلك المتخيل إنما هو عين الخيال بلاشك وأدركت الخيال بعين الخيال لا بعين الحس وان أدركت العين للتخيل ولم تغفل عنه ورأته ولا تختلف عليه التكوينات ولا رأته فى مواضع مختلفة معافى حال واحدة والذات واحدة لاتشك فيها ولا انتقلت ولا تحولت فى أكوان مختلفة فاعلم أن إدراكها له بعين الحس لا بعين الخيال وانه محسوس لا متخيل فبهذا تعلم ان الخيال يدرك بنفسه أى بعين الخيال ويدرك بعين البصر فالخيال نور يدرك به تصوير كل شيء أى أمر كان فنوره ينفذ فى العدم المحض فيصوره وجودا فالخيال أحق باسم النور من جميع المخلوقات الموصوفة بالنورية صورة لاتشبه الأنوار وبه تدرك التجليات الالهية وهو نور عين الخيال لانور عين الحس فافهم فانه تنفعك معرفة كونه نورا تتعلم الإصابة فيه ممن لا يعلم ذلك ويقول هذا خيال فاسد للجهل بادراك ذلك النور الخيالى الذى أعطاه الله سبحانه وتعالى كما أن هذا القائل يخطىء الحس فى بعض مدركاته وادراكه صحيح والحكم لغيره لا اليه فالحكم أخطأ إلا الحس كذلك الخيال أدرك بنوره ما أدرك وماله حكم وإنما الحكم لغيره وهو العقل فلاتنسب إليه الخطأ فانه ماثم خيال فاسد بل هو صحيح كله وهذه القوة الخيالية خص الله تعالى بها هذه النشأة الانسانية فليس لغيره خيال وماقال ﷺ قوله لجابر بن عبدالله رضى الله عنه «اعبد الله كأنك تراه» إلا لعلمه بهذه الحقيقة الخيالية التى خصت بها هذه النشأة الانسانية وماقال «ان الله فى قبلة أحدكم» إلا ليتخيل العبد بقوته الخيالية ربه فيراقبه فى حال الصلاة وإلا فليس فى قبلة العبد إلا الجدار والحائط وجعل الأداة الموصلة اليها وسلطانها الذى عليه مدارها أداة التشبيه وهى كأن وقد طمح بنا لسان القلم فى ذكر الخيال لمسيس الحاجة اليه لتعلم ما أدركت بعين الخيال وما أدركت بعين الحس فلايشتبه عليك ما تخيلته من صورته ﷺ هل هو من الخيال المتصل أو الخيال المنفصل وهل نظرك إلى ذلك المتخيل بعين الخيال أو بعين الحس فان كان عن تخيل بغير كمال هيئة صورته الموصوف بها فهو تصوير والا فانطباع والناس فيه على طبقات كما تقدم فالثمرة فى هذا الموقف انطباع الصورة فى الفكر وإذا انطبعت أنتجت احدى عشرة صيغة حميدة تنفى مثلها ذميمة * أولها إيثار محبة النبي عزما وخلاصا فلايعدل عن العدل فى اتباعه ثم محبة الأمة لمحبته إياهم فيستر عيوبهم ويرعى أخوتهم فى الغيب والشهادة فلايحقد ولا يسعى لفساد بينهم ولا يؤذيهم ثم حسن الظن بالله تعالى ثقة بالتعلق بأذيال الشفيع من غير ميل إلى أمن مكر الله تعالى ولا ييأس ولا يقنط ثم الحرص على اتباع السنة بقوة عزم وصدق توجه فلايكسل عن النوافل ثم رعاية الأعمال من شوائب الاخلال القادم فى العلم يعنى العلم المؤدى إلى الوهم فلايقرب سبيل بدعة ولا ربقة ضلالة ثم الحرمة لامر الشريعة

ونهيها فلا يقرب التجاسر باستسهال المكروهات ثم إساءة الظن بالنفس فى الخروج عن المحظورات والمكروهات فلا يقرب مالا يعنيه ثم حسن المعاشرة مع الخلق بتحمل أذاهم فلا يسيء الظن بالمسلمين ثم الصمت فيصون النفس عن هفوات اللسان فلا يقرب تشتت قواعد الكلام ثم التواضع فى غير مهانة علما بنزارة الدنيا وشكا فى ثبوت أعمال الصلاح وقبولها فلا يتكبر ثم الشفقة بتوقير الكبير ورحمة الصغير فلا يقرب بتضييع حقوقهم ﴿واعلم﴾ أن من لازم صاحب هذا الموقف أن يجتهد فى صرف الشواغل معرضا عن جميع الخطرات ما أمكنه لمح معنى الذكر مضافا إلى استحضار الصورة الكريمة وأن يورد السنن والفضائل على أكمل وجوهها وأن يواصل الطهارة تكريما للذكر ويجعل أكثر دعائه للنبي ﷺ وأن يسارع إلى المساجد أول الأوقات ويحافظ على عوائد النبي ﷺ فى أكله وشربه وسائر عاداته ويجتنب الدين وأن يسعى فى طلب الحلال جهده فانه مصباح باطنه إلى غير ذلك من صلة الرحم وقلة الخلطة والاقتصار على صحبة الأخيار الداعين إلى الله تعالى والمثابرة على صدقة للتطوع والعمد إلى محو الميل إلى الدنيا من قلبه ان كان ذامال وإن كان فقيرا فليعلم ان الله اختار له ما اختار لنبيه مجتهدا فى طلب العلم الذى لا تحصل الاستقامة إلا به إذ بتحصيلها يقرب مرام ما بعدها فانها القطب الذى عليه مدار أفلاك مقامات الدين ولم يحجب أكثر الخلق إلا بتضييع هذا الموقف حتى إذا استوى على كاهل الاستقامة قيل له هذه الأعمال عرضة للضياع فلابد من معنى يصونها حتى لا تتطرق لها واردات العقوبات فيحتاج إذا إلى معرفة معنى التقوى . فنقول وبالله حصول المأمول

﴿ الموقف الثالث من مقام الاسلام التقوى ﴾

وهى التحرز من مواقعة المخالفات وأمرها صعب المرام لأنها حافظة لما تقتضيه التوبة والاستقامة من الأمور العبودية من شوائب الفساد فالتائب فى أول مقام الاسلام حظه حفظ الحدود بالإقلاع عن المحرمات والقيام بالواجبات والمستقيم فى تمكين الاسلام حظه التلبس باتباع النبي ﷺ فى جميع العبادات والمتقى فى نهاية الاسلام حظه القيام بمعاملة الله تعالى بطاعته توقيا من واردات العقوبة ولا يتم له مقام الإسلام إلا وعنده مذاق من معاملة الله تعالى بالتوحيد لله بعبادته أمرا ونهيا ليرد على مواقف الاخلاص أول مواقف الايمان وعنده من معاملة الله تعالى ما يسهل عليه مرام الاخلاص ويعقد له قاعدة التوحيد ﴿ فالتقوى على ثلاثة أقسام * تقوى الاسلام ﴾ حراسة الجوارح من العصيان اتقاء سخط الملك الديان * وتقوى الايمان حراسة الباطن من العدوان ابتغاء رضا الرحمن * وتقوى الاحسان حراسة السر عما سوى الله تعالى مع الأنفاس فتقوى الاسلام هى أول جرعة من مذاق التوحيد والتوحيد هو الباعث على القيام بما يرضاه الواحد الصمد من حفظ وظائف الدين من طوارق الفساد وعوارض الشتات باتحاد الوجهة له فلا بد أن يكون الذكر مناسبا لهذا المعنى فالذى يحرك الباطن للانبعاث إلى التوحيد الذوقى هو التهليل وهو المختص بمراتب التوحيد وبه يستثمر ثمرتها وإذا تأملت موارد التهليل من الكتاب والسنة وجدتها مؤذنة بفتح أبواب أسرار التوحيد وأما غيره من الاستغفار والصلاة فى هذا الموقف فليس مرادا لذاته مع كونه لا بد منه فللتقوى فى هذا المقام أربعة شروط * الأول الاعراض عن جميع المخالفات رأسا بالباطن والظاهر تنزها عنها وترفعا إلى ما قصده من حضرة العبودية باستحضار الفكرة فى معنى الربوبية والحذر من فضيحة السؤال على رءوس الاشهاد * الثانى الاعراض عن جميع أسباب المخالفات * الثالث مواصلة الطاعات * الرابع إمحاض القصد فى أمور التقوى للواحد القيوم ولها أربعة آداب * الأول التحفظ من الشبهات وهى الوسائل المشكلة بين طرفى الحلال والحرام وهى

حمى الحرام والراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالاحتياط التنزه عنها * الثانى التحفظ من فضول الحلال فى الأكل والشرب واللباس والكلام والنظر والسمع والبطش وغير ذلك * الثالث سلوك الاعتدال فى سبيل التقوى من غير تقصير ولا غلو فلا يفارق فى تقواه ميزان الشرع ومعيار السنة * الرابع التستر بذلك وسع الامكان ليسلم من الرياء وفتح باب الاعتراض والجدال إذ ليس كل الناس يفهم منه الورع ولا كلهم متصف به وله فى التورية متسع حين يعدل عن الفضول ويترك المشتبهات فالسالك عامل أبدا على حفظ باطنه وباطن غيره. ولنقدم هنا مقدمة تشرق من جنباتها أشعة أنوار معاني التوحيد توطئة لما يأتى بعد. فنقول ﴿ التوحيد على ثلاثة أقسام تقليدى . ونظرى. وذوقى. أما التقليدى ﴾ فهو الظاهر الجلى الذى بقى من الشرك الأعظم وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة وحفظت الأموال والدماء وصحت به الملة العوجاء. إذ الاستدلال لا يسع كل أحد الاهتداء لطريقه لاختلاف الفطر وتباين الطباع وأما النظرى فهو ما يحصل من اليقين عن النظر فى المخلوقات فيستدل بالمخلوقات على الخالق وبالمصنوعات على الصانع وبالمحدثات على القديم بتحقيق جواز الجائز ووجوب الواجب واستحالة المستحيل بقوانين علمية ومقاييس عقلية تفيد القطع بوجود البارى تعالى وصفاته حتى لا يداخله احتمال بأن ينظر مثلا إلى أصغر الحيوانات كما فى إحياء علوم الدين وهو الذباب كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذى هو أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقها للفيل بزيادة جناحين فانظر كيف قسم أعضاءه الظاهرة فأنبت جناحه وأخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبر فى باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبره فى سائر الحيوانات وركب فيه من القوى الجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب فى سائر الحيوانات هذا فى شكله وصفاته ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الانسان وكيف أنبت له آلات الطيران إلى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس وكيف هداه إلى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه فى واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف جعل الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجرى فيه الدم الرقيق وينتهى إلى باطنه وينتشر فى سائر أجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه أن الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد آلاته وخلق له السمع الذى يسمع به خفيف حركة اليد وهى بعد بعيدة فيترك المص ويهرب ثم إذا سكنت اليد يعود. ثم انظر كيف خلق الله له حدقتين حتى يبصر أي موضع فيقصده مع صغر حجم وجهه وخلق له يدين فتراه على الدوام يمسح حدقته بيديه فسبحان الملك الخلاق الحكيم المدبر العليم . وهذا النوع من التوحيد أقل ما يجزىء أهل الاستقامة الذين أتوا بها على وجهها لما انشرحت به صدورهم من النور بتدبر العبر والاهتداء لطرق الاستدلال والنظر ﴿ وأما الذوقى ﴾ فله سبع مراتب * المرتبة الأولى ما يحصل من ثلج اليقين الذى أفاده النظر والاستدلال فى التوحيد القطعى وتخص هذه بالتقوى لأنها تنزيه القلب عن الذنوب بملاحظة حق الله تعالى فكلما خطرت بباطنه له شيطانية تذكر ما لديه من أمر العباد فظهر له من نورها أن معبودها واجب أن يطاع ولا يعصى ويشكر فلا يكفر فيطرد بذلك عن باطنه جميع واردات الشر فهو بما حصل عنده من ذلك مستغن عن مؤنة النظر والاستدلال ومنزه عن معرة التقليد المرتبة الثانية تفيد تحصيل بداية توحيد الافعال الذى هو العثور على ما تقتضيه أفعاله تعالى من سر التوحيد وتخص بموقف الاخلاص أول مقام الإيمان والاخلاص * المرتبة الثالثة تفيد تحصيل نهاية توحيد الافعال المذكورة وتختص بموقف الصدق ثانى مواقف مقام الإيمان الحق

* المرتبة الرابعة تفيد تحصيل الافعال بداية توحيد الصفات الذى هو العثور على ماتقتضيه صفاته تعالى من سر التوحيد وتختص بموقف الطمأنينة ثالث مواقف مقام الايمان والسكينة * المرتبة الخامسة تفيد تحصيل نهاية توحيد الصفات المذكورة وتختص بموقف مراقبة الديان أول مواقف مقام الاحسان * المرتبة السادسة تفيد تحصيل بداية توحيد الذات الذى هو العثور على ماتقتضيه ذاته المقدسة من سر التوحيد وتختص بموقف المشاهدة ثانى مواقف مقام الاحسان فى الديانة * المرتبة السابعة تفيد تحصيل نهاية توحيد الذات المذكور وتختص بموقف العرفان ثالث مواقف مقام الاحسان ثم نهاية كل مرتبة تشترك مع بداية المرتبة التى تليها إذ هو تعالى حجب ذاته المقدسة بصفاته العلية وحجب صفاته العلية بأفعاله الجليلة وحجب أفعاله الجليلة بمألوفات طباع الانسان وعادته فبقدر مايخرج الانسان عنه من مألوفات طباعه يبدو له من حقائق توحيد الافعال وبقدر مايحصل عليه من توحيد الافعال يظفر به من أنوار توحيد الصفات وبقدر مايلوح له من أنوار توحيد الصفات يشاهد من عجائب توحيد الذات وذكر غايات ذلك إنما هو بنسبة أقصى مايحتمله عقل الانسان وإلا فأسرار التوحيد لاغاية لها ولا نهاية وهى تستغرق النقول وتدهش العقول « مثال ماتقدم » من مراتب التوحيد هو أن ملكا ضخم المملكة عظيم الشأن باهر الصفات جميل الافعال له حضرة بديعة العجائب. كثير الذخائر والرغائب. يعمرها من اصطفاه من عبيده لنفسه . واختاره لاسراره من بين أبناء جنسه . فاراد الملك أن يتعرف لمن فى بلاده وتحت حيطة ولايته . من مواليه وأصناف رعيته . ليقوموا بوظائف خدمته . فينالوا من احسانه. وجميل كرامته وامتنانه . فوجه إليهم من خواص عبيده من عرفهم به. وقرر لديهم من أوصافه وأفعاله مايرغب فى خدمته وأقام هذا الملك مبنى عظيم الهيئة والخبر حسن الوضع بهى المنظر يعلم جميع من رآه بتأمل وتدبر مااحتوى عليه ذلك المبنى من عجائب الصنع الاجلى . وماعليه مالكه من عظيم الشأن وجميل الصفات العلى. ونصب هذا المبنى طريقا سالكة تفضى إلى حضرته ووكل به من خواص عبيده من يعرف هذا الطريق بمااحتوى عليه من مناهل وعقبات ومراحل . وقطاع وآفات ليدلوا من أراد الوصول . إلى حضرة الملك على هذا الطريق وجعل فى كل مرحلة بابا يشرع إلى رياض من روضات الملك محتويا على صنوف من العجائب معدا لنزول المسافرين بهذا الطريق فيه يستريحون ويتنزهون ومنه يترددون إلى المرحلة التى يقدم عليها المسافر بعد ذلك فهو يجدد الزاد من رياض منزل إلى رياض المنزل الذى يتلوه والملك مشرف من حضرته لا يخفى عليه شىء من أحوال رعيته وعبيده فمنهم من سمع تعريف اولئك الخواص بالملك فلم يعرج عليهم ولاقبل منهم استغراقا فيما هم فيه من العمل لانفسهم .ومنهم من سمع خطابهم وعقل تعريفهم فصدقهم ثقة بأماناتهم ومعرفتهم ولم ينظر فيما وراء ذلك. ومنهم من صدقهم لكن انظر فى ذلك المبنى الذى علم أنه ملك للملك وصنعه وتفكر فيما احتوى عليه من العجائب فحصل له بذلك زيادة يقين ومعرفة بالملك وماهو عليه من الصفات التى يشهد لها ذلك المبنى ولم ينظر فيما وراء ذلك . ومنهم من حصل عند الرجلين بالوجهين المذكورين لكنه حمله شرف الهمة وقوة العزم على أن يسعى كى يدرك الغاية من معرفة هذا الملك فسأل هل له إلى حضرته من سبيل يدل على ذلك الطريق فتعلق بدليل من مر من أولئك الخواص ليدله بذلك الطريق على حضرة الملك ليتصل بغاية المعرفة فينتظم فى سلك خواصه وأحبابه فى حضرته فشد حيازيم الرحلة ورافق اناسا فى السفر إلى الحضرة كلهم متعلق بهذا الدليل الهادى ثم سافروا فمنهم من أعرض عن دليله

فى أثناء رحيله واستبد بنظره وخاض فى السفر برأيه فلم يسر إلا يسيرا حتى عرض له أسد أو لص أو آفة نعم أو شخص أو عمى عليه سنن الطريق حتى انقطع بدون الرفقة ونهض الباقون مع دليلهم فى السفر إلى الحضرة كلهم متعلقون بهذا الدليل الهادى فنزلوا فى المرحلة الاولى فى رياض الملك ليتنزهوا أو يستريحوا ويتزودوا . فمنهم من اشتغل فى تلك الرياض بالنظر فى ظلال مبانيه وأشجاره عن أن ينظروا فى عجائبه أو يتزودوا من ثماره حتى نهض أصحابه وخلفوه . ومنهم من زاده ما نظر من عجائب تلك الرياض يقينا فى معرفة الملك وحرصا على لقائه ورغبة فى الورود على حضرته وعلم أن الزاد ضرورى له فى بلوغه الحضرة فتزود ولازم الدليل فلم يزل المسافرون يتخلفون فى كل منزلة حتى لم يبق مع الدليل إلا الانجاد الأكياس الذين حصل عندهم مما شاهدوه فى رياض كل منزلة قوة اليقين فى معرفة الملك وشدة الحرص على الانتظام فى خلصائه فى حضرته حتى إذا أشرف على باب الحضرة أشرق له من صفات الملك ما ملك قلبه فلم يستطع عنه اصطبار فجد فى المسير ملازما للدليل حتى إذا دخل باب الحضرة واطلع على عجائبها وذخائرها وأبصر باهر صفات الملك استغرق فى حبه لما حصل عنده من معرفته فكل من حصل فى الحضرة انتظم مع خلصاء الملك فهو معه لا يفارقه مدى أحيانه ومن شأن هذا الملك أن يتولى من تولاه . ويعطف على من أتاه . ويستخلص من حصل فى حضرته حتى لا تكون لهم حركة ولا سكنة إلا باشارته ومراده فعنه ينطقون وبه يتحركون ويسكنون وعنه يصدرون واليه يرجعون وعليه يعتمدون فالملك هو الله تعالى وله المثل الأعلى والخواص هم الرسل وورثتهم والمبنى هو الوجود والطريق ما اشتملت عليه مقامات الدين والأدلاء هم المشايخ الربانيون والمراحل هى منازل المقامات والرياض هى مراتب التوحيد الذوقى والزاد هو ما يختص به كل منزل من وظائف الأعمال * والطائفة الأولى هم أهل الكفر والضلال * والطائفة الثانية هم أهل التقليد * والطائفة الثالثة هم أهل النظر والاستدلال * والطائفة الرابعة هم السالكون على طريق الأذواق ثم هم أصناف فصنف عدل عن رأى قدوته وشيخه اعتداء بنظر نفسه فاحاطت به علله فانقطع به * وصنف كلما اجتهد حتى اذا بلغ منزلا من منازل المقامات لعب به هواه فشغله ببعض الأوهام عن النفوذ الى قدام * وصنف هم الأقلون جعلنا الله تعالى منهم كلما بلغوا الى منزل من منازل المقامات واطلعوا على ما اختص به من مراتب التوحيد قوى يقينهم واشتد حرصهم وعظم عزمهم فهم ينتهضون الى قدام رافضون ما يعرض لهم ويقطع بهم من الأوهام والحضرة هى ما اشتمل عليه مقام الاحسان وبابها المراقبة والموضع الذى أشرف منه على بعض الصفات هو الطمأنينة والحاصلون فى الحضرة هم أهل المعرفة الظافرون بأعلى درجات التوحيد فان كانت المرتبة الأولى من مراتب التوحيد وهى التقليدية يحصل عنها اليقين الذى تبرأ به الذمة فليس من علم بموجود بأخبار المخبرين كمن علمه بسماع كلامه ولا من علمه برؤيته إياه على بعد كمن علمه برؤيته إياه على قرب ولا من علمه برؤيته إياه من وراء حجاب وإن كان رقيقا كمن علمه برؤيته إياه من غير حجاب فمراتب العلم تختلف باختلاف أسبابها وإن كان مطلق العلم حاصلا بأدناها فاذا تقرر هذا فالذى يختص به وقف التقوى من مراتب التوحيد هو ما يفيد ثلج اليقين الزائد على ما يفيده النظر والاستدلال بأن الله تعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وبما هو عليه من الأسماء الحسنى والصفات العلى ويغلب ذلك على الباطن حتى يتشعشع أنوار ذلك على الباطن وتثبت قاعدته فى النفس وتلوح دلائله على الظاهر وتتجلى حقيقته لبصيرة سافرة عن وجه الدلالات رافعة حجب الاشكالات والشبهات ويتمكن ذلك من سويداء القلب تمكنا لا تقدح

فيه التشكيكات حتى يصير هذا المعنى قائما بالنفس حتى لايفارقها على حال بيقين لايسع معه تردد ولا تلجلج ولذكر التهليل اختصاص بهذا المعنى . وأما غيره فتوابع مع أنه لا بد منه فالاستغفار هنا من الغفلات كما تقدم فيجنى من معنى التهليل ثمرة يستطعم منها أن الله تعالى واحد فى ذاته واحد فى صفاته وأفعاله لايشبه شيئا ولا يشبهه شىء أول بلا بداية آخر بلا نهاية لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير خلق جميع المخلوقات بقدرته التى قهر بها جميع المقطورات عليم بجميع المعلومات مادق وجل وظهر وخفى مريد جميع الكائنات على ماهى عليه لا يجرى فى ملكه إلا ما يريد سميع بجميع المسموعات بصير بجميع المبصرات وان دقت متكلم بكلامه الأزلى من غير حرف ولا صوت صفاته أزلية قديمة ثابتة قائمة بذاته وهذا أقل ما يجزى فى سكون الباطن لإفراد الموجد بتحقيق وحدانيته بنفى الأضداد والاشباه والانداد بلا تشبيه ولا تكييف فلا يزال يذكر التهليل مشيرا به الى اثبات الوحدانية له وسلبها عن غيره حتى يرسخ معنى ذلك فى نفسه رسوخا ثابتا لا تزلزله الأوهام ولا تحل عقده الشبهات ولا يحتاج معه الى نظر ولا الى تأمل بل تصير كل جارحة وكل شعرة منه ممتزجة بهذا المعنى فاذا حصل هذا تتقعد له قاعدة تقوم عليها أركان توحيد الأفعال وتوحيد الصفات وتوحيد الذات ومهما اختل عليه شىء من هذه القاعدة أو بقى عليه منها بقية فلا مطمع له فى درك ماوراءها من مراتب التوحيد فالمراد من صاحب التقوى دفع الخواطر عن فكره جهده حتى تستوى متونة القلب مع متونة اللسان فى إيراد الذكر ثم لا يزال كذلك حتى يعود الذكر فى آخر مقام الايمان يجرى فى قلبه مجرى الخواطر التى لا تنفك عنه ثم لا يزال مستحضرا صورة نبيه وقدوته اللذين هما مقصده إذ المعاملة لله تعالى على أيديهما وقعت آتيا بورده على نحو ما تقدم آخذا ادراجه إلا أنه يزيد هنا ما يلقى اليه من ذكر عصر الجمعة يوم الجمعة فقط المتقدم فى درجة الورد ويزيد على استفتاحه المتقدم واحفظنا من طوارق الآفات وعوارض الشتات وأوزعنا شكر ما أنعمت به علينا حتى يستنتج ثمرة ذكره بنفى الخواطر وتطهير الأفكار حتى يبلغ مقام الولاية ولا مطمع فى العثور على ما أشرت اليه إلا بالذوق بعد التشمير والعزم وبقدر ما يتمكن السالك فى مقام الإسلام يقرب من مقتضى مقام الايمان فيتمكن صلاح باطنه فلا يصل الى غاية مقام الاسلام إلا بتساوى جنبتى الظاهر والباطن فاذا دخل فى مقام الإيمان لا يزال الباطن يغلب على الظاهر حتى يصير إلى عكس ما كان عليه فى أول توبته من استيلاء الظاهر على الباطن فالسالك لا يزال من حين بدايته يعالج باطنه على الخروج عن واردات الغفلات حتى إذا بلغ نهاية مقام الإيمان تخلص له هذا المشرب من جميع العوارض واطمأن قلبه بذكر الله الذى به تطمئن القلوب فنهاية الاسلام توصل الى بداية الإيمان كما أن نهاية الإيمان توصل الى بداية الاحسان * ثم إن التوبة والاستقامة مقدمتان صالحتان نتيجتهما التقوى والاخلاص والصدق مقدمتان صالحتان نتيجتهما الطمأنينة * والمراقبة والمشاهدة مقدمتان صالحتان نتيجتهما المعرفة وفى كل مقدمتين تهيئة لما يرد عليه من موارد التوحيد وثمرة مقصد هذا التهليل هنا هى تعلق القلب بعبادة الله والميل إلى طاعته بقوة عزم وشدة رغبة ونتيجتها اجابة داعى الحق حيث كان من غير خروج عن سبيل العلم ولا عدول عن السنة فلا يوجد فيها وارد غفلة بالركون الى الشهوات ثم قيام الظاهر مع تعلق الباطن بالطاعات مع استحلاء الذكر فلا يوجد موت العزيمة المؤذن بالحرمان ثم الصبر على الطاعة والمصيبة وعن المعصية فلا يجزع . ثم الورع وهو صيانة النفس فى حفظ الحدود بترك ما لا بأس به ابقاء على صيانة التقوى فلا يوجد الهلع والطمع الموقعان في المحارم . ثم الخشوع وهو سكون النفس بهدو الطباع لواردات الحق تلذذا

بالأمر واستئناسا للحكم فلايقسو قلبه . ثم الرغبة التى تبعث على الاجتهاد فى طلب الحرية فينتفى الاخلاد إلى وهن الترخص ثم الاقتصاد وهو الاقتصار على الضرورى فينتفى الميل إلى الترفه والفضول. ثم الأدب فى طريق العبادة مع الملك المعبود وبالتزام العدل بين حالتى الافراط والتفريط فينتفى التقلب بين أهداف الهوى عدولا عن العلم ثم الاذعان بسمع العقل لأمر الله تعالى انقيادا فينتفى معارضة المنقول بالمعقول ثم التهذيب بلزوم الحق ومتابعة الهدى فتنتفى الابابة والشرود عن مشاق وظائف العبادة ثم العزم على بذل النفس عوضا فى رضا الله فى معاملة الله وهو أول التوكل فلايجيب داعى الهوى ﴿ومن علامات حصول هذه النتيجة﴾ التشمير عن ساعد الجد واستحقار الأعمال فى جنب عظيم الأمر وتصاعد الأنفاس وضيق الفطن عند ذكر الله تعالى لضعفه عن حمل أعباء مايرد عليه من نفحات أسرار التوحيد فتجده فى بعض الأوقات عند سطوع بعض بروق توحيد الأفعال يتطاول وينكمش ويوالى الزفرات وإن كان ذلك نقصا فهو معذور بضعف منزلته ورقة زجاجته عن حمل واردات موقف الاخلاص فليحافظ على قيام وهن من الليل والسحر أفضل والتوسط بين الجوع والشبع ولا يسترسل فى النوم والأكل والنظر والكلام والاستماع والبطش والسعى ولا فى الخواطر وليتأدب بآداب الشرع مع ميزان المحاسبة وليقلل من المباحات فانها سلم الى الغرق فى بحر الشهوات المؤذن بالملكات ولا يحدث أمرا من المباحات إن كان على غيره وليؤد حق الله فى ماله وليكثر من صدقة التطوع ليدفع رذيلة البخل وليدقق البحث فى كسب الحلال فان عدم الحلال فليقتصر على مايقيم به أوده من الضرورى كالميتة وليفر من التعظيم والترؤس وليتجاف عن الميل الى طلب الجاه واستحلاء الظهور وليشكر احسان المحسن من غير غلو وليحمل جفوة المسىء من غير حقد ولامذلة وليجعل الأمة كرجل واحد وذلك الرجل من أهل مودته يحميه من الشر ويعينه على الخير على قدر وسعه ولايطبق على إساءة ظن بمسلم ولايبيت طالباله بحق ولا باطل وليعرض على فكره أعمال ليله ويومه عند الصباح والمساء فليشكر الله وليستغفره عند الموجب فى ذلك وليجتهد صاحب هذا الموقف فى الحضور لمعنى الذكر عند نطق اللسان به دافعا للخواطر عن فكره وإن كان يعسر ذهاب جميعها لغلبة الطباع لكن يطلب منه فى هذا الموقف تصفية الباطن للحضور وقت التلبس بالعبادات مبتهلا إلى الله تعالى فى رفع حجاب الغفلة وسدل أطناب الوصلة . ومما يعين على الحضور ويحسم مادة الخواطر أسماع الآذان لفظ الذكر وملاك الأمر حفظ الأعمال من طوارق الآفات وعوارض الضياع ﴿تنبيهات * الأول﴾ قد علمت أن هذا المقام مبدأ السير فالأنسب له فى الموقفين الأخيرين شكر نعمة الأمداد الحسية لا المعنوية مما به قوام ظاهر البنية ليستقيم له القيام بمتابعة السنة من حقن الدماء بمجرد الكلمة ووجوب الذمة ونصب القبلة ولم ينتظر بذلك تصحيح النية ومن الأطعمة ومايترتب على صلاحها فى عالم الشهادة من الأدوية والمياه المنزلة والعملة المصلحة والآلة الموصلة لها من اليد والفم والنعم المستعملة لحمل الأمتعة وشبه ذلك مما فى عالم الشهادة فلينظر فى كافة الأطراف المتقدمة أول الكتاب ليكون على بصيرة سـ شكرها ففيها كفاية لأولى الألباب ونعنى بالأطراف مما عداطرفى الادراك والأغذية فانهما من نعم مقام الايمان وليدخل الى التقوى من ذلك الباب فيخاف من الاستلاب لعلمه أنه لا قوى على شكر نعم رب الأرباب إن لم يوزعه شكرها على وجه الصواب فيريد فى استفتاحه المريد المسكين . رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين . فالعمل الذى يرضاه

ما أشرف عليه من موارد الاخلاص والصدق الفوز بالدخول فى حضرة الحق والخروج عن ربقة الرق
وأما فى موقف التوبة فشكر نعمة صورة الايجاد الموطأة المهاد الظاهرة للاشهاد من تمام الخلقة والتسوية
بشرا سويا متناسب الأعضاء مشدودة الأسر حسنة القدر مرتبة الأمر مفتوحة الأصابع محكمة الأشاجع منوعة
العينين سوادا فى بياض طليعة فوق المنخرين مصفوفة الأشفار لينة الأشعار مقوسة الحاجبين مبلولة
الجفنين متطرفة الأذنين ممتدة اليدين والرجلين قائمة الصلب بفقر مستوية الضرب مجوفة البطن مدورة
الرأس راشقة العنق للرأس كالاس محنية الاضلاع رائقة لاشفاع مسودة الشعر تحته وجه كالقمر مبيضة
الأسنان لينة البنان مفتوقة اللسان بأنواع البيان متوسطة الفم فلا هو بالضيق على ادخال اللقم ولا هو بالواسع
على امساك الريق والبلغم مضافا اليه شكر نعمة السبب لبروزها من الوجود للعدم أبويه المربين له بجهد
المستطاع بحس الاصطناع أعنى والدى الطين اللذين أردف الله حقه بحقهما وأمره بشكرهما ولا يقوم
بشكرهما إلا من شاهد كون واسطتهما سببا لواسطته والدى الدين نبيه وشيخه الناشئة عنهما السعادة
الأبوية فصار أبوا الطين بهذه الرتبة وهذا الموقف مقدمين على أبوى الدين ولو كانت واسطة هذين أعظم
نفعا وأكمل رفعا ثم فى الموقفين الأخيرين الى علم جرا يرجع كل منهما الى حقيقة ما أثمر فالأولان أثمرا
الحياة الفانية والآخران أثمرا الحياة الباقية والسعادة الأبدية فشتان ما بينهما. ويشهد لذلك ان لا أثر لأخوة
الطين إلا بأخوة الدين فبسبب ذلك لا أرث ولا رحم ولا مواصلة ولا سبيل للكافرين على المؤمنين فلولا
أبوا الدين لكان ضرر الحياة الفانية أقرب من نفعها فشكر نعمة والدى الطين الإحسان اليهما ماداما حيين
ثم مراعاة أخوة أورثاها أو مواصلة تركاها بعد موتهما والدعاء لهما قال تعالى وبالوالدين احسانا الى قوله ولا تقل
لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما الى قوله ربكم أعلم بما فى نفوسكم فاستغرق شكرهما جميع الجوارح كما
استغرقها شكره تعالى أما القلب فبالرحمة وعدم ضيق الصدر مما يصدر منهما وأما الجوارح فبالسعى عليهما
والطاعة لهما والكف عما يسوؤهما فلو كان فى العقوق سيئة دون أف لنهى الله الولد عنها وشكر نعمة والدى
الدين الطاعة والاستسلام والانقياد لهما وحبهما والدعاء لهما ومراعاة أخوة نشأت عنهما أما الشيخ فكل من
تشبث بأذياله من مريديه أو نسب اليه من أقربيه وأما النبي ﷺ فكل من تعلق من دائرة الاسلام بأهدابه
وتأدب بآدابه قال تعالى إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه لمن لا يظلمه
فلا يقطع هذا المقام حتى يتقلد منه كافة أهل الاسلام فيراهم ما بين أخ الطين أو الدين فيتوجه عليه الشكر
لتلك المنة دائما سرمدا وشكر نعمة أخوة الاسلام إصلاح ذات بينهم والعبد من خطة الإساءة اليهم كما
فى الآية والحديث المذكورين آنفا وشكر حسن الصورة المساواة التقرب بها لحضرة المناجاة والمباعدة
من المنافاة وشكر الامداد الحسية أخذها بوجه جائز ثم صرفها فيه ثم لا يزال فى مقام الإيمان يترقى حتى
يكمل له الايمان فيتصف بمقتضى حديث لن يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب لاخيه المؤمن ما يحب
لنفسه ثم فى مقام الإحسان يؤثره على نفسه فى نفعه وحرثه الحاصل المناسب لمقام الاسلام من الشكر
شكر نعمة ظاهر الجسد وما نشأ عنه وما يترتب عليه بقاء ظاهره من عالم الشهادة من كثيف الأجسام
وهو ما تحت قبة السماء الدنيا الى الأرض العليا وحضرته حضرة الناسوت وذلك واضح الثبوت ﴿ التنبيه
الثاني ﴾ قد تقرر عندك أيها المريد أن لازم الطريقة لم يتغير فى هذا المقام بل ولا فى غيره لاحتوائه على
المقصود فى سائر المقامات إذ القصد بصدق الرحلة الى الله تعالى بالذكر والقرب من حضرة الرب وكنس

الأغيار من القلب وقد احتوت عليه الأذكار الثلاثة فلم يبق إلا السلوك . ثم ان السير من هذه الطريقة كله في الصلاة على النبي ﷺ فيها تنوعت الأذكار في المقامات الثلاث فأقصرها اللائقـة بالمريد البليد جعلت له في هذا المقام إذ هو محل إحكام الألفاظ ومكابدة الاستحضار وموافقة السمع للسان حال التلفظ بالأذكار فألزمه الشيخ كثرة الترديد للفظ الواحد القليل من غير تجديد لضيق عطنه وقرب وطنه المفارق له أيام ارخاء رسنه واللفظ مهما اختصر مع جزالة المعنى قوى التأثير به وأسرع النفع بسرعة دورانه على اللسان والسمع ثم يصل الى الفكر حتى لا يغيب عنه وجعل له الشيخ القيام بأركان الصلاة وإقامتها على أتم الحالات في محل تطويل ألفاظ الصلوات حتى لا يرد على مقام الإيمان إلا وقد اطمأنت جوارحه في إقامتها وسكنت الى استدامتها ثم اذا آنس منه الشيخ رشدا بتحمل أعباء المعاني في مقام الايمان المقام بعد إحكام المباني في مقام الاسلام دفع اليه في مقام الإيمان ما يناسبه من الصلاة وهي روح الصلوات وسطى صلوات الورد الثلاث المخير بينها المريد وبين أختيها يعني لا في اداء حالة السلوك وأما فيها فلا بد لكل منها مقام لا يعمر الا بها وفي روح الصلوات ما يناسب مقام الايمان من الأربعة الأوصاف التي فيها فالظاهر وهو توطئة جواهر الحروف من ذكر الاستغفار والصلاة بذكر الاسم الشريف والتهليل باسم الجلالة لافادة استقامة الظاهر وهو الجوارح والباطن وهو معنى الالفاظ المصور بزيادة الاوصاف لافادة تنوير الباطن وهو القلب ولو كان لكل منهما بالآخر ارتباط كما تقدم في الباب الثالث فالتشبيه تام فالايمان روح الاسلام والمعنى روح اللفظ فلا قيام لكل منهما بدون الآخر ثم لما أحس منه الظفر بالاستعجال الجناني . والاتقان لمركز الفهوم والمعاني . وتهيأ لوظائف التداني . لقنه الوظيفة المدخرة له المنتظر بها أوانها . ليظهر حسنها واحسانها . مشتملة على الاستعانة باسماء الذات والافعال من الذات العلية . وعلى الصلاة على النبي (صلعم) بالاسماء الفاعلية من الأوصاف النبوية . اعطاء لكل مقام ما يناسبه . ونظما لكل معنى مع ما يقاربه . وسيأتي ان شاء الله تعالى في مقاميه تفصيله . فيتضح وسبيله . ويشهد لهذا التدريج الذي ذكرناه في حق السالك ما ذكره صاحب الجواهر في كيفية أخذ الشيخ رضي الله عنه ورده هذا عن النبي (صلعم) ﴿ونصه﴾ عين له (صلعم) الإستغفار والصلاة عليه (صلعم) وهذا كان هو الورد في تلك المدة يعني سنة ست وتسعين ومائة وألف إلى رأس المائة كمل له الورد (صلعم) بكلمة الإخلاص فعند هذا تنزل للخلق والافادة واظهار الطريقة والاستفادة انتهى فالاخذ له بهذا التدريج على سبيل السلوك والتربية على مقتضى نظر المربي وما يشاهد في المريد من الاهلية آخذا باقوم طريق الى سبيل التحقيق . الثالث اعلم أن الاذكار الثلاثة جامعة لمعاني الاذكار المأثورة من التنزيه والتحميد والحوقلة والحسبلة فاما الهيللة فقد تضمنت الجميع تصريحا وتلويحا مع ما اختصت به من التوحيد إذ لا يستحق الألوهية إلا من تنزه عن النقائص وصفات الحدوث ووجبت له محامد الصفات واستحق نعوت الجلال واتصف بصفات الكمال وكان له القدرة الشاملة الحائلة بين المرء وقلبه . والمشيئة النافذة التي لا يقوى أحد على تعقبها في دفعه وجلبه . والكفاية لمن اعتصم به . وأما الاستغفار فقد أبان صفة نقص العبد لمقابلته احسان مولاه . بما لا يرضاه . واحتياجه الى من يواسيه بالصفح عما جناه . تحقيقا منه فان ذلك ليس إلا من فعل من لا يشبهه سواه فالاكرام في مقابلة الجفاء في غاية العوز من الكرماء . فاثبت الكمال لمن له الكمال . وأوجب النقص لنفسه بما أعطاه الحال والاستقبال (وأما الصلاة على النبي (صلعم) فلا يخفى ما فيها من نفوذ الارادة في كافة المراد بالاقرار بسيادة سيد الوجود ﷺ على كافة العباد فكان

المصلى يقول سبحانك ما اعظم ملكك خلقت خلقك فى غاية التباين وحكمت بينهم فى ذلك التباين بالتغابن هذا فى غاية الحسن والصفاء وهذا فى غاية اللوم والجفاء فاذا تكون الصلاة فى نفسها ذكرا بقطع النظر عن الامتثال ونفع العباد منها بالاستمداد (الرابع) اعلم أنى لم أتعرض فى هذا المقام بل ولا في غيره من المقامات لذكر عارض غير عوارض موقف الاستقامة اهتماما بشأنه لما احتوى عليه من سر الاتباع والانطباع لصورة سيد الوجود فى مرآة الفكر بالصلاة عليه (صلعم) التى هى قطب رحى هذه الطريقة وعليها مدارها فتلوح لوائح الشكر بالانطباع وتستجلى مرآة الفكر بالاتباع مع ما أعد للعوارض فى غير هذا المقام من أوصافه ﷺ المشتملة عليها الصلوات الخاصة بالمقامين الآتيين بعد فلم تبق الصلاة عليه فى موقف التوبة عارضا التوقع تصويره فى موقف الاستقامة ولم تبقه بعد الاستقامة لتوقع دواعى نفى العوارض بانواع الصلاة عليه وأما فى موقف الاستقامة فلم تؤمن العوارض لتوجهها كلها فى ذلك الموقف فقد يعرض فيه من العوارض ما ليس من عوارض الاستقامة ولا فى حيزها خشية تمكن الاستقامة وذلك لعلم حياة العوارض أن بالاستقامة تنطبع الصورة الكريمة واذا انطبعت انقلب العوارض خاسئة مدبرة بعد أن كانت مقبلة مسفرة ﴿ الخامس ﴾ اعلم أن من المناسب لهذا المقام من اذكار شيخنا رضى الله عنه غير لازم الطريقة استغفار سيدنا الخضر عليه السلام وهو ﴿ اللهم انى استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه الخ ﴾ وقد تقدم أن من ذكره في الصباح والمساء غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووظيفة اليوم والليلة وهى لا إله إلا الله والله أكبر الخ وقد تقدم أن من ذكرها لم يكتب عليه ذنب حتى يمسى أو يصبح وذكره اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى الخ وهى من مكفرات الذنوب وذكره ﴿ يامن أظهر الجميل وستر القبيح الخ ﴾ وحزب التضرع والابتهال وأوله (الهى وسيدى ومولاى هذا مقام المعترف بذنوبه الخ) والمسبعات العشر وذكره ﴿ أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق الخ ﴾ الى غير ذلك مما يناسب حال المريد من التوبة لله تعالى والتحصن بعزته والاعتصام بحول الله وقوته بالله تعالى التوفيق ﴿ تربية مقام الإيمان وما حواه ﴾ بطريقة شيخنا التجانى رضى الله عنه وأرضاه . وجعلنا فى حماه ولنرجع الى التمثيل الذي مهدناه قبل موقف التوبة فنقول حتى اذ علم الشارع موافقه استعمال الملك القلب رعيته . فى خدمة الملك الاعلى الرب . من التوبة من كفران النعم بحفظ الحدود بالاقلاع عن المحرمات . والقيام بالواجبات . ومن التلبس بالسنة بانواع الاستقامات ومن التحرز من مواقعة المخالفات قال له الشارع اما رعيتك الظاهرة فقد أتت بما عليها من علامات اسلامك شاكرة لنعم ربها متبصرة لشكر اطراف النعم وقلها ولكن الملك الأعلى اليك فى هذه الحالة البارزة فحص عن مراداتك فيما جهزت اليه من جائزة اذ قد تصدر هذه الجوائز على مراد غير مرضى منك مما يبطل سعيك ويضل رأيك تلبيسا فيستأنس بها من رأى ظاهرها تأنيسا فقال له القلب منزعجا ما هذا فقال له الشارع مهلا ان الملك الاعلى الذى جعلك خليفة فى أرض الجسد أمره غائب عنك وأنت غائب عنى فائتنى بمصدق لك فى موافقة باطن أمرك لظاهرك كما أتيت به اول مرة فى شأن الاسلام والا تركت بينك وبينه ليرى فيك أمره فقال له القلب لا أصدق من رعيتى وقد علمت تواطؤهم على صدقى فقال له الشارع اسالك تفتيش أمتعتك الغائبة عن رعيتك ولا تعم ما فيها الا بطانتك الخفية فراجعت مضغة القلب حينئذ بطانتها تراجع بلقيس مملكتها مما حكى الله تعالى عنهم من قولها وقولهم قالت . ياأيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا . الى قوله ماذا تأمرين وسيط[illegible]نك هذا الملك ماهو فوق هذا قالت . ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها .

الآية فلم يسمع مضغة القلب طول المطل فالجواب لما جاء به الرسول فى الكتاب مستشمرة معاجلة العذاب فقال الملك القلب مستفهما هذا الذى قد فعلت من الاسلام هو الذى الى وعلى ألم تقولوا إن الدين عند الله الاسلام فيقال له الاسلام فى عرف الشرع يتألف من أصل وفرع فالاصل الايمان وهو التصديق بالغيوب والفرع هو العمل بما يقتضيه التصديق وهو الذى أفادته رعيتك والفرع بدون الاصل ساقط والاحسان وراء هذا كله فقال الملك القلب فهلا كان الاصل مقدما ليثبت الفرع على أصل فيقال قدم عليه لاجل هذا الانكار الصادر منك الآن فان الاسلام لما كان الغالب عليه الاعمال الظاهرة وهى من عالم الشهادة وكان الغالب على الايمان الاعمال الباطنة وذلك من عالم الغيب وكان الاحسان الغالب عليه أسرار الروح وذلك من عالم الجبروت كان من الترتيب الحسن البليغ أن يبدأ من وظائف الدين بالاقرب فالاقرب لطباعه ليستأنس بما يرد عليه أولا لما ترد عليه ثانيا ولا شك أن النفس تتأنس بما كان من عالم الشهادة ولا تنفر عنه للعلاقة التى بينها وبين الجسم فإذا تلبس الجسم فالوظائف الاسلامية انقدحت فى النفس من ذلك بشاشة إيمانية فلا يزال كذلك حتى يقوى عنده ويتزايد مادامت وظائف الاسلام قائمة متزايدة حتى يغلب معنى الايمان على النفس فتتأنس به فعند ذلك تتذكر عالمها بالسبب الذى بينه وبين معنى الايمان فترقى إلى أسرار التوحيد فحينئذ تسهل عليها وظائف الاحسان ولو عكس الامر فعومل أولا بالوظائف الاحسانية أو بالوظائف الايمانية لعسر عليه ذلك ولبعد عليه مرامه فيقول الملك القلب مباشرة آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون فيقول له الشارع عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان فاياك وبعض المرادات فجدد القلب عهدا بينه وبين الشارع صلوات الله وسلامه عليه فى شأن الايمان فعلى الشارع خالص النصح والصيانة وعلى الملك القلب الامانة وعدم الخيانة فكان الشارع حريصا على استنقاذ هذا الملك من موجبات الهلك وذهاب الملك، ومن شدة حرصه على إيمانه كان فى شأنه كالمأخوذ بكظمه وكأنه فى سجن مرهق أو غيابات جب ضيق مالم يمكنه هذا القلب من نفسه وشاهد حسه بشهادة آية ـ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ـ فاتفق أن أرسل الملك القلب السمع يستفتى الشارع فى شأن رؤيا رآها كرؤيا ملك سنى يوسف فيما قص الله عنه فقال له السمع أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف إلى قوله يابسات فقال له على سبيل التمثيل تلك جوارحه السبعة التى كان يستعملها فى خدمة الملك الأعلى خرجت اليها مراداته الخفية فجعلت عملها هباء منثورا وهذا ما كان يحاول اظهاره الملك الأعلى بالايمان بغائب الامور انه عليم بذات الصدور والأسلم له أن يخرج منها على وجه السير ما كان مستورا حتى لاتورده ثبورا فما كل سنة جدب بعدها عام يغاث الناس وفيه يعصرون وما كل حين تقدر هذه الجوارح الرعية على فعل ما أتلفته هذه الجوائح الخفية فأخبر السمع الملك القلب بهذه المعجزة من التأويل وأيقنا أن الشارع كان بمرأى من الملأ الاعلى الجليل وأن هذا لا يصدر إلا عن وحى وتنزيل فصدقا بالغيب حقا لذلك وأقرا بخفية ما هنالك فقال الملك القلب ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسئله ما بال النسوة يعنى الجوارح السبعة الخونة التى قطعن أيديهن يعنى كدحهن على خلاف ما يظهرنه وكان الشارع قد جعله الملك الأعلى رقيبا عليها يرقبها دلائل على صلاح عمل الملك القلب مستشعرا خيانتها فاذا هى خونة وسلمها كالحرب وكيدها لا يفوت علم الرب فأقبل الملك القلب عليهن وقال ما خطبكن إذ راودتن الصديق أمنكن وأنتن غير مأمونات وآجركن وأنتن مأزورات وكانت فيهن النفس ربة بيت القلب فقالت النفس الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه بأن يقنع منى بالقشر

عن اللب وقد اتهمته فى اخباره بالغيب وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم الملك المتحمل له بالنصح أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لايهدى كيد الخائنين فحينئذ علم الملك القلب معنى قوله أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون وقال هذه فتنة فان ماأوقعت نفسى ربة البيت من خيانة فالى وعلى وماأبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى الآية وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى إلى قوله اجعلنى على خزائن الأرض الآية قال نعم أجعلك عليها وأريدك أن تكون امامى وبيدك زمامى لآمن وأطمئن من سخط هذا الملك الاعلى الذى جعلك من خواص حضرته وأنت محل نظرته فأول مافاجأه الشارع به أن قال له قال الملك الاعلى فى حق أهل مملكته وماأمروا إلا ليعبدوا أى يوحدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الآية فانتبه القلب فقال إنى قد ذقت فى آخر سيره مقام الاسلام جرعة من مذاق التوحيد فقال ماهى وما الذى بعثت إليه فقال تشير إلى القيام بما يرضاه الواحد الصمد من حفظ وظائف الدين من طوارق الفساد وعوارض الشتات باتحاد الوجهة له تعالى وقد استفدت مثلا ضربه الله قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله ربها فسلبها إياها فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بسبب ذنبها فعلمت أن النعمة وحشية وقيدها الشكر وأن النفس رديئة وشأنها المكر فقال له الشارع ذلك ما كنا نبغ فارجع إلى أثرك قصصا وسل ما بال التوبة التى كنت تركن اليها وما بال الاستقامة التى قتلت نفسك عليها وتقواك التى كنت بين يديها وكيف اتحاد وجهتك إلى الله تعالى فى هذه النتيجة ومقدمتها فهل أخلصت فى الوجهة نفسها أم سيرك فيها تيهاء فيحتاج حينئذ إلى معرفة الاخلاص ليرد به موارد الصدق وطمأنينة الاختصاص . فنقول وبالله حصول المأمول

« الموقف الاول من مقام الايمان والاخلاص »

وهو تصحيح الوجهة إلى الله تعالى فى جميع الحركات والسكنات جريا على سبيل العبودية ويضاده الاشراك قال النبى (صلعم) الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل فيلزم من هذا أن الاخلاص أخفى من دبيب النمل إذ لا يتوصل لخفى الاشراك إلا بخفى الاخلاص فالظاهر من الاشراك يسلط عليه الظاهر من الاخلاص وماخفى فكذلك . فالاخلاص صعب المرام وإن كان يبدو فى الجملة هينا وله أربعة شروط * الاول اتحاد معنى العبادة فى القلب مجردة عن واردات الخواطر المنافية للاخلاص استنتاجا لما احتوى عليه الذكر من لذيذ المناجاة وترفعا عن دناءة ما يتعلق بالفكر من ضروب شواغل الآفات يكون ذلك متصلا باتصال ذكره وسائر عباداته دون فتور فى الاغلب والاكثر من أحواله حتى إذا حصل فى موقف الطمأنينة اتصل معنى الاخلاص مع أنفاسه * الثانى غيبة القلب فى أعمال الطاعات عن الالتفات لغير الله تعالى والاعراض عن الاغراض الطارئة على الاخلاص حتى لاتمتزج الطاعات بما يغايرها من المباحات ولا تختلط القربات بما تقتضيه العادات ومتى فعل ذلك فقد تكدر عليه مشرب الاخلاص * الثالث الصبر على تجرع مرارة ماينافى الطباع وينافر الهوى من أمور الاخلاص بربط النفس لقوانينه وحملها على سبيله والمحاسبة على خطراته وإن دقت لان الاخلاص من أشد الاشياء على القلب وأصعبها على النفس إذ لاحظ لها فيه تميل إليه من أجله إنما هو خروج عن حظوظها بالرجوع إلى خالقها وهو من مفاتيح المراقبة * الرابع عدم المبالاة بغير الله تعالى تعويلا على انه المولى الذى يجب أن يكون له الدين الخالص ومن فعل ماوجب عليه لم يبق له إلا انتظار المنة وورود ألطاف المعارف على قلبه شيئا فشيئا وله أربعة آداب * أولها الجزع من سلب الاخلاص بسابقة الاهمال

فتصير الوجهة هباء . ثانيها اتهام النفس فيما تدعيه من توفية حق الاخلاص فلابد من فطنة زكية تبرز حقيقة الاخلاص إلى جنبة إمحاض الوجهة إلى الله تعالى . ثالثها اللجأ إلى الله تعالى بالضراعة والفزع اليه بالدعاء مع مرور الأزمان . رابعها مطالبة النفس بالاخلاص فى المباحات والعادات مع احضار نية القرب فى ذلك التزاما بوظائف العبودية فى كل حال فالخاص بهذا الموقف من مراتب التوحيد مبادى توحيد الافعال ثاني مرتبة من مراتب التوحيد الدوق وليس تقسيمه باعتبار حقيقته وماهيته وإنما هو باعتبار ثمراته وأذواقه لان الايمان لايقوم إلا بعلم اليقين الذى لاشك فيه ان الله تعالى واحد فى أفعاله وصفاته وذاته والعلم بهذا لايتجزأ ولايتبعض لكن معارفها الذوقية لاينالها السالك دفعة واحدة بل ترد عليه أولا معارف من معانى أفعاله ثم ترد عليه ثانيا معارف من معانى صفاته ثم ترد عليه ثالثا معارف من معانى ذاته ومعارف كل من المراتب ليس كمعارف غيره لكنه بالعثور على البعض يتقوى على البعض الآخر فالقصد هنا إثبات أفعال الله تعالى بنفى أفعال من سواه حتى يرسخ ذلك المعنى فى القلب ويثبت فيه فيتحلى بموجبه تحلية لاينفك عنها فتجد صاحبه لايتأثر بشىء من أفعال من سواه ولا يكترث به بل يرى أفعال الخلق ليس منها إلا ما للآلة المصرفة بخلاف مايحصل من ذلك بمجرد العرفان صاحبه لايخلو من التأثر لإساءة المسيء وإحسان المحسن والناس فى هذا التأثر طبقات كما قدمنا فى الباب الثانى فابعدهم من الحق من ينسي المسبب تعلقا بالأسباب والغالب من سائر طبقاتهم الميل مع الأسباب فمن قوى الميل وضعيفه وأما مايحصل عن الذوق المشار إليه فلايبقى معه نسيان ولاميل بل يرى الافعال كلها من الله وإن قام ظاهره فى ذلك بما يقتضيه من الوظائف الشرعية فباطنه ثابت على مااقتضاه ذكره من نفى وإثبات فليبدأ بالاستغفار بلفظه المتقدم إذ لابد منه فى كل حال وهو فى هذا المقام من غفلة الفكر عن استصحاب الذكر وعدم القيام بوظيفة الشكر كما قدمنا ليهيء بذلك طهارة فى باطنه لما يرد عليه من التصلية والهيللة ثم ليتبعه الصلاة على النبى ﷺ فهى هنا للاهتداء إلى حقائق المعتقدات كما تقدم والمختص بهذا المقام هنا روح الصلوات منها أعنى وسطى صلوات الورد الثلاث ﴿اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما﴾ بمقدماتها السابقة وعددها المعلوم فى مقام الاسلام فقد تضمنت هذه الصلاة الأربعة الأوصاف الرائقة الأوساط والأطراف ليسكن بهاشره المريد وقد كان استبطأها لما أثرت فيه الصورة الكريمة المنطبعة فى مرآة فكره السليمة لأنه كان مقيما على تصلية فى مقام الإسلام خالية من الأوصاف الظاهرة البهية الباهرة إذ قد كان حظه من تصديقه به التقليد من حسن السمت والعذوبة المستحسنة طبعا التى لاينشأ عنها فى الغالب إلا الصدق والآن فقد خامر تصديقه عقله لتأويله الرؤيا المتقدمة المصرحة بأنها لاتصدر إلا عن إخبار من المولى جل جلاله لمن حسنت خلاله * ثم ليذكر الهيللة على نحو ماتقدم من لفظها وعددها المعلومين ليتنفس بين الألفاظ قدر مايقول له قدوته وملقنه لفظة قل. واعلم علم يقين أنه لا إله إلا الله إذ علم اليقين داخلته مباديه فى موقف التقوى من مقام الإسلام ودخل به مقام الايمان وليتلمح المعانى فى هذا المقام إذ هو مقامها وقد وجده الحال فرغ من الظواهر من استحضار صورة القدوة والصورة الكريمة والمواطاة فلم تبق إلا جواهر المعانى للمعانى إذ المراد من الذكر انطباع معناه فى النفس حتى تتصف بمقتضاه ولا يصل إلى ذلك إلا بالتدبر والتفكر ومدافعة الخواطر المغايرة لمعنى الذكر عن الفكر ثم إذا حصل المعنى فلابأس بالإسراع وأما إذا كان الإسراع مخلا بشىء من التدبر فلاخير فيه مع أن السالك لايبلغ هذا الموقف

إلا وعنده من ألمه الذكر ما يحمله على الاسترجاع ولهذا فعليه أن يجعل هذه تبالتدبره وليعمر بين أوقاته بقصده الاعظم وهو استحضار الصورة الكريمة والقدوة والقاؤها معنى الذكر بدون لفظ ومن علامة مبادىء الوصلة أن يكون اللسان كأنه لاوية ومعنى الذكر موفور على الباطن لا ينقطع ولا يفتر ولا يصفو له هذا المشرب إلا في آخر موقف الصدق وثمرة مقصده هذا التهليل في هذا الموقف سكون الباطن إلى جريان الاحكام الالهية الواصلة إليه بسبب أو غيره. وذلك ان أفعال الله عز وجل في جميع الموجودات لا تفارقها الحكمة البالغة من ايجاد واعدام واماتة وإحياء وصحة وبلاء ومنع وإعطاء كل ذلك عن علمه وارادته وحكمه وقضائه فقد ربط الله جل وعز جميع الكائنات بعضها ببعض ورتب بعضها على بعض كما تقدم في الباب الثاني من الكتاب فربما ظهرت من الامور مباديها فاستعجل الإنسان بما ركبت عليه طباعه من العجلة فاضطرب وتلون قبل وقوفه على نهايتها والامور كلها ظاهر وباطن فقد تكون الحكمة في الظاهر دون الباطن وبالعكس والنفس لا يكاد يفارقها سوء الظن ولو تصفت النفس غاية تصفيتها من عللها التي حجبتها عن رؤية الحقائق لارتفع عنها الاشكال ولذهبت عنها الاوهام حتى تقف على حقائق الموجودات بما هي عليه من جميل ترتيب وحسن ارتباط لكن وظيفة صاحب هذا الموقف أن يحصل عنده يقين جبلي بحسن أفعال الله عز وجل وجميع عوائده حتى لا يبقى معه اعتراض ولا سخط ولا يتخلص من البقايا الوهمية إلا في موقف الصدق فمن رزق طعم مذاق التوحيد استراح من شدة الطباع فجلى سره وتنزه باطنه وانشرح صدره وخفت مؤنته وخلصت وجهته وإن كانت الطباع البشرية لا يخلو صاحب هذا الموقف عن نفرتها عما يخالفها أو سكونها لما يوافقها فصاحب الذوق كلما ورد على طباعه وارد مؤثر حرك في نفسه دواعي التوحيد بما اقتضاه ذكر التهليل فاتصفت النفس بمقتضاه وخنس الطبع ورجع خاسئا مذعنا لمعنى التوحيد ولم يبق عنده من الشره ما يحمله على هتك أستار الحدود وخرق الأدب ولا يبقى مع صاحب هذا الموقف من التلوين ما يحمله على تسخط أو حقد أو غضب أو نفور أو ميل أو اعتراض بوجه كل ذلك قائم على قواعد الشرع ثابت مع رسوم السنة من إقامة الحدود وانفاذ الأدب والحب في الله والبغض في الله وشكر المحسن فتجده قائما بأمر الله تعالى في ذلك كله مع سكون باطنه إلى حقيقة التوحيد ومهما تعدت الحقيقة طور الشريعة فتحقق صاحبها معلول ومشربه مدخول وإنما العدل في لزوم الاعتدال بالجمع بين مقتضيات الحقيقة ومقتضيات الشريعة فوظيفة من ذاق مبادىء توحيد الافعال هنا أن يرى الأفعال كلها حركاتها وسكناتها صادرة عن الله تعالى واردة عنه نافذة بقدرته وإرادته لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ولا غالب لقدرته ولا ناقض لحكمته يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد تعالى أن يكون في هذا الملك ما لا يريد * ومما يصفي لك مشرب توحيد الافعال أن تعلم كون الاشياء حادثة بأسرها وانها لم تزل مفتقرة إليه تعالى في حال وجودها وفي حال عدمها على حد سواء وها نحن نذكر لك نبذة تذيقك حلاوة فهم حدوث العالم فنقول قال شيخنا رضي الله عنه في أول شرحه لياقوتة الحقائق ولقد وقع في الخبر ان الحق سبحانه كان في الازل ولا شيء معه فبرزت حقائق الوجود المحسوسة شئونا ملحوظة لا وجود لها في الخارج وخاطبت الاسماء الالهية التي هي لهذا الاسم الشريف كالفلك المحيط على قطبه فقالت الموجودات للاسماء انكم الآن لا تعرفون لانكم في بطون البطون فلو أبرزتمونا للظهور لظهرت فينا أحكامكم وتوجهت فينا تصاريفكم فتميزت مراتبكم عن بطونها وعرفتم وعرفنا فقالت الاسماء للاسم الجامع وهو الرب وتوجهت إليه الاسماء بما توجهت إليها حقائق

فقال لهم الوجود الاسم الرب حتى أدخل على الاسم الجامع وهو الله فدخل على حضرته وخاطبه بما خاطبته به الاسماء فقال له حتى أدخل على مدلولى فدخل على الحق فى حضرة جلاله جل وعلا وهى حضرة الذات المقدسة فخاطبه بما خاطبت الاسماء به الرب وطلب منه ماطالبته به فقال له الحق سبحانه وتعالى أخرج إليهم فانى مبرز ماطلبتموه فكان عن هذ السؤال بروز الوجود بأسره اهـ ﴿ومثله﴾ ماقال الشعرانى رحمه الله فى اليواقيت والجواهر فى بيان اعتقاد الاكابر فى مبحث حضرات الأسماء الممكنات فى حال عدمها سألت الأسماء الالهية سؤال ذل وافتقار وقالت لى الأسماء ان العدم أعمانا عن إدراك بعضنا بعضا وعن معرفة مايجب لكم من الحق علينا فلو أنكم أظهرتم أعياننا وكسوتمونا حلة الوجود لأنعمتم علينـا بذلك وقمنا لكم بماينبغى من الاجلال والتعظيم وأنتم أيضا كانت تظهر علينا سلطنتكم بالفعل فأنتم اليوم علينا سلاطين بالقوة والصلاحية دون الفعل فاجتمعت الأسماء الالهية بحضرة المسمى حين الازمان فقالوا كيف العمل حتى تظهر هذه الأعيان فلجأت الأسماء الالهية التى يطلبها حقائق العالم وهي الاسم الخالق والمدبر والمفصل والمصور والرازق والقادر والمريد والعالم إلى الاسم الباري جل وعلا فقالوا له ماقالت الأعيان فأحالهم إلى الإسم القادر وأحالهم ذلك على المريد وأنه تحت حيطته وحالهم المريد على الإسم العالم وقال ماعندى خبر بما عند الاسم العالم من الحكم فيكم هل سبق علمه بايجادكم فأخصص أولم يسبق فانى تحت حيطته فساروا إلى الاسم العالم وذكروا ماقاله الإسم المريد فقال الاسم العالم صدق وقد سبق علمى بإيجادكم ولكن الأدب أولى فإن لنا حضرة مهيمنة علينا وهى حضرة الاسم الله فلا بد من حضورنا عنده فانها حضرة الجمع فاجتمعت الأسماء كلها فى حضرة الأسم الله فقال أنا اسم جامع لحقائقهم وأنا دليل على مسمى ذات مقدس له نعوت الكمال والتنزيه فقفوا حتى أدخل حضرة مدلولى فدخل على مدلوله وذكر مقالة الأسماء وما تحاورت فيه الأسماء فقال اخرج وقل لكل واحد من الأسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته فى الممكنات فانى أنا الواحد لنفسى من حيث ذاتى والممكنات إنما تطلب مرتبتى لاحقيقى لأنى أنا الغنى والمرتبة هى التى تتعلق بالممكنات لتظهر آثارها فيهم ه وجميع الأسماء الالهية للمرتبة الأولى إلا الاحد خاصة فإنه اسم خصيص بي فخرج الاسم الله ومعه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات والأسماء فذكر لهم ما ذكر لهم المسمى فتعلق العالم والمريد والقادر والقائل فظهر الممكن الأول من الممكنات بتخصيص المريد وحكم العالم فلما ظهرت الأعيان والآثار فى الأكوان وتسلط بعضها على بعض وقهر بعضها بعضا بحسب ما استندت اليه من الأسماء طلبوا من يحد لهم الحدود فقدم لهم الإسم الله الإسم الرب فحد لهم الحدود ووضع المراسم لإصلاح المملكة ولنبلوهم أيهم أحسن عملا فسبحان الله رب العالمين انتهى باختصار وبعضه بالمعنى * وقال أيضا فى مبحث حدوث العالم الأعيان الثابتة فى العلم الازلى لم تزل تنظر إلى الحق تعالى بالافتقار أزلا ليخلع عليها اسم الوجود ولم يزل تعالى ينظر إليها لاستدعائها بين الرحمة فلم يزل ربا لنا فى حال عدمنا وفى حال وجودنا على حد سواء إلى أن قال لأن الوجود إذا خلا من هذا الارتباط صار قائما بنفسه أما الارتباط الجثمانى فلا يصح بين العبد والرب لأنه تعالى ليس كمثله شيء فلا يصح به ارتباط من هذا الوجه أبدا لان الذات غنى عن العالمين بخلاف الارتباط المعنوى كما مر فإنه من جهة مرتبة الالوهية هو واقع بلا شك لتوجه الالوهية على إيجاد العالم وهى التى استدعت الآثار فإن قاهرا بلا مقهور ومالكا بلا مملوك وقادرا بلا مقدور وربا بلا مربوب وخالقا بلا مخلوق وراحما بلا مرحوم صلاحية ووجودا وقوة وفعلا محال انتهى ولا تقل اقتضاء المرتبة وجود الخلق

وارتباط ظهورها بوجوده فيه نوع تكميل للمرتبة وهو مفيد لأنا نقول ظهور المرتبة نفعه عائد على الأعيان
الخيالية فقط لإعماء العدم إياه كما ذكرت في سؤالها فظهور المرتبة لم يكن إلا للأعيان قبل وبعد ولولا
ما حصل عندها من ظهور سلطنة الأسماء والصفات عليها بالصلاحية والقوة المنطوية عليها رأسا لما طلبت
ذلك في عالم الظهور فإذا ظهور السلطنة الصلاحية على الأعيان لها في حال عدمها كظهور السلطنة الفعلية
لها عليها في حال وجودها في حق موجودها سواء بسواء فلم يبق الا كون نفع ذلك عائدا على الأعيان
فقط لتمتعها بنعمة الإيجاد * فالعالم من حيث إنه معلوم لله في الأزل فهو قديم وأما من حيث ظهوره بالوجود
فهو حادث بإجماع فمن قال إنه قديم مطلقا أخطأ أو حادث مطلقا أخطأ . ولا تقل إن ثبوت عينه في الازل وجود
له . لا نقول ثبوت عينه ليس بموجود في الخارج فهو شبه الخيال على نحو ما يراه النائم وذلك لا وجود له في
الخارج فاذا استشعرت دوام افتقاره إلى الله تعالى علمت أنه لم يقم بنفسه وإنما قام بمدبر قديم حكيم قبل
وبعد فالاحسن أن يسكن الباطن على اعتبار الحقيقة ولو قام الظاهر في ذلك بالرسوم الشرعية فلا يتأثر
لإساءة مسيء ولا لإحسان محسن فان تحت تلك الاساءة ووقوع ذلك الإحسان ما لا يدخل تحت حصر من
حسن التدبير والارتباط سيما في تدبير الانسان وما أسدى اليه من صنائع الامتنان . قال في الارشاد فلتعلم
أن الحق تعالى تولاك بتدبيره في جميع أطوارك وقام لك في ذلك بوجود ابرازك إذ قام لك بحسن التدبير يوم
المقادير يوم ألست بربكم قالوا بلى * ومن حسن تدبيره لك حينئذ أن عرفك به فعرفته وتجلى لك فشهدته
واستنطقك فألهمك الاقرار بربوبيته فوحدته ثم إنه جعلك نطفة مستودعة في الاصلاب وتولاك بتدبيره
هناك وحافظا لما أنت فيه مواصلا لك المدد بواسطة من أنت فيه من الآباء إلى أبيك آدم ثم قذفك في رحم
الأم فتولاك بحسن التدبير حينئذ وجعل الرحم قابلا لا يوائك أرضا يكون فيه نباتك ومستودعا تنمو فيه
حياتك ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما فكنت عنهما لما بنيت عليه الحكمة الالهية من أن الوجود كله
مبني على سر الازدواج . ثم جعلك بعد النطفة علقة مهيأة لما يريد سبحانه أن ينقلها اليه . ثم بعد العلقة مضغة
ثم فتق في المضغة صورتك وأقام فيها بنيتك ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ثم غذاك بدم الحيض في رحم الام
فأجرى عليك رزقه من قبل أن يخرجك إلى الوجود ثم أبقاك في رحم الأم حتى قويت أعضاؤك واشتدت
أركانك ليهيئك إلى البروز إلى ما قسم لك وعليك وليبرزك إلى دار يتعرف فيها بفضله وعدله اليك ثم
لما أنزلك إلى الأرض علم سبحانه أنك لا تستطيع تناول خشونات المطاعم وليس لك أسنان ولا أرح
تستعين بها على ما أنت طاعم فأجرى الثديين بالغذاء اللطيف ووكل بهما مستحث الرحمة في قلب الأم
فكلما وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمة التي جعلها لك في الأم مستحثا لا يفتر ومستنهضا لا يقصر
* ثم شغل الأب والأم بتحصيل مصالحك والرأفة عليك والنظر بعين المودة منهما اليك وما هي إلا رأفته
سبحانه ساقها للعباد في مظاهر الآباء والأمهات تعريفا بالوداد وفي الحقيقة ما كفلك الا ربوبيته ولا حضنك
إلا ألوهيته ثم ألزم الأب القيام بك إلى حين البلوغ وأوجب عليه ذلك رأفة منه بك ثم رفع قلم التكليف عنك
إلى أوان استفحال الإفهام وذلك عند الاحتلام ثم كذلك إلى أن صرت كهلا لم يقطع عنك نوالا ولا فضلا
ثم إذا انتهيت إلى الشيخوخة استحيا منك ورفع قلم المؤاخذة عنك ثم لا تنقطع زوائد امداده وعوائد
بره ووداده ثم إذا قدمت عليه ثم إذا حشرت اليه ثم إذا أقامك بين يديه ثم إذا سلمك من عقابه ثم إذا أدخلك
دار ثوابه ثم كشف عنك مسدول حجابه وأجلسك مجالس أوليائه وأحبابه فلأي إحسانه تشكر وأي

آلائه تذكروتدبر قوله تعالى ـ ومابكم من نعمة فمن الله ـ تعلم أنك لم تخرج ولن تخرج عن إحسانه ولن يعدوك وجود فضله وامتنانه فالتدبير منك لنفسك مع هذا جهل منك بحسن النظر لها * ومع هذا فمقامات اليقين تسعة وهى التوبة والزهد والصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل والمحبة والرضا ولا يصح واحد منها بدون إسقاط التدبير مع الله تعالى الاختيار وذلك أن التائب كما يجب عليه أن يتوب من ذنبه يجب عليه أن يتوب من التدبير مع ربه لأن التدبير والاختيار من كبائر القلوب والأسرار والتوبة هى الرجوع إلى الله تعالى من كل شيء لا يرضاه لك والتدبير معه لا يرضاه له لانه شرك للربوبية وكفر لنعمة العقل ولا يرضى لعباده الكفر وكيف تصح توبة عبد مهموم بتدبير دنياه غافل عن حسن رعاية مولاه وكذلك لا يصح الزهد الا بالخروج عن التدبير لأن الزهد الخروج عما أنت مخاطب بالخروج عنه وفيه تدبيرك * إذ لزهد زهدان ظاهر جلى وباطن خفى فالظاهر الجلى الزهد فى فضول الحلال من المأكولات والملبوسات وغير ذلك . والزهد الخفى الزهد فى الرياسة وحب الظهور ومنه الزهد فى التدبير مع الله اه وكذلك لا يصح صبر ولا شكر إلا باسقاط التدبير وذلك أن الصابر من صبر عما لا يحبه الله ومما لا يحبه الله التدبير معه جل وعلا والاختيار * إذ الصبر على أقسام صبر عن المحرمات وصبر على الواجبات وصبر عن التدبيرات والاختيارات * ومنها اسقاط التدبيرات مع الله وكذلك لا يصح الشكر الا لعبد ترك التدبير مع الله تعالى اذ الشكر أن لا تعصى الله بنعمته ولولا العقل الذى ميزك به عن أشكالك وجعله سببا لكمالك لم تكن من المدبرين معه اذ الجمادات والحيوانات لا تدبير لها مع الله لفقدان العقل الذى من شأنه النظر الى العواقب والاهتمام ويناقض أيضا مقام الخوف والرجاء إذ الخوف متى توجهت سطوته إلى القلوب منعها أن تستروح إلى وجود التدبير والرجاء أيضا كذلك إذ الراجى قد امتلأ قلبه فرحا بالله ووقته شغلا بمعاملة الله فأى وقت يسعه فيه التدبير مع الله وكذلك يناقض مقام التوكل وذلك أن المتوكل على الله من ألقى قياده إليه واعتمد فى كل الأمور عليه فمن لازم ذلك عدم التدبير والاستسلام لجريان المقادير وتعلق اسقاط التدبير بمقام التوكل والرضا أبين من تعلقه بسائر المقامات وكذلك يناقض أيضا مقام المحبة إذ المحب مستغرق في حب محبوبه وترك الارادة معه هو عين مطلوبه ليس يتسع وقت المحب للتدبير مع الله لأنه قد شغله عن ذلك حبه لله وكذلك يناقض أيضا مقام الرضا وهو بين لا إشكال فيه وذلك لأن الراضى قد اكتفى بسابق تدبير الله فيه فكيف يدبر معه وهو قد رضى بتدبيره ألم تعلم أن نور الرضا يغسل من القلوب وعثاء التدبير فالراضى عن الله بسطه نور الرضا لأحكام الله فليس له تدبير مع الله تعالى وكفى العبد حسن اختيار سيده له . وهذا المقام الذى أشرنا إليه هنا وإن كان تمكينه منزل الطمأنينة فبدايته من ثمرات هذا المنزل انتهى بحذف منه . ونتيجة ثمرة مقصد هذا التهليل اتصاف النفس بإحدى عشرة صفة حميدة تنفى عنها إحدى عشرة ذميمة . الأولى الزهد وهو خلو الباطن من الميل إلى فان وفراغ القلب من الثقة بزائل تنزها عن الاشتغال بمضمون فلا يتعلق بما يزول . ثم التوكل وهو ثقة القلب بالوكيل الحق تصديقا [illegible] وسكون [illegible] الاضطراب لاضطراب الأسباب تعويلا على المسبب فلا يقدح فى التوكل تلبس الظاهر بالأسباب إذا كان القلب فارغا حال وجودها وعدمها فلا يركن إلى الخلق ذهولا عن الحق ولا يعول على الأسباب غفلة عن المسبب . ثم الحياء وهو تعظيم الله عز وجل بدوام ذكره والتزام أمره ونهيه والامساك عن الشكوى إلى غيره فلا يتسخط فيما يضاد الطباع مما تجرى به الاحكام ولا ينبسط فى تضييع الحرمات وتبذير الأوقات . ثم الغنى وهو غنى القلب سلامته من فتن الاسباب

والاذعان لمسالمة الحكم والخلاص من الخصومة فلا يعترض على أحكام الخالق بتعليلات فارغة وشرك خفى لو كان كذا لكان كذا ثم الفقر وهو نفض اليدين من الدنيا ضبطا وطلبا وسكوت اللسان عنها مدحا وذما فلا يميل إلى التكاثر بالتأويل ثم الايثار وهو ايثار الخلق على نفسه بما لا يذمه الشرع فلا يقرب رعونة الشيخ ولا يأسى على فائت ولا يفرح بآت ثم الفتوى وهى التجافى عن مطالبة الخلق مع الإحسان إليهم ولو ببذل السلام وتصفية الباطن لهم على كل حال وهى فوق المسالمة فلا يحقد ثم الشكر وهو افراد القلب بالثناء على المحسن الواحد الحق باخلاص القصد وتصفية السعى من شوائب عثرات الخطرات هذا فى السراء خاصة وأعلى من ذلك جريانه فى السراء والضراء على حد سواء يتلمح النعم فى طى النقم فلا يتناوم عن تلمح حكمة الاحكام ولا يتعام عن استبصار أسرار نظم الوجود بما لا مطعن فيه للعقل ثم العبودية وهي فوق العبادة ودون العبودة لان العبادة صادرة عن علم اليقين سبيلها مقام الاسلام والعبودية وارادة من عين اليقين طريقها مقام الإيمان والعبودة آتية من حق اليقين منهجها مقام الإحسان فالعبودية تكليف الباطن باحكام ما وقف عليه القلب بعين اليقين من حقائق التوحيد فلا تعرض الشكوك وطوارق الأوهام ثم الخلق وهو أعلى من التخلق الخاص بموقف الاستقامة لانه طلب الخلق بما لا يخلو عن كلفة وحمل مشقة أصله الاقتداء وسبيله العلم وأما الخلق فهو الصادر عن ذوق وتحقيق بان الخلق باقدارهم مربوطون وفى طاقتهم محبوسون وعلى الحكم الالهى موقوفون وأن جميع تصاريف الخلق على اختلافها اقتضتها حكمة نظم هذا الوجود ومع ذلك فلا تتحرك ذرة فما وفقها ولا تسكن إلا بالقدرة القديمة والارادة الازلية والحكمة البالغة فاذا تحكم هذا المعنى فى النفس وقام وصفابها أثمر الخلق الجميل والمحمل الحسن فينتفى وهن الشك وشعب الاشراك ثم المراقبة ونعنى بها استعظام تصديق القلب بالغيوب سكونا إلى الاحكام فلا يتعلق بالامانى وارسال الفكر فى الآمال ومن علامات حصول هذه النتيجة استواء المدح والذم من العامة وطهارة القلب من الأحقاد من غير كلفة ويعلم ذلك بالمجازاة عن الإساءة بالإحسان ونسيان الجزاء على الاعمال لتعلق القلب بمن يصعد إليه العمل وتجرد الفكر عن الالتفات لاستحلاء نظم الخلق واطلاق الثناء لان المخلص مطلوب بالتزام طريق العبودية مخلصا من شوائب الآفات ولا أقول إن هذا خاص بتخليص النيات فقط لأن النيات بعض العبادات الباطنة التى تفتقر إلى الاخلاص فى معاملة الواحد الحق كما أن الاخلاص لا يختص بالخلاص من مؤنة الرياء فقط لكن الرياء فرد من أفراده لكنه أعظم تلك الافراد وأكثرها ومنها خروج القلب عن أوهام كافة الخلق حتى لا يبقى لقلب تعلق بغير الله تعالى والاخلاص سر من أسراره تعالى يخص به قلب من شاء من عباده وقد ينتهى الاخلاص إلى حد نسيان العمل والذهول عنه استغراقا فى الوجهة إلى الله تعالى واعلم أن من لازم صاحب هذا الموقف أن تكون همته الآخرة وهمه الله تعالى وأمله فى الله تعالى وان اقتصر على الضرورى الذى لا بد منه ومن الدنيا وما يتعلق به من معاملات الخلق والتباعد عن أهل الدنيا والتوبة من مخالطة أهل الغفلة واتهام النفس فيما تسارع إليه وان كان من أمور الآخرة لما جبلت عليه من الخديعة والمكر واجتناب الاعمال الجهرية فيما لم تشرع فيه الجماعة وان لا يتعدى عن طور الخلق وعادتهم فى الملبس والزى مما لا يجاوز حد الاباحة والاستخارة فى جميع أموره وإدامة النظر فى عجائب الوجود ليشد بذلك عرى توحيده وليجمع بين طهارة الباطن وطهارة الظاهر فلكل منهما تأثير فى الأخرى وليحذر الميل لغير الله تعالى ومهما مالت الطباع إلى شىء مما يقدح فى حال من أحوال موقفه ردها بزاجر الاستغفار والحقير من ذلك خطير

والصغير كبير مانع وحاجب عن فوائد ثمرات الإخلاص ولا يستبد بنظره في شيء من أحواله إلا بمطالعة قدوته والعمل باشارته كيف لا وشعب الاخلاص مما يخفى على الاكابر وتحار في صوره البصائر وليلازم المصلحات وليباعد المفسدات وليعلم أنه دخل في هذا الأمر مقدما قلبه بين يدي نجواه لربه فليمط الاذى عن قلبه وليهيئه بالطهارة لربه إلى غير ذلك من مطالعة العلم الذي به يقوم طريقه ويسهل سلوكه وحذار حذار من التسامح في المتشابه فضلا عن الحرام والترخص في المباحات فضلا عن المكروهات وليكن تقليله من الغذاء على سبيل التدريج لئلا يخل بالجسم إلى الهلاك فيقع في الخطر ولا يطرق أسباب معاشه بالوجه الحلال ومهما تعذر سبب انتقل لآخر حتى إذا تعذرت الاسباب علم أن المراد منه مواصلة الوجهة إلى الله ظاهرا كما واصلها باطنا فليصمت إلا عن الحق وليخل إلا عن جماعات الدين وليذكر ذكرا متصلا على كل حال وليجمع إلا عن مقدار ما يقيم به الظهر وليكن استفتاحه الحمد لله الذي هدانا لهذا الخ الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ـ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الى بغير حساب ـ ربنا آمنا بما أنزلت الى مع الشاهدين ـ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على الى عبادك الصالحين ـ رب اغفر لي ولوالدي الى آخر الاستفتاح الأول في مقام الاسلام وليعبأ من تقدمته من المقدمين ما استطاع وليذكرهم فردا فردا حتى يبلغ الشيخ وليعمر ما بين أوقاته بتذكر معاني ذكره فان ذلك مما يعين على الحضور حال الذكر إذ الحضور خارجه ينتج الحضور فيه وليجعل الاستفتاح بعضا من الورد ولا يستخف به فانه كفيل بما احتوى عليه الورد من المقصد والثمرة حتى إذا استعمل الاخلاص وحصل من دواعي فساده الخلاص قيل الملك القلب اعمد الى تصفية الاخلاص بموقف الصدق فان الاخلاص مختص بنفي الاشراك المكدر مشرب توحيد الافعال مع بقاء امتزاج الخواطر الاخرى كالمداهنة والنفاق فلابد من تصفية المعاملة من تلك الخواطر كتصفية التشجيرة للذهب ولا يكون ذلك إلى بالصدق ولا يشم رائحته من داهن نفسه فيما قل أوجل ولا يكمل الصادق صدقه حتى يكون بحيث يموت ولا يستحي من سره لو كشف عنه فيحتاج إلى معرفة الصدق * فنقول وبالله حصول المأمول .

﴿ الموقف الثاني من مقام الإيمان الصدق ﴾

وهو هنا عبارة عن معاملة الله تعالى من امتزاج الخواطر الجلية والخفية وهو أول صفقة يعقدها السالك مع الله عز وجل في بيعه منه ولا تحتمل صفقة البيع من الله تعالى بخسا ولا فسادا ولا يجمل فيها التواني والتثبط والارتياء * فالاخلاص يختص برسوخ قواعد توحيد الأفعال في النفس * والصدق يختص بتصفية مشرب ذلك التوحيد من كدورات الأوهام ببذل العبد مستطاع النية في الوجه ﴿ وله أربعة شروط * أولها ﴾ طرح العلائق القادحة في سبيل الصدق خروجا عن الشواغل القاطعة عن الوفاء بالخلاص في تصفية مشرب التوحيد من غير ترخص ولا تأويل لأن ذلك ينافي صدق العزم وينافر صحة القصد ويذهب بشعاع مبادي أنوار اليقين وينبغي لمن باع نفسه من الله عز وجل وجاهد في الله حق جهاده أن يشد عرى عزائمه بلزوم ما لا يلزم ذريعة لما يلزم ويتجافى عما ينقص صفقته الرابحة من شعب الأهوية وطوارق الأوهام * ثانيها إسقاط حظوظ النفس في الوجهة إلى الله تعالى بإخماد نار الأهوية وانقشاع شراب الآمال ركونا إلى نور الصدق وتعويله على ثلج اليقين وقوفا مع الواحد الحق من غير كسر لميزان الشرع ولا عدول عن سبيل العدل ولا خرق لحجاب الأدب ولا إصغاء لحديث النفس * ثالثها تصحيح العزم بإمحاض القصد في معاملة الرب وسداد السعي بموافقة القلب حتى يجتمع القصد والسعي على منهج مقتضى التوحيد

ويتوارد الظاهر والباطن على سواء السبيل وفاء بصحة العزم فان الصدق لايستقيم إلا على حرف واحد مشدود الازر برضا الله تعالى في الأعمال والأحوال والأوقات وهي حالة من أحوال العدل أرق من الشعرة وأحد من السيف لكنها توصل إلى لذيذ مشرب الطمأنينة * ولصعوبة أمد الصدق وقف أكثر السالكين عنده فلم يتمكنوا فيه فضلا عن أن يجاوزوه لضعفهم عن القيام بوظائفه لأنه عقد نهايته تشير إلى توحيد الصفات الذي تحيرت فيه ألباب الاكياس ولم يبلغوه حتى قارب كل منهم الاياس * رابعها ملازمة الكتمان غيرة على أسرار الرحمن واحتياطا لمداخلة الأوهام فان الصدق لله تعالى عمدته ترك الفضول بشخوص بصر البصيرة في مطلع سر التوحيد ولأن هذا شاغل عن قيل وقال ﴿ وأما آدابه فأربعة * الأول ﴾ حفظ الوقت من الخواطر وتصفية القلب باتحاد الضمائر وتعلقه بعالم السرائر * الثاني تلمح الحكم من مختلفات الوجود عاقله وبهيمه وناطقه وصامته في طرفي السراء والضراء باستروح هبوب الأسرار من مختلفات الوجودات تعاميا عن كل هوى وتصامما عن كل شاغل * وثالث اتهام النفس مع وفائها في توفية حقوق الخلق من الذرة الى الفيل وما فوقهما من إنس وجن وملك وصامت وناطق وهي حقوق جاوزت العد والحصر وبنور الصدق يهتدى الى أصولها وفروعها بملاحظة حق الله تعالى في ذلك وحفظ الأحوال واخلاص الأعمال * الرابع ترك الاجتهاد بالتأويل حفظا لرسوم القوم من التغيير والتبديل وهو ان كان له نظر من وجه مافنظره مقصور وعمله محجور فلنبدأ أولا بالاستغفار بعد استحضار الصورة الكريمة والقدوة ومقدميه متنفسا بين الألفاظ قدر مايقولون له قل حتى يتم عدده المعلوم ثم لتأت بروح الصلوات المختصة بهذا المقام بعددها المعلوم إذ لايخلو مقام من الاستغفار والصلاة كما قدمنا ولا يعتد من الاذكار بعالم يصبه معناه مستشعرا في معنى اضافة كافة الخطاب من لفظة عبدك ونبيك ورسولك قربه لربه وقرب ربه منه * ثم لتذكر الهيللة بعددها المعلوم وكيفها المتقدمين مستشعرا تلقين أهل حضرتك من الصورة والقدوة ومقدميه وسيلتك فقل مع زيادة اعلم علم يقين أنه لا إله إلا الله مستصحبا معنى التنزيه من أول أذكارك إلى آخرها * فأما الاستغفار فهو ناشىء عن نقص حقيقي في العبد من احتياجه لمن يكون له عبدا ثم لمن يعامله بالمغفرة والعفو ثم لمن يزيده احسانا إثر كفران النعم مكانه يقول تنزه ربي عن وصفي * وأما الصلاة عليه ﷺ فهي صريحة في أن الله منزه عن التحجير يفعل ما يشاء ويختار ولا يسئل عما يفعل إذ اختار هذا السيد وفضله على سائر العباد ورفع ذكره في كافة البلاد من غير عمل تقدم منه ينشأ ذلك عنه بل بمحض كرم وجود منه ولا مرد لذلك المختار والمراد سبحانه وتعالى ولا شريك له في التقريب والابعاد * وأما الهيللة فان مطلق النفي والاثبات يقتضي عموم تنزيه الله تعالى عما لايليق به في الفعل والوصف والذات فبالتنزيه المستحضر من الاستغفار والصلاة منظا إلى ما تقتضيه الهيللة تتم مقتضيات التنزيه فالاستغفار كفيل باستحالة ما يستحيل وتفضيل النبي بالصلاة واف بجواز مايجوز والهيللة آتية بوجوب مايجب في حقه تعالى فاستشعار التنزيه في ضمن جملة أذكارك في هذا الموقف دون غيره من المواقف مطلوب * ألا تراهم جعلوا ألفاظ التسبيح الصريحة في التنزيه هي الذكر الخاص بهذه المواقف مكان ذكر الهيللة قالوا العدم وفاء الهيللة بزوال الأوهام الباقية بعد النفي والإثبات ولابد من لفظ خاص إذ الفكرة قد تذهل عما تقتضيه الطباع البشرية من استصحاب معنى الأفعال الأحدية ميلا إلى المألوف البشري ولاشك أن ذلك يبقي أوهاما تكدر مشرب توحيد الأفعال ولا يخلص من ذلك إلا ما اقتضاه ذكر التسبيح من تنزيه الله عز وجل عما لا يليق به حق

يبرز إلى الفعل ما كان حاصلا بالقوة حتى تثبت رسوم توحيد الأفعال فى النفس وترسخ فيها خالصة من الكدورات صافية من الأوهام صادقة فى الاتصاف بمقتضاها (قال بعضهم) التنزيه توحيد خاص يسلط على تصحيح التوحيد العام ومعنى الخصوص هنا والعموم راجع إلى ما يقتضيه النفى لا إلى ما يقتضيه الاثبات لأن المثبت واحد والمنفى أعداد فاذا استعملت أذكارك الثلاثة كما ذكرنا أثرت معنى التنزيه تأثيرا يبلغ درجة تأثير لفظ التسبيح مع انضمام تسبيح شيخنا رضى الله عنه المأثور عنه دبر الصلوات خارج الورد اللازم سبحان من تعزز بالعظمة سبحان من تردى بالكبرياء سبحان من تفرد بالوحدانية سبحان من احتجب بالنور سبحان من قهر العباد بالموت ٭ وثمرة هذا المقصد فى هذا الموقف هى رؤية جميع الأكوان والواردات جمالا وكمالا بنفى التلوين وطرد الأوهام والخروج عن الاضطراب سكونا إلى الواحد الصمد وعدولا عن جميع الأغيار ومهما طمح بصر البصيرة إلى ترجيح هوى فنظره معلول لان القلب إذا داخله الصدق الثابت الراسخ الصحيح لا تزحزحه الاوهام ولا تطرقه الاغيار ولا تعتريه الاشكالات كيف وصاحب التنزيه يروم الحلول بساحة الاستراحة حتى يرمى عن ظهره أعباء الاوهام فجميع الواردات عنده سواء ولا فرق عنده بين حالة الموت وحالة الحياة لتمسكه بطرف من الحياة الدائمة لما استنشق عبير نفحات الطمأنينة ولولا ما بقى عنده من آمال هذه الدار من تخليص ما بقى عليه من علل نفسه ليرد الامانة إلى ربها طاهرة كحالها الاول قبل التركيب لاختار الموت لتعلق القلب وأمله بالله عز وجل ٭ وقد قال بعض أهل هذا الشأن الصدق إيثار لقاء الله عز وجل على مكث فى الدنيا لان الصدق يثير العطش إلى الله تعالى (قال) ومهما أحب الصادق البقاء للازدياد من العمل فذلك عقوبة ما فاته من الصدق لميله عن الله تعالى إلى رؤية العمل ٭ قال الساحلى وهذا القول عندى مرجوح إلا أن أردنا بالصدق ما هو أخص مما أشرنا اليه هنا وهو الذى ينشأ عن المحبة لأن الصادق فى هذا الموقف مشربه التسليم فلا يختار على الله عز وجل شيئا من حياة أو موت أو غير ذلك الا ما اختار الله له غير أنه للبقية التى بقيت عليه من نفسه يجنح الى إيثار الامهال لقضاء ما بقى عليه من بقية نفسه على خجل لأن التسليم والتفويض يأبيان إيثار شىء غير ما تجرى به الأحكام وبهذا يظهر لك أن قول القائل الصدق إيثار لقاء الله عز وجل يومىء الى صدق أهل النهاية لأن الصدق وان كان له خصوص بهذا الموقف فهو عام فى سائر المواقف كما هو فى غيره من سائر أسامى المواقف فأهل المشاهدة الذين لم يمكنوا حتى بلغوا موقف المعرفة لورود أنوار المشاهدة عليهم وقتا دون وقت قد يغلب عليهم وارد الشوق فيريدون تواصل تلك الأنوار بمفارقة الجسوم التي هى قواطع عن تواصل تلك الأنوار وإذا عرضت إرادتهم هذه على محك النظر لا تخلو عن شائبة قادحة فى مشرب أهل المشاهدة لكنهم مسامحون فى نفثات المحبة الصادرة عن الشوق مع إرادة وجهه الكريم لا قدح فيها ٭ ونتيجة هذه الثمرة اتصاف النفس باحدى عشرة صفة حميدة تنفى عنها مثلها ذميمة ٭ الأولى التفويض وهو أعلى من التوكل لأن التوكل إنما يكون عند وقوع السبب والتفويض قبل وقوع السبب وبعده وتحقيق لازم للاضطرار [illegible] التفات الى جنبات صفحات الأسباب فنفى التأثر لآثار الحوادث والالتفات الى حركات التقلبات ثم الثقة ٭ ومعناها ثلج اليقين بما دارت عليه الأحكام وثبت فى أم الكتاب من توزيع الأقسام على الأنام وجريان الأقدار فى الوجود فينفى عن النفس تلجلج الأفكار فيما حكمت به الأقدار ٭ ثم التسليم وهو تروع القلوب من شغب التدبير فيما غابت عاقبته خلف أستار الغيوب فينفى عن النفس رعونة الميل إلى تحكم الهوى على ما لعله يفوت

فلا يحصل أو يحصل فلا يفوت * ثم الرضا وهو سكون القلب لجريان الأقدار ونفوذ الأقضية بترك انكماش
الباطن بهبوب رياح المكاره وإن عظم أمر الوارد فينفي التقلب مع تقلب الواردات والانفعال الى ماخالف
الطباع أو وافقها ميلا الى المألوف ٭ ثم اليقين وهو توطن القلب على كل مضمون موعود من قبل الحق
تعالى وهدوه من الخفقان عند جريان الاحكام حين يسطع فيه نور التوحيـد فينفي مصادر الشكوك
فيما ضمن وموارد العتاب على مالم يخلق سبحان الله أن يكون فى ملكه مالا يريد * ثم القصد وهو الازماع
على التجرد عن القواطع والشواغل استعدادا للسفر الى الله تعالى بخفة ظهر والقدوم على الحضرة
بلا علاقة فينفي التوانى مع الإلف والتثبط مع العادة ٥ ثم الفهم وهو نور يضعه الله تعالى فى قلوب الصادقين
يطلعون به على أسرار وحكم وهو دون الفراسة وأعلى من الظن فينفي كثافة الاستبصار المتولد عن توارد
الخواطر * ثم حسن الظن بالله تعالى وهو رأس بضاعة السالكين ولا يصح ذلك مع الغفلة كيف وحسن الظن
يترجم عن صرف الهمة إلى الله تعالى ولا يكون ذلك إلا برؤية أفعال الله تعالى فى الغاية التى لاغاية بعدها من
الجمال والكمال فينفي تردد الأفكار بمراعاة الحظوظ ميلا مع الأوهام * ثم الحكمة وهى صادرة عن اعتدال
عمود الفهم بفتح أبواب المعانى وحل مقفلات أسرار الخطاب الحسية والمعنوية فينفي الجمود على الظاهرية
المحضة وهو ضرب من ضروب الجهل * ثم الاستبصار وهو العثور على حقيقة العدل فى التصاريف الالهية
من اعطاء ومنع وقبض وبسط وغير ذلك من الاضداد النافذة أحكامها فى الخلق وقد قيل إذا عاملت الله
عز وجل بالصدق أعطاك مرآة تبصر بها كل شىء من عجائب الدنيا والآخرة فينفي العماية عن تلمح أسرار
الوجود وحكمة جريان الأحكام ٥ ثم التعظيم وهو تعظيم الحق سبحانه بقطع الشواغل عنه وتسليم الحكم
له من غير عوض فينفي الركون للحظوظ طلبا للاعواض ومدافعة الأحكام بالعلم وبما ينافر الصدق * ومن
علامات حصول هذه النتيجة استواء السر والعلانية مع القيام بالعدل فى كلهما فى الحركات والسكنات وذلك
أن موقف الصدق يذهب بخصال النفاق دقيقها وجليلها إذ من شعب النفاق مايخفى عن غير الصديقين
والمباحثة فى المناقشة فى ذهاب ذلك تأثير فان كان من الشرك ماهو أخفى من دبيب النمل فمن النفاق ماهو
أخفى من خفى الشرك لكن موقف الاخلاص إذا توافرت دواعيه يذهب بجميع شعب الاشراك كما
أن الصدق إذا استعمل كذلك يذهب بجميع شعب النفاق * ومنها الهيبة والتنزه عن الموجودات والمعدومات
ثقة بالموجد المعدم * ومنها السلوة عن الحذر والخوف والرجاء واليأس ونحو ذلك مما يعلق قلب الصادق بالله
عز وجل * ومنها قوة العزم على القيام بحقوقه تعالى بطرح حقوق النفس مع اتهامها بالتضييع مع الأنفاس
* ومنها استجلاء جميع الواردات باتساع الباطن صيانة له عن الانفعال للحادثات * ومنها لزوم الكتم عن
جميع المخلوقات ماعدا القدوة حفظا للصدق من شوب الهوى * ومنها حب الخلوة استيحاشا من الناس وطلبا
للحرية بطهارة الباطن من الانفعال لشىء من الأغراض لاشتغال فكره فى الشاغل الذى شغله وأذهله عن
ذلك كله * ومنها غلبة الذكر القلب حتى لايلهيه عن ذلك سمع المسموعات ولا ابصار المبصرات ولاسائر
السكنات والحركات حتى أن حركة اللسان بالذكر إنما هى بالفيض الذى يغلب عليه من القلب ومع ذلك
الاستغراق فى الذكر لايخلو صاحب هذا الموقف من بقية لامخلص له منها إلا فى موقف الطمأنينة لطروق
لحات من الذهول عليه ولكنه مهما استشعر ذلك من نفسه كان كمن قارف كبيرة فيقابله بالانكسار
والندم حتى يستكمل مقام الايمان وفى ورود تلك الفلتات من الغفلات على قلوب أهل الصدق من الحكمة

مايحركهم دواعى العزمات ويقوى عندهم الحذر من المكر ولذا لم يفارق الاستغفار على كل حال ﴿ واعلم ﴾ أنه ينبغى للصادق أن لا يأخذ من الدنيا غير الكفاف وأن لا يدخر إلى غد إلا إذا كان معيلا مع كونه لا يفارق مابه يقدم عيشه من الأسباب الظاهرة مالم تفارقه أو تشر إلى فراقه باعتياض مجاريها فعند ذلك يعلم أن المراد منه تجريد الظاهر مع تجديد الباطن * وأن يلازم الصمت مع إقامة رسوم الشرع فى الصمت والكلام ولا يفارق رؤية التقصير من نفسه على كل حال * وأن لا يعطى زمام انقياده لصاحب هوى ومادعا اليه الأبوان من غير معصية فليطعهما ولا يعصهما فى معروف ومن رزق حسن السياسة تأتى له الجمع بين موافقة الأبوين وبين ماهو بسبيله فيحصل له الأمران ويثبت له الحقان وإن فتح عليه بشىء من مرافق المعاش نظر فى أصوله وفروعه فما وافق حاله قبل منه مقدار كفايته وصرف الباقى لصاحبه وإن خالف مشربه الصديق رده على صاحبه * وأن لا يدخل أحدا من أهل الدنيا فى غير شأنه الضرورى الشرعى ولا يسترسل فى خلطتهم وآكد من ذلك مجانبة أهل الغفلة والفتن والهوى ويجرى أحواله كلها على منهج الترتيب من أكل ونوم وقيام وذكر وغير ذلك من تصاريفه حتى لا يميل عن العدل ولا يخرج عن الضبط والحزم ولا يلهج بما يلوح من اللوائح ونحوها وليصرف همته عن ذلك إلى ماوراءه وليعمر أوقاته بتواصل الذكر على كل حال وليكشف لقدوته عما يظهر له بوصف معتدل عرى عن الميل إلى شىء من الأوهام وليكن على حذر من مكر الشيطان ومما يرد مورد المحنة والاختبار فالخالص الصافى من ذلك كله إنما هو شىء مضاف إلى ماتضمنه ذكر الله تعالى من الخيرات التى ظهرت على الذاكر يشبه العارية والواثق بشىء من ذلك مغرور محجوب والحق وراء ذلك كله * وقد ضل كثير من الناس من هذا الوجه ونسأل الله تعالى الوقاية من العماية والسلامة بدوام الاستقامة * وفى الموجودات من العجائب الجارية مجرى الكرامات مايذهل العقول ويشد عرى التوحيد لكن الركون إلى الإلف والعادة غطى بصر البصيرة عن تلمح مايجرى به الليل والنهار من العجائب الالهية والأسرار الربانية وبالله تعالى التوفيق حتى إذا حل الملك القلب على القيام بوظائف الاخلاص والصدق يقال له الآن صح ايمانك وأمن من الخراب ولكن بقى اليك ماتمسكه به عليك حتى لا تحركه نوازع التقلبات والاضطراب فتطمئن وجهتك وترتفع همتك وتحصل الطمأنينة فيحتاج الى معرفة معنى الطمأنينة فنقول وبالله حصول المأمول

﴿ الموقف الثالث من مقام الايمان الطمأنينة ﴾

وهى سكون القلب الى ثلج اليقين يشبه العيان عاريا عن التقلب والاضطراب وفى هذا الموقف ينفض السالك رجله من قيود الغفلة ويشم روائح الوصلة وهو أول موقف من مواقف المراد وأول لبسة ينالها من الاتصاف المكى رفيع المهاد وفيه تهب عليه روائح حقائق توحيد الصفات وفى أول موقف من مواقف مقام الاحسان يكمل توحيد الصفات حتى لا يرد على موقف المشاهدة إلا بتوحيد الذات وقد تقدم لنا قريبا ان تقسيم التوحيد راجع الى اختلاف مراتب التوحيد فان السالك اذا خرق حجاب هواه انبلج له شعاع من أنوار التوحيد يدرك به آثار أفعال الله تعالى فى مجارى حكمها وابدع تصاريفها فاذا تمكن فى ذلك ورسخت قدمه فيه انبلجت له أبواب يطلع منها على حقائق معانى صفاته بالعلم اللدنى الى ماتقصر عنه العبارة وتدق فيه الاشارة فاذا تمكنت أسرار ذلك من الروح وتقعدت كل التقعد بالاطلاع القطعى والفتح الربانى أورث الروح ثباتا وأكسبه قوة فاشرف على البحر الزاخر من معنى توحيد الذات المقدسة وبحسب قوته يكون تلججه فى ذلك البحر وبقدر تلججه

فيه يكون غوصه على يواقيت أسرارها وجواهر حقائقها وعند ذلك يفنى الوجود باسره ولا يبقى غير موجده القدير وان كانت هذه الحالة مشارا اليها بالذكر ومسطورة فى الكتب فهى أغرب وجودا من الكبريت الأحمر فاذا تقرر هذا فطمأنينة القلب بذكر الله تعالى هى غاية مقام الايمان كما أن طمأنينة الجوارح بحفظ الحدود هى غاية مقام الاسلام وهى المعبر عنها بالتقوى وكما أن طمأنينة الروح بذكر الله عزوجل هى غاية مقام الاحسان وهى المعبر عنها بالمعرفة وذلك أن القلب اذا تعمر بذكر الله عز وجل متصلا مع الانفاس على سبيل الاخلاص منهج الصدق فان كل حركة وسكنة ظاهرة أو باطنة تعرب عن حقيقة الذكرى عمر قلبه فلا يظهر عليه إلا ما يقتضيه ذكره الدائم اللازم ﴾ وهذه حقيقة الذكر التى تشير اليها جميع وسائله ﴾ فهو ذاكر وان صمت اللسان كما قال القائل * فنحن صموت والهوى يتكلم * لكن حسن العهد من الايمان واللسان عهد بما وصل الى القلب من الذكر بسببه فينبغى أن يحفظ له عهده فيصرف بحركة الذكر ليحصل له حظ من الاجر وهو مع ذلك تتواصل حقيقة الذكر فى قلبه لا يمر على سمعه وبصره وفكره شىء الا هو متلمح سر حقيقة الذكر من جنبات ذلك كله لا يشغله عن ذلك ما تلبس بظاهره من أعمال ضرورات معاشه ونحو ذلك لان سعيه كذلك جار على منهج الذكر راجعة اليه مقاصد تصرفاته وبهذ المعنى يستصحب حال الذكر وهى علامة اختصاصية ونفحة قدسية تعرب عن القبول وتفتح باب الوصلة ﴿ وللطمأنينة فى هذا الموقف أربعة شروط * أولها ﴾ نفى جميع الهموم عن القلب حتى يصير همه واحدا للواحد القيوم والهم أعظمه الاستغراق وأقله خطرة واحده فاذا اتصف القلب بذكر الله تحصل له من ذلك تهيئة لمطالعة الاسرار الربانية والحقائق الالهية والمنح القدسية وذلك سر قوله عزوجل - لم تسعنى أرضى ولا سمائى ويسعنى قلب عبدى المؤمن - * ثانيها غسل القلب من تبعات الاوهام وطهارته من آثار الهوى فان موقف المراقبة التالى لهذا الموقف يأبى الا الطهارة والتخلق بالاخلاق الملكية حتى لا يبقى منه تشوق ولا أمل الا لمطالعة جمال الحضرة الربانية ولولا ماله فى الذكر من الشفاء من مزعج الشوق لانفطر قلبه بتصاعد الانفاس * ثالثها نبذ هواجس الآراء تعويلا على الحق واتهاما لنفسه فقد يغر صاحب الطمأنينة ما فتح له من طهارة نفسه فيعول على آرائها وهو بالبقية التى بقيت عليه من آثار الاوهام البشرية ينبغى له أن يأمنها ما لم تبلغ قنة ربوة الخلاص الحاصل فى آخر موقف المراقبة حين يلقى عصا التسيار فى تصفية النفس فكم من مخدوع بما بداله من وبيص رونق الطمأنينة ولم يشعر بخبء البقية التى بقيت عليه فوقع فى عقوق قدوته فرجع القهقرى * والسالك محجوز فى نظره ما لم يحصل على بينة من ربه ولا يكترث بما يهب من نفحات الاسرار فالحق وراء ذلك كله رابعها مراعاة الرسوم الشرعية قياما بالوظائف الدينية وتحكيم حكمها فى الباطن والظاهر حتى لا يتحرك حركة ولا يسكن سكنة إلا على أصل شرعى وأساس سنى قال الله عزوجل فليحذر الذين يخالفون عن أمره الآية وذلك أن موقف الطمأنينة هو مبد مطالع أسرار الحقائق فقد يذهل القلب بورود ما يرد عليه من الحقائق عن التلبس بأمر من أمور الشريعة وذلك فتنة ولا يجمع بين الشريعة والحقيقة الا من أيده الله سبحانه بروح قدسية واهتدى لذكر نبيه لان القلب عند تولى سلطان الحقيقة يشد أسره وتهد أركانه فربما ضاق نطاقه عن حمل أعباء وظيفتى الشريعة والحقيقة لاسيما اول وهلة فى هذا الموقف لورود ذلك فجأة واحدة تصدمه وتذهله وفى طى ذلك فتنة لا يعصم منها الا من رحم الله تعالى فكم من مخدوع فارق الدليل ووقع فى التبديل ﴿ وأما آدابه فاربعة الاول ﴾ الحرص على العمل الظاهر والباطن

بالتزام الأدب وحفظ الوقت ولاشك أن من الأدب التشمير في طريق العبودية على ساق الجد وإن كان صاحب هذا الموقف قد شم روائح الحرية فأعظم الناس حرية أعظمهم اجتهادا وأرشدهم عزيمة ولو لم يبق إلا شكر المنعم كما قال ﷺ « أفلا أكون عبدا شكورا فعلى قدر القرب يكون الاجتهاد في العمل مع التزام الأدب فليس ما يطلب به الوزير من القيام بالخدمة والتزام الادب مثل ما يطلب به سواه ممن دونه في الرتبة كما أن الذي يؤاخذ به من الذنوب ليس كالذي يؤاخذ به غيره وقد قالوا حسنات الابرار سيئات المقربين الثاني مباحة الانفاس في التصفية خشية الفضيحة عند ورود سلطان المراقبة إذ لا يحمل اعباء المراقبة إلا باطن صاف من كدورات الخطرات النفسية فكان موقف الطمأنينة هو الموقف الذي يتهيأ فيه المسافر إلى الله تعالى بالطهارة والتجمل للدخول إلى الحضرة الالهية لان مقام الاحسان كله مقام الوصلة بما تضمنته المراقبة والمشاهدة والمعرفة فلا بد من المبالغة في التصفية والاجادة في التطهير مع الانفاس في الخطرات واللحظات * الثالث أن لا يشغله سكون الطمأنينة عن حركة الانتهاض إلى مبادي المراقبة والسعي إلى مرقاها لان طالب الله لا يعتقد دونه شيئا فلا يزال يتدرج إلى الهضبات الاحسانية حتى يحصل في حضرة المقربين * الرابع خمود نار الفكر بورود نور معنى الذكر من غير أن يبلغ به مبلغ السكر والمراد منه أن يرد الذكر مورد اعتدال من غير قوة ولا ضعف ولا توان ان الله يأمر بالعدل والاحسان وليعلم أن صدمة التوحيد في هذا الموقف ربما جاءت على فجأة من غير استعداد فتخرق ستر الوقار وذلك من دلائل ضيق العطن والكمال أن تتراكم عنده أمواج بحار توحيد الصفات وهو ساكن وان ضعف عن هذا فهذا في موقف المراقبة يحصل عليه بسهولة والانزعاج بعشش أسرار الاذكار ويذهب بساط الافكار فالذكر الخاص بهذا الموقف يجعلونه الذكر المفرد إذ نسبته لهذا الموقف كنسبة التهليل لموقف التقوى فكما استعمل التهليل في موقف التقوى ليستأنس بمعناه لما يرد عليه في موقف الاخلاص من التوحيد فكذلك استعملوا الذكر المفرد هنا ليستأنس بمعناه لما يرد عليه في موقف المراقبة وما بعده على سبيل الفاتحة بالذكر الذي يؤذن بالجمع ويعرب عن الوصية ويقتضي القرب وان كان هذا خاصا بمقام الاحسان إذ قد تقدم من قطع المواقف أن نهاية كل موقف تشارك بداية الموقف الذي بعده بوجه ما فلا بد أن يقع هذا الاشتراك هنا بمعنى ذكر واحد وأيضا فان كان للذكر المفرد اختصاص بتوحيد الذات فيندرج تحت معناه توحيد الصفات لقيام الصفات بالذات ومادام السالك في توحيد الصفات فما يعرض في ذلك من العوارض التي تكدر مشربه سلط عليه ذكر صفة من الصفات التي تقتضي نفي ذلك العارض مضافة إلى الذكر المفرد حتى لا يرد على توحيدات الذات إلا وهو قد تخلص من جميع الأوهام بما تقتضيه الصفات وقد علمت أن توحيد الصفات يخص موقف الطمأنينة ببدايته كما يخص موقف المراقبة بنهايته وان كان توحيد الصفات أقرب مراما من توحيد الذات فلا مطمع لأحد في الافصاح عن أسراره والكشف عن حقائقه لقصور العبادة عن ذلهم ولا مطمع في دركه بغير الذوق لخفاء معناه وغموض أسراره ولذلك وقف كثير من السالكين في أول هذا الموقف حتى لم يقطعوه ولم يجاوزوه لما فيه من البحار الزاخرة والطامات العظام وقد تسمح العبادة بالإشارة إلى طرف من بدايته والإشعار بصبابة يسيرة لا يجاوزها اللسان ولا يسمح بغيرها الكتمان وذلك أن الله تعالى امتن على عباده بعد منة إيجاده إياهم بأن أوجدهم في الوجود عن كل معنى من أسمائه وصفاته صفات كثيرة خلقهم بها وأمرهم بالتخلق بمقتضاها كالعلم والإرادة والقدرة والكلام والرأفة والرحمة والكرم والجود والاحسان

والملك والقوة وغير ذلك من الصفات فكانت لهم سبيلا إلى فهم معانى صفاته ونهى العقل عن ارتكاب هوى الزيغ والعدل عن العدل فى ذلك فاخذ العبد قسطه المقسوم له من معرفة ذلك فى الأول فلم يجاوزه * فالصفات كلها أدلة واضحة يستدل بها على صفاته تعالى فلولا ماجبلت عليه طبائع الآدمى من السكون للاوهام البشرية حتى كان للانسان من ذلك حجاب يطرده عن الاطلاع على غوامض الاسرار لتجلت شمس معانى صفاته تعالى ضاحية فى أفق سماء القلوب فلاجرم أنه يوحد الله تعالى بصفاته القائمة بذاته بالذكر الذى يقتضى معناه إفراد ذاته وصفاته بما هى عليه من القدم والبقاء حتى تنتهى الأوهام المنبعثة من جنبات صفات المخلوقين ويستقيم عمود حقيقة ذلك من غير ترجيح وصف من أوصاف ذاته على وصف تعالت صفاته المقدسة عن الزيادة والنقصان هو الواحد الذات الواحد الصفات الواحد الافعال بباينت صفاته صفات خلقه كما باينت ذاته ذواتهم ومن وراء هذا أسرار من توحيد الصفات لا يعثر عليها إلا بالذوق الخالص من كل شوب ومهما طمحت البصائر إلى العثور على حقيقة السر الفائض على صفحات الخلق من أنوار صفاته عز وجل ينبغى لها أن تطرق حياء من ليس كمثله شىء وهو السميع البصير * فقد بان لك أن الذكر المفرد هو الذى جعلوه فى هذا الموقف قنطرة للوصلة ومدرجة لبحار المراقبة ومراقبة لاستنشاق روائح الحرية الساقة لأنه الذكر الذى يؤذن بالجمع ويعرب عن القرب بالقطع وأنت تعلم أن لازم الطريقة لم يتغير ولا يتغير كما قدمنه فى التنبيه الثانى آخر مقام الإسلام ولكن لما علم شيخنا رضى الله عنه وأرضاه غرور ورود تلك الحقائق وخطر العثور على تلك الدقائق ورأى من غمرات المقدمات من توحيد الصفات وتوحيد الذات مع قلة الواصلين إلى تيار بحارها الزاخرة وقلة الناجين من الواصلين إليها الخائضين فيها أنهم لم يردوا فى الحافرة ادراجهم وعلم أن وصول العارف وان علا لا يجاوز برزخية الحقيقة المحمدية سيد الوجود ﷺ أعد لهذا الموقف الوظيفة المشتمل استغفارها على الاسم المفرد مضافا إليه من أسماء الذات مايبرد سورة سكرته ويسهل صدمة غمرته محتوما بما يتأنس العبد به من قيومية خالقه ودعومية حياة رازقه مع مااشتملت عليه من أوصاف الواسطة بينه وبين خلقه سيد الوجود الحائل بينهم وبين رداء الكبرياء وأحديته بوحدته ليزيده ذلك استئناسا من وحشته وتجرعا على حضور حضرة صفات ربه وذاته فيصلها فى هناء وحبور وفرح وسرور وذا تجارة تنجيه من عذابها وتمكنه من سماع خطابها قبل كشف نقابها فأتى فيها بصلاة الفاتح لما أغلق فيها فتح باب الطمأنينة للمريد بل وباب غيرها فتحا لاغلق بعده ثم ختم طرو عواضه ممنوعة بمانع لا يزول وبها مرجو راجى مااحتوت عليه من الحضرة من التفريد مبذول ثم نظره عندما تلوح لوائح مخلوف دهش المراقبة والمشاهدة والمعرفة ثم الهداية فى مهامه الفيح المتلفة فلم يزل بسبب فتح الفاتح وختم الخاتم به ملطوفا وينصر ناصر الحق بالحق ومداينة الهادى إلى الصراط الاقوم محفوفا فكانت كالامتعة لقضاء الوطر وكالاسلحة عند الخوف والحذر وفيها جوهرة الكمال الآتية بصفات الجمال المعينة ملاحظة معانيها على القيام باعباء صفات الجلال فوصل مريده بها مقام الإحسان حتى وقف بساحل بحوره الزواخر ونال بها من التوفيق للقيام بوظائف الشكر ماعجز عن القيام به الأوائل والأواخر فلله المنة الطولى وله الحمد فى الآخرة والأولى فليبدأ بلازم الطريقة على نحو ما تقدم مراعيا فى آدابه ماعلم إلا أن الصلاة فيه صارت بصلاة الفاتح لما أغلق والتلقين صار فى الهيللة باعلم عين يقين أنه لا إله إلا الله حتى يتم لازم الطريقة بمقدماته المسطورة واستفتاحه كأول موقف من هذا المقام ويزيد هنا يامقلب القلوب ثبت قلبى على الإيمان . ثم ليتبعه الوظيفة ولفظها «أستغفر الله العظيم الذى

لا إله إلا هو الحى القيوم» ثلاثين مرة ثم خمسين من صلاة الفاتح ولفظها اللهم صل على سيدنا الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ثم لا إله إلا الله مائة . ثم إن كان متوضئا فليأت بجوهرة الكمال اثنتى عشرة مرة . وهى «اللهم صل وسلم على معدن الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعانى ونور الأكوان المتكونة الآدمى صاحب الحق الربانى البرق الاسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور والأوانى ونورك اللامع الذى ملأت به كونك الحائط بامكنة المكاني اللهم صل وسلم على عين الحق التى تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم وصراطك التام الأقوم اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم المنوح منك اليك احاطة المطلسم صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه » اه وإن كان التالى متيمما جعل مكانها عشرين من صلاة الفاتح نيابة عنها فان شرط ذكر الجوهرة الطهارة المائية لاغير وقد قال شيخنا رضى الله عنه وأرضاه أول شرحه لها ان روح سيد الوجود وأرواح الخلفاء الاربعة تحضر حضرة التالى لها مادام يذكرها ولم يفسر معنى الحضور وثمرة هذا المقصد استغراق القلب فى انتظار انجاز الوعد بالكشف عما تضمنه ذكره من الحقائق التى يضيق عنها نطاقه ولا يحملها مقامه لكن مبادى الانس تحرك قلبه فيتوق إلى ذلك وله فى الرجوع إلى نفسه راحة لولا هالمات دهشا وهيبة وذلك سبب جعلنا الاسماء الأخر مع الاسم المفرد فى الوظيفة لتدبير صورة صدمته ونتيجتها اتصاف النفس بإحدى عشرة صفة حميدة تنفى عنها مثلها ذميمة الأولى التمكين وهو عبارة عن صحة الانقطاع إلى الله تعالى والخروج عن تعلق القلب بغيره بثلج اليقين الصادر عن التوحيد فلا يرى فى الكون غير الله تعالى مبدأ ومعيدا فينفى تلمح بروق الاوهام ويمحو آثار العادة ثم الوجود وهو تأجج نار فى القلب يقلقه بعارض يضيق عن حله فيوقظ الروح ليحمل ذلك العارض عنه لأنه من عالمه فتجد الروح تجذبه مبادىء أسراره إلى المعالم الاحسانية والمشاهد التحقيقية فينفى سنة السلوان ويوقظ النفس من رقدة مقتضى الجثمان ومايعرض قبل هذا مما يشبه فهو تواجد ومايعرض بعده مما يضارع هذا فهو وجود ثم البرق وهو باكورة طرب أهل التحقيق يلمع فيؤذن بالعثور على مبادى نفحات حضرة التخصيص ويحرك دواعى الطرب ويبشر السر بالسرور فينفى خبث العادة ويطهر من قذر الهوى ثم الانس وهو الكشف عن حقيقة مبادى توحيد الصفات وهو وإن كان انسا فيقل معه الاضطراب ويثقل حمله على القلب لاختلاف النسبة ولهذا لم يقف هذا الموقف بتخليص هذا النوع من التوحيد فينفى الانقباض مما يخالف الهوى والانتقاض لورود مايضاد الطباع ويقطع العادة ثم السكينة وهى خاصية من خواص الطمأنينة وان كان للعارف سكينة أخرى فهى فوق الإشارة وهذه تفصح عنهم العبارة فتنفى سراب الخطرات القادحة فى المراقبة وتمحو الآثار الطيفية . ثم الهمة بكسر الهاء، وهى عبارة عن غلبة الانبعاث الى حصول الامل خالصة من شوائب الالتفات لغيرها ترقى بصاحبها عن طلب الاعراض واعتبار الدرجات فتنفى الرضا عن الادنى دون الاعلى ، ثم الفراسة وهى من ثمرات غرس الإيمان ومن أخوات الالهام وذلك دون الكشف تصدر عن نهاية الايمان لكن لاتخلو عن شائبة شك يما بقى فى القلب من آثار التقلب بخلاف الكشف الذى هو من خواص الروح حين لم يبق من طبع الجسم أثر والفراسة لموع نورانية تلوح من جنبات عرصات التحقيق بضعف بصر البصيرة عن الاحاطة بعين الخبر عنها فينفى الغموض عن تلمح الاسرار وللعجز عن الاكتيال بمكيال الوفاء ثم العلم ونعنى به هنا العلم الخفى الثابت فى قلوب

أهل الطهارة والرياضة الخاص بأهل الهمة الشريفة ، وهو مؤذن بأوائل عين اليقين فينفي الجهالة بوارد الحكم والتعامي عن بوارق أسرار التوحيد ، ثم الصفاء والبراءة من الكدر بسقوط التلوين ونعني صفاء الحال التي بها تبدو شواهد التحقيق وتؤذن ببروق المراقبة وتنسي علق الجسم فينفي التثبط مع كدورات الوهم والالتفات إلى الرسم ، ثم النفس بفتح الفاء وهو باب يلج عليه السالك في هذا الموقف يشرف منه على ساحة المراقبة التي هي بداية مقام الاحسان فينفي غمة الكمد ، ثم الذكر ونعني إيصال حقيقة الذكر في القلب مع الأنفاس تخلصا من وهن الغفلة لعز الحضور وهو الذكر الخفي القلبي فينفي دخان ظلم الغفلة وزكام هوى الاضطراب ، ومن علامات حصولها دوام ذكر القلب بحيث لا يفتر مع الحركات والسكنات من غير كلفة ولا مؤنة وإنما حقيقة الذكر قائمة بالقلب سواء ، ومنها تيسير المطالب وقضاء الحاجات وقبول الدعوات حتى أنه لينتهي إلى أن يخطر الامر بباله فيتعين من حينه ، ومنها استراحة قلبه بذكر الله تعالى حتى عن جميع الاكوان فلا يجري في باطنه فرق ما بين قبض الدنيا وبسطها وترابها وذهبها فليعمر ما بين وقتيه بمراعاة الادب على مرور الانفاس واللحظات طالبا كشف الحجاب عن وجه القلب متهيئا لسماع الخطاب وهذه الوظيفة لا بد منها للسالك مساء وصباحا وأما لغيرها فحسن اتيانها في الوقتين ولا يلزم اهـ ولا يفارق المقصد الاعظم وهو استحضار أهل حضرته من صورة نبيه وقدوته والمقدم عليه خليفة ملقيا اليهم السلم فقد اشتدت اليهم الحاجة فيما علم لوروده مهامه مضلة وظهور لوائح من الاسرار مقبلة وخروجه من لام المعاملة بإياك نعبد فيما بين يدين إلى باء الاستعانة بإياك نستعين فان جميع ما مضى من المواقف سبيله سبيل المعاملة المشيرة إلى حال التفرقة وهي تومىء إلى شعور العبد بنفسه في مراعاة سعيه والآن قد ظهرت له أعلام أمارات الخلاص من نفسه وسطعت عليه أنوار طهارتها وهبت عليه نواسم الجمع فجدير ان يكون متصده من الآن إلى بلوغ النهاية مبنيا على باء الجر كما كان مبنيا قبل على لام الجر فقد كان حال التلقين قبل يعبد الله متبعا لرسوله والآن يستعين الله متوسلا برسوله في قضاء سؤله . ولا تقل إن ذكر النبي والاستعانة به من الآثار الغيرية الشاغلة الرادة إلى حضرة المعاملة عن حضرة الاستعانة . لانا نقول انك إذا تأملت حقيقة ذكره وجدتها تستمد من حقيقة التوحيد فالحقيقتان في الحقيقة حقيقة واحدة فمن عامله فقد عامل الله ومن استعان به فقد استعان بالله وهذا المحل يستدعي الكشف عن بعض أسرار الباء وهو مؤد إلى التطويل ولكن لا بد من نفثة بنبذة يسيرة تشير إلى طرف من قوله (صلعم) حاكيا عن ربه لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به . ورجله التي يمشي بها . ويده التي يبطش بها . فبي يسمع وبي يبصر فبالذوق تنال أسرارها . وبالعيان تشاهد أنوارها . قال في الجواهر ناقلا عن شيخنا رضي الله عنه في الكلام على هذا الحديث فأعظم النوافل تقرب الذكر وكذلك الصلاة يتعاهدها بالحضور القلبي لانها مثل الذكر لا يزال العبد مرة يذكر ومرة يستريح حتى إذا رأى الحق منه ذلك صب في قلبه من مواهبه أنوارا إلهية شغلت القلب عن غير الله تعالى وملأته بذكر الله تعالى وصار القلب بسبب ذلك مطمئنا بذكر الله * ومن الطمأنينة ينتقل إلى المراقبة وهي حالة عزيزة ما نالها إلا الافراد . نعني أفراد السالكين فانها إن دامت للعبد وتمكن أمرها من القلب خرجت به إلى الذهول عن الاكوان ثم إلى السكر عنها وهو أعلى من الذهول ثم إلى الفناء عن الاكوان مع شعوره بفنائه ثم إلى الفناء عن الفناء فاذا وصل إلى هذا الحد انمحق الغير والغيرية بهدم جميع الرسوم والأطلال وانمحاق جميع الآثار فلم يبق إلا الحق بالحق في

الحق عن الحق وهو باب المدخل إلى محبة الذات وهي غاية الغايات فاذا وصل العبد إليها ارتفع الحجاب عن الحضرة القدسية فرفعت له الاستار عما فى الحضرة الالهية من العلوم والمعارف والاسرار والانوار والاحوال العلية والاخلاق السنية الكريمة والتوحيد والتجريد والتفريد والحكم والحقائق والعجائب التى لا تعرف ولا تذكر وأكثر ما يوصل إليها من النوافل الذكر بملازمته ومعانقته له فان الذكر هو الذي يأتى بالمواهب وقوله فاذا أحببته كنت سمعه الخ يشهد العبد من نفسه قوة الهية كانه هو الذات المقدسة بجميع صفاتها وأسمائها كانه هو وليس هو ولكنه سبحانه وتعالى أفاض عليه من أنوار صفاته وأسمائه لعلو مقامه حتى تحمل ما لا يحمله جميع الخلق من الثقل * قال بعض العارفين من كشف له عن ذرة من التوحيد حمل السموات والارضين على شعرة من أجفان عينيه لانه نهض فى هذا المقام بالقوة الالهية فهو ينظر بالله كان ذاته ذات الله تعالى ويسمع بالله . وعلامة هذا النظر أن ينظر الوجود كله من عرشه إلى فرشه من حيث أن لا تخفى منه ذرة واحدة ويستوى أمرها فيما كان خلفه وأمامه ويمينه وشماله وفوقه وتحته يرى ذلك فى الآن الواحد دفعة واحدة ويراه كالجوهر الفرد الذى لا يقبل القسمة فلا تختلط عليه المرئيات وإن اختلفت أحوالها وأوضاعها وحركاتها وألوانها كلها يراها على ما هى عليه دفعة واحدة فى الآن الواحد فى كل جهة من جهاته فلا تختلط عليه ذرة واحدة . وسبب هذه الرؤية أن بصر الروح قد انفتح فاذا انفتح بصر الروح فى ذاته طالع جميع الاكوان والعالم فلا تختلط عليه الرؤية فهذا هو النظر بالله . والسمع بالله تعالى أن يسمع جميع ألفاظ الوجود فى جميع العوالم واختلاف تسبيحها وأذكارها فى الآن الواحد فلا تختلط عليه كثرة ألفاظها وتسبيحها كأنه فى كل لفظ لا يسمع غيره فان أمر العامة فى السماع لا يسمع إلا لفظا واحدا فاذا كثرت عليه الالفاظ عجز عن تمييزها والسالك فى هذه الحالة قلنا يسمع جميع ألفاظ الوجودات وتسبيحها فلا تختلط عليه إلى أن قال لانه متصف بأنوار صفات الحق فلا يعجز عن شيء فاذا سرى فيه نور القدرة الالهية عمل فى الوجود ما لا تحيط به العقول انتهى فجعل تعالى هذه المرتبة لاهل النهاية الصادرة عن ذكره بنوافل الخير سببا إلى تحقيق توحيده حتى أورثهم خالص محبته حمله اياهم فى جميع الاحوال . فأهل السلوك لهم حالان حال فرق وحال جمع فحال الفرق لا يخلو فى حال عبادته وعبوديته عن تلمح الاكتساب البشري حين يشهده الله تعالى أفعاله من طاعته ومخالفته فحين يرى ذلك بنفسه من نفسه أو يراه بنفسه من ربه فذلك دليل الفرق لانه لم يفارق بعد تلمح الطباع البشرية ولو كان يعتقد أن الله عز وجل هو الخالق الفعال يصرف الخلق فيما هم فيه من حركات ومادامت النفس تختلس آثار العادات لم يكمل لها مشرب حقيقة التوحيد . وأما صاحب الجمع فلا يفارقه الاصغاء بالسر إلى ما يتصرف به سلطان الحقيقة فى الوجود بقطع الاشارة إلى غير الله عز وجل فهذا الذي رفض الاكوان واستغنى عنها بالمكون ولم يبق عنده أثر لغيره . وقال فى الجواهر أيضا لا يخلص للعبد من ورطاته إلى الصفاء الذى يدخل به الحضرة الالهية القدسية إلا بفيض الأنوار من حضرة القدس وفيض الأنوار أكبر ما يأتى به الذكر فانه لا يزال العبد يتعاهد أوقات ذكره ثم يستريح والأنوار تنقدح فى قلبه وقت الذكر ثم تنتقل لعدم استقرارها فيه لكن ورودها عليه يعمل فى روحه شيئا من الصفاء فانها كانت أولا لا تقدح ثم تنتقل إلى حالة أخرى تمكث فى القلب قدر الدقيقتين أو الثلاث ثم تنتقل إلى حالة أخرى تمكث فى القلب قدر ساعة ثم تنتقل فلا تزال تنتقل حالة بعد حالة حتى تستقر الأنوار فى قلبه فتكسبه حالة لم يعهدها من نفسه من القوة على الذكر والحسن إلى الوقوف بباب الله وتوجع القلب من مخالطة الخلق وما يشاهده من تخليطاتهم ثم

لايزال العبد باستمرار مع الذكر إلى أن تخرج به الأنوار إلى استغراقه فى الذكر آناء الليل والنهار فيجد فى روحه اكتسابا لم يعهده من الرضا بقضاء الله تعالى والصبر للبلايا وعدم الانزعاج منها والتوكل على الله تعالى فى نفقاته وأمورها والبعد عن التكالب على الدنيا واكتسابها ثم لايزال به الأمر حتى يطمئن بذكر الله فاذا اطمأن القلب بذكر الله تعالى بحيث يصير له وطنا لايقدر على التخلف عنه ولو لحظة لأنه ذاق باكورة أهل التحقيق ولمعت له لوامع من أحوال الخاصة العليا ويشهد فى نفسه من القرب إلى الله تعالى أمرا عظيما ويجد فى قلبه من الأمور الالهية أمرا جسيما فهناك تجرد من كل مخيط ومحيط وأحرم بالبراءة من كل ما سوى الله تعالى وصلى على الأكوان صلاة الجنازة ودخل على الله من باب المراقبة يفتش فى جميع مقاصده فلايجد فى نفسه قصدا غير الله تعالى ثم مع هذا كله لايتغافل عما تدعوه اليه قصوده أن يكون فيها حظ من حظوظ النفس الخفية فانها فى هذا الميدان شديدة المكر بصاحبها تتلبس له بأمر الله تعالى مظهرة له أنها ماتريد فيها إلا الله تعالى ثم أنواره لقوته تظهر له خواطر النفس من الخواطر الالهية لاتغيب عنه ثم بعد ذلك هو شديد الحذر من خواطرها لصعوبة مكرها فانها عدوة لله ولصاحبها والعدو لاتتأتى منه النصيحة فلا يزال ملازما للمراقبة وهى علم القلب باطلاع الرب عليه إلى أن ينتقل إلى المشاهدة وهي الاستهلاك فى التوحيد وغاية المشاهدة ينمحق بها الغير والغيرية فليس إلا الحق بالحق فى الحق للحق عن الحق ولاعلم ولارسم ولاعقل ولا وهم ولاخيال ولا كيفية ولا كمية ولانسبة انتفت الغيرية كلها فلايزال ذلك مصطلما حتى ينتقل إلى الصحو وهو فى ذلك الحال يقيم الحقوق الحقية والخلقية بتأييد إلهى لاشعور له بشىء من ذلك فاذا انتقل إلى الصحو تسميه الصوفية الحياة بعد الموت وهو معرفة المراتب الحقية والخلقية وتمييز خواصها وأحوالها ومراتبها ومافى كل مرتبة من الأحكام واللوازم والمقتضيات فيقيم حقوق الله فى جميعها فهو الصديق الأكبر انتهى فرحم الله شيخنا ماأعرفه بمدارج الوصول ومبانى الأصول وبالله تعالى التوفيق ﴿واعلم﴾ أنه لابد لصاحب هذا الموقف من اقتصاره على مايدفع الضرورة من الأكل والنوم وغير ذلك من تصاريفه وأن يجعل همه كله مصروفا إلى ماهو بسبيله من عمارة أنفاسه بالله تعالى وتعلق الأمل به وذلك مله عن غيره من الوظائف الجسمانية وحصر مايليق به من التصاريف والاحوال متعذر ﴿تنبيهان * الاول﴾ قد تقدم أن المناسب لمقام الإسلام شكر نعمة ما كان من كثيف الأجسام ومايترتب عليه من ظاهر الأحكام وان حضرته من الحضرات الخمس حضرة الناسوت فهى أول الحضرات كما أنه هو أول المقامات والمناسب لهذا المقام مقام الايمان شكر نعمة ما كان من عالم الملكوت وهو ماغاب عنك من الاكوان من شكر الاسباب الغائبة القائمة بانزال المياه اواد الاطعمة وحفظ الملائكة إياها من الآفات المتلفة قبل وصولها بيت القسمة للاغذية السارية فى الابدان بأيدي الملائكة بواسطة العروق الباطنة المعدة للأخذ من المعدة والكلية والطحال والمرارة وكافة ما اجتمعت عليه من الاحشاء ولكل عمل منها ملك لان الملك وحدانى الصفة لايتعداها لغيرها وقد ذكرناها فى الاطراف المتقدمة فى الباب الرابع فلينظر هنالك ليتبصر بما فى ذلك ثم شكر نعمة الادراكات المستعملة من الاحساسات الباطنة والقدر والارادات والأنفاس الصاعدة والنازلة هى مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا بين الصاعدة والنازلة فى اليوم والليلة إلى غير ذلك من المعانى القائمة بذات الإنسان وأكبرها العقل وله ثلاث مراتب والمختص بهذا المقام منها اثنتان وهى سفلى وعليا * فاما السفلى فهى مرتبة المعاش التى يدبر أمر الدنيا وظواهرها من الشهوات والعكوف عليه وحب الراحات والانهماك فى متابعة الهوى والفرار من كل

ما يناقض هذه الأمور وهذه المرتبة يشترك فيها الآدمي والبهائم * وأما المرتبة الثانية وهي العليا فهي مرتبة العقل الذي استتر بمنشور من الظلمات الخفية فانكشفت له حقيقة الأشياء الكونية ظاهرا وباطنا ولكن احتجبت عنه الحضرة الالهية بحجب كثيرة ولم يحط بشيء من أسرار الحضرة القدسية إلا أنه انكشفت له حقائق الكون الظاهرة والباطنة لكن بنور إلهي قذف فيه فيحكم في الأشياء بما يريد تارة تنفذ وتارة يستعصي عليه مراده وعرف موارد الأمور ومصادرها من ظاهر الكون لا من باطن الحضرة القدسيه فعنه يحصل الإيمان لا العرفان فان بيان المعرفة التي تأتي عن باطن الحضرة القدسية بحقائق الاكوان ظاهرا وباطنا وبين المعرفة التي تأتي من ظاهر الاكوان الغيبية الظاهرة بونا بعيدا فالعقل الكلي في هذه المرتبة يزن الأشياء بالقسطاس المستقيم فيعرف الاشياء وعواقبها وماتؤول اليه فهو من أكبر المطالب وأعلاها وان كان قصر به الأمر عن رتبة العقل الرباني * الثالثة التي محلها مقام الاحسان فانه أي الكلي يفيد إفادة عظيمة وله علوم وأسرار جسيمة إلا أنها في صورة الأكوان فقط ويشترك في هذه المرتبة المؤمن والكافر فقد يؤتى بعض الكفرة منه بما يظفرون بخواصه في الدنيا من كشف بعض الغيوب والتصرف ونفوذ الكلمة في كثير من الأمور على وجه الاستدراج بدوام مخالفتهم لهوى نفوسهم وارتقابهم للحضرة الالهية ولا يغني عنهم شيئا لعدم الايمان وهذا العقل الكلي نوره هو المعبر عنه بشعاع البصيرة الذي **وظيفة صاحبه العبادة في مقام الاسلام وهو الذي لم يقم الاسلام إلا بضميمته اليه من مطلق الايمان وصاحبه لا حضور له مع الله إلا قليلا بكد شديد وهو مبادي نور العلم الذي وظيفة صاحبه العبودية المعبر عنه في مقام الايمان بعين البصيرة وحضوره أولا من وراء ستر كثيف ويكون آخرا من وراء ستر رقيق وينشأ عن نور العلم نور الحق الذي وظيفة صاحبه العبودة المعبر عنها في مقام الإحسان بحق البصيرة وصاحبها يرى الحق عيانا بعين** بصيرته ونور يقينه ولم يكن في عينه وجود غير الحق تعالى وهذا الأخير من نعم مقام الإحسان وسيأتي بيانها في آخر مقامه إن شاء الله تعالى وهذه الحضرة حضرة الملكوت وهي مرتبة الأنوار القدسية وهي من السماء الدنيا إلى السماء السابعة وهي عالم المثال وعالم الروحانية والأفلاك فالجامع بينها وبين مقام الايمان الغيبة لأن الايمان محله القلب وهو غير مشاهد ثم الأنوار القادحة إذ الايمان نور يقذفه الله في القلب ثم الروحانية فالايمان روح مقامي الاسلام والاحسان. وأيضا هو قوت الروح الذي لا غنى له عنه ثم المثالية فبالمثال يتضح الاشكال وتفتح الاقفال وبالايمان فتح القلوب المغلقة بالأدلة الواضحة والأمثلة اللائحة ثم الفلكية فالايمان هو الذي عليه دوران فلكي مقام الإسلام والاحسان فاكتسب الفلكية من دورانهما عليه فوجه اختصاص شكر هذه الحضرة بمقام الايمان دون غيرها من الحضرات هذا المناسبة ومعنى شكر هذه الحضرة رؤية جملها مقرا للمعاني التي من جملتها الايمان فهي له بمثابة الأرض للاجسام وبمنزلة الألفاظ للاسلام وكالقراب للحسام فأي ضرار أشد من عدم القرار وفقد المشاكلة وبعد المزار ولذلك كان المناسب له من التوحيد الذوقي الناشئ عن ثلج اليقين ﴿التنبيه الثاني﴾ إعلم أن من المناسب لهذا المقام من أذكار شيخنا رضي الله عنه ذكره أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى كذلك الخ. وحزب البحر وأوله يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم أنت ربي وعلمك حسبي الخ. وذكره سبحان الله والحمد لله وإله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ملء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم وذلك لما اشتمل عليه الذكر الأول من العبدية والرسالة ولما في الثاني من طلب التسخير لبحر الإيمان الذي محله القلب الذي هو بين أصبعين من أصابع

الرحمن والخواطر تغلى فيه أشد الغليان ولما فى الثالث من الرضا عن الله فى السبحلة والتفويض فى الحمدلة والتسليم فى الهيللة والاعتماد فى التكبير والاستسلام فى الحوقلة وكل من هذه الأخلاق محلها مقام الإيمان كما علمت فافهم

﴿ تربية مقام الاحسان وماحواه بطريقة شيخنا التجانى رضى الله عنه وأرضاه ﴾

* ولنرجع إلى سبيل التمثيل الممهد قبل المقامين الاولين . فنقول حتى إذا حصل القلب على الطمأنينة بذكر الله قال له الشارع هذا الذى حصلت عليه من الخير كان عن جعلك لى خزائن أرضك فانتهى الأمر بك حتى صرت تتبوأ من جنة ربك ماشئت وسواء عليك مت أوحييت فقد أصابك الله برحمته وأراك منار حضرته فلم تبق إلا الوظائف الإحسانية فبحصولها نظفر بوصولها فتكون من جملة الصديقين قال تعالى ـ نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ـ فقد صار الحكم حكم من كان تحت سلطنتك وكان من أسارى رعيتك فقد حييت الأموات وبعثرت العظام الرفات ولانطوائك عليه أطلق لفظ الملك عليك والشواهد تلوح فأنت اليوم الروح فباعتبار التقلب منك كنت قلبا وباعتبار شهودك كنت روحا وحارحا كما أنك كنت نفسا باعتبار جعلك لهواك ربا وقد آن لك ان تصفو مشاربك وتقرب منك مطالبك فراقب مولاك عساه أن يتولاك فتظفر بمشاهدته فهو حاضر معك قريب منك إن صفا سرك فهو موضع نظره عز وجل منك فيتهيأ الروح لتصفيته من آثار الأوهام ليحصل بذلك على نهاية التوحيد فيعود إلى حالته الأولى من الطهارة فيصير كالمرآة بحيث لا يخفى فيه شيء من الحقائق ولم يبق هنا من حجب الروح التى تصده عن الكشف والاطلاع والمشاهدة من غير غبش بقدر من أوهام تولدت عن الهوى كأثر الجراحات فهو وإن ذهبت أوهامه فلتلك الآثار تأثيره في التثبط عن النفوذ بما بقى من غبش آثار أوهام الألف بمباشرة عالم الجسم حتى ضعف بصر البصيرة عن درك غرض المرمى فاذا زال الغبش وذهب الأثر وقف عين الخبر فيشاهد من الأسرار الازلية والحقائق الالهية والألطاف الجبروتية مالم يكن اليه قبل ذلك سبيل وإن رافقه الإسعاد الاختصاصى والامداد الالهى ففى غاية موقف المراقبة يدرك المراد . قال الساحلى رحمه الله ولاخبر بعد عيان فلا يزال يراقب أسرار الغيب فى مرآة التحقيق حتى تحصل غاية التصفية فعندها تنجلى له عرائس الحقائق على ماهى عليه سافرة فلا يتهيأ الروح للتصفية إلا باستعمال مقام الإحسان الذى يعرب أوله عن القبول وغايته تؤذن بالوصول وأوله المراقبة فيحتاج إلى معرفة معنى المراقبة . فنقول . وبالله حصول المأمول

﴿ الموقف الأول من مقام الاحسان المراقبة ﴾

وهى تمكين يقين الروح باطلاع الله تعالى عليه فيلازم الوجهة ويرتقب كشف الحجاب عن وجه القلب ليصل المراقبة بالمراقبة ولا مطمع فى هذه المراقبة لمن بقيت عليه بقية من هوى نفسه لان سببها مراعاة القلب وحفظ الانفاس مع الله تعالى . وقد تطلق المراقبة باعتبارات أخر ترجع إلى المحاسبة إذ لا يكاد يخلو موقف من مواقف السالكين عن شيء من معناها ومرادنا هنا بالمراقبة ما يصدر عن علم صادر عن تصديق ثابت وهى المراقبة الحاصلة لأهل مقام الإحسان الصادرة عن ذوق وكشف باطلاع لانها مراقبة مطالع شمس المشاهدة فى أفق التوحيد وهى باب الوصلة وعلامة القرب فمحلها من مقام الإحسان كمحل الاخلاص من مقام الإيمان ولا تدرك إلا بالقيام بوظائف الدين على أكمل أحوالها وأجمل أمورها وأحسن أصولها وفروعها ومن

أم ذلك بغير هذا فقد خاب سعيه وحصل فى مهواة المكر والمقت فإن أعمال الدين على قسمين ظاهر و باطن أما الظاهر فأعمال الجوارح وتحسينها وتكميلها الإتيان بها على أكمل الوجوه التى حافظ النبى ﷺ عليها وإيرادها مورد الجمال السنى لان الغلو كالتقصير لما فيه من الانحراف عن أفعاله النبوية الكاملة وأما الباطن فأعمال القلب وتحسينها اخلاص الوجهة بها إلى الله تعالى بمراقبته خالية من الاوهام طاهرة من جميع الخطرات منزهة عن الالتفات لشىء غير الله تعالى وذلك على مراتب بدايتها ماتقتضيه المراقبة وتمكينها ماتقتضيه المشاهدة وغايتها ماتقتضيه المعرفة إلى مالانهاية له فأشار صلوات الله وسلامه عليه فى اخباره عن الاحسان أولا بقوله أن تعبد الله كأنك تراه إلى غايته التى لانهاية لها ثم عطف بالاشارة الى بدايته بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك يعنى المراقبة كأنه يقول عمدة الإحسان المشاهدة ومن لم يقدر على ذلك فالمراقبة فالمقصود من الإحسان مايرجع إلى تصفية الروح ﴿وهذا المقام يعم سائر وظائف المقامات﴾ ولاشك أن بداية التوحيد أصل فى كمال بداية وظائف الدين ونهايته أصل فى نهايتها ﴿والمراقبة أربعة شروط. الاول﴾ القيام بجميع حقوق الله تعالى سرا وعلنا خالصا من الأوهام صادقا فى الاحوال سالما من الدعوى لخرام على من تلمح بارقا من بروق الهوى بعين الطبع أن تسطع له بروق الأسرار لانه قد غير محل الاطلاع . ثانيها استرسال الروح فى تلمح عالمه اعراضا عما سوى الله تعالى لأن أدنى لفتة من الالتفات إلى غير الله حجاب عن معنى ماينتظره من هبوب أرواح أنفاس المشاهدة فالخطب جسيم والامر عظيم ولذا عظم مرام تهذيب ذلك وهو تصفية الروح فهو أشد غصة من الموت لخماء متعلقات الروح بحيث لايعثر عليها إلا أهل الاختصاص. ثالثها إقامة رسوم الشريعة أحسن إقامة فهو شعار أهل العبودية وهى الوسائل إلى درك الحقائق الالهية ومن ظن أن ذلك مما يستغنى عنه عند موارد التحقيق فهو مغبون فى صفقته مفتون فى وجهته فعلامة صدق أهل الاختصاص فى الاستغراق حفظ إقامة رسوم الشريعة كما أن من علامة الخذلان حل اليد من عروة الشريعة عند ورود الحقائق رزقنا الله من حفظ شكره ماباعدنا من مكره . رابعها التجافى عن الإشارات الواردة عليه فى مراقبته والاعراض عن تلمح لائح ولحظ لامع أو طالع لأن ذلك يشغل عن المقصود ومهما تلمح الروح شيئا من ذلك أو سكن اليه فمالت علاقة فيه لتعلقه بانس البروق وميله إلى البشير ولو صبر لكان خيرا له فما هذا البروق إلا شمس المشاهدة ولا أثر البشير إلا عذب الوصول ﴿وأما آدابه فاربعة . الأول﴾ قوة الباحثة فى تصفية الروح بشدة عزم وحسن هدى حالا وقصدا عدولا عن بقايا الاوهام وبعدا . الثانى الإعراض عن عالم الحس بالمعنى إن لم يكن بالحس جملة من غير تفصيل . الثالث الكتم لما يظهر ويلوح من مبادى الاسرار مع تنزه الروح عن الالتفات لشىء مما وقع فيه الكتم علما بأن المطلوب وراء ذلك كله. الرابع ملازمة الانكسار والخضوع بحفظ الأدب فى المحاضرة القدسية لانه قادم على حضرة تدق فيها وظائف الادب وتخفى فيها هواجس الاسرار وحفظ الادب من شيم عبيد الحضرة ولا يليق بحضرة المشاهدة إلا من قام بوظائف العبودية حتى لم يرفع الله تعالى غير الله عز وجل فاذا هبت نواسم الفتح المبين على قلب أحد من المؤمنين حتى انبلج صباح سر توحيد الافعال الصادرة عن الصفات فإنه يبصر أنوار سر توحيد الصفات القائمة بالذات وبشموس توحيد الصفات يرقى إلى مرقى توحيد الذات . وقد تقدم لنا فى موقف الطمأنينة أن الذكر المأخوذ بجميع مقام الإحسان مضمون الوظيفة زيادة على لازم الطريقة فيما فيها من الاوصاف النبوية يستعان على قطع تلك الفجاج واستخراج ذلك الخراج مع مايناسب ذلك من الأدعية المأثورة عن الشيخ رضى الله عنه

وأرضاه ومن رام أسرار الحقائق مع التقصير فى الصلاة على النبى ﷺ فقد ركب الغرر الطويل والسالم
فى الغرر هو القليل فان بحار الحقائق إذا تراكمت أمواجها وتلاطمت لججها ملكت أسر الروح فاستغرق
فيها فان كان عاريا من قيام معنى ذكر النبى ﷺ صحة له فلا شك أن الرسوم لا تنخفض عليه فتتحطم سفينة
سلوكه بين أمواج الحقائق وربما تردى فى مهواة التعطيل وذلك أن المراقب إذا تجلت له أنوار أسرار
التوحيد يضيق نطاق صبره عن حمل أعبائها فتجد الروح يستدعى الرجوع إلى عالم الحس ليستريح من ضغطة
فجأة وارد المراقبة فهو بين كبد شدة الوارد وبين كمد تعلقه بعالمه فبذكر هذه الأوصاف له ﷺ وأسماء
الذات المنضمة إليها كما قدمنا لا يحتاج إلى ذلك فتقوى سفينته على تلاطم تلك الأمواج ومقاساة دهش
تلك الفجاج فيحفظ الرسوم الشرعية إذ هى المرعية علامة فى صحة تلك الاستغراقات وسبب ضعفه عن حمل
ما يرد عليه من أسرار الغيب البقية التى بقيت من الالتفات إلى الآثار والأوهام فان السالك لا يتخلص من
تبعات شاهده إلا فى موقف المشاهدة حين يبلغ غاية التصفية فيتصف بالحالة الشريفة وإن كان المراقب قد
بلغ غاية التصفية لكنه لم يعتقد عن موقف المراقبة ما ينيله ثباتا وقوة لما يرد عليه فى موقف المشاهدة فليأت
بلازم الطريقة ثم بالوظيفة على نحو ما تقدم فى موقف الطمأنينة من التلقين عند ذكر الهيللة باعلم عين
يقين ولا يفارق الصلاة على النبى ﷺ بصلاة الفاتح بشروطها فان فيها من الأسرار ما لا يدخل تحت
حصر ، وستقف على بعض أسرارها إن شاء الله فى آخر الباب وبالجوهرة فان بها تكتسب مراقبة الذات
الشريفة ومعيتها السارية فى الأكوان كما سنبينه إن شاء الله قريبا وبذلك تتيسر مراقبة الذات العلية
إذ هو حجابها لمن استلبه طلابها واجتذبته رحابها فهو المقصود الذى يرجع إليه فى الذكر والمهيع الذى به
يستجلى مرآة الفكر وعلى حجابيته توجهت إلينا وظيفة الشكر إذ لولا هو لتبدى رداء الكبرياء ورجع
الكل إلى محض الفناء ☆ قال صاحب جواهر المعانى بين عدة أسئلة وأجوبة لشيخنا التجانى رضى الله عنه
وأرضاه فى شأن جمعية الشيخ لمريده تارة يجمعه على نفسه وتارة على النبى ﷺ وتارة على الله تعالى
ما نصه ☆ وأما كون أحوال الشيخ تارة يجمع على نفسه وتارة على النبى ﷺ وتارة على الله تعالى ☆
فالجواب أنه لا منافاة بين أحوال الشيخ فى هذه الثلاثة فانه إن دل على الله كان ذلك غاية المطلوب وإن دل
على النبى ﷺ بالجمع عليه كان ذلك جمعا على الله لأنه ﷺ الخليفة المطلق عن الله ظاهرا وباطنا
فالجامع عليه يجمع على الله أو دل الشيخ بالجمع على نفسه فهو خليفة النبى ﷺ فى الدلالة على
الله والدعوة إليه فجمع الناس على نفسه جمع على الله تعالى لأنه خليفة صحيح انتهى ﴿ وثمرة هذا
المقصد ﴾ الذهول عن جميع الأكوان لاستغراق الروح فى هيئة الجلال بمطالعة مبادىء الإدناء لتلمح
الروح لوائح أشعة الحقيقة المحمدية مظهر الأنوار الاحدية ونتيجة هذه الثمرة اتصاف الروح باحدى عشرة
صفة ترقى بها عن إحدى عشرة دونها ، الأولى العطش وهو ولوع بمأمول وهو التجلى الذى ما دونه سحاب
هوى ولا حجاب طبع ولا انتظار بعده فيرقى عن سلوة الطبع بتعلق الألف وهى علة فى المراقبة ، ثم الشوق
وهو هبوب الروح إلى غائب أوما فى معناه أعنى الشوق إلى الله عز وجل بما تقعد فى الروح من معنى توحيد
صفاته حتى بغضه ما سواه فيرقى عن القنوع بالدون حيطة على الطباع من تأثيرها ، ثم القلق وهو فوق من
الاياس وضيق صدر لتوقع الخيبة كذلك المراقب لا يزال الأمد يطول عليه اللحظات فان منتظره عظم
وأمله يعيل دونه الصبر لا سيما إذا قدم بشير التجلى بغيم الكشف عن أنوار الجلال فيرقى عن القنوع بالاطلال

ثم الهيمان وهو ذهاب الروح عن التماسك بالألف جبرا وهو أضعف حالا من الدهش الذى يكون بالمشاهدة فان الدهش يصدر عن مقتضي توحيد الذات صدمة واحدة تهد بها مبانى الأوهام تخرج الروح عن مقتضيات الأجسام والهيمان يكون عند ورود ما لاطاقة للروح بتصوره واستبصاره من تلاطم أمواج بحار حقائق توحيد الصفات ببروق الأنوار وتوالى الأسرار فيرقى عن التماسك بقصى المقاومة للواردات ثم الذوق وهو استطعام مبادى الاتصال فى بستان الجمع على موائد القرب فليس من ذاق كمن تملى فالذوق نهاية المراقبة وبداية المشاهدة فيرقى عن الصوم عن مذاق الأسرار والامساك عن تلمح بوادى الأنوار والاتسام بسيما الانقطاع والاخلاء عن الارتقاء ، ثم اللحظ وهو تلمح مستغرق على خجل بملاحظة نور الكشف وإذا تمكن اللحظ أفضى إلى المشاهدة وباللحظ يستيقظ وسنان الروح إلى روح الوصال فيرقى عن الذهول بمقتضى الجسم عن أسباب الرقى إما قصداً وإما طبعا وكلاهما علة فى المراقبة . ثم الوقت وهو أعلى من الفرق ونعنى بالوقت هنا ما يقتضى المراقب من أنوار جمال الحضرة القدسية أوقاتا فتملكه ثم بعيده إلى نفسه أوقاتا فيرقى عن الاستمرار على رأى الرسوم والوقوف على أوهام مقتضيات الجسوم بقطع نياط العزم وعثار جواد القريحة ، ثم الفناء وهو المحو عن الحس بسبب إشارات المكاشفة وهى مباديها وأوائل ناديها استيجابا لمناديها وصحته أن لا يحس بشىء من عالم الحس ولا يشعر بعلامة من علائق الجسم من الحفظ وإقامة رسوم الشرع فيرقى عن مراعاة العادات وتلمح سراب المألوفات ثم التمكن وهو صحة حال الانقطاع إلى الله تعالى بصفاء مشرب التوحيد والمبالغة فى تصفية الروح حين عثر على مبادى الكشف فيرقي عن التخليط فى بحار الحيرة توانيا عن النفوذ إلى ساحل الكشف ، ثم التجريد عن مقتضى أثر الأوهام طرحا لتلمح الشواهد والخلاء عما يشغل الروح عن أمره بما ناله من عين الكشف الموصل إلى كشف اليقين فيرقى عن التلبس بثياب التفرقة والتماسك بعارية العوارض . ثم الخلاص وهو الانتهاض من قيود الأهوية وأغلال الأوهام بلوغا إلى مبادىء عز الحرية بأحكام التصفية والمبالغة فى الروحانية فيرقى عن غبش الجثمان وظلام الهوى ومن علامات حصول هذه النتيجة مواطأة الروح على معنى ذكر موقفه بما يقتضيه مقصده وقوفا به على مبادى المعرفة الضرورية ونسبة مبادئها إلى نهايتها كنسبة السراج إلى الشمس ومنها ركوب جواد العزم بما ناله من التعطش لما وراء ما تقتضيه المراقبة من أسرار المشاهدة التى وصلت اليه مبشراتها فهو كمن كان له أمل فى دخوله قصر الملك ليرى عجائبه ويرى من ذخائره فلم يزل أمله يبعث عزماته فيجد فى السرى حتى إذا وصل باب القصر ولمح منه بعض عجائبه وهبت عليه نفحات روائحه اشتد شوقه وقوى حرصه وازداد تعطشه . ومنها الفهم للاشارة والوقوف بالأدب عندها والعمل بمقتضاها . ومنها إيثار ما آثر الله تعالى وتعظيم ما عظمه سبحانه وتصغير ما صغره بصرف الهم إلى الله جل وعلا أبدا بمراعاة الحقائق فالوا المراقبة تؤديك إلى طريق الحقائق . ومنها الذهول عن الخلق استغراقا فى الخالق دائما لأنه مرتقب خطاب الحق فأذهله ارتقاب ذلك الخطاب عن جميع الأكوان ﴿واعلم﴾ أنه ينبغى لصاحب هذا الموقف أن يحافظ على ما يستديم به الوصلة ويرفع الحجاب ويرقى الروح إلى حضرة الأنس وهذا لا يكون الا بمواصلة ذكر الروح والغيبة فى معناه عن جميع الأوهام والتزام الوحدة والاقلال من الأكل والشرب إلى الحد الذى يقيم الظاهر ويرفع الهلاك والخروج عن الخلطة بالجملة ليتصل له حال المراقبة وليواصل المراعاة مع الأنفاس لأنه فى بداية الوصلة ومطالع التجلى ونهاية المراقبة وبداية المشاهدة ومن وصل إلى هذا المقدار فغالب امره أنه محمول

مكفول لتوارد النفحات الإلهية على روحه وترادف الالطاف الربانية على سره ليكن استفتاحه بفاتحة الكتاب وبصلاة الفاتح لما أغلق وبقوله تعالى ـ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ـ الآية اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. ثم اللهم اجذبنى إليك قلبا وقالبا بجواذب عنايتك وألبسنى خلعة استغراق أوقاتى فى الاشتغال بك واملأ قلبى وجوارحى إلى آخره مع ماتقدم من لفظ الدعاء للوالدين والقدوة وللنبى ﷺ والمقدمين وهذا لاستفتاح قائم مقام القصد فليحافظ عليه وبالله التوفيق ثم إذا قطع الروح موقف المراقبة فى التصفية طمع فى الوصلة والحمية فتشوق من نفسه إلى أنوار المشاهدة لما أورثته مطالع المراقبة من حلاوة المواجهة والمكافحة فيحتاج إلى معرفة معنى المشاهدة . فنقول وبالله حصول المأمول

(الموقف الثانى من مقام الاحسان والمشاهدة)

وهى عبارة عن رؤية الحق من غير ريبة ولاتهمة ولا بقية وذلك أن الروح إذا تطور وتصفى من جميع آثار الأوهام حتى لايبقى فيه غير السر الالهى المصون القدسي انجلت مرآته من غبش أنفاس الاوهام وصحت سماؤه من غيوم كدورات الرسوم وانقشع غبار مألوفات الجسوم فعند ذلك تشرق شمس المعرفة ساطعة الأنوار وتلوح دلالات المشاهدة باهرة الأسرار فيتجلى الحق سبحانه لمرآة الروح من غير تحديد ولاتكييف ولاتشبيه ولا إحاطة ولامقابلة إنما هى بوارق أنوار العظمة تتتابع وتتوالى وتتوارد على مرآة الروح تفيد يقين العيان* قال بعض العارفين وقد سئل عن المشاهدة فقال كما لو قدرت اتصال البروق وتواليها فى الليلة الظلماء حتى تصير كأضوإ نهار يكون بالشمس الصاحية قال فكذلك الروح إذا توالت عليه أنوار التجلى فتلوح له أسرار الملكوت والجبروت يظفر بحق اليقين قال الله تعالى ـ نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ـ وليس فى وسع العبارة ماتعبر عنه مثلا للمشاهدة أبلغ من هذا مع أن الأمر أعظم وأجل وأكبر وأخطر من أن يعبر عنه* وقال بعض المشايخ لايصح حال المشاهدة لمن بقى عليه عرق قائم يريد نهاية التصفية والتطهير بالمحو المحض والفناء التام حتى يفنى عن نفسه وعن شعوره بفنائه حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ألا كل شىء ماخلا الله باطل* وقالوا* ساروا فلم يبق لارسم ولا أثر* وهى حالة بحال الموت فان الموت قد يبقى معه من تعلقات الحس والاوهام وحال المشاهدة خروج عن جميع الاوهام وتبعات الاكوان وفناء عن الرسوم والأطلال وانقطاع عن الاحساس ومحو جميع الآثار تجرع الكأس البلاء كما قالوا

يجرعهم كأسا لو ابتليت لظى   بتجريعه صارت كأسرع ذاهب

لكن هذا المحو هو الاثبات الحقيقى ومع هذا الفناء هو البقاء الديمومى ومع هذا الانقطاع هو الاتصال القدسى بوجود الحق واستيلاء سلطان الحقيقة فعند ذلك تفيض على الروح أنوار التجلى فيضا متتابعا مترادفا يعم الروح ويعمره وهى الأنوار الفائضة من نور الله تعالى العلى الازلى فالأنوار جميع المخلوقات حجاب للخلق عن نور سبحات ذاته موجودة بايجاد مستمر باقية على الدوام لان الوجود فائض أبدا لو كشفها بامساك الايجاد والابقاء ولو لحظة لم يكن لشىء منها وجود ألبتة وهى المشار إليها فى حديث أبى موسى حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ماأدركه بصره من خلقه* قال شيخنا رضى الله عنه وأرضاه فى الجواب عن الحديث المذكور قوله حجابه النور فهما نوران حاجبان للخلق عن النظر للحق الحجاب الاول للخلق هو الحقيقة المحمدية فانها عين البرزخ الاكبر بين الله وبين خلقه والحجاب الثانى رداء الكبرياء على وجهه سبحانه

وتعالى فلاسبيل إلى انخراقه فان حجابيته (صلعم) وضعت لتمام الافادة لا للمنع من الافادة فانه لولا الحجاب لم يقدر الخلق ان يباشروا ربهم بالافادة منه فينفس وقوع أبصارهم على سبحات وجهه تحترق الموجودات فلا وجود أصلا فضلا عن الافادة بان الافادة من وراء الوجود فنصب حجابا بين يدى الله عز وجل ليستفيد الخلق بسبب وجوده مادة وجودهم وابقاء وجودهم وسادة الافادة من الله تعالى إذ جميع الافاذات من الله تعالى مطلقا يتلقاها الحجاب الأعظم من الله لكونه قواه بقوته ثم يفيضها هو على جميع الوجود ولولاها ما استفاد أحد من الله شيئا يقول صلعم « إنما أنا قاسم والله معطى » يشير صلعم إلى أن الاقتطاعات الالهية للقوابل الاصلية كانت مقسومة بحكم المشيئة الربانية ليس لغير الله فيها مدخل ثم جعله سبحانه وتعالى أعنى نبيه صلعم قائماله في توصيل تلك القسم المفصلة بحكم المشيئة التى قلناهى الاقتطاعات الإلهية إلى أربابها وهى القوابل الأصلية فليس يعطى صلعم لشىء من الوجود أمرا من الأمور إلا ما أعطاه الاقتطاع الالهى فهذا معنى الحديث فالحجاب الأول للحق حجاب الكبرياء ولا سبيل إلى انخراقه والحجاب الثانى للحق حجاب الحقيقة المحمدية بين الله تعالى وبين الوجود والحقيقة المحمدية دونها حجب الأنوار فلا مطمع لأحد أن يصل إلى الحقيقة المحمدية حتى يتخطى حجب الأنوار التى دونها وإنما تجليات الحق كلها من وراء حجاب الكبرياء ومن وراء حجاب الحقيقة المحمدية ومن وراء الحجب التى دونها فالنبى صلعم هو الباب فى الوصول إلى الله تعالى ولا مطمع لأحد فى الوصول إلى الله بدونه ومعنى ذلك متابعة شرعه واقتفاء سبيله والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه مع إخلاص الوجهة فى ذلك كله إلى الله تعالى فبهذا المقدار يصل العبد إلى الله تعالى وبغير هذا القدار لاسبيل إلى الوصول إلى الله تعالى فالواصل إلى الله تعالى إذا كان يريد أن ينزاح عنه الحجاب مطلقا ويصل إلى الله محضا بلا حجاب او يتخطى الحجاب إلى ماوراءه فهذا أمر لاسبيل إليه ولا مطمع لأحد فى دركه . وقال أيضا فى قوله تعالى ـ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ـ فالبحران بحر الالوهية وبحر الخلقية فبحر الألوهية هو بحر الذات المطلقة التى لا تكيف ولا تقع العبارة عنها يلتقيان لشدة القرب الواقع بينهما قال سبحانه وتعالى ـ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ـ ولا يختلطان لا تختلط الألوهية بالخلقية ولا الخلقية بالألوهية فكل منهما لا يبقى على الآخر الحاجز الذى بينهما وهى البرزخية العظمى التى هى مقامه صلعم فالوجود كله عايش به وام بقائه تحت حجابيته صلعم استتارا به عن سبحات الجلال التى لو تبدت بلا حجاب لاحترق الوجود كله وصار محض العدم بأسرع من طرفة عين . فالالوهية قائمة فى حدودها والخلقية قائمة فى حدودها كل منهما يلتقيان ولا يختلطان للبرزخية التى بينهما أى لا يختلط أحدهما بالآخر انتهى فالأنوار الفائضة على أرواح أهل المشاهدة يكون عنها يقين يشبه العيان لا يدرك بغيرها تحصل عنه المعرفة فلا يتوهم المتوهم أن نظر المشاهد إلى ذات الله تعالى نظر عيان وإحاطة وما يسمع السامع من الحجب فإنما معناها راجع إلى الخلق لانهم هم المحجوبون عنه حجب العيون عن نظر الحواجب مع شدة القرب والله سبحانه مقدس عن أن تكتنفه الحجب أو تحيط به الاستار وما يجرى فى كلام القوم من قرب ووصول ومشاهدة وتجل وكشف وجمع فإنما يشيرون بذلك إلى التخصيصات التى تدرك بأنوار المشاهدة وتعرب عن الاطلاع على العجائب القدسية والمواهب الجبروتية التى لا تدرك إلا بغاية التصفية والبعد عن عالم الشهادة لأن عالم الشهادة وعالم الغيب ضدان فبحسب البعد من أحد الضدين يكون القرب من الضد الآخر فكما أنه لا يرى حاجبيه بعينيه إلا بأخذ

مرآة لها كذلك إذا تصفى الروح وصار مرآة رأى ربه بوجه يليق به أقرب من حبل الوريد فلا يرى الروح إلا فى نفسه قال تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون وكما احتجب عن الابصار احتجب عن البصائر فهو مرئى فى كل شىء لا بصورة ومعلوم فى كل شىء لا بادراك ﴿وللمشاهدة أربعة شروط الأول﴾ اطلاع الروح على الموجودات خطيرها وحقيرها ظاهرها وباطنها أوائلها وأواخرها بنظرة واحدة فيراها مع العرش وما احتوى عليه ولو عظمت وكثرت فى محل الاعتبار كالجزء الذى لايقبل القسمة ولا الحركة ثم يغيب عنها فى الوجد لها مع بقائها على عظمها وكثرتها ولا يمكن الوصول إلى حقيقة المشاهدة قبل هذا لما فيه من تقوية جأش الروح للورود على عظيم أمر المشاهدة ومن التهيئة حين يدرك تلك الوجودات على ماهى عليه من الكثرة والعظمة ثم يحقها الاضمحلال فتتلاشى فى جنب سر المشاهدة حتى لايبقى إلا القليل ـ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ـ ففى الاطلاع على عجائب الملك مايسهل المرام وييسر المقصود لان الروح لايستطيع حمل فجأة المشاهدة لاول وهلة قبل توفيته بما ذكر ليبعد بذلك من المجاورة البشرية فيقرب من المعانى الروحانية ثانيها الاتصال بصفة الاستهتار بسر التوحيد المشار إليه بحديث «سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم ويأتون خفافا» وهذه إشارة إلى الغاية فى تصفية الروح المعبر عنها بالخلاص المأخوذ ثمرته من قوله ﷺ فيما يحكيه عن ربه تعالى «إنى إذا اطلعت على قلب عبدي المؤمن فأجد الغالب عليه ذكرى كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الخ» وهذه حقيقة الولاية وسر المشاهدة * ثالثها حفظ الرسوم الشرعية والاحكام الدينية فحرام على من لم يصحبه الحفظ الالهى فى إقامة وظائف الشرع حال استغراقه أو صحوة الورود على موارد التخصيص اهـ * رابعها رفع أوصاف العادة ومحوها من جميع مايقدح فى المواصلات وليس لصاحب هذا الموقف فى هذا المحو تسبب ولا إرادة بخلاف مايكون من المحو فى غيره من المواقف لان المشاهد مسلوب عن نفسه بربه ـ يمحو الله مايشاء ويثبت ـ وغير المشاهد لايخلو من شعور وهو المعبر عنه بالتسبب والارادة إذ لكل صاحب موقف محو وإثبات بحسب مشربه فمنهم يمحو بنفسه عن نفسه ومنهم يمحو بربه عن نفسه وأما صاحب المشاهدة فهو يمحو عن شاهده باثبات الاتصال وهى غاية المحو ويسمونه محقا لبلوغه الغاية فى المحو المحمود وهو التمكن من الجمع والخروج بالكلية من أودية التفرقة ﴿وأما آدابه فأربعة أولها﴾ الحياء بالحق من الحق هيبة ووجودا وإفرادا بطرده طوارق الاعتلال عن الروح وغض طرف الاشارة فلا انبساط ولا انقباض ولا محو ولا شكر إنما هى حالة عزيزة الوصف خطيرة النعت تجل عن التكييف وتعز عن التعريف * ثانيها الثبوت عند أول الواردات بتهيئة الروح للمشاهدة من غير معاودة لتتقوى بالثبات عند بدايتها لما يرد عليها من أسرار نهايتها ومن ضعف عن حمل البدايات لم يقو على حمل أعباء النهايات فاذا اطمأن الروح بالواحد الحق من غير التفات إلى غيره ولا تعويل على رسم علم ولا تعريج على طلل ولا أثر ليس إلا البقاء مع الله تعالى محفوظا من الغيبة عنه محروسا بصوارم العناية منه فانه يحمل سر المشاهدة * ثالثها الرجوع إلى الشاهد كلما ضعف الروح عن حمل مؤنة واردات المشاهدة لانها لا تقتضى المكث والديمومية لاسيما فى بداية الامر عدولا عن الهلكة لان حالة التجلى لايحمل قوتها إلا روح عار عن جميع علق الجسم كثيرها وقليلها خطيرها وحقيرها فلابد له من أن يبقى على الطباع البشرية بعض مايستديم به بقاء الجسم بالرجوع إلى عالم الحس عند تملؤ الروح من اسرار المشاهدة إذ لايصبر على استدامتها فى أول الامر

حتى إذا تمكن منها سهل المرام فينبغي لصاحب بداية موقف المشاهدة كلما سطعت له بروق التجلي روح الروح إلى الشاهد ثم يعود فيعود فلا يزال كذلك حتى يتقوى ويتمكن . يشير إلى ذلك سؤال موسى عليه الصلاة والسلام عما بيمينه ليرده إلى عالم حسه . رابعها عثور الروح على حقيقة نفسه فانه إذا حصل على حقيقة نفسه حصل على تمكين سر المشاهدة وان لم يقف على حقيقتها فلا يكمل له أمر المشاهدة . يشير إلى ذلك حديث « من عرف نفسه فقد عرف ربه » فبقدر ما يعجز عن معرفة نفسه يفوته من معرفة ربه وإن كان في الحديث محمل أعم من هذا لكن هذا الخصوص أولى به وأقرب فلذكر هذا الموقف الذي هو الوظيفة اختصاص بحالة الجمع ففي الطمأنينة يشير إلى الجمع من بعد وفي المراقبة من قرب وفي المشاهدة يفصح عن الجمع نصا جليا فالروح في هذا الموقف مواطىء على الاسم العظيم مستغرق في مدلوله من غير التفات لسواه متصلا مع الانفاس وكان استعماله قبل هذا إنما كان على سبيل التدريج حتى لا يرد في هذا الموقف على مكافحة الحق إلا وعنده أنس لمبادي بشائره وطلائع اسراره ولو لم يستعمله إلا عند وروده على هذا موقف المشاهدة ربما انفطر فؤاده بتوارد أسراره عليه دفعة أو مات من حينه فسر كل موقف مندرج في طي المقصد ومقصد هذه الطريقة التجانية كما علمت من أولها إلى آخرها العثور على بعض اسرار الحقيقة المحمدية وما يوصل إلى معرفة لائح من لوائحها لما علمت أن لا سبيل إلى سير الأفراد إلا منه ولا ورود على بحر الجمع إلا من بحر برزخيته الصادرة عنه . فالمطلوب في مقام الاسلام منها انطباع ظاهر صورته الكريمة في النفس حتى يتمكن من متابعته في ظاهر حليتها وفي مقام الايمان امتزاج معنى باطنها بالباطن حتى تنبعث أشعة أنوارها فتأتلف الروح بالروح ويقوم المعنى بالمعنى وتحقق أبوته العظمى لكافة هذا النبي . إذ هو الأب الاول الذي انشقت منه الانوار وانفلقت الاسرار وفيه ارتقت الحقائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه من سابق ولا لاحق . وفي مقام الاحسان تحلية الاسرار بمشاهدة حقائق صفاته الحسنى التي لا تملك واسرارها التي لا تعرف ولا تدرك فهو السر الجامع الدال على الله والحجاب الاعظم القائم بين يدي الله فبهذا المقصد الذي في هذا الورد عذب مذاقه وتيسر انفاقه واستحكم نظامه واطمأنت أقدامه « ففي هذا الموقف » يتأكد الاستغراق في الصلاة عليه بالصلاتين أعني صلاة الفاتح لما أغلق وجوهرة الكمال ليكون ما تضمنتاه من الصفات للمريد دليلا في مفاوز الحقائق وجنة واقية من تعطيل الرسوم الشرعية فلا دليل في مثل هذه الحضرة الجبروتية كرسول الله (صلعم) ومن لازم دليله اهتدى ومن فارقه ضل وتردى فليستغرق أوقاته في التعلق بأذياله كل الاستغراق وليلف الساق بالساق ليحصل على سر التلاق الذي ليس بعده فراق فليؤد لازم الطريقة وما يتلوه من استعمال الوظيفة حتى يقوم به سر الافراد المؤذن بالجمع بلا نصب ولا تعرض لمواقع العطب فبالاطلاع والعثور على بعض أنوار الحقيقة المحمدية يتيسر الورد على الاسرار الأحدية الصمدية ويقوى الروح على القيام بوظائف الحقوق الحقية والخلقية وبدوام قوله في آخر الجوهرة صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه تنفتح أبواب المعارف وبالهادي يهتدى إلى كافة المواقف فمعرفته (صلعم) هي رأس المال في الدخول إلى حضرة الجمال والجلال مع أنها في بعض المراتب عين المحال وقد قال شيخنا رضي الله عنه وأرضاه وجعلنا في حماه في شرح ياقوتة الحقائق في الصلاة على سيد الخلائق ما نصه ثم انها في حقيقتها يعني الحقيقة المحمدية لا تدرك ولا تعقل قال أويس القرني رضي الله عنه لسيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهما حين لقياه لم تريا من رسول الله (صلعم) إلا ظله قالا ولا ابن أبي قحافة قال ولا ابن أبي قحافة لانه ما قال لهم ذلك حتى وصل لجة المعارف طلبا للوقوف على عين الحقيقة

المحمدية فقيل له هذا أمر عجز عن الوصول اليه أكابر الرسل فلا مطمع لاحد فيه بوجه ولا حال قال وفيه يقول الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه فى صلاته «وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق» قال أبو يزيد رضى الله عنه غصت لجة المعارف طلبا للوقوف على عين الحقيقة المحمدية فاذا بينى وبينها ألف حجاب من نور لو دنوت من الحجاب الاول لاحترقت كما تحترق الشعرة إذا ألقيت فى النار فتأخرت القهقرى انتهى . وقال أيضا رضى الله عنه وارضاه فى شرح ياقوتة الحقائق عند قوله «وجعلتها فى احاطة العزة» أى فى غاية المنع والاحتجاب من حيث انه لا يصل إلى فهمها ومعرفتها غيرها من جميع المخلوقات فهى التى احتجبت فى سرادقات العز والجلال فلا مطمع لأحد فى فهمها فضلا عن نيلها ورؤيتها وهى ظرف لجميع الوجود فهى فى هذا الميدان عين الوجود بأسره وهى له كالجسد فالوجود كله لها بمنزلة الجوارح الملتصقة بالجسد وهذا السر لا يكشف ولا يعرفه غير الله تعالى فعن تلك الحقيقة وجدت تلك الموجودات كلها بها قوامها وعن نظامها ومنها امددها (قلت) وذلك لأن معرفة حقيقتها حينئذ من معرفة الذات العلية ولا سبيل اليها بوجه والمعارف التى يهتدى اليها إنما هى معارف مرتبة الذات العلية وأما الذات بنفسها فلا نسبة بينها وبين العالم بل لم تزل ولا تزال فى حضرة الطمس والعمى الذاتى . وأما الاسماء والصفات التى تطلب العالم وتطلبها فهى التى حصل التفاوت بين العارفين فى معرفتها والخوض فى لجتها والسلام . وقال فيه أيضا رضى الله عنه عند قوله فيها «اللهم اجعله لنا روحا ولعبادتنا سرا» ما نصه طلب المصلى من الله تعالى أن يكون له (صلعم) روحا فمرتبة كونه روحا فى نفس الأمر لكل شىء من العالم حق لا وجود لشىء بدونه حتى الكافر هى عامة للمصلى وغيره إذ بها حياة الوجود كله والمرتبة الخاصة التى أراد المصلى الروحانية التى صارت بكليتها فى جميع العارفين والصديقين والاقطاب والنبيين والمرسلين والمقربين وهى التى بها قيام الطوائف المذكورين بين يدى الله بتوفية حقوقه وتكميل الادب معه والاستهلاك فى عين الجمع والغرق فى بحار التوحيد فهم فى هذا الميدان لله بالله فى الله عن الله على الله وهذا القيام لهم مع الله تعالى بسبب روحانيته فيهم (صلعم) ولولا ذلك ما قاموا هذا المقام فيه قوله «ولعبادتنا سرا» المراد بالسر هاهنا أن تكون صادرة من العبد بملاحظة وساطته (صلعم) بين الله وبين العباد فمن لم يلاحظ هذه الحجابية فى أعماله كانت أعماله غير تامة والحجابية هو أن يكون وسيلة بين الله وبين عباده يتوسل به جميع العباد إلى الله تعالى فهذا هو سر العبادة الذى يؤذن بقبولها اه بتلفيق ، وهذه هى معيته (صلعم) الخاصة . وأما العامة فهى لهذه الطوائف وغيرهم من جميع العالم والسلام . وثمرة هذا المقصد الاطلاع على الحقائق على ما هى عليه من غير شك ولا ريب كيف يكون الشك فيما هو عن حق اليقين سنده غيب عن غيب ومعيار تحقيق الحق فى ذلك القيام بجميع رسوم الشريعة وحفظه فيها حال مشهده ومغيبه ومن أكبر الرسوم الشرعية الكتم اللازم والحفظ الدائم وهو مؤذن بمبادي المعرفة ونتيجة هذه الثمرة اتصاف الروح باحدى عشرة صفة حميدة ترقى بالروح على إحدى عشرة دونها مع أن الروح قد نال كمال التصفية فى أول هذا الموقف ولكن لا يزال مرتقيا فى غاية المعارف إلى ما لا نهاية له وتصفيته تزيد إلى ما لا نهاية له . وأما القول بأن المشاهدة لا تكون إلا بعد كمال التصفية فالمراد به بلوغ المقدار الذى تحصل عنه مع أن التصفية لا غاية لها فى الحقيقة كما أن المعرفة لا غاية لها وكل معرفة لا تبلغ الا بما يناسبها من التصفية الأولى المحبة ونعنى بها المحبة الخاصة الناشئة عن مشاهدة المحبوب فليست محبة الخبر كمحبة العيان وهى التى تقطع العبارة وتدقق الاشارة من غير عثور على كنه ولا ماهية فيرقى على

القنوع بما يقتضيه العقل من المحبة لتوالي الاحسان إذ ليس الحب للذات كالحب للصفات ثم الدهش الناشيء عن المحبة عند صولة الاتصال وصدمة التجلي بنور القرب الرافع شوق العيان فيرقى عن الركون إلى شوق الخبر إذ ليس الخبر كالعيان* ثم الفناء التام وهو المعبر عنه بفناء الفناء وهو الفناء عن الوجود وعن شهود الفناء بقاء مع الحق بعين الجمع فيرقى عن الاستغناء بفناء شهود العيان الحاصل له في موقف المراقبة* ثم السكر وهو ناشيء عن المحبة وهي حالة بين العلم والفناء لكنها أقرب للفناء منها إلى العلم وذلك عند انفصال وارد الاتصال وصدق هذا السكر تمحصه من شوائب الحيرة إلى التعظيم وصفاؤه من الشوق إلى التمكن وملازمة السرور بحق اليقين فيرقى عن الهيمان الذي أصله الحيرة في ميدان المراقبة* ثم المكاشفة وهي بلوغ لما وراء الحجاب وجودا ومن حقها الاستدامة فان ما وقع عن حق اليقين لا يكون فيه انقطاع بخلاف الالهام والفراسة لقصورهما عن درجة القطع والمكاشفة نقل عن حق التحقيق بلا ريب سببها الفناء التام فيرقى عن وهي الظن وان كان الظن ثابتا . ثم المعاينة بعين الروح لحق الحق عيانا محضا وسط فراديس الحضرة وهي فوق المكاشفة فيرقى عن المعاينة القلبية وان كانت تورث القطع لكنها ميالة إلى شواهد العلم . ثم السرور الكائن عن سماع الحق بمحو آثار الاستيحاش فيرقى عن الافراح بمبادي الوصلة والفرح دون السرور . ثم الغيرة وهي التي تؤذن بالمعرفة وتميل إلى الارتقاء إلى بحبوحة الأدب وتنشأ عن المحبة الخالصة والغيرة عبارة عن التلبس بالرسوم والكتم عن السر والإشارة دون تصريح صيانة للاسرار واتساعا لمحل الامانة فيرقى عن ضيق الحمل ومطاوعة البوح . ثم الحياة المؤذنة بالبقاء الدائم وهي التي تنشأ عن الفناء التام وتعرب عن الجمع الصحيح خروجا من علق التفرقة إلى الحق عدولا عما سواه فليس بعد هذه الحياة انفصال ولا وراء هذه إشارة فيرقى عن حياة العلم إلى حياة اليقين فلا حد ولا رسم ولا أثر ولا قبل ولا شبه ولا زمان ولا مكان ، ثم التفريد وهو تخليص الإشارة إلى الحق بالحق عن الحق يعطي المحبة أولا والافتخار ثانيا وهداية الخلق ثالثا فيرقى عن توحد الصفات إلى توحد الذات من غير مفارقة النعوت . ثم الغربة وهي غربة الهمة في طلب الحق حين ظهرت له الأسرار على أكمل ما تقتضيه عيون الحقيقة فهو غريب الدنيا والآخرة فطوبى للغرباء فرقى عن التلبس بالشواهد ولو لمحة . ومن علامات حصول هذه النتيجة اتصال البروق على الروح مع الثبات على حمل أعبائها وإقامة رسوم الشريعة في أوطانها على اختلاف أوطارها وأطوارها وان كان ماحيا أوهام العادة فبالمعنى وملابسها عليه كالثوب المعار وقاية لكتم السر وحفظا للحقائق . ومنها استدامة حال التجلي ارتقاء من غير ميل عن التحلي والتخلي فلا ظلام طارق ولا غيم نازل إنما هو صباح متصل الضياء متسع الارجاء يؤذن بالبقاء ويروح من صدمة الفناء ويعرب عن التخصيص بتمكن الادناء . ومنها ترادف خوارق العادات مع العلم بها والتنزه عنها وعدم الاشارة اليها غيبة عنها من دون استغراق فيها وان كانت الاشارة اليها فتدللا بالولاية الدالة عليها والا فالتستر صيانة لمكنون سرها وان لم يغب عن ملاحظة مهبطها من مستقر سرها . ومنها ارتفاع همة الروح عن تلمح الاكوان غيرة على عين البصيرة التي بها أبصر الحق أن تلمح سواه بمبالاة وصيانة لسره الذي تمنع بالحقائق أن يومي الى غيرها باشارة ﴿واعلم﴾ أنه ينبغي لصاحب هذا الموقف أن يكون باقيا ببقاء الله تعالى في مطلق الارادة القديمة طوعا تصرفه القدرة الازلية في تصاريف الاولياء مصونا بحفظ الهي عن موارد الاغيار لانه من خواص الحضرة القدسية وأولياء الله تعالى وأصفياء محبته بالله يقومون ويقعدون وبه يصمتون وينطقون وبه

يسكنون ويتحركون وهم الذين . قيل فيهم كلامهم الله وأنسهم بالله ومنزلهم عند الله وعيشهم مع الله فلا يرون مع الله غير الله فالوصية له وان كان عنده من المعرفة واتصال الحفظ ما يحمله على السداد ويسلك به سبيل الرشاد قياما بالرسم الشرعى فى التذكير وسعيا على ما يقتضيه الطور البشرى من التغيير وجريا على عادتنا فى المواقف السابقة ﴿واعلم﴾ أن هذا الطريق غريب الوجود عزيز المنال شريف الاحوال وكله راجع الى الاذواق فمن لم يكن عنده ذوق فليكن عنده ايمان به مع أنه لم يبق منه الا رسوم دائرة وأطلال عامية وآثار متغيرة وبالله تعالى التوفيق . ثم اذا حصل الروح على مرتبة المشاهدة قل بنفسه لنفسه إن القنوع بدون المعرفة حرمان والانتهاء الى حضرتها احسان فيحتاج الى معنى المعرفة فنقول . وبالله حصول المأمول

(الموقف الثالث فى مقام الاحسان المعرفة)

وهى هنا تمكين حال المشاهدة واستصحابها مع إقامة العدل وملازمة الحكمة فدعامة الدين المعرفة بالله تعالى بأسمائه وصفاته من غير تفريق بين الصفات والذات فيصعد الروح إلى مصاعد المعرفة الصادرة عن عين الجمع المعربة عن الخلاص التام المفصحة عن دوام السر مع لله تعالى المتضمنة تحديث الحق إياه بتعريف أسراره فيما يجرى من تصاريف أقداره فيكون بالتمكن من حضرتها واجتناء ثمرتها عارفا بما يقتضيه ذكر موقفه الذى هو الوظيفة من معنى توحيد الذات والصفات والأفعال متحليا بهمة يتلاشى فيها جميع المقدور فضلا عن المخلوقات ثم لا يزال يرقى إلى المعارف مع مرور أنفاسه وتوالى أزمانه فلا يتنفس صاحبه فى بلده إلا ثبت ايمان كل عبد فيها وما أتم كلمته قط إلا وانتفع بها كل من سمعها . وإياك ثم إياك أن تسم المعارف بخرق العوائد فتحرم شهوده * قال اليدالى فى شرح الخاتمة له فى كتاب طبقات الأولياء قال الشيخ داود أن الرجل العارف ليكون فى سفينة والأولياء حوله مشاة على الماء يتلقون عنه ويأخذون منه ولو نزل هو معهم لغرق وقالوا العالم دون ما يقول والعارف فوق ما يقول فالمعرفة هى غاية السالكين ونهاية المسافرين إلى الله تعالى والصفة التى بذلوا أنفسهم فيها إلى عز وجل وذكرها اليوم ما هو إلا الآن نعلم ما قد فاتنا من الله تعالى ونطلع على ما سبق إليها المفردون وظفر به العارفون وما حرمه المقصرون ﴿المبادى هذه المعرفة أربعة شروط . الأول ﴾ القرب الدائم فلا يشهد غير الله تعالى ولا يرجع إلا إلى الله سبحانه كما أن العاقل يرجع إلى قلبه وتذكره فيما يسنح له من أمر ويستقبله من أمر كذلك العارف رجوعه إلى ربه ذاهلا عن قلبه وفكره وذكره لأن المعرفة تقضى بتخريق الرسوم وهدم بناء الاشارات إذ العارف مستهلك فى معروفه مستغرق فى شهوده وأما غير مبادى المعرفة فلا غاية لها ما هو إلا الارتقاء أبدا إلى ما لا نهاية لأن معارف الله عز وجل لا تتناهى العارف يرقى لها أبدا الثانى العجز المؤذن الإدراك . قال الصديق رضى الله عنه العجز عن درك الادراك إدراك وقال ﷺ لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه أعرف الناس بالله أشدهم تحيرا فيه إنما هو شهود خفى من غير احاطة ولا وقوف على كنه ولا حصر بزمان ولا امكان ولا تعويل على تصور ولا تفكر ولا تدبر جل الله وجلت المعرفة به . الثالث المحافظة على حفظ الرسوم الشرعية وإقامة الوظائف الدينية اقتداء بامام العارفين وسيد المقربين ﷺ الذى تفطرت أقدامه من طول القيام فى الصلاة مع تمكين المعرفة . الرابع صيانة ما حصل عليه من تصفية الروح حتى يبقى

متخلقا بأخلاق الحق فيكون خليفة على الحقيقة فلا يتحرك ولا يسكن ولا ينطق ولا يسكت إلا بالله ولله وعن الله وفي الله وإلى الله ومع الله حتى أن لسانه صامت عن الحقائق وأحواله وأفعاله تشير إليها فهو بالله من حيث توليته له ولله من أجله لا من أجل حظ ومع الله من حيث المشاهدة وفي الله من حيث الفكر والتقوى وإلى الله من حيث التوجه والقصد وعن الله من حيث التكليف ﴿وآدابها أربعة، الأول﴾ اعطاء الحكمة أهلها ومنعها من غير أهلها ورأس الحكمة مخاطبة الناس على قدر عقولهم، الثاني التزام الأدب في كل شيء مع الله عز وجل وأعظم الأدب حفظ أسرار الحق صيانة عن الخلق فهو مع الخلق برسمه ومع الله بالله وعند العارف من الاتساع ما يلبس الحقائق بالرسوم فهم في واد وهو في آخر، الثالث ملازمة الهيبة والصعود إلى غايتها فان الهيبة من أمارات المعرفة كلما ازدادت معرفته زادت هيبته وقد يعبر عن الهيبة بالخشية وقال النبي ﷺ «أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية» فالعارف وإن كان فانيا فناء تاما عن الرسوم فلا بد من بقاء رسوم الأدب محفوظة عليه بحفظ الله تعالى اياها عليه وإقامته فيها مقام الحل فيكون سره مستغرقا في شهوده ورسمه قائما بوظائف معبوده، الرابع الصعود أبدا إلى الغايات فلا يقنع مع الله تعالى بحال وقته كما لا يقف عن السير إليه وكلما سنح له من الطباع البشرية سانح اشارة أخمد ناره بنور معرفته تنزها عن مقتضيات الطباع وجريا في ميدان المعرفة خلي العنان فهو يرقى أبدا من حال إلى حال ﴿واعلم﴾ أن ذكر مبادي هذا الموقف الذكر الذي هو في موقف المشاهدة حتى إذا تمكن من بحار المعرفة وحصل على لباب سر التوحيد حصولا راسخا انكشفت من معناه أنوار الحقائق متصلة معربة عن المعارف الالهية حتى ان جميع ما احتوت عليه المملكة من الموجودات ناطقها وصامتها متحركها وساكنها نائمها وجامدها حيها وميتها من العرش وما حوى إلى تخوم الأرض السابعة السفلى كل ذلك مستحضر عنده يعرب كل جوهر فرد منه عن لباب سر التوحيد فهو ذاكر بحركاته وسكناته ولحظاته وخطراته ولمحاته فالغيبة معه غائبة والحضرة معه حاضرة كذلك جميع الأذكار وان اختلفت كيفيتها وسائر الكلام وان تباينت معانيه ما من حرف من ذلك ولا نقطة ولا شكلة إلا وهو يفصح عن لباب سر التوحيد فالحالات عنده واحدة والاذكار لديه متساوية فالعارف وان كان هو معدن الذكر وسره ولبابه فهو يجرى في نهايته مدرجة في طي رسوم التمكينات والبداية بتحريك اللسان وتصريف الجنان وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب والمقصد في بداية هذا الموقف هو مقصد موقف المشاهدة حتى إذا تمكن في موقف المعرفة صار كل شيء منه ظاهراً وباطنا هو المقصد التام الكامل الذي ينفق منه على جميع الاذكار لاستهلاكه في بحار الحقائق وهل المقصد إلا دليل يدل بمعناه على ما يراد من الذكر فاذا بلغ العارف تمكين المعرفة إفادة طلوع الحق على الاسرار مواصلة الأنوار فصار هو المقصد بعينه كيف والعارف إكسير العالم وتستمد منه الأشياء صلاحها فهو الذي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء ومعاشرته كمعاشرة الحق يحتملك ويحلم عنك لأنه تخلق بأخلاق الحق متصف بصفات السنة هو كالمطر تنتفع به كل جهة أصابها فهو الخليفة الأعظم إذ لا اسم له يختص به فان أسماء الوجود كلها أسماء له لتحققه بمراتبها ولكونه هو الروح في جميع الموجودات فما في الكون ذات إلا وهو الروح المدبر لها والمحرك لها والقائم فيها ولا في كرة العالم مكان إلا وهو حال فيه ومتمكن منه فبهذا الاعتبار لا اسم له يتميز به عن الوجود ولا مكان يختص به دون آخر قال المرسى لو كشفت عن حقيقة الولي لعبد لأن أوصافه من أوصاف الله ونعوته من نعوته ومعنى الولي هنا الإنسان الكامل وهو الخليفة الأعظم. وقد قال محيي الدين في الإنسان

المحجوب انه ليس بإنسان إنما هو شبه الإنسان كالذات الميتة التي لاروح فيها فهي ذات الانسان ولكن
لاروح فيها فصاحب صفاء الروح بعد الفتح يفعل ما يريد في كل ما أراده يحيي الموتى إذا شاء ويناديها فتجيبه
مسرعة ولو كانت رميمة ويثمر الشجرة اليابسة في الحين إذا شاء إلى غير ذلك من الخوارق فلا يصعب عليه
شيء من خرق العادة إلا أن عليه جبال الأدب مع الحضرة الإلهية فهي التي تمنعه من هذا فان أظهر من الخوارق
ما يأباه الوقت عوقب في الحين أو طرد لأنه ممحو في الحضرة الالهية ميت عن جميع حظوظه فلا قيام له إلا بقيام
الحق ولو قيل له ماتريد لقال ما أريد إلا ما يريد الحق سبحانه وتعالى فهو فان عن مراداته قائم بإرادة الحق
له في جميع حركاته وسكناته وتقلباته وإراداته وثمرة هذا المقصد أن يكون العارف طبعة لجميع الأسرار وشمسا
تستمد منه جميع الأنوار ترد عليه المعارف أفواجا بعد أفواج ونترا كم لديه الحقائق أمواجا بعد أمواج جمعا
وأفرادا فان كان ورود المعارف عليه متنوعة المشارب مختلفة الموارد فقبول روحه إياها قبول واحد عن
نسبة واحدة ونتيجة هذه الثمرة اتصاف الروح بإحدى عشرة صفة حميدة يرقى بها في مبادي المعرفة إلى ما لا
غاية له عن إحدى عشرة دونها وإلى هنا انتهى العلم بما يرقى العارف إليه أو يرقى عنه إلى ما وراء ذلك من
الأسرار اللطيفة والحقائق الدقيقة ما يجل عن البيان ، الصفة الأولى الحرية ومعناها أن يكون العارف فرد
الفرد من غير أن يكون تحت رق شيء من الموجودات لا من أغراض الدنيا ولا من أغراض الآخرة ولعزة
حال الحرية أنشد بعضهم

أتمنى على الزمان محالا * أن ترى مقلتاى طلعة حر

والحرية عبارة عن غاية التصفية والطهارة فالمكاتب عبد ما بقي عليه درهم واحد . قال بعضهم ليس بحر
من بقي عليه من تصفية نفسه مقدار مص نواة فيرقى عن تلمح الشواهد والعوائد ثم الوجود وهو الفوز
بحقيقة الشيء وهو وجود مقام تضمحل فيه الرسوم حتى رسم الوجود في الاستغراق في الأولية فيرقى عن تلمح
ظلال الأوهام عند سطوع أنوار الحقائق ثم الجمع الاتم وهو الذي يعبرون عنه بجمع الجمع الذي يقضي بقطع
الاشارات والشخوص عن الأمارات والعلامة بعد صحة التمكين والبراءة من جميع التلوين فيرقى عن شهود
غير الله تعالى حتى شهود الجمع ثم الصحو لا ينال إلا بحياة الروح بوارد الجمع ولوائح الوجود وهو عبارة عن
تمكن حال المشاهدة واتصالها مع هدو الروح من لدغات الدهش وتروحه من ضغطة صدمات التلف فيرقى
عن سكر الدهش المذهل عن تمكينه من مطالعة جمال الحضرة . ثم التحقيق وهو الوصول إلى المعرفة بالله
التي لا تدركه الحواس بتخليص الشرب من الحق بالحق في الحق حتى تسقط الشهادات وتبطل العبارات
وتفنى الإشارات فيرقى عن الحيرة في أودية مهامه الحقائق حين تشرق أنوار المعرفة بالخروج عن ضحضاح
البشرية ثم البسط ونعني به إرسال الشواهد في الرسوم العلمية مع حفظ السر بستر بال الاختصاص فهو علم
في طريق الارشاد وإمام يهتدى به جميع العباد ومصباح يستضيء بنوره السالكون يقتطفون من ثمر حكمه
كل رطب جني فيرقى عن واردات القبض المستمد من الطبع ثم التلبيس وهو يشابه البسط لكن البسط أعم
منها والمراد بالتلبيس تغطية الأسرار بأستار الأسباب ابقاء على الكافة بما تحمله مشاربهم [illegible]
[illegible] بتباين الملاطفة وذلك من أخلاق [illegible] الأنبياء ثم بعدهم للأئمة الربانيين الذين [illegible]
[illegible] بالروح [illegible] اطلاق [illegible] العبارات [illegible]
الخروج عن فناء المشاهدة إلى بقاء المعرفة من غير أفول يحل بشمس المشاهدة ولا رجوع إلى شواهد الحس

إعاهو استصحاب القرب باستئناس الروح فهو كما قالوا كأنى بأنى فيرقى عن الضعف عن حمل أعباء الوصل والوهن لواردات الحق . ثم السر وهو قريب من التلبيس لكن التلبيس أقوى لأنه ستر حسام الجمع فى قراب التفرقة ابقاء على الكافة بالسلامة من الحيرة والجمع بين الجمع والتفرقة أمر صعب . وأما السر فهو أضعف لأن صاحبه يشير إلى موقف هو فى غيره غيره على ما أشهده الحق من أسراره لما أسره عنه مع شواهد أقامها على صحة مقامه فاستتر بالله تعالى عن الكونين فمنفعة هذا مقصورة على نفسه لحكمة حكم بها الحكيم الخبير بخلاف صاحب التلبيس الذى قيضه الله تعالى منفعة لعباده فيرقى عن ضيق البوح الهاتك لستر السر القادح فى عز الغيرة * ثم الاتصال وهو الوجود بتوالى الجمع لكن لا يدرك هذا الاتصال بوصف ولا ينال بحد إنما هو اسم لا تكشف عن مسماه العبارة وإن أومأت إلى نحوه الإشارة فيرقى عن وهن الانفصال ورؤيته عند الخروج من ظلمات الكون إلى أنوار المعرفة ثم الحكمة وهى التى هبت بها رياح التخصيص فاستنشقها أهل الولاية فأوردتهم موارد التحقيق وألبستهم خلع المعارف وأظفرتهم بذخائر الأسرار ولا تكون إلا لعارف ربانى وارث فيرقى عن التصميم بالغيرة إلى دلالة الخلق إلى الله تعالى ومن علامة عقد المعرفة أن لا يرد على روحه من أسرار الغيب إلا ما يشهد بصحته الشرع ولا ينقض أصلا من أصوله حتى أنه يبث الأسرار مدرجة فى عبارات الأحكام من غير تنافر ولا تناف فلا يظهر عليه ما يخالف الرسوم الشرعية والأحكام الدينية وهذا إذا تحققت حقيقته تجدها بادية من النبى ﷺ فى اتساع عباراته بما يأخذ كل إنسان منفعته وينفق منه بحسب حاله وعلى ذلك درج الخلفاء وسائر السلف رضوان الله عليهم أجمعين * ومن علامات حصول هذه النتيجة الارتقاء إلى تمكين المعرفة أن لا يقيده حال عن حال ولا يحجبه موقف عن موقف ولا يلتبس عليه مقام بمقام وذلك لأن العارف إذا رسخت قدمه فى المعرفة يعاشر أهل منازل المقامات بمشاربهم فينتفعون ولا يتضررون بهم لأنه يواصلهم بأحوالهم مع حفظ حاله وينتقل معهم فى انتقالاتهم وهو ثابت على مقامه فهم يظنون أنه معهم بمثل الذى هم فيه يجد مثل الذى يجدونه وليس كذلك إنما هو معهم بشاهده يلبس أحواله بأحوالهم ويناطقهم بمشاربهم لينتفعوا ويمازجهم بمقاماتهم ليتمكنوا وهذا رأس الحكمة . ومنها استعمال الاذكار كلها على اختلاف كيفياتها استعمالا واحدا يميل بمقتضياتها فهو ينفق من جميعها الباب سر التوحيد ويردها كلها إلى سبيل مقامه العرفانى . ومنها صعوبة أمر البكاء إنما هو فى أوقات سيرهم فاذا نزلوا إلى حقائق القرب وذاقوا طعم الوصول زال عنهم ذلك غالبا وقد ترد عليهم من الأحوال ما يقتضى اراقة الدموع والرقة والخشوع عند رجوعهم لمقتضى الطبع وحيث ذكرنا اتساع عبارات السلف رضى الله عنهم علمت أنهم العارفون المهديون وكيف لا وهم المشاهدون لطلعة نبيه المكرمون برؤيته وهو إفاضة الله من الله إلى الله كما قال شيخنا رضى الله عنه وأرضاه فى الجوهرة إفاضتك منك إليك قال فى شرحها على ذلك المحل وذلك لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد خلقه برزت الحقيقة المحمدية وذلك عندما تجلى بنفسه لنفسه من سماء الأوصاف وسأل ذاته بذاته موارد الالطاف فتلقى ذلك السؤال منه بالقبول والاسعاف فأوجد الحقيقة المحمدية من حضرة علمه فكانت عيونا وأنهارا ثم سلخ العالم منها واقتطعه كله تفصيلا على تلك الصورة الإلهية الإنسانية فإنها كانت ثوبا على تلك الحقيقة المحمدية النورانية شبه الماء والهواء فى حكم الرقة والصفاء فتشكل الثوب شكل الصورة النورانية فكان محمد صلعم مجمع الكل وبرهان الصفات ومبدأ الاسماء وكان آدم عليه الصلاة والسلام نسخة منه على التمام وكانت نسخة الذرية من آدم عليه الصلاة والسلام وكان العالم برمته

علويه وسفليه نسخة من آدم فتحقق هذا النسج تعش حميدا انتهى فلذا سأل شيخنا رضى الله عنه وأرضاه من الله أن يعرفه إياه فى مراتب بطونه صلعم لعلمه رضى الله عنه أنه هو عين المعارف إذا المعارف الالهية المفاضة على الخاصة العليا كلها فائضة من الحقيقة المحمدية كما ستراه قريبا مأثورا عنه رضى الله عنه وأرضاه . ومعرفته إما بالوصول إلى روحه أو حقيقة عقله أو قلبه أو نفسه ﴿قال رضى الله عنه﴾ وأرضاه فأما حقيقة مقام روحه فلا يصل إليها إلا الأكابر من النبيين والمرسلين والأقطاب ومن ضاهاهم من الافراد ومن العارفين من يصل إلى مقام عقله صلعم فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك إذ ليس مقام العقل وعلومه كمعارف مقام الروح وعلومه ومن العارفين من يصل إلى مقام قلبه صلعم فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك وهى دون مقام العقل فى المعارف والعلوم ومن العارفين من يصل إلى مقام نفسه صلعم فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك وهى دون مقام القلب * وأما مقام سره صلعم فلا مطمع لأحد فى دركه لا من عظم شأنه ولا من صغر والفرق بين مقام سره وروحه وعقله وقلبه ونفسه فأما مقام سره صلعم فهى الحقيقة المحمدية التى هى محض النور الالهى التى عجزت العقول والادراكات من كل مخلوق من الخاصة العليا عن ادراكها وفهمها هذا معنى سره ثم ألبست هذه الصورة المحمدية ألباسا من الأنوار الالهية واحتجبت بها عن الوجود فسميت روحا ثم تنزلت بالباس أخرى من الأنوار الإلهية فكانت بذلك تسمى عقلا ثم تنزلت بألباس من الانوار الالهية أخرى واحتجبت بها فسميت بذلك قلبا ثم تنزلت بالباس من الأنوار الالهية أخرى واحتجبت بها فكانت بسبب ذلك نفسا ولما خلقها أودع فيها سبحانه وتعالى جميع ماقسمه لخلقه من فيوض العلوم والمعارف والاسرار والتجليات والانوار والحقائق بجميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها ثم هو ﷺ الآن يترقى فى شهود الكمالات الالهية فلا مطمع فيه لغيره ولا تنقضى تلك الكمالات بطول الآباد فلا شىء مفاض من المعارف الا وهو بارز من الحقيقة المحمدية فهو ﷺ خزانتها وينبوعها اه فلهذا سأل من الله تعالى معرفته (صلعم) فقال رضى الله عنه فى آخر جوهرة الكمال « صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه » فجعل رضى الله عنه هذه المعرفة هي منتهى السير لأنه رضى الله عنه ممن يجمع مريده على نفسه وعلى سيد الوجود (صلعم) وكلاهما نائب عن الله تعالى كما قدمنا فى موقف المشاهدة فهما المقصد المعول عليه فى ألقاب الذكر باستحضارهما والتلقى منهما كما تقدم من أول السلوك إلى آخره فافهم إذا المراد الوصول إلى حضرة الله تعالى العلية والوقوف على المعارف من صفات ذاته المقدسة وأما الذات نفسها فلا سبيل إلى معرفتها كما ذكرنا فى الموقف الذى قبله * فاذا تمهد هذا علمت أن الحقيقة المحمدية هى الحجاب الأكبر الذى حجب الوجود عن رؤية ذات الله تعالى ثم إنها هى فى نفسها محجوبة عن رؤية الذات المقدسة من حيث ماهى هى فإن من ورائها حجاب الكبرياء الذى لا سبيل إلى انخراقه ومن وراء حجاب الكبرياء إزار العظمة ومن وراء ذلك إزار العز والعلو الذاتى ومن ورائه ازار الجلال فلا سبيل إلى انخراق هذه الحجب لا للنبى ولا لغيره فلتبدأ بالاستغفار إذ لا يخلو حال منه كما كان من لازم الطريقة ومن الوظيفة ولتثنه بالصلاة ثم بالصلاة أيضا كما هو فى الوظيفة بصلاة الفاتح أو بالجوهرة كما علمت ولتكن الوظيفة آخر ذكرك فصلواتها هى منتهى السير عندك ولو تساوت الاذكار عند صاحب المعرفة حين صار هو فى نفسه ذكرا من ذكر الله فهو مقيد بقيد القدوة تعظيما له واجلالا واحتراما لسابق عقد تلك العروة ولو كان القدوة يترك المريد بمجرد وصول حضرة المعرفة لحرمته تبقى لتسببه فى التمسك بالعروة الوثقى لسيد الوجود

(صلعم) فلايزال يرقى فى الحقيقة المحمدية إلى مالانهاية له ولاغاية ثم إن العارف له حالان فإن كان ممن لم يهيئه الله لهداية خلقه فليلازم الاسفار وليتصور بالاطوار ظاهره مختلف العوائد وباطنه مع الله حاضر وشاهد ملبسا لباس الغيرة لايفارقه الكتم والتستر مع ربط نفسه بالأسرار وظاهره كالثوب المعار عادلا عن صحبة الخلق غير راض بمصاحبة غير الحق خشية أن تظهر عليه لاسرار وتلوح من جنباته الحقائق فتجده يحفظ سره عن سره غيرة على سره مع أنه لم تتعلق به وظيفة غيره وإن كان ممن هيأه الله لهداية الخلق فليمازج الخلق لاله ولالهم لكن الله بالله فليؤت كل ذى حق حقه من اعطاء الحكمة ومنعها وليكن كالارض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شىء وكالمطر يسقى من يحب ومن لايحب وليكن ربانى التعليم وليستر أسراره فى طى الرسوم ومهما أرسل العبارة بالكشف عوقب بالكف والسلام ﴿تنبيهات * الاول﴾ اعلم أن المناسب لاول مقام الاحسان من الحضرات حضرة الجبروت وهى على ماعند شيخنا رضى الله عنه من السماء السابعة إلى الكرسى وهى حضرة فيض الأسرار الالهية وهى عالم الارواح المجردة وهو عالم الملائكة والمناسب لآخره حضرة اللاهوت حضرة ظهور أسماء الله وصفاته بأسرارها وأنوارها وفيوضها وتجلياتها وذلك أن مقام الإحسان هو المقام الذى يصفو فيه مشرب الروح من الأوهام وينفض رجله من قيد تبعات الأجسام فحينئذ تفيض عليه الاسرار الالهية فوجا فوجا وتتراكم عليه أمواج الأنوار الرحمانية موجا موجا فيتقدمه العقل الربانى وهو كما قال شيخنا رضى الله عنه عنه هو محض النور الربانى المنصب فى باطن الروح فهو الهادى المبلغ إلى الغاية وقد كان متأخرا مستترا فى حضرة الغيب وكان وصفا للروح قبل التركيب فى الجسم تنكشف فيه حقائق الأشياء الباطنة وتعرف به حقيقة الحق والباطل عرفانا حقيقيا وكشفا يقينيا لاتلتبس عليه الأمور الالهية ولاتدهشه معضلات المتن فهو القسطاس المستقيم بين كفتى الحق والباطل يعرف به كيفية الموازنة للاشياء ووضع كل شىء فى كفة الحق أو فى كفة الباطل ويعرف به صورة الترجيح بين الأشياء والمعادلة وهذا العقل يأخذ العلم عن الله بلا واسطة لايحتاج إلى تعليم معلم ولا لاخبار مخبر فيعاين أسرار الحضرة القدسية ويجلس على كرسى السلطنة العظمى ويحكم فى جميع الأشياء فتنفعل ولا يستعصى عليه شىء وهذه الحضرة هى عالم الروح حين التجريد منها مبدؤه ومنشؤه متصفا بالصفة الملكية فمنها هبط لعالم الجسمية فاختلط بالشهوة الجلية والخفية ومنها يصعد لحضرة اللاهلات حضرة ظهور الصفة والاسم ومن تلك الحضرة قيام الوسم والرسم وهى مرتبة الحقيقة الآدمية فانه لم يقع التجلى بكافة الأسماء والصفات الالها فقط بل لم يكن تجل باسمين لذرة واحدة من الاكوان إلا للآدمى لاختصاصه بهذا العقل الربانى انتهى ﴿ ولنضرب مثلالا للحضرات الثلاث الناسوتية والملكوتية والجبروتية ﴾ فنقول باختصار سأل سائل كاغدا على وجهه أحرف سود وقال مالك سودت وجهك الابيض فقال له مكره أخاك لابطل فسل المداد فسأله فقال ليس الخروج من القرار بالاختيار إنما كنت مستودعا فى وعاء مصدف فسل القلم فسأله فقال مالى ولمرارة المداد فسل الناقل أيها السائل يعنى اليد فقالت ليس من المشتهى التعب والعناء والنصب فسل القدرة الحادثة التى أزعجتنى وبذا أتعبتنى فقالت القدرة إنى لاأحب الاالخول والافول فسل الارادة فقالت الارادة ليس الأمر من عندى وإنما أنا رسول العقل عن إذن من العلم المرسوم فى لوح القلب بقلم القضاء فقال السائل لاأعلم لوحا إلامن خشب أو نحوه ولا كتبا إلا بقلم ويد فعند ذلك تحير السائل ثم لم يرض بالخيبة مع طول الغيبة فى تفتيش هذه الغيبة ثم فكر ونظر أتم الأنظار فقال لابد من فاعل مختار له محض الاختيار ثم قال على سبيل الالهام

نعم أرى قلما كالاقلام ويدا كالأيدى يراها المهتدى المهدى فذهب يسأل فقيل له - لايسئل عما يفعل — فالكاغد والمداد واليد من عالم الناسوت والقدرة والارادة ونور العقل من عالم الملكوت والعلم الموسوم فى لوح القلب من عالم الجبروت والقلم الذى كالاقلام واليد التى كالايدى عالم اللاهوت ووراءها حضرة الهاهوت حضرة الطمس والعماء الذاتى ﴿التنبيه الثانى﴾ اعلم أن المناسب من الأدعية أول هذا المقام دعاء الشيخ رضى الله عنه اللهم اجذبنى اليك الخ لما فيها من باء الجر وفى آخر المقام دعاؤه اللهم حققنى بك تحقيقا يسقط النسب والرتب الخ ووجه شكر منة هذه الحضرة كالتى قبلها من كونها مقرا للروح منها يخرج وإليها يرجع فقد بان لك توجه شكر العالم كله من أعلاه لأسفله فى المقامات كلها على وجه المناسبة وبالله تعالى التوفيق ﴿الثالث﴾ اعلم أن بين التربية بهذه الطريقة زادها الله عزا وبين طريقة الساحلى رحمه الله تعالى التى ذكر فى كتابة بغية السالك التى اعتمدنا عليها فى غالب الأحوال سبع مسائل على ماوقفنا عليه بعد الممارسة * احداها الخوف فهو مبنى تلك الطريقة كما أن مبنى هذه الشوق ولكل منهما موجب من الشوق * ثانيتها الخلوة المعهودة بشروطها وآدابها المقررة فى موقف المراقبة فقد تأكدت فى حق صاحب تلك الطريقة وهذه خالية من دواعى الاعتزال لما فى ذلك الحال من النزال * ثالثها المقصد فان مقصد تلك الطريقة إيراد الخطاب من المولى بما هو مطابق لحال السالك فى موقفه وأولى ومقصد هذه استحضار صورة القدوة والصورة الكريمة بين يديه وافصاح المريد بما حصل من الشكوى لديه * رابعتها التغميض حين الذكر لاستحضار الفكر ففى هذه الطريقة يكون فى محله الأطراف فبهيئته يكون المساق * خامستها تلمح المعنى فهو فى تلك يكون من أول الأمر وفى هذه لايكون إلا بعد مواطأة السمع للسان فى شأن الذكر * سادستها التنويع فانه لابد منه فى كل ذكر بحسب المنازل فى تلك الطريقة كذكر التنزيه فى منزل الصدق وذكر الأفراد فيما بعده من المنازل على الحقيقة وفى هذه لايكون فى الغالب إلا بالصلاة على سيد الخليقة بالمعانى من اسمه ﷺ الدقيقة * سابعتها المنتهى فان منتهى تلك الطريقة الوقوف على حقائق المعارف الربانية من غير تصريح بمعرفة بعض أسرار الحقيقة المحمدية ومافى معناه وفى هذه الطريقة هو ما أشار اليه الشيخ رضى الله عنه فى آخر الجوهرة «صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه» الرابع اعلم أن بين هذا الجامع وبين هذا الفجر الساطع أربعة مسامع وكلهم درر لوامع فلا علينا أن نسرد أسماءهم على وجه التبرك بهم لا على نشر مزاياهم ومفاخرهم وسجاياهم إذ من حق كل واحد منهم أن يفرد ترجمة عن أحواله مترجمة فالجامع لقنه الشيخ الأخ الشفيق البر الشقيق الفاضل القدوة النحرير سيدى محمد بن محمد الصغير أبقى الله طلعته متعة للمتمتعين . ومآثره نزهة للمستمعين وهو لقنه الشيخ الأفضل . السيد الأجل . نخبة الأخيار سيدى بانم بم حم ختار . رحمه الله الواحد القهار . وهو لقنه الشيخ الفائق الإمام . الورع الهمام . صاحب الخلال والفعال . سيدى مولود فال . لطف الله به فى الحال والمآل . وهو لقنه الطود الشامخ . ذو الشرف الباذخ . نزهة المستمع واللافظ . سيدى محمد الحافظ رضى الله عنه وأجزل حظنا معه وهو لقنه بدر التمام . ومسك الختام . وعلم الإسلام قنطرة التهانى . ومدرجة الأمانى . ذو الفيض الربانى . والمدد الرحمانى . شيخنا أبو العباس سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه وأرضاه وجعلنا فى حماه وحشرنا فى زمرة من نصره وآواه ثم باشر الجامع بعد كل من القناطر الأربعة بالتلقين وأخذ عنهم بالتعيين إلا مولود فال الأمين وزاده الشيخ الحافظ رضى الله عنه الاذن فى اعطائه فأتاه ذلك الفضل من تلقائه رضى الله عنهم وأرضاهم

وحمد مسعانا ومسعاهم وحشرنا وإياهم فى الرعيل الأول مع عباده الذين اصطفاهم اللهم كما منت علينا بحبهم فألحقنا بقربهم والتحقق بالانخراط فى سلكهم وحزبهم انك على ماتشاء قدير وبالإجابة جدير

أسرد حديث الصالحين وسمهم ... فبذكرهم تتنزل الرحمات

وبالله تعالى التوفيق هنا انتهت طريقة السلوك بأذكار هذا الورد بقدر الطاقة والجهد وتتلوها إن شاء الله تعالى طريقة السلوك الصلوات الخمس ﴿للمحافظ عليها بالمعنى والحس﴾ على نحو ما أشار الشيخ اليه بجعله المحافظة عليها على وجهها من شروط هذه الطريقة وهى عين السلوك فيها على الحقيقة والله المستعان وعليه التكلان

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

﴿ الطريقة الثانية طريقة السلوك بالصلوات الخمس ﴾

(للمحافظ عليها بالمعنى والحس)

اعلم نور الله بالخشوع بصيرتى وبصيرتك وأصلح بالحضور سريرتى وسريرتك أن الصلاة هى آخر ماأوصى به ﷺ فما زال يكرر عند وفاته الصلاه وماملكت أيمانكم حتى انقطع كلامه ﷺ وقد أمر تعالى بالمحافظة عليها وحض على إقامتها فى عدة آيات فقال تعالى ـ حافظوا على الصلوات ـ الآية وقال ـ وأقيموا الصلاة ـ الآية مكررا لها فى عدة مواضع وما بين العبد والكفر الا ترك الصلاة وليس فى الذكر من الأعمال عمل يفزع اليه عند الأزمات فتنجلى غيرها وليس من الأعمال عمل يستجلب به الرزق غيرها وليس من الأعمال عمل يبقى مع الأمة إلى قيام الساعة غيرها وليس من الأعمال عمل لايزال واجبا على المؤمن مادام فى عقله غيرها وليس من الأعمال عمل ينهى عن الفحشاء والمنكر غيرها إذ لها أقوال وأفعال وأحوال فالأفعال والأقوال تنقطع والأحوال ترافق العبد إلى الأبد وهذه الأحوال هى التى تزجر العاصى وتبشر المطيع فان العبد إذا قام للصلاة وجعل الكعبة نصب عينيه والصراط تحت قدميه والجنة عن يمينه والنار عن شماله وملك الموت وراء ظهره واعتقد أنها آخر صلاة له فى الدنيا فأتى فى النية بخوف ورجاء وكبر بتحقيق وعظمة وقرأ بترتيل وتدبر وركع بخضوع وسجد بخشوع وتيقن أنه ليس منها إلا ماعقل وحافظ على صلاة الجماعة فجدير أن تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر فيما يستقبل وتغفر ذنوبه فيما مضى كما أشار اليه قوله ﷺ مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحمه كل يوم خمس مرات فهل ترون ذلك يبقى عليه من درنه شيئا قالوا لايارسول الله قال فكذلك الصلوات الخمس لاتبقى على الآتى بها ذنبا الحديث ومن المعلوم ضرورة أن الانغماس المصاحب بالدلك البليغ هو المزيل للدرن فالتدبر فى الصلاة والخشوع فيها بمنزلة الدلك والانغماس بلا دلك لايزيل درنا بل ربما انتشر به فالصلاة هى سلم الارتقاآت ومعدن للصافات ومركز التجليات يغشى شعاعها القلوب ويفتح بها رتق الغيوب وبها قرة عين المحبوب إذ قال

وجعلت قرة عيني في الصلاة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يكون معنا كأحدنا حتى
إذا ثوب بالصلاة ازمع كأنه ما عرفنا ولا عرفناه حتى يفرغ من شأنها والصلاة هي الوصلة بين الله وبين عبيده ،
لتنوع مشاهدها بين ذكر وتكبير ودعاء وركوع وسجود وقيام وجلوس وصلاة على النبي ﷺ فلذلك
أكد شيخنا رضي الله عنه على المحافظة عليها وعلى الطمأنينة فيها وشرط المحافظة عليها في ورود لازم
الطريقة كما علمت وقال في بعض وصاياه ما نصه. ثم آكد ما يحافظ عليه الصلوات الخمس بجميع أحكامها
ومقتضياتها ولوازمها وهي مضبوطة في كتب العلماء فالواجب لها المحافظة على شروطها وهي معلومة
واستكمال شرائطها وهي مشهورة وتثقيل هيئتها في الركوع والسجود على الحد الذي ذكره ﷺ
في الخبر الصحيح بقوله ثم تركع حتى تطمئن راكعا ثم ترفع حتى تستوي قائما ثم تسجد حتى تطمئن ساجدا
ثم تجلس حتى تطمئن جالسا وقال ثم افعل في بقية صلاتك هكذا واحذروا كل الحذر من الوقوع في الهلاك
الذي وقع فيه الناس من عدم مبالاتهم بتكميل أمر الصلاة فانهم ينقرونها نقر الديكة للحب وذلك مبطل لها
بشهادة قوله ﷺ في الخبر الصحيح للرجل الذي رآه يفعل ذلك ارجع فصل فانك لم تصل وهو يصلي
كذلك ثلاث مرات على تلك الهيئة التي هي الاسراع في الركوع والسجود ثم في الرابعة علمه الكيفية السابقة
وقد قال (صلعم) صلوا كما رأيتموني أصلي فانه (صلعم) كان يتم الركوع والسجود بالطمأنينة وحقيقة
الطمأنينة في الشرع عدم الاضطراب والسكون ومعناها أن الراكع والساجد إذا بلغ حد الرجوع والسجود
يتراخى فيهما قدر ما يسبح الله ثلاث تسبيحات وهو راكع أو ساجد والمطلوب في الشرع أن يأتي الانسان
لصلاته مثل اتيانه لنومه إذا غلبه النوم فان آتي النوم لا يأتيه مستعجلا ولا متخففا بل يلقي عنه جميع الأشغال
ثم ينام منحطا للنوم مطمئنا فكذلك حالة الصلاة يأتيها متشاغلا قد ألقى كليته اليها تاركا لما يشغله عنها ثم
يفعلها بشروطها المذكورة وأما من صلاها مستعجلا لا يطمئن في ركوعه وسجوده على الحد الذي ذكرنا
فانها غير مقبولة، هي التي ورد في الخبر أنها تلف كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها وإليها
يشير قوله ﷺ أول ما ينظر فيه من أعمال العبد الصلاة فان قبلت نظر في سائر أعماله وإن لم تقبل لم ينظر
الله في شيء من عمله . ثم الواجب لها تكميل الطهارة من الحدث والخبث وليتعلم العبد كيفية الطهارة من
الحدث بتكميل غسل أعضاء الوضوء والغسل فان أكثر العامة اليوم مثلا يبون غسل أعضاء الطهارة
لا يستكملونها فصلاتهم باطلة يعرف ذلك من باشرهم في هيئة الوضوء فان من فسدت طهارته فسدت
صلاته وإن لم يستكمل الطمأنينة في الركوع والسجود ولم يستكمل استواء القيام بعد الركوع أو لم
يستكمل استواء الجلوس بين السجدتين بطلت صلاته فالحذر الحذر في صحة الصلاة فان الصلاة في الايمان
بمنزلة الروح في الجسد إذا وجدت الروح وجدت حياة الجسد وإن فقدت الروح منه فقدت الحياة ثم أوصى
على الصوم والزكاة إلى أن قال وأوصيكم بالمحافظة على الصلوات الخمس في الجماعات إن كان الامام يستكمل
ركوعها وسجودها كما سبق وإلا فلا تحل الصلاة خلفه وأوصيكم بالمحافظة على حفظ الفاتحة وتكميل تلاوتها
في الصلاة بالترتيل وأن تكون على الوجه الذي أنزلت به فان الفاتحة في الصلاة في الاعتبار بمنزلة الياقوت
الغالي مع دراهم فضة فان مائة صلاة من الفرض بجميع ما تشتمل عليه إذا أديت على هيئتها ما عدا الفاتحة
لا تعادل كلها فاتحة واحدة تقرأ في فرض فحافظوا عليها . وقال في أخرى وأديموا الصلوات المفروضة في الجماعة
بالمحافظة فانها متكفلة بالعصمة من جميع المهلكات إلا في نبذ قليلة توجب العقوبات وإن لله سبحانه

وتعالى بالمداوم عليها لعناية عظيمة فكم يجبره من كسر وكم يستره من عورة وكم يعفو له عن زلة وكم يأخذ
بيده فى كل كبوة انتهى ، قلت وكما يؤيد ماذكره الشيخ رضى الله عنه من شرف الفاتحة وفضلها ماذكره
الشيخ سيدى المختار الكنتى رحمه الله فى زوال الالباس قال ولما كانت يعنى الفاتحة هى سر الصلاة وروحها
وقاعدة القرآن التى تنبنى عليها أصوله أوجب ذلك لكل عاقل ذى بصيرة لا يشتغل بالوسواس التافه
عن تحقيق عجائبها وإمعان النظر فى غرائبها بحسن نظم ظاهرها وغزارة معانى باطنها ولذلك المعنى قال
النبى ﷺ فى حديث قدسى يرويه عن ربه «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ماسأل»
فسمى الفاتحة وحدها صلاة والمعنى أن نصفها ثناء على الله أداء لحقه ونصفها دعاء لحظوظ العبد الدنيوية
والأخروية فالنصف الأول كله عمومات لعموم الحمد المدح والثناء لله تعالى وعموم ربوبيته تعالى جميع
المكونات بجميع أصنافها واشتمال الرحمة على الرحمات الظاهرة والباطنة والدنيوية والأخروية وإحاطة
ملكه بجميع من حشره البحث من المكونات ولو كان ظاهر قوله ـ مالك يوم الدين ـ يقتضى
التخصيص فان باطنه ومعناه يقتضيان العموم وإنما خص يوم الدين بالذكر لاضمحلال كل
ملك سوى ملكه تعالى ، وأما النصف الآخر فكله خصوصات ملتفت فيه من العموم إلى الخصوص
ومن الغيبة إلى الحضور إذ الغيبة أشمل للتعظيمات وأقرب إلى الاجلال والهيبة والخطاب أقرب إلى
التخصيصات وأولى بالمناجاة بجمع ما بعد إياك نعبد وإياك نستعين خصوصات فى طى الذلة لله تعالى
والخضوع بين يديه والسؤال لاخص الأشياء به وأقربها اليه فالهداية خصوص والصراط المستقيم خصوص
من خصوص لأنه طريقة من سبعين طريقة كلها ضالة والذين أنعمت عليهم خصوص من خصوصات
وهم النبيون والشهداء والصالحون فأخرج اليهود والنصارى من هذه الخصوصات انتهى باختصار فشرط
شيخنا رضى الله عنه المحافظة على اقامتها فى ورده لما يعلم أنها رياضة فاضلة للنفس فان بتكرر السبع المثانى
فيها يتكرر مدد آياتها وبتكرر ركعتها يتكرر دخول الحضرة عند أهل الفكرة فالتكبير أول أقوال
الحضرة والركوع أول أفعالها فى الظاهر إذ القيام من مألوفات الإنسان لولا مايقوله اللسان فى شأن عظيم
الشأن وأما الركوع فلا تخالط الحضرة فيه عادة فى ظاهر العيان وبانتهاء كل ركعة يحصل العبد على موائد
الامتنان والاحسان هن خمس صلوات كتبهن الله على العباد سبع عشرة ركعة بين اليوم والليلة والركعة
خلفة لمن أراد استغناء بحضور فيها بعد عيلة أو يميل إلى الخضوع أحسن ميلة فاستعان شيخنا رضى الله عنه
بأركانها فى استجلاب الصلاة عملا بقوله تعالى ـ واستعينوا بالصبر والصلاة ـ قيل معناه استعينوا بالصبر
على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية وإخلاص القلب ومراعاة الأركان والأدب مع الخشوع
والخشية ولما تضمن تدريج مشروعيتها من أمر السلوك حين شرعت ولما علم من الحكمة فى مراجعة
نبينا عليه الصلاة والسلام فى شأن تخفيفها حين رجعت إلى ما إليه رجعت ثم ظفره فى أمرها بالمطلوب من عند
الحبيب والمرغوب والله تعالى قادر على أن يفاتح نبيه بادىء بدء بالمحبوب ثم لا يراجعه فيما هو فى أم الكتاب
مكتوب وماذلك الا ليدله على عظم شأنها وليتيقظ أرباب القلوب لأسرار أركانها لا لمطلق الركوع والسجود
والقيام والقعود قال الله تعالى فى شأن قربات المناسك ـ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
منكم ـ وفى الحديث «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأحوالكم» فلم تذكر هذه
الصلاة فى الكتاب العزيز الا مقرونة بشرط الاقامة فاما تصريحا وإما تلويحا وقرن باقامتها نهيها عن الفحشاء

والمنكر قال تعالى وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فانظر كيف رتب سبحانه حصول النتيجة على شرط الاقامة وإقامتها حقيقة عبارة عن ثبوت القلب فيها مع الله تعالى بحيث لا يشغله شيء من أمر الدنيا واسترسال القلب فى التفكر فيها وحسبك من عظم شأنها قوله ﷺ إن فى الصلاة لشغلا وناهيك من شرفها وجعلها محلا للارتقاآت كونه ﷺ يصلى فى قبره كما صح فى الخبر ومعلوم أنه ﷺ لا يزال يترقى فى المعارف إلى ما لا نهاية له فانظر كيف كانت له وسيلة إلى تلك الارتقاآت بعد سقوط التكليفات فقد جمعت من إحرامها إلى سلامها أصناف جميع العبادات ومن ندائها وإقامتها إلى انقضاء كافة أسرار الإسراء وأخذ العبد المصلى حظه من إسراء نبيه إلى السماء وما فوقها إلى مقام القرب والادناء فما من طاعة تعبدنا بها تعالى الا وهى مشار اليها فيها من ذكر الله وتلاوة كتابه ودعائه ومنع الكلام بغير ذكره وهى ساعة الأنس بالله تعالى ورفض ما سواه ومجاهدة الشيطان لئلا يفسد على المؤمن عملا هو لله وهى ساعة من جهاد العدو فى سبيل الله ومنع الأكل والشرب فيها وهى ساعة من ساعات الصوم ونصب الوجه لكعبة الله وهى ساعة من ساعات الطواف ببيت الله ووقوف العبد فى صلاته لمناجات ربه وهى ساعة من ساعات وقوفه بعرفات للدعاء وطلب ما عند الله وفيها الدعاء للمسلمين وهو نوع من واجب الصدقات على أهل الحاجة من عباد الله فانظر إلى كيفية أخذ المصلى حظه من مسرى فرضيتها فكان له حظ من جميع مسراه ﷺ فطهارة المصلى واسباغ وضوئه وتهيئته للوقوف بين يدى ربه هو حظه من شرح صدره (صلعم) وغسله بماء زمزم وملؤه ايمانا وحكمة كما صح فى الخبر أنه وقع ليلة الاسراء ومنتهى المصلى من بيته الى المسجد هو حظه من سيره من مكة الى بيت المقدس وخلع المصلى نعله بباب المسجد ومبادرته لتحية المسجد هو حظه من نزوله عن براقه عند باب مسجد بيت المقدس وصلاته فيه ركعتين ورمى المصلى أسباب الدنيا من يده وطرد شواغلها عن قلبه وتعلق همته بمناجاة ربه هو حظه من ارتحاله عليه السلام من عالم الملك الى عالم الملكوت وتكرير المصلى القراءة والركوع والسجود هو حظه من خرقه عليه الصلاة والسلام السبع الطباق فما فوق وما يفتتح به على المصلى حال صلاته من فهم أسرار وشوارق أنوار هو حظه مما شاهده عليه الصلاة والسلام من آيات ربه الكبرى ورفع همة المصلى عن الوقوف مع شيء مما يفتتح به عليه وتعلق قلبه بربه هو حظه من عدم التفات نبيه إلى شيء من هواتف الكون وعجائب الملكوت حتى وصل حضرة ربه واختلاف الاركان حظه مما تمنى (صلعم) أن يكون لامته من تنوعات عبادة الملائكة لما رآهم ما بين راكع لا قيام له وقائم لا ركوع له وجالس لا قيام له وساجد لا جلوس له فجمع الله له جميع ذلك بعبادة واحدة وهى الصلاة ومدة اشتغال المصلى بصلاته من لدن تكبيرة الاحرام إلى الجلسة الوسطى هو حظه من ترقيته عليه الصلاة والسلام من عالم الملكوت إلى عالم العزة ورجوع المصلى لتمام صلاته بعد التشهد هو حظه من مراجعته (صلعم) ربه يسأله التخفيف عن أمته فخفف عنها فلذلك خفف آخر الصلاة بترك السورة وجلوس المصلى للتشهد هو حظه من وقوفه عليه الصلاة والسلام فى مقام قاب قوسين وتشهد المصلى هو حظه من تحيته عليه الصلاة والسلام لربه فهذا توجيه أفعال الصلاة ووضع هيئتها على كيفية الاسراء، وأما توجيه أقوالها فهو أن نقول إذا قال المصلى الله أكبر أى الذى يتصاغر عند ذكره كل شيء فحينئذ ينظر الله إلى قلب عبده المؤمن فان وجده قد تخلى من كل ما سواه تجلى عليه بأنواع المشاهدات تجليا يعجز اللسان عن وصفه فيقول عند ذلك الحمد لله على ما أنعم عليه من الكشف والمشاهدة فيقول الله من الاله الذي حمدته فان الناس

اتخذوا معي شركاء من خلقي فيقول العبد رب العالمين فيقول الله ومارب العالمين فيقول الرحمن فيقول
الرب وما الرحمن فيقول العبد الرحيم فيقول الرب وما الرحيم فان كثيرا من عبادي حجبتهم الوسايط عن
مشاهدة رحيميتي فيقول العبد مالك يوم الدين فيقول الرب مدحتني ووحدتني وعظمتني وعرفتني
حق معرفتي وقد بسطت اليك يدي بالعطاء فسل فيقول العبد إني لم أعبدك لعلة ولا على مسألة إياك
نعبد لذاتك وإياك نستعين على ذلك فيقول الرب لابد من تحفة فيقول العبد فان كان ولابد من المسألة
اهدنا أي اجعل لنا دليلا من أنفسنا لان من لا واعظ له من نفسه فلا واعظ له الصراط المستقيم تخرج
كل طريق لم تأت بها الرسل الكرام فلما قال صراط الذين أنعمت عليهم بمواجهة خطابك الباقية آثاره
بيد المستمسكين به دخلت اليهود والنصارى لتمسك الفريقين بالتوراة والانجيل مع التحريف والتبديل
فلما قال غير المغضوب عليهم أخرج اليهود فلما قال ولا الضالين أخرج النصارى وبقي الذين أنعمت عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فلما قال آمين أخرج كل مقصود يؤم أي يقصد غير الله تعالى
تجديد المعنى إياك نعبد لذاتك وإياك نستعين على ذلك حتى لا تداخله علة بالمسألة بعدها في قوله إهدنا فان
الميم من آمين مشددة أصلا أي قاصدين لك وخففت ليكون اللفظ دالا على معان أخر زيادة على معنى
التشديد فصارت الصلاة للعبد بهذه المثابة على ثلاثة أثلاث ثلث لربه وثلث بين العبد وربه وثلث للعبد فقط
والكل نفعه واصل إليه والله هو الغني الحميد فثلث العبد منها بمثابة مقام الاسلام لانه يصح معه عيش النفس
لقيام باعث الهوى والثلث المشترك بمنزلة مقام الايمان لتقلب القلب بين العمل للعبد والرب وثلث الرب
كنسبة مقام الاحسان لحياة الروح بمعرفة جلال الله وعظمته والكل واصل من العبد لنفسه فاقامة
ظاهرها اسلام واستقامة باطنها إيمان وتحسين وظائفها احسان فهي بهذا الترتيب جارية على منهج
الجذب فثلث الدعاء منها الذي هو الاخير صار هو المراد بمقام الاسلام وثلث العبودية والاستعانة الذي
هو وسطها هو المراد بمقام الايمان وثلث الثناء على الله الذي هو أولها هو المراد بمقام الاحسان لما فيه
من تحسين الثلثين إذا التحقق بمضمونه من الروح هو المطلوب فان اثبات صفات الكمال والجلال لله تعالى
وانفراده بها جل وعز وسلبها عن غيره جزما عينيا وكشفا يقينيا هو منتهى سير السائرين فبالطمأنينة
الموصي عليها المشار إليها تلويحا بقوله فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة الآية قامت النتائج الثلاث التي عليها
مدار المقامات الثلاثة إذ النتائج ثلاث ولكل منها مقدمتان كما ذكرناه في موقف التقوى من طريقة السلوك
باذكار هذا الورد فطمأنينة الجوارح بحفظ حدود الله هي غاية مقام الإسلام وهي المعبر عنها بالتقوى كما أن
طمأنينة القلب بذكر الله تعالى هي غاية مقام الايمان وهي المعبر عنها في مقام الإيمان بلفظ الطمأنينة وطمأنينة
الروح بالله هي غاية مقام الإحسان وهي المعبر عنها بالمعرفة فانظر إلى حكمته سبحانه وإلى جوامع كلمه وحسن
نظم كتابه كيف أتى بما أفهم الاولية والآخرية للسالك والمجذوب بلفظ واحد وقال في زوال الإلباس
فانظر كيف أضمر السؤال وأظهر الجواب رحمة منه بعامة المسلمين كما علمت آنفا من سبك كلم الفاتحة
الجاري بين العبد وربه ولو عكس الأمر لم يهتد إلى الجواب إلا المخصوص من يوحى إليه أو يلهم وانظر إلى نيابته
عنهم في تقديم أبواب فطلب لهم ما هو أنفع لهم من طلبهم لأنفسهم فكان منه الخطاب ومنه الجواب ثم أوجب
عليهم التصديق بذلك بعد ظهور الاستجابة لما علم لهم في ذلك من إطفاء غضبه متى استغضبوه واستجلاب
رضاه إذا استرضوه واستغفروه فالفاتحة كلها في معرض الحكاية وليست بحكاية ﴿وذلك أن الله سبحانه﴾

آتى بالضمير المفرد الدال على المخبر بنفسه فى قوله إياك نعبد وإياك نستعين وفى قوله اهدنا أتى بالنون المحتمل للجمع والإفراد لملاحظة الفذ والامام فالفذ ينوى الدعاء لنفسه والامام ينوى عند هذه اللفظة الدعاء لنفسه ولمن خلفه وإلا فقد خانهم ألا تراهم يؤمنون على دعائه عند ختم الفاتحة ولولا مشاركته إياهم فى طلب الهداية لما أمنوا وانظر إلى تيسير حفظ الفاتحة لعلمه تعالى بوجوب قراءتها فى كل ركعة فما من أحد من المسلمين الا ويحفظها ويقرؤها عن ظهر قلب مع اشتمالها على ما فى القرآن من العلوم فهى الشافية الكافية. ثم ان للصلاة فوائد أخر غير ما ذكرنا فكثيرا ما تيسر وتمحق الهم والحزن وتذهب الآمال الخائبة وتكشف الأوهام الكاذبة ويصفو بها الذهن وتطفىء نار الغضب وتفيد الاخبات للحق والتواضع له وتشرق القلب وتحبب العفو وكثيرا ما يحضر فيها الرأى العازب والتدبير المصيب والجواب السديد فتذكر العبد ما نسى ولاسيما ان طال انتصابه وخفض صوته وكان ذلك ليلا عند ما تهجع العيون وتهدأ الأصوات وذلك كله إذا كان مستحضرا قرب مولاه ومراقبته مشعرا نفسه قوله ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، وكما أنها بذكرها وقراءتها تزيل الأمراض الباطنة كذلك تزيل الأمراض الظاهرة قال الدميرى قال المؤلف عبد اللطيف ان الصلاة تبرىء من آلام الفؤاد والامعاء وكثير من الآلام إلى أن قال وقد رأيت جماعة كثيرة من أرباب الترقى محفوظى الصحة فبحثت عن ذلك فالفيتهم كثيرى الصلاة والتهجد وذلك أنها تشتمل على انتصاب وركوع وسجود وبروك وغير ذلك وان من الأوجاع ما يعم أكثر المفاصل وينغمر فيها أكثر الأعضاء ولاسيما للمعدة والأمعاء وسائر آلات التنفس والغذاء فهذه الحركات المباركة تزيل تلك الأدواء من أماكنها وتحركها من مستقرها وما أنفع السجود الطويل لصاحب النزلة والزكام وما أشد اعانته على فتح سدد المنخرين فى علة الزكام وعلى انحدار الطعام من المعدة والأمعاء وتحريك الفضول المحتقنة فيها ونقلها واخراجها إذ عنده تنعصر الآلات بازدحامها ويتساقط بعضها على بعض انتهى ﴿فقد بان لك﴾ بمجموع ما جلبناه ان شيخنا رضى الله عنه وأرضاه أدمج فى تلك المحافظة على الصلاة فى أوقاتها فى الجماعات المشروطة وفى ضمن تلك الطمأنينات المشروعة للتربية كلها حفظها وتركها من تركها فاذا فرغت فانصب أى اتعب بالدعاء وإلى ربك فارغب بصدق الرجاء انهم طلبوا الوصول بعيد المرام وهو طلبه بين الركوع والقيام واستشعار الوقوف بين يدى الملك العلام وبالصلاة والسلام على أفضل الانام وجعل ورده لازم الطريقة مقدمة لذلك ولو كان تابعا فى الحقيقة ﴿وقد كان الشيخ الاخ﴾ أدام الله عليه ظله الوريف وعامله بلطفه اللطيف كثيرا ما يقول لى عند ما ألتمس منه وضع صيغة تربية لاهل هذه الطريقة انه يستروح من هذا الشرط يعنى المحافظة على الصلاة تربية الشيخ رضى الله عنه للمريدين به ولم يظهر لى وجه ذلك حتى وضعت هذه الطريقة الأولى عليها ثم لم تزل تظهر لى مخايل صدقه حتى فتح الله على علم يقين أن التربية مدرجة فى ذلك ادراجا وان الطريقة تلاطمت فيه أمواجا أمواجا وأن الأذكار من ورده انما جعلت طليعة على تلك الإمدادات اصنافا وأزواجا لما تضمنت الفاتحة من الثناء ورؤية المنة لولى النعمة فناء فى المنعم عما أنعم به من النعم قال فى زوال الالباس وهذه يعنى الطريقة المأخوذة من الصلاة مبناها شهود المنة ونتيجتها الفناء عن رؤية النفس فى العمل لاستغراق همة العامل فى شهود المعمول له واليه الاشارة بقوله ﷺ الاحسان أن تعبد الله كانك تراه فصاحب هذه الطريقة مصحوب بالنور من أول وهلة ﴿وأما طريقة الامام الغزالى رحمه الله تعالى﴾ فهى طريقة شهود العمل فالعمل فيها على مجاهدة النفس ونسبة العمل اليها وتحقق مراقبة الله عليها فى كل حال وهى طريقة العباد والزهاد ومن أجل ذلك تجد

الغالب عليهم القبض والكمد وللبحث فيها مجال لا تسعه هذه العجالة . والى ذلك الاشارة بقوله « فان لم تكن تراه فانه يراك من حيث لا تراه » والمعنى انك ان لم تكن ممن يرى ربه فى كل شيء حتى يفنى فيه كل شيء فاعلم أنه يراك في جميع حركاتك وسكناتك ونطقك وصمتك وجميع أحوالك فاحذره فهذا مقام المراقبة وهو مقام جليل الا أن مقام الفناء أجل منه فاذا فتح الله عليه بما هو فوق ذلك غاب عن رؤية الافعال والاقوال فى شهود الفعال فرأى حكمة الله تركع وتسجد لعظمة الله فالحكمة جسدك وما احتوى عليه كما يشهد لذلك قول ابن أبى زيد رحمه الله وصوره فى الارحام بحكمته الى أن قال ناقلا عن الإمام الغزالى والسمرقندى ويتأكد على كل مسلم ابتلاه الله بهذا الداء العضال الذى هو وسوسة القلب بأمور الدنيا فى الصلاة لان كل ما يوسوس به قلبك فى صلاتك فهو معبودك حقيقة فدواء تلك العلة شغل القلب عند كل كلمة بفهم ما يناسبها من المعنى اللائق بها فى حقنا لانا غرقى فى بحر حديث النفس ووسوسة الشيطان فنحن بمثابة المريض المضطر الى معالجة بدنه فيجب على العاقل أن يحتال فى معالجة بدنه فعسى الكريم المنان أن ينقله من حديث نفسه إلى الاشتغال بالفهم عنه ومن الاشتغال بالفهم عنه الى الغيبة فيه والفناء عن شهود المكونات بشهود مجريها او منشئها فيغيب عن شهود العمل من النفس فى شهود التوفيق من الله للعمل فيترقى من أدنى الحالتين إلى أعلاهما وما ذلك على الله بعزيز وقال أيضا وأما السر فى تكرار التكبير فى الصلاة فى حق العامة والخاصة فالسر فيه والله أعلم أن العرب فى الجاهلية كانت تعبد الاصنام وكانوا كلما دخلوا عليها حيوها باطيب ما يكون من كلامهم ويجعلونها قبالة وجوههم ويسجدون لها مشافهة فلما بعث الله رسوله ودعاهم إلى توحيد الله سبحانه شرح الله صدورهم لذلك فأجابوه لما دعاهم اليه ثم لما فرضت الصلاة علم الله سبحانه أنهم اذا وقفوا لعبادته يتخيل لنفوسهم ما كانت ألفته ونشأت عليه من صور الاصنام فامر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام أن يفتتح الصلاة بتكبير الله سبحانه وأن يكرره كلما قام وقعد وسجد وركع ليكون ذلك طردا لما يتخيل لهم فى نفوسهم من صور الاصنام لانه اذا ذكر الله زهق ما سواه وهذا أقوى دليل على قوة ايمانهم حيث تركوا عبادة ما كانوا يعبدونه مشافهة وصاروا يعبدون الله وحده إيمانا بالغيب فأثنى الله عليهم بسبب ذلك حيث قال الذين يؤمنون بالغيب الى أن قال أولئك على هدى من ربهم الآية فلما مضى السلف وجاء الخلف ذهبت العلة التى هى تخيل صور الأصنام وبقيت الوسوسة وحديث النفس فبقى التكبير طردا لها وذلك الحديث على قسمين أغيار وأنوار وكلها فى الحقيقة حجاب عن الله فاصحاب الاغيار أصحاب غفلة عن الله ما داموا على تلك الحالة وأصحاب الأنوار أصحاب يقظة مع الله ما لم تقف هممهم معها فواردات العامة من قبل دنياهم وكافة شئونها فاذا كبروا الله بحضور قلب أنساهم الله همها ولوامع تلك اللفظة فقط وواردات الخاصة شوارق أنوار وفهم أسرار فاذا كبروا الله ارتفعت هممهم عن الوقوف معها والالتفات اليها فلا يقفون مع شوارق أنوار ولامع فهم واردات أسرار وإنما مقصدهم وغاية مرادهم وجه العزيز الجبار نسئل الله تعالى العظيم بنبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أن يجعل هممنا متعلقة بأمر ديننا وأن يسلك بنا مسالك أوليائه الصالحين ويقطع عنا التعلق بما سواه ويجعل غاية مرادنا وجهه الكريم فمن كان وجه الله أقصى مراده فليس له فى الكون دنيا ولا أخرى وأن يجعلنا ممن يكون يومه خيرا من أمسه ويجد السرور عند حلول رمسه انتهى ح من زوال الالباس ﴿قلت﴾ فباحكام فهم هذا الشرط يتبين لك بديهة أن الطريقة التجانية طريقة شكر وأن نتيجتها الفناء عن العمل وهو عين الجمع على الله وقد تقدم لنا فى الطريقة الأولى أن نتيجة أذكار

ورده بالاستحضار المتقدم ذكره المجهول مقصدا فيها الجمع على نفسه وعلى النبي ﷺ فصارت طريقة وافية بكافة صنوف الجمع وأنواع الثلاثة فافهم انتهى ﴿وكيفية السلوك بالصلاة أن تعلم﴾ أولا أن العبد لابد له من مولاه على كل حال وأحسن أحواله أن يرجع إلى ربه في كل شيء فاذا عصى قال يارب اغفر لي وإذا فرغ من المعصية قال يارب استر على وإذا تاب قال يارب ارزقني العصمة واذا عمل قال يارب تقبل مني وأن تعلم أن الله أطلعك بلسان نبيه على أمر الجنة والنار وأخبرك بأمور من المغيبات فأنت مصدق بذلك بأن خلق تبارك وتعالى في قلبك الإيمان وجبلك عليه وزينه في قلبك وكره اليك الكفر والفسوق والعصيان من غير تسبب منك قدر ذلك يوم قدرت المقادير ولايتصور منك حينئذ لنفسك التدبير ثم أذن لك في دخول حضرته لتغرق في بحر نعمته وتغرف من بحار معرفته فاقام لك منادى الفلاح لتتهيأ إلى دخول حضرة الملك الفتاح فاستحضر عند سماع النداء إلى صلاة جلال الله وعظمته وفضله ونعمته ونفخ إسرافيل وصعقته * قال في زوال الالباس منها على كيفية الحضور في الصلاة فاذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فاستحضر في قلبك أن في ضمن قوله الله أكبر داعى الله أكبر فاجبه وقل نعم داعى الله أكبر من أن لايجاب سمعنا وأطعنا نترك عند ذلك كل شغل فان تكرير الدعوى إنما هو للتأكيد فاذا قلت لرجل قم قم دل ذلك على المبادرة لامتثال الامر وإذا قال أشهد أن لا إله إلا الله فقل نعم أشهد أن لا إله إلا الله فمن يمنعني من مقته ان لم أجب داعيه وإذا قال أشهد أن محمدا رسول الله فقل نعم أشهد أن محمدا رسول الله صادق مصدق فيما جاء به وإذا قال حي على الصلاة حي على الفلاح فقد تبين ما دعا إليه فقل لاحول ولاقوة إلا بالله أى لاحول لى على دفع عجز نفسى عن طاعة الله إلا بارادة الله ولاقوة لى على القيام بواجب حق الله إلا بتوفيق الله . ومعنى حي على الصلاة تعالوا إلى أداء أمانة الله . ومعنى حي على الفلاح تعالوا إلى الفوز بالنعيم المقيم . ومعنى إعادة التكبير ثانيا التنبيه لمن سها في الأمر الأول عن المبادرة وسر ختمه بلا إله إلا الله الاقرار بالوحدانية لتزداد خشية من الله وتستحضر في ذهنك عند الذهاب لمصلاك أن الله أمرك بامر تفعله في ذلك الوقت وهو الوقوف بين يديه لتناجيه بكلامه لتنال تلك المناجاة رضاه فتتأهب لذلك بالطهارتين الظاهرة والباطنة فالظاهرة طهارة بدنك وملابسك وإسباغ الوضوء مستحضرا الاجلال والتعظيم مع غسل كل عضو من أعضائك والتأهب للدخول على ملك ذلت جميع الملوك لجلاله قد قهرهم بقوته وأبادمن شاء منهم بسطوته * وأما الباطنة فطهارة قلبك من الوساوس الرديئة ونفسك من الغفلات الدينية وروحك من عدم الحضور بالنية * قلت ثم تستحضر عند قول المقيم قد قامت الصلاة أن الساعة قد قامت وأن اسرافيل قد نفخ نفخة البعث يوم يناد المناد من مكان قريب ويقول في نفخته أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة والجلود المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء واعتقد أنك من جملة أموات الغفلة عماجرى منك في هذه الوقفة وهذه أعضاؤك جاءت تخاصمك الى ربك اذلم ترعها حق رعايتها « وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » فلاتدرى ما الله صانع في أمرك أيئول لتهنئة الحمد أم لعزية العبد والرد فتجيب المقيم وأنت ناهض بقولك أقامها الله وأدامها مادامت السموات والأرض وقد استصحبت حل ألفاظ الفاتحة قبل ذلك بوجه يعلق بقلبك مايظهر من معانيها عند التلفظ بها فان توجه الفكر لمعناها بعد الدخول في الحضرة قل من يقدر عليه مع أنه ما من مؤمن الا وله حظ من الفهم في الصلاة . ثم يتفاوتون على قدر درجاتها قال فاذا استويت الى الصلاة استحضرت أداء واجب حق الله وأنها أول هدية توضع

بين يدى ملك فان قبلت والا ردت جميع أعمالك وأن من أهدى الى ملك صورة مشوهة استحق المقت من ذلك الملك فتستقبل القبلة بامتثال أمر الله بالتوحيد اليها وترفع يديك وتبسطها مستحضرا ببسطهما طرح الدنيا من يديك والقاءها وراء ظهرك حسا ومعنى فكما رميت جميع شواغلها من يدك كذلك ترمى جميع شواغلها من قلبك ولا بد لك من استحضار هذا المعنى والا فلا صلاة لك . ثم اذا أردت أن تكبر نظرت الى قلبك فان وجدته فارغا من الشواغل نويت جلال الله أكبر فيثمر لك التواضع فينتج ذلك رقة القلب ويستجلب البكاء وهما جالبان للرحمة أو نويت فضل الله أكبر أى فضله على حيث جعلنى من أهل دين الاسلام ووفقنى لاجابته حين دعا الى دار السلام أكبر من عبادتى له فينتج لك هذا النظر شهود المنة فتكون عبادتك على وجه المحبة والفرح بالله باقباله عليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون . ولتكبروا الله على ما هداكم . وإن وجدت قلبك متعلقا بدين نويت مع تكبيرك أو قبله فرج الله أكبر أو بسطه أو دنيوى فضل الله أكبر وان وجدته متعلقا بقبض أخروى نويت عفو الله أكبر أو بسط أخروى نويت ما عند الله أكبر فتبادر عند ذلك بحب الله سبحانه قلبا ونطقا وحبا وشوقا مع شهود منة التوفيق والهداية واستحضار صفة الفضل وحكمته فى تصريف المشيئة فما كنت لتهتدى لذلك لولا أن هداك مولاك فتقول ملهما بما تاب عنك فى شأنه ربك فى قديم أزله الحمد لله فتستحضر فى قلبك أنك إنما حمدت الله وحده بجميع محامده ما علمت منها وما لم تعلم إذ لا يستحق الحمد غيره إذ معنى الحمد إثبات الثناء عليه ودعوى الخلق إلى الاقرار به وأن يثنوا عليه به لما له من صفات الجلال والجمال وبراءته من مطلق النقص والاختلال ووصفه بجوامع الكمال فاذا قلت رب العالمين أردت بذلك تعرفا بالله سبحانه لأن معنى الربوبية فى بساط التوحيد يتضمن من إيجاد الخلق وإمدادهم ومن ثبت له وصف الايجاد والامداد فهو أحق بالثناء عليه من جميع العباد. ثم كان نفسك قالت لك صف لى رب العالمين لأزداد عرفانا وإيقانا فتجيبها بقولك الرحمن الرحيم إذ مدلول الرحمن مفيض نعمته فى الدنيا على الخلق أجمعين ومدلول الرحيم مظهر رحمته الخاصة بعباده المؤمنين . ثم زدتها بقولك ملك يوم الدين فاذا قلتها تجلى لها النشر ومحنته والحشر وحسرته وذلك حظها من مقام أصحاب علم اليقين . وذلك السر فى نفى الشريك لله سبحانه وتذكير النفس بيوم الحساب لأنها إذا ذكرت ليوم الحساب ذلت وانكسرت وطلت شراستها أمارتها عند ذلك أقرب لله تعالى بالعبودية والرق إياك نعبد أى إياك نخص بعبادتنا . ثم نظرت إلى عجزها فقالت وإياك نستعين على الاستقامة فيها فاذا قالت غابت عن العوالم كلها وتجلى للقلب الرب تعالى فلا يرى فى الملك إلا مالك الملك وذلك حظها من مقام أصحاب عين اليقين فيتأكد عليك استحضار نيتك عند نطقك بهاتين الآيتين فتمزجها بالصدق والاخلاص لتكون لك حجة عند الله تحتج بها إذا عزبت نفسك ولها قلبك بشىء من أحوال الدنيا فيقول الحق سبحانه انه أخلص العبادة لى وطلب الاعانة عليها اقرارا بعجزه وافتقارا إلى والجميل فى حق أن أسامحه بهذه الهفوة وإذا نطقت بهما غير مستحضر لما ذكر لم تكن لك فيهما حجة . ثم طلبت نفسك بعد اقرارها بالعبودية والرق من ربها المداومة على عبادته والاعانة منه عليها فقالت اهدنا الصراط المستقيم ومعنى الهداية هنا الثبات على ما هو حاصل وهو الاسلام المأخوذ مما قبل إياك نعبد والايمان المأخوذ من إياك نستعين وما بعدها وطلب تحصيل ما هو غير حاصل وهو الترقى فى مقامات الاحسان إذ حقيقة الاسلام تكاليف بدنية والايمان تكاليف قلبية والاحسان معارف

وهيبة والمعارف لانهاية لها فى الدنيا ولا فى الآخرة . ثم كأن الحق تعالى أراد أن يخرجها من كل وهم فسألها
عن الصراط المستقيم وماحقيقته عندها فقالت لها ماصراط الذين أنعمت عليهم فكأنها قالت اللهم
ثبت أقدامنا فى سيرنا على طريق الذين أنعمت عليهم حتى نصل بك اليك . ثم كأنه قال ومن الذين أنعمت
عليهم فقالت هم الذين واجهتهم بمكافحة رحمتك ومواجهة خطابك من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين غير المغضوب عليهم وهم اليهود أخرجتهم متبرئا . منهم ولا الضالين وهم النصارى أخرجتهم
متبرئا منهم وأبقيت من ذكر من عباده الصالحين وهذه الجملة هى حظها من مقام أصحاب حق اليقين
لطلبها الرسوخ والتمكين فى اليقين فالفاتحة بهذا الاعتبار جارية على مهيع السلوك فالثلث الاول
كما قدمنا اسلام إذ قد يكون الاقرار به لدفع السيف واثبات الحرمة وقد يكون لغير ذلك والثلث الثانى إيمان
إذ الاخلاص فى العبودية والاستعانة فى أمرهما من التكاليف القلبية التى هى الايمان والثلث الثالث احسان
إذ هو رسوخ المعارف الوهبية وتمكين الفتوحات اللدنية فعند ذلك تؤمن الحفظة على دعائك فيجرى ذلك
على لسانك فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة استجيب له وغفرت خطاياه وان كنت اماما نابت ألسنة الجماعة
عن لسانك فاذا قرأت بعد الفاتحة سورة فاستحضر أن الله تعالى قد أقبل عليك يخاطبك واستحضر
ذهنك واسمع خطابه بأذن قلبك لا بأذن رأسك فانه تارة يعرفك بوحدانيته وتارة يعلمك كيف تدعوه
وتارة يبشرك بثوابه وتارة يحذرك من عقابه وتارة يبين لك فضيلة نبيه وتارة ينبهك إلى النظر فى عجائب
مصنوعاته فاذا أتممت القراءة بالتدبر والتأمل كما ذكرنا كبرت فركعت ركوع متراخ متثبت فتزداد حينئذ
خشوعا وتذللا وخضوعا وفرحا وسرورا بأن الملك قد أذن لك فى الدخول عليه مع ذلك واحتقارك
ولا تستحق ذلك لذاتك ولا لواجب صفاتك بل بفضله ورحمته فتقول سبحان ربى العظيم وبحمده مستحضرا
العظمة والاجلال . ثم ترفع كذلك مستحضرا أنه تعالى أراد بك زيادة القرب وتنوى عند قولك سمع
الله لمن حمده انه تعالى قد تقبل منك ثناءك عليه فتتبعه بقولك ربنا ولك الحمد أى كثرت نعماؤك ربنا
ولك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك . ثم تسجد مستحضرا اشدة القرب والدنو كما يشعر بذلك
قوله تعالى واسجدوا قترب وقوله (صلعم) لا يكون العبد فى حالة أقرب إلى الله منه فى السجود فسل الله
حينئذ ماشئت و طلب القرب والرضا واختر من الاستغفار كلمات آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . أو قل سبحانك ربى انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا وعملت سوءا
فاغفر لى فحينئذ يعتزلك الشيطان وله صراخ يقول ياويلاه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فأعطى الجنة
والمغفرة وأمرت بالسجود وامتنعت فاستوجبت النار والخزى والصغار . ثم كذلك فى بقية الصلاة باتمام
الأركان كما ذكرناه فى الحديث المتقدم فى وصية شيخنا رضي الله عنه وكلما أتممت ركعة قمت مبادرا
إلى حمد الله سبحانه الذى هداك لامتثال أمره وأداء ما افترض عليك بمناجاته فتقرأ الفاتحة بالتأمل
والتدبر كما ذكرناه لأن فى تأملها للقلب شغلا عن وسوسة الشيطان فاذا طرأ عليك سهو ووسوسة على وجه
الغلبة تذكرت واجتهدت فى دفع ذلك لأن فى كل آية منها العجائب وفى عظمة الرب سبحانه مايعين على
دفع ذلك وطرده من قلبك وإن وقع ذلك فى حال ركوعك وسجودك فاستحضر مع تكبيرك ذكر الله
أكبر وإن آنست من نفسك فى أثناء صلاتك رياء أو عجبا فاستحضر نظر الله أكبر أو توفيق الله أكبر
وإنما يعرض الرياء والعجب لقلب الإنسان إذا تخيل كون طاعته من قبل حوله وقوته حتى إذا بلغت التشهد

فاستحضر كونك بين يدى الله ورسوله مستحضرا السر فى التشهد وهو أن النبى (صلعم) لما أسرى به . وعلم أنه تقرب من ربه حياه بقوله التحيات لله أى المستحق للتعظيمات هو الله سبحانه لا يستحقها سواه الزاكيات أى صفات الكمال لله الطيبات الصلوات لله وهما بمعنى فأجابه الله سبحانه بقوله السلام عليك أيها النبى ورحمة الله تعالى وبركاته فطلب (صلعم) من ربه أن يؤمنه هو وأهل الصلاح من أمته بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فلما سمع ملك الحجاب مناجاة النبى (صلعم) مع ربه شهد له بالألوهية ولرسوله بالرسالة فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فاستحضر حكاية قول الجميع ولا يكن الملك أسرع منك للاجابة فقل على سبيل الاجمال وأشهد أن الذى جاء به محمد حق وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور . ثم تتبعه شكر وساطته (صلعم) فهو القائد إلى الحضرة المنقذ من الحيرة فتصلى عليه مستحضرا صورته الكريمة بين يديك ناويا بذلك شكر ما أسدى اليك بقولك . اللهم صل على سيدنا محمد الخ . ثم تتبعه الصلاة على إخوانه من النبيين وعلى الملائكة والمقربين بقولك . اللهم صل على ملائكتك والمقربين الخ. ثم تدعو آخر التشهد بقولك اللهم اغفرلى ولوالدى ولأئمتنا الخ . ثم تعيد السلام على نبيك وعلى عباد الله الصالحين. ثم تقول السلام عليكم معتقدا أن الله تعالى أمن الجميع النبى وأهل الصلاح والملك الموكل بالحجاب بكلمة السلام عليكم القائل لها المصلى آخر صلاته فأبقاها النبىَ عليه الصلاة والسلام سنة لأمته رجاء أن يؤمنهم الله من غضبه فى كل يوم خمس مرات . ثم إن للمصلى مشربين إما شهود التعريف وإما شهود التكليف فصاحب شهود التعريف هو القائم لله بالله عند تلبسه بالطاعات فيغيب من شهود فعله فى شهود فعل الله به حيث يسر عليه الطاعة وجعله أهلا لها فالسلام فى حق هذا إنما هو زيادة بشرى وكمال سرور بمنة الله وصاحب شهود التكليف هو المشاهد عند تلبسه بالعمل ما كلفه الله به لرؤيته العمل من نفسه فهو عامل على مجاهدتها باخلاص العمل وحضور القلب بين يدى الله تعالى فلا يري نفسه إلا مقصرا فى العمل غير قائم فية بواجب حقه فالسلام فى حق هذا إنما هو تروبح على قلبه ليستبشر بعفو الله وليحقق ظنه به فمدلول السلام عليكم على هذا الوجه قد أمنتكم من مؤاخذتكم بما لا طاقة لكم به من ثبوت القلب على حالة واحدة وهذا مع صدق المجاهدة لا مع الغفلة والتلذذ بحديث النفس أعاذنا الله من شره فاذا أتى المصلى بصلاته عامرة بالتدبر لعظيم آياته وبراهين كتابه شاكرا له على هدايته فيها إلى اشتغال القلب بفهم معانيها فقد عمل بما علم وليسأل الله علم ما لم يعلم والا فليدافع جهده حديث نفسه ووسوسة شيطانه فإن القلب لا يكون مشغولا بحديث نفسه ووسوسة شيطانه ثم يكون مع ذلك مناجيا لربه فليس للقلب إلا وجهة واحدة فإما الى الخلق وإما الى الخالق نسأل الله سبحانه أن يجعل تقلب قلوبنا فى رضاه وأن يشغلنا بذكره عن كل ما سواه فإنه أهل لذلك والقادر على ما هنالك انتهى باختصار وزيادة وإيضاح ه وحافظ على المعقبات بعد الفرائض مستحضرا معناها لا كما تفعله العوام من مسابقة الأصابع بعضها بعضا فإن لمشروعيتها بعد الصلاة نوع استدراك لما فاتك من الحضور في الاذكار أثناء الصلاة وعلى الرواتب قبلها وبعدها فإن النوافل جوابر الفرائض أى تجبر ما فات من الحضور فيها واستعن بالحضور حال الطهارة لها فإن الحضور فى الطهارة يعين على الحضور فى الصلاة والحضور خارج الطهارة يعين على الحضور فى الطهارة وهذه الطريقة طريقة الصلاة هى أقرب الطرق الثلاث لحقيقة الطريقة التجانية كما قدمنا لما اشتملت عليه من الحمد باللسان الذى هو أحد أركان الشكر وبيان ذلك أن أولها التكبير على ما هدى فكأنه يقول

تلوبحا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله قال تعالى ـ ولتكبروا الله على ماهداكم ـ الآية ثم تتلوه صريحا الفاتحة المستفتحة بالحمدثم الركوع المقرون فيه التسبيح بالحمدفى قوله سبحان ربى العظيم وبحمده ثم الرفع بسمع الله لمن حمده أوربناولك الحمدأوهما معا ثم السجود للقول فيه سبحان ربى الأعلى وبحمده ثم الجلوس بين السجدتين للاستراحة المنتجة للحمدوهكذا فى بقية الركعات ثم لفظ التشهد الآتى بما اشتملت عليه الفاتحة المسماة وحدها صلاة فى الحديث المتقدم فقوله التحيات يعنى الألفاظ الدالة على أن الملك لله وهى تقتضى وجود الكمالات الالهية التى مبناها الحمدأى الثناء بالوصف الجميل فكأنه قال الحمدلله وقوله الزاكيات أى الأعمال الصالحة الصادرة من المصلى فى مقابلة نعمتى الايجاد والإمداد النامية بتنمية رب العالمين لها لله فكأنه قال رب العالمين الذى خلقهم فرباهم بالنمو وهداهم وقوله الطيبات أى الأسماء الحسنى والصفات العلى التى رأسها الرحمانية والرحيمية لله فكأنه قال الرحمن الرحيم وقوله الصلوات أى الصلوات الخمس التى هى أول ماينظر فيه من عمل العبد يوم الجزاء لله إذ انما ينظر فى فائت الأمور بالردوالقبول أولوا الأمر والملك ولامالك يومئذ الاملك الملوك فكأنه قال ملك يوم الدين وقوله السلام عليك الخ فيه التفات من الغيبة إلى الحضور بسؤال الأمان والرحمة والبركة للواسطة سيد الوجود ﷺ المثبت جأش الموسوط حتى تجرأ للدخول الحضرة بقوله ـ إياك نعبدوإياك نستعين ـ وتلك نعمة لم يصرح أولا بأول مصل لها فكأنه قال السلام عليك يامن به تجرأنا على مقام الكفاح بإياك نعبدوإياك نستعين على اجابة داعى الفلاح إقامة لخطاب الوسيلة مقام خطاب المقصد كل بما يليق به فخصه بالسلام عليه من بين سائر الوسائل الموصلة كما خص إلهه من بين الآلهة وقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيه طلبه الأمان لنفسه ولعباد الله الصالحين من جنسه أومن غير جنسه المتضمن طلب الثبات على محجتهم والدخول فى زمرتهم جانحا اليها ومقبلا عليها فكأنه قال ـ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ـ بالفضل العميم وقوله أشهد أن لاإله إلاالله الخ فيه تحقيق بجميع ماذكروتصريح بمضمون ماسطر إذالتوحيد هو منتهى سير السائرين قال تعالى ـ وماأمروا إلاليعبدوا ـ يوحدوا ـ الله مخلصين له الدين ـ فهى كلمة التقوى وكلمة الاخلاص الوردة موارد الاخلاص وقوله بعد السلام عليكم للخروج من الصلاةهواما زيادة بشرى وسرور أو تأمين المصلى من المؤاخذة بما لم يقدر عليه من مدافعة وسوسة الصدور على مقتضى الشربين المذكورين آنفا وكلاهما نعمة تقتضى الحمد فاختتم الصلاة بالنعمة كما ابتدأها بالحمد فلواحقها ترشد لسوابقها فبملاحظة حضرة السلام اللاحق يتيسر الرجوع إلى حضرة الحمد السابق يطلب كل واحد منهما الآخر حثيثا ويتجاذبان تجاذبا يكون لمن لاحظه غوثا مغيثا ويؤخذمن النون المشترك فى الفاتحة من لفظ نعبد ونستعين واهدنا وفى التشهدمن لفظ السلام علينا والسلام عليكم آخر الصلاة تأكد حضور الجماعة إذالمقام مقام ذلة النفس وارغام لامقام عزة وإعظام وكذامشروعية الأذان والنداء بحى على الصلاة أى هلموا إذ لايقام خطيب بإذن الملك على رءوس الأشهادمن الجمع والآحادإلالامرمهم مجمع عليه واما مجرد الاعلام فقط بافعلوا كذا أو قد حضر وقت كذا فقدتفى به الجمل الاول من النداء لكن لم يصرح بجازم لامر إلا فى قوله فى الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع فلهذا اختلف الأئمة فى وجود الجماعة فى غير الجمعة . ولاجل الاحتياط فى شأن الصلاة حض شيخنا رضي الله عنه على إيقاع الصلوات المفروضة فى الجماعة خلف امام يتم الاركان كما وقفت عليه فى أول هذه الطريقة التانية يريد بذلك والله أعلم خروج مريده من

الخلاف المشهور بين الأئمة في الوجوب والسنية لكون الصلاة عمود الدين ولا ينبغي فيها إلا الاخذ بالاحوط. وقد ذكر صاحب الجواهر في تنبيه البصائر أن عبد الله ابن أم مكتوم رضي الله عنه استأذن النبي (صلعم) في الصلاة في منزله وكان أعمى فقال له ان بين منزلي ومسجدك واديا فقال له النبي (صلعم) تسمع النداء. قال نعم يا رسول الله قال إن ذلك ان تأتي المسجد فلو كان في التخلف عن المسجد والجماعة رخصة لرخص في ذلك لابن أم مكتوم. وفيه أيضا ما معناه نزل جبريل عليه السلام على النبي (صلعم) فقال يا محمد لو أن رجلا من أمتك يصلي صلاة أمتك كلها ويصوم صوم أمتك كلها ويتصدق بصدقة أمتك كلها ويحج حج أمتك كلها ويقرأ كل كتاب أنزله الله ولا يشهد الجماعة ولا يرى صلاة في جماعة إلا يقال له يوم القيامة أين كنت وما عملت فيكب على وجهه في النار إلا أن يتلافاه الله برحمته يا محمد تكبيرة الاحرام في الجماعة خير من ألف ناقة حمراء تنحرها وتطعمها للمساكين وان من صلى الصبح في جماعة فكأنما غزا ألف غزوة مع النبيين وان من صلى الظهر في جماعة يعطى بكل ركعتين ستين حجة وستين عمرة ومن صلى العصر في جماعة أعطى بكل ركعة عبادة سنة ومن صلى المغرب في جماعة أعطى بكل ركعة عتق رقبة من ولد اسماعيل وهي تعدل عشر رقاب من غيرهم ومن صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليلة وفي رواية فكأنما صلى الليل كله فان كانت الجماعة اثنين فلهما مائة وخمسون صلاة وان كانوا ثلاثة فلهم ثلاثمائة صلاة وان كانوا أربعة فلهم ستمائة صلاة وان كانوا خمسة فلهم ألف ومائتا صلاة وان كانوا ستة فلهم ألفا صلاة وأربعمائة صلاة وإذا كانوا سبعة فلهم أربعة آلاف وثمانمائة صلاة وان كانوا ثمانية فلهم تسعة آلاف وستمائة صلاة وان كانوا تسعة فلهم تسعة عشر ألف صلاة ومائتا صلاة وان كانوا عشرة فلهم ثمانية وثلاثون ألف صلاة وأربعمائة صلاة وان كانوا أحد عشر فلهم ستة وسبعون ألف صلاة وثمانمائة صلاة وان كانوا اثنى عشر فلهم مائة ألف صلاة وثلاثة وخمسون ألف صلاة وستمائة صلاة فلو جعلت ركعة واحدة منها في كفة الميزان وجعلت السموات والارضون السبع والجنة والنار والعرش والكرسي والملائكة والثقلان في كفة أخرى لكانت الركعة الواحدة أرجح انتهى ﴿قلت﴾ فكان للواحد مع صاحبه خمس وسبعون صلاة ثم كل من جاء بعد يزيدهم ضعف ما لمن سبقه حتى ينتهي إلى الاثنى عشر ثم لا تصرف لهم بعد نهاية فهذا ضابطه فصار للواحد مع الاثنى عشر رجلا ثواب اثنى عشر ألف صلاة وثمانمائة صلاة فلذا والله أعلم لم يبح التخلف عن الجماعة في الجمعة للزوم حضور اثنى عشر رجلا باقين لسلامها إذ حصول هذا العدد الحاصل من تضعيف الصلوات وهو الاثنا عشر ألف صلاة هو مبلغ العدد الذي متى بلغه الصف من المسلمين في الجهاد لم يجز لأحد الفرار من الزحف فالمصلي في أشد المحاربة لحزب الشيطان الوارد في جهاده «رجعنا من الجهاد الاصغر إلى الجهاد الأكبر» فالمصلي في سعة من التخلف عن مشهد القتال دون مشهد الصلاة مالم يوقن بلزوم هذا العدد معه من الصلوات الذي هو الاثنا عشر ألف صلاة الحاصلة له مع الاثنى عشر رجلا باقين لسلامها والفراغ من معركتها وحضورها لا يوقن به على وجه اللزوم إلا في الجمعة فلذلك والله أعلم فرضت الجماعة في الجمعة وصارت فرض يومها وكانت بعدد أقل ما يسمى صلاة وعلى انها بدل من الظهر فقد نابت الركعتان مناب الاربع ركعات للاستغناء بالعدد المؤمن لجاش الجيش لمجاهدة العدو فافهم فرغب المصلين في ذلك تعريفا بقوله ـ فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ـ ونهاهم عن الفرار فقال ـ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار إلى قوله وبئس المصير ـ وقال (صلعم) حاكيا عن ربه تعالى من ترك الجماعة

فعليه لعنق وغضبي وكان في التخلف عن الجمعة رين على القلب * ففي الخبر من تخلف عن الجمعة أرين على ثلث من قلبه ومن تخلف عن جمعتين أرين على ثلثين من قلبه ومن تخلف عن ثلاث جمعات أرين على قلبه كله انتهى فالرين حجاب عن الله وهو سبب اللعنة ثم لما من الله تعالى بانقضاء الصلاة وهزم جيوش العداة أمرهم بالانتشار في الارض والابتغاء من فضله بأخذ الغنائم من الاجور الموفرة والاسباب المأثورة قال الله تعالى ـ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ـ ثم امتن عليهم بأنه لولا نصر الله لهم عليهم لما وهن كيد الكافرين ولاهزم جيوش المشركين فقال ـ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى إلى قوله موهن كيد الكافرين ـ فعلى هذا المعنى فالصلاة في غير الجماعة صلاة خوف معنى وقصر ها معنوى لقصورها عن درجة كمال فضل الجماعة ولعل سر مستند أحمد وأبي ثور وعطاء وداود القائلين بوجوب الجماعة مطلقا كون جامع المصر غالبا لايخلو من حضور هذا العدد رأسا فانتفت العلة في عدم تثبيت الاقدام عند الملاقاة والزحام. وفي كتاب الجواهر في تنبيه البصائر عن أبي هريرة قال قال رسول الله (صلعم) في آخر خطبه خطبها على المنبر يا أيها الناس من صلى الصلوات في جماعة حيث ما كان في أوقاتها جاز على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة من السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان له بكل يوم حافظ فيه على الجماعة أجر قتيل قتل في سبيل الله «وفيه أيضا» ماحاصله في حضور الجماعة عشرة نكت * إحداها ان الله عز وجل حث عباده على إقامة الصلاة في الجماعة ليكثر لهم بذلك الشهود يوم القيامة فان بعض الجماعة يشهد لبعض يوم القيامة ومن كثرت شهوده كان عزه أكبر بخلاف الفذ لايشهد له غير حافظيه * الثانية أن في صلاة الجماعة إظهار الالفة بين المسلمين * الثالثة ان فيها اظهار عز الاسلام وكثرته نكاية للعدو * الرابعة كون المؤمنين بعضهم أولياء بعض من اقتران المنكب بالمنكب والساق بالساق * الخامسة ليتذكروا بالاجتماع في حال الخدمة على حد الموافقة اجتماعهم في العقبى في دار النعمة * السادسة ليتذكروا أيضا باجتماعهم لأجل الصلاة اجتماعهم للمحاسبة والمساءلة يوم الجمع الأكبر بين يدي الملك الجبار فيكون هذا الاجتماع لأداء وظائف العبودية موجبا لهم في دار العقبى كرم الربوبية * السابعة ليعلم أن الصلاة محاربة بين الانسان وبين الشيطان فكما أن العساكر يجتمعون في وقت المحاربة مع السلاطين كذلك ينبغي أن يجتمع أهل الايمان لمحاربة الشياطين في سبيل الله في بعض الاحايين * الثامنة أن يذكروا بسعيهم في حالة أداء الفرض صفا وقوفهم يوم البعث في حالة العرض صفا * التاسعة هي انه كما اجتمعت أعداء الله على إطفاء الدين وأنواره كذلك المؤمنون يجتمعون على رفعة منار الاسلام وإظهاره * العاشرة هي أن من أراد فتح مدينة جمع لذلك قوما يستعين بهم على فتحها فكذلك المؤمنون لما طلبوا فتح باب الجنة استعان بعضهم ببعض فاجتمعوا لاقامة الخدمة هذا في الاجتماع في غير الجمعة وأما هي فتزيد بعشر كرامات وهي حسن النداء. وإجابة الدعاء. وصرف البلاء. والعتق من نار الشقاء. وتمام النور والضياء. وشفاعة خير الأنبياء. وتضعيف الاجر والجزاء. وتكفير الذنوب والخطايا. وتوفير الهيبة والعطايا. ورضا رب الارض والسماء * أما النداء فقوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ـ فناداهم باسم الإيمان * وأما اجابة الدعاء فقوله صلعم إن في الجمعة ساعة لايوافقها عبد مسلم وهو يسأل الله تعالى شيئا إلا اعطاه وتلك الساعة قيل إنها وقت صعود الخطيب وقيل بعد الفراغ من الجمعة وقيل غير ذلك وأما صرف البلاء فقوله صلعم أتاني جبريل عليه

الصلاة والسلام وفى يده كالمرآة البيضاء فيها كالنكتة السوداء فقلت ماهذا الذى فى يدك قال الجمعة قلت وما الجمعة قال لكم فيها خير كثير قلت وما لنا فيها قال لكم فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا هو له قسم إلا أعطاه إياه فان لم يقسم له ذخر له فى الآخرة ماهو أفضل منه وإن تعوذ من شر ماهو مكتوب عليه رفع عنه من البلاء ماهو أعظم منه قلت فما هذه النكتة السوداء فيها قال هى الساعة ، وأما العتق من نار الشقاء فقوله صلعم لله فى كل جمعة مائة عتيق من النار كلهم قد استوجبوا العذاب ، وأما إتمام النور والضياء فمفهوم من قوله صلعم فى الحديث المتقدم الذى فيه الرين فاذا كان فى التخلف عن الجمعة رين للقلب كان فى إقامتها لين القلب ونوره وضياؤه . وأما شفاعة خير الأنبياء فمأخوذة من أنه عليه الصلاة والسلام قال فى خطبة من تخلف ثلاثا استخفافا أو تهاونا أو جحودا لها فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى عمره ألا لا صلاة له ألا لا زكاة له ألا لا حج له ألا لا وضوء له ولا تناله شفاعتى فمفهوم هذا أنه إذا حافظ على الجمعة ولم يستخف بها أكرمه الله بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام . وأما تضعيف الاجر والجزاء فقوله صلعم من أغتسل وغسل وبكر وابتكر وقرب وسمع وأنصت ولم يلغ كتب الله له بكل خطوة قيام سنة وصيامة والمراد بقوله غسل الذى غسل جوارحه بالوضوء . وقوله اغتسل يعنى عمم بدنه بالغسل . وقوله بكر لحضور الجمعة فى أول وقتها . وقوله وابتكر وأى ابتكر الاستماع من أول الخطبة . وأما تكفير الذنوب فقوله عليه الصلاة والسلام فى فضل الجمعة مامن عبد اغتسل وتوضأ فأسبغ إلا خلق الله من كل قطرة تقطر منه ملكا يستغفر له إلى يوم القيامة فاذا خرج من بيته يريد المسجد أقبل الله عليه برحمته فاذا فرغ من صلاته غفر الله له مابين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام . وأما توفير الهيبة والعطاء فقوله عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى خلق ملكا ينادى ليلة الجمعة ألا من بكر ابتغاء وجه الله فله الجنة فأى عطاء أوفر من أن يحرم الله عبده إن بكر إلى الجمعة على النار وينزله دار القرار . وأما رضا رب الأرض والسماء فلأن الله تعالى يرضى عن عبده إذا تسارع إلى طاعته ثم إن كانت الطاعة أفضل كان نصيب صاحبها أفضل وأكمل . ولما كانت الجمعة أفضل العبادات كان للمحافظ عليها أفضل المثوبات ورضوان من الله أكبر ففى يوم الجمعة قيام الساعة فينبغى اجتهاد المؤمنين فى زيادة الطاعة ليشهد لهم ذلك اليوم بالخير بين سائر الأيام وفيه على المؤمنين تنزل الرحمة كما تنزل على اليهود فى يوم السبت اللعنة قال تعالى ـ ذلكم خير لكم ـ يعنى أن الجمعة خير لكم من السبت لليهود فكما لا يخلو يهودى فى السبت من اللعنة فكذلك لا يخلو مؤمن فى الجمعة من الرحمة . وفيه قصر الصلاة فى الحضر من بين سائر الصلوات وثوابها أكبر المثوبات حتى قال بعض أهل الإشارة فى قصر صلاة الجمعة كأن الله عز وجل يقول إن أتبعتكم بالأمر بالسعى إلى الجامع فقد أسقطت عنكم ركعتين لتعلموا أنى أريد بكم اليسر ولا أريد بكم العسر وإذا لم أرد بكم عسر العبادة فى الدنيا فكيف أريد بكم عسر العقوبة فى العقبى . وفيه التنبيه على أحوال القيامة وأهوالها فكأنه تعالى يقول إذا نوديتم يوم الجمعة وسعيتم إلى الذكر والنوال فكرتم فى الحساب والأهوال ثم يكون هذا الذكر فى الدنيا سببا لتيسير السعى إلى المحاسبة فى العقبى . وفيه سر الجمع بين المؤمنين وبين رب العالمين وهو السر فى تسميته يوم الجمعة كأن الله عز وجل يقول يامؤمن باسمك جمعت أنواع الرحمة فى خزانة المنة لطاعتك إياى فى الجمعة ثم إنى أنشرها عليك فى الجمعة التى فيها قيام الساعة فى الطريق التى هى مسلك إلى الجنة لتعلم أنى بك رءوف رحيم انتهى من الجواهر باختصار وتلفيق وزيادة إيضاح بعض وهذا الكتاب وإن لم يكن مشهورا فما جلبناه منه مسوق للترغيب وقد قالوا

من بلغه عن الله فضيلة فى عمل فعمل بمقتضاها نال ماورد فيها من الثواب وان لم يكن الحديث بها صحيحا أو كما قالوا قلت فلن يبرح الداخل فى حضرة الصلاة متقلبا بين مشاهدها من حضرة قدس إلى حضرة أخرى كما أن الخارج منها لا يزال راتعا فى روضة أنس أولى من أختها وأحرى فحيث انتهى إلى غاية من مشاهدها اهتدى ببداية من موائدها فهو الحال المرتحل فان حل استهل وان ارتحل استظل ألا ترى أهل الولاية والسلامة فى دخولهم دار المقامة يقال لهم — سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين — ويقولون — الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين — فكان أول بشارتهم سلام الله عليهم — وآخر دعواهم أن الحمد لله على ما أسدى إليهم فبدءوا فى تلك الحضرة الأخروية بما انتهوا فى هذه الحضرة الدنيوية واختتموا أمر حضرة البقاء بما افتتحوا به من الحمد والثناء فان كان إحرامها قد انعقد باسم الجلالة ليأخذ من التشمير قسطه لدخول الحضرة من كان فى قيد الجهالة فقد انتشر تحليلها باسم الله السلام ليحترز الخارج منها عن أسباب الضلالة ولئن ابتدئت بالحمد عمد به إحرامها لايقاظ الوسنان إلى تعمير الجنان فلقد اختتمت بالسلام وعذب به خلالها الرياضة اللسان أما ترى عيسى عليه السلام لملازمته حضرتى الصلاة والسلام قال لكلب مر به اذهب بسلام فما ثم إلا حضرة الله تبارك وتعالى فإما حضرة الصلاة المؤقتة بإحرامها الذى هو التكبير وهى المبوب لها قبل وإما حضرة السلام المشير بمعناه إلى اقامتها والرجوع إليها أيضا بحصول الطمأنينة التى متى حصلت للمصلى طولب باقامة صلاة الامن الدال عليه لفظ السلام قال تعالى — فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا — أى محدودا بالأوقات والحدود بخلاف حضرة السلام فليس لكافة قرباتها المكتوبة على العبد وقت محدود ولا يعرف منها سوى ان لها بداية ونهاية فبدايتها التحليل بلفظ السلام عليكم ونهايتها تكبيرة الإحرام فى حضرة الصلاة كما أنزل الله إليكم فمن لاحظ رجوع آخر الصلاة لأولها هو الذى قد ربط نفسه بحضرتها ربطا كليا ولا يزال مصليا لانتظاره الصلاة انتظارا عينيا فى الخبر « لا يزال أحدكم فى صلاة ما انتظر الصلاة » أو كما قال وهو الذى يكون بحيث لو طولب بترك الصلاة رأسا لشق ذلك على قلبه ورأى الحيلولة بينه وبينها من شؤم ذنبه فصاحب هذا المقام مواقعة حضرة السلام أشد عليه من محاضرة حضرة الركوع والقيام لما يغشاه فى حضرة السلام من تشعب فروعها وتشغيب روعها فلذلك منعه سبحانه بحكمته البالغة من نوافلها فى أوقات مخصوصة اختبار اليعلم الذين صدقوا علم ظهور ويعلم الكاذبين فى الأمور فالدواعى البواعث كثيرة والمنجية منها يسيرة حتى لا يسير أحد بسير هواه فى عبادة كبيرة ولا صغيرة ثم لا يزال المصلى مواظبا على اقامة الصلاة على نحو ما ذكرنا حتى ترسخ معانيها فى النفس رسوخا لا تلجلج معه فتتصف بمقتضى مشاهدها حتى تستوى مؤنة الجسد فيها مع مؤنة القلب كذكر اللسان والقلب كما مر فى الطريقة الأولى حتى ينعكس الأمر فى حق القلب فتكون حركة الجسد تابعة للقلب مستمدة على سبيل العهد الذى عهد إليه الجسد وأنه مضغة منه فتتصف بمقتضى قوله صلعم « أرحنا بها يا بلال » يعنى إقامة الصلاة ثم كذلك حتى تكون قرة عينه فى الصلاة كما قال صلعم « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وما ذلك الا لما يلقى فيها من لذيذ المناجاة ويرى من رحيق المصافاة . ثم لما رأينا سريان الخلل لحضرة الصلاة إنما هو من فساد حضرة السلام واخراجها من جملة حضرات الإعظام سنح لنا الكلام عليها والتنبيه للنفس على ما لم يكن بين يديها وأن نبين وجه المناسبة بين الحضرتين حضرة الصلاة وحضرة السلام ولو كان المقصود من هذه

الطريقة الـكلام على حضرة الصلاة فقط فالحديث شجون وكل امرىء بما اكتسب مرهون فنقول
﴿اعلم﴾ ان حضرة السلام حضرة أهملها الغافلون وتركوها وراءهم ظهريا وهجر نسبتها المبطلون وحملوها
نسيا منسيا فبمجرد الخروج من الصلاة يخرجون الجبرة الآثام وحلية الانعام بل يكادون يخرجون فيها
من دائرة الاسلام ومادروا انها الحضرة التى قيل فى الخروج منها أرحنا بها يا بلال أى أرحنا بحضرة الصلاة
المهمة من مكابدة حضرة السلام وشواغلها الجمة لتضمنها جميع التصرفات واحتوائها على كافة المشروعات
من جميع القربات غير الصلوات وعلى أنواع المباحات المجعولة عرضة لأسباب المخالفات بل حضرة الصلاة
نسخة مختصرة منها منطوية على لبابها برسم الاشارة الى كافة العبادة فيها كما قدمنا وصاحبها مقيد عن
جميع مألوفاته البشرية طلبا للعثور على الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية والاذعانات القهرية الملكية
والمعاملات الفردية والاعانات الحقية والهدايات وهبية فلذلك كانت خلوة ولاتحاد وجهتها جعلها
العارفون سلوة حتى حظوا منها بأرفع حظوة فوصلوا بنفحاتها الى محل سو وافيه بينها وبين حضرة السلام
لدوام مراقبتهم اطلاع الملك العلام فاخذوا حظهم من سبعها المثانى وذلك حقيقة التدانى فهى سبع
آيات والامة على سعة أصناف كما ذكره فى الجواهر فى تنبيه البصائر فمنهم حامد وراج وخائف ومخلص ومتوكل
ومستقيم وعارف فالحامدون حظهم ــ الحمد لله رب العالمين والراجون حظهم ــ الرحمن الرحيم ــ والخائفون
حظهم ــ مالك يوم الدين ــ وحظ المخلصين ــ إياك نعبد ــ وحظ المتوكلين ــ وإياك نستعين ــ وحظ
المستقيمين ــ اهدنا الصراط المستقيم ــ وحظ العارفين ــ صراط الذين أنعمت عليهم ــ الخ فعمدوا
بمقتضيات هذه الاصناف والاقسام أوقات حضرة السلام فوقفوا فى كلا الحضرتين بقدم العبودية على
أتم نظام وأيقنوا ان حضرة السلام والامان مطلقة القيد والعنان لتنوعات مشاهد الإسلام والايمان
واقتطاف ثمرات الايقان والاحسان لالارتكاب الآثام وموجبات الخسران وعلموا ان هذا الاطلاق
مقيد بأفعال السنة حتى فى قضاء الحاجة وباتقان النية حتى فى تناول اللقمة والجرعة وقالوا اما كانت حضرة
الله الاعبارة عن امتثال الله الحنان المنان ومخالفة الهوى فى أى وقت كان وما كان دخولها الاتوجه القلب
فى ذلك بالكلية إلى الله تعالى عظيم الشأن فهو حاضر لايغيب ولو غاب فى ظاهر العيان فلذلك شاهدوا
تداخل الحضرتين واشتباك أفعال القربتين لاشارة كل منهما لصاحبتها بأوضح اشارة وافتراقهما
يؤذن لحق كل منهما ببطلان وخسارة فرأوا الـكلام المعدود من حضرة السلام مستعملا فى حضرة
الصلاة للاصلاح كما أنه فى حضرة السلام لايجوز الا الاصلاح ذات البين وبما لا بأس به ولا جناح . والاشارة
لرد السلام فى الصلاة من دواعى الفلاح كما هو فى حضرته بدأ وردا من موجبات النجاح والذكر والتلاوة
وشكر الإنعام فى حضرة السلام من مواد حضرة الركوع والقيام والمطالبة بها فى الحضرتين سواء على الدوام
فهما فرسا رهان فى ظاهر البيان واستعانوا بمواد هذه الحضرة حضرة السلام على الوفاء بحق حضرة
الصلاة بعكوف القلب على مشاهدها العظام وتزودوا من لذيذ هذه الحضرة بنور مستبين وكتاب
مبين ــ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ــ فأخرجهم من ظلمات الغفلة إلى نور الوصلة
ــ فهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ــ وأبصروا دائرة الاسلام فى بيت السلام
فقال ــ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ــ واشتغلوا بقطع العقبات الخمس باقامة الصلوات
الخمس بالمعنى والحس فقطعوا بصلاة الظهر عقبة الدنيا فهى أولى الدارين كما أن الظهر أول صلاة ظهرت

فى الاسلام بين الخافقين ناجين باذن رب المشرقين والمغربين . وقطعوا بصلاة العصر عقبة الموت والسكرات لعصر الروح من جسدها سالمة من الهلكات فبالموت انقضاء الأعمار وبالعصر انقضاء صلاة النهار وقطعوا بالمغرب عقبة القبر لما بينهما من البرزخية الجامعة فالمغرب تصلى عند ادبار ضوء النهار من بقايا شعاع الشمس وعند إقبال ظلمة الليل وعندها تجتمع حفظة ملائكة الليل وملائكة النهار والقبر آخر منزل من منازل الدنيا بدليل أن عذابه ينقطع يشهد لذلك قوله تعالى فى شأن الكفار عند البعث ـ قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ـ فلو كان البرزخ من الآخرة فقطما انقطع عذابه وهو أيضا أول منزل من منازل الآخرة ولو كان من الدنيا فقط أيضا ماعرض على الميت عمله غدوا وعشيا وقطعوا بصلاة العشاء عقبة البعث لدفع تسويد الوجوه إذ ليس بعد ظلمة العشاء إلا النوم الذى هو أخو الموت والانتباه المكنى عنه بالبعث يقع عقيبه قال تعالى ـ وهو الذى يتوفاكم بالليل إلى قوله ثم يبعثكم فيه ـ ولهذه المناسبة كان ﷺ يقول عند إرادة النوم رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك . وبصلاة الصبح عقبة الحساب الوارد أنه يقع بين الخلائق فى مقدار ركعتين وكل يحسب أنه لم يحاسب غيره فكان لرجوعهم من جهل أمن الحساب إلى صبح حقائق اليوم الآخر مناسبة بين الخروج من ظلمة الليل إلى ضوء النهار لما قيل إن جهل أهل القبور بأهوال يوم النشور كجهل أهل الدنيا بأحوال القبور فما أحسن ترتيب هذا الوجود حكمة ومشيئة فما زالوا من حضرة إلى حضرة تشير كل منهما بالتحقيق للاخرى لمن كان ذا فكرة وعبرة ﴿وإيضاح ذلك باختصار﴾ أن نعلم ان الاسلام بنى على خمس دعائم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام فعرض هذه القواعد كلها على كل من دخل دائرة الاسلام جملة واحدة بلا تفصيل وحضرة مفردة من غير تعطيل ﴿ثم جعلها على قسمين﴾ قسم منها لا بد فى كل حال من أن يؤدى لكثرة وجدان شروطه وقلة أعذار سقوطه وقسم منها قد يلزم وقد لا يلزم أن يؤدى وجعل لذلك حدودا لا تتعدى . فأما القسم الأول فهو شهادتان وإقام الصلاة وشروطهما فى الغالب ميسورة وموانعهما مذكورة فى لسان الشرع مشهورة . وأما القسم الثاني وهو بقية القواعد فمن الناس وهو الأكثر بدليل كثرة مصرف الزكاة من الخلق عددا فى الآية من يعيش مدة حياته وهو لم يملك نصابا تجب عليه زكاته ولم تتيسر له فريضة الصوم ولا نافلته ولم يجد سبيلا إلى حج البيت بأن لم تؤمن غائلته أو لم يجد زاده وراحلته وهذا القسم هو مبنى حضرة السلام لسلامته من وجوب بقية قواعد الاسلام تخفيفا وبشارة وتعريفا إذ بانقضاء حضرة الصلاة يخرجون سالمين من الخطاب ببقية القواعد الخمس وبقيت القاعدتان الأوليان المفروضتان على الجملة واجبتين فى حق أهل هذا القسم فدخلوا فى قسم هاتين القاعدتين مع أهلهما للعذر القائم بهم المانع من وجوب بقية القواعد الخمس عليهم * فاذا تمهد هذا علمت أن المسلم إما ان يكون فى حالة أداء الصلاة فتلك حضرة الصلاة أى الحضرة التى لا بد أن تصلى أى تدخل وتعمير أركانها بالتكبير وما فى معناه أو يكون خارج الصلاة فتلك حضرة السلام أى الحضرة التى قد يسلم من قواعدها فلا تستعمل وتعميرها بلفظ السلام وما يجرى مجراه كما سيأتى قريبا . فحضرة الصلاة لا بد لها من ثلاث مقدمات داخلة فى ماهية حضرة السلام كما أن لحضرة السلام مقدمات ثلاثا مندرجة فى طى حضرة الصلاة . فمقدمات حضرة الصلاة المندرجة فى حضرة السلام افراد الأذان وتكرير ترجيعه والإقامة المشروعة لمجيب الأمر ومطيعه قبل انعقاد حضرتها بالتكبير وتسميعه ومقدمات حضرة السلام لفظ التحية ولفظ السلام عليك أيها النبى ولفظ

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قبل انعقاد عقدته بلفظ تسليمة التحليل وشعيرته كما اجتمعت الحضرتان فى مقدمة لفظ الشهادة فى التشهد قبل السلام وفى لفظها فى الإقامة قبل الإحرام واختصت حضرة الصلاة بالمقام فيها على أفعال مخصوصة وعلى جهة واحدة فى حالة الأمن تقييدا حتى تنقضى فاذا جاء الخوف استوت الجهات فيها لخلل للضرورة مشى وركض وعدم توجه وربما استوت الجهات فى حالة الامن مع التحير بأن يصلى إلى كل جهة على ما اختاره اللخمى ولو كان مقيدا باحدهما فى الجملة حال الأداء كما اختصت حضرة السلام مطلقا بالتلبس بعدم الطهارة وموجبه مما هو كالوطء وقضاء الحاجة . وبعدم التقييد شرعت بقيد الدعائم فصاحبها ماذون له فى التقلبات لسائر الجهات واستعمال ماشاء من أكثر المباحات فكما أن دعائم حضرة السلام مقامة بأحكام الشرع الخمسة امتثالا واجتنابا كذلك دعامة حضرة الصلاة مقامة بها أيضا فيها الفرض بنوعيه والمندوب شامل للسنة والحرام والمكروه يعلم ذلك من تفقه فيها فلانطيل بذكرها ولم يتخلف عنها من المباحات غير التلبس بالوطء مطلقا وقضاء الحاجة مالم يكن استنكاح اذهى حضرة الطهارة بنوعها . وأما غير ماذكر من المباحات ولو النوم فقد يتلبس فيها بنوع منه للضرورة ولا يحتاج لجبر أو لضرورة ويجبر . وفيها من نوع النوم ساعة الأنس بالله بجامع الراحة كما وقع لبعضهم من قطع رجله فى الصلاة ولم يشعر بل هذا أعلى من درجة النوم فى عدم الشعور بمثل هذا . وفيها من نوع شهوة الفم بلع ما بين الأسنان ولا يحتاج لجبر أو الأكل أو الشرب المعهودان المحتاجان للجبر إن وقع ذلك سهوا وكما أن لحضرة الصلاة أربعة أوقات قال تعالى ـ وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ه ورابعها ذكر الفاتحة كذلك لحضرة السلام أربعة أوقات وقت النعمة ووقت الشدة ووقت الطاعة ووقت المعصية فتعمير أوقات حضرة الصلاة بإيقاعها فيها وتعمير أوقات حضرة السلام بالشكر والصبر وشهود المنة والتوبة وفى هذه الأوقات استغراق شئون حضرة السلام كما قال أبو العباس المرسى رحمه الله . أوقات العبد أربعة لاخامس لها وهو إما أن يكون فى وقت نعمة فمقتضى الحق منه وجود الشكر أو فى وقت شدة فمقتضى الحق منه وجود الصبر أو فى وقت معصية فمقتضى الحق منه وجود التوبة أو فى طاعة فمقتضى الحق منه وجود شهود المنة فمن قام بواجب هذه الحضرة حصل له معنى عنوانها من أمنها وأمانها يشهد لذلك قوله صلعم من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر ثم سكت صلعم حتى قال بعض الجالسين ماذا له يارسول الله . قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون يعنى لهم الأمن من عذاب الله فى الآخرة وهم مهتدون فى الدنيا ﴿ فتعمير حضرة السلام باربع ﴾ الحديث يعمل به من أول وهلة المسلم الداخل لها عند انصرافه من الصلاة بالفور لأن الفاء فى قوله فى الحديث فشكر واخواتها لاتقتضى التراخى . وذلك ان المسلم الخارج من الصلاة من حيث هو مسلم يشير بسلامه إلى الجهات الأربع بايقاظ قلبه بأن هذه الحضرة التى دخلها لايعمرها إلا هذه الوظائف الأربع ويكون أيضا كالمتحصن من حزب عدوه الحالف ليغوينه ولياتينه من الجهات كما حكى الله تعالى عنه بقوله ـ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين ـ . فأما تسليمة التحليل فاستغفار يطلب به الصفح عما سها عنه من أمر الصلاة والتأمين من المؤاخذة بذلك عملا بقوله ﷺ وظلم فاستغفر . وأما الرد على الامام فشكر لمنة ماتولى عنهم من وظائف الصلاة وحمله لسهوهم بقوله فى الحديث من أعطى فشكر وأما الرد على من باليسار فصبر على موجبات العثار وامتثال لقوله أيضا وابتلى فصبر بجامع ثقل معنى اليد العسرى المعدول

عن التلفظ بها الى اليسرى تفاؤلا . وأما اقبال الامام بوجهه على من خلفه القائم مقام التسليمة الرابعة فهو فى ضمن عفو المظلوم الذى من شأنه ان يدابر من ظلمه اذ فى التغافل معنى البشارة والامان فهو وصف أهل الجنة والسلام قال الله تعالى ـ على سرر متقابلين ـ اشارة لقوله وظلم فغفر لحصل للمسلم من حيث ماهو مسلم القيام بوظائف حضرة السلام بادىء بدء لتكون البداية مجلاة النهايات. فشرع له الشارع البداية باليمين لشرفها تنبيها له على عظم أمر حضرة السلام وظرفها ولاستحضار ما تسطره الحفظة الكرام ليكون صاحب اليمين حافظ الحسنات ببال منه وليتذكر أخذ الكتاب باليمين وليأخذ أمر هذه الحضرة بجد وحزم فيما كتب الله تبارك وتعالى له على لوح القلب من الاعتقادات وعلى ألواح الجوارح الظاهرات من أعمال الطاعات قال تعالى ـ وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء أى مما يحتاجون اليه فى دينهم وقال ـ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ـ وقال القائل

تأمل سطور الكائنات فإنها . من الملك الأعلى اليك رسائل

وأن يأخذ الأمان لذلك بقوة ويأمر قومه ممن خلفه بالأخذ بأحسن أسوة قال تعالى ـ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها . وأول ذلك ردهم أماما وشمالا زيادة على الواجب وهذا يقضى بافضلية الصف فبانتظام سلام الإمام واقباله ورد المأموم على من على يساره يكمل للمسلم التحصن من أعدائه فى حضرة السلام عند أول دخولها كما أن بالجميع يكمل فضل الجماعة عند آخر حضرة الصلاة فمن خص منهم بفضل فض من ربحه بعد فراغه وفراقه من غير أن ينقص من أجر صاحبه شيء قال تعالى ـ وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته بأن يلفق حضور هذا فى الإحرام مثلا مع حضور آخر فى الركوع وخشوع آخر فى السجود وهكذا حتى تتم بين الجماعة صلاة تامة فتعطى لكل واحد على حدته أكمل صلاة إذ لا غنى لكل واحد عن صلاة تامة فصلاة مرقعة فى الجماعة هكذا خير من سبعين صلاة غير مرقعة ليست فى الجماعة ثم لن تعد والمسلم المسلم المطالبة خارج حضرة الصلاة بلفظ السلام ومعناه حتى يرجع لإحرامها فيما يستقبل بافشاء السلام لمن لقيه ورده لمن بداه به وتأمينه المؤمنين من نفسه والتماسه السلامة لكافة المسلمين من شاهد حسنه «فالمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه والمؤمن من وثق المؤمنون بامانه» ويستجلب السلام من أهل الإسلام بلفظه أو بمعناه بلفظة لا بأس عليك طلبا لشرح الحال واستخراجا للشكر بلسان المقال كما كان السلف رضوان الله عليهم يفعلون فكانوا يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر الذى هو من شيم أهل الحضرتين اللتين هما بصدد كل مسلم فالشرع قد أمر بملازمة لفظ السلام فى كل حالة من الأحوال. أما حالة الجمع والخلطة فبافشاء السلام ورده كما علمت . وأما حالة الوحدة فلقد طولب به عند دخول البيوت وأمره واضح الثبوت قال تعالى ـ فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ـ بان تقولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فالسلام آخر منزل من منازل الإسلام إذ هو بشارة هول المطلع عند الاختتام قال تعالى ـ تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ـ وهو تحية أهل الجنة دار السلام دواما قال تعالى ـ لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما ـ وهو أول شعائر الإسلام وحدوده المعاتب عليه من عوتب على تعاميه عنه وصدوده قال تعالى ـ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام على قراءة المدلست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا إلى قوله فتبينوا ـ الآية وما ذلك إلا ليوقف عند حده وليتذكر القائل والمقول له عند التلفظ بذلك اللفظ ابتداء ودوام أمر الحضرة حتى لا يغفل عنها ساعة مانم ان تعمير هذه

الحضرة بأربع الحديث ليس خاصا بها بل حضرة الصلاة مشتملة على أصولها وفصولها ولو كانت الصلاة من جملة الطاعة التي هي رابعة الأربع في الحديث وذلك ان الصلاة تفتتح بالتكبير ثم يتلوه الحمد على الهداية إلى التوجه أولا الاداء المكتوبة ثم إلى دخولها بالفعل بالإحرام فقد أعطى فشكر ولقد ابتلى بفرض الصلاة فصبر . أما الصبر على فعلها فلقوله تعالى ـ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها أى على اقامتها وأما الصبر على ما احتوت عليه من البلايا فلا بلية أقوى من مكابدة القلب مدافعة الوسوسة إذ هي الجهاد الاكبر . وأما الصبر فيها عن المعصية فقد يكون المصلى صبر مثلا عن لبس ثوب أو خف يعصى بلبسه أو عن الصلاة بحرير أو ذهب أو عن سرقة متاع لا يجد لاخذه سعة إلا في الصلاة أو عن نظر محرم أو عن مسابقة الامام قولا أو نحوها إذ الصبر على ثلاثة أقسام كما علمت في الطريقة الاولى . صبر على الطاعة أو عن المعصية أو عن البلية وقد علمت وجه الثلاثة فيها فظهر أن صاحبها ممن ابتلى فصبر أو يكون ظلم نفسه بفعل بعض ماذكرنا أو بالغفلة عن المدافعة المأمور بها فيها فاستغفر ربه من ملابسة ذلك وتاب من مواقعة ما هنالك فذلك قوله في الحديث وظلم فاستغفر واسقاط المصلى حقه في دفع المار بين يديه مثلا هو عفوه عمن ظلمه المشار إليه بقوله وظلم فغفر وزاد على مجرد العفو اشتراكه في الدعاء معه كافة المسلمين المعدود منهم المعفو عنه ولو بغير تنصيص عليه من غير إخراج له من قوله ـ إهدنا الصراط ـ وقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وهذا عين المجازاة للاساءة بالاحسان التي هي أعلى درجات الايمان وكفى به منقبة جليلة على ارادة الخير دليلة حتى لا يتضرر أحد بسببه وقد تقدم لنا أن حضرة الصلاة نسخة مختصرة من الخمس دعائم بل من جميع أنواع العبادات إذ شهادة التوحيد موجودة في التشهد والمصلى ممسك عن شهوتى البطن والفرج وذلك معنى الصوم والصلاة زكاة الابدان وطهرتها من درن العصيان كما أن الزكاة طهرة الاموال والحج معناه القصد نحو بيت الله والمصلى كذلك يقصد التوجه إلى بيت الله وتزيد الصلاة على الدعائم بالجهاد فيها لما تضمنت من مجاهدة الشيطان ولذا سمى موضع الصلاة محرابا وتقدم الامام اليه كتقدم أخذ الراية موضع نظر العدو إلى المعركة فكما أن بفساد صلاة الامام في الغالب تبطل صلاة من خلفه كذلك بموت آخذ الراية أو انهزامه ينهزم الجيش غالبا وكما فضل متولى آخذ الراية من الصفوف لوقع السيوف أو للنيابة عند الهزيمة أو الاصابة كذلك فضل الصف الاول في الصلاة ثم الاولى فالاولى وزيدت أيضا بتنوع مشاهدها بين تكبير وتسبيح وتهليل وتحميد وتلاوة إلى غير ذلك من الركوع والسجود . فالصلاة تعد بين الدعائم دعامة وبين الاقسام ترى قسما قائما على أحسن قامة ثم تأتى على الجميع وما يحتوى عليه من آخره كفالة وزعامة فهى على التفصيل السابق من قسم القواعد على قسمين مايؤدى على كل حال وما لا يؤدى إلا في بعض الاحوال هي نصف الدين وعموده وعلى هذا الادماج هي الدين كله منها صدوره ووروده وذلك أن القسم الساقط عنه وجوب بقية الدعائم وهو مأمور باقامة الصلاة المندرجة فيها البقية الساقطة اندراجا نوعيا فالبقية من حيث الاستقلال ساقطة ومن حيث التضمين واجبة فاذا الصلاة في حق المختص بها دون غيرها من سائر القواعد هي الدين كله بالتضمين كما أنها المشارك المستعمل لها مع غيرها من بقية القواعد عمود الدين تنصيصا باليقين فتحريم الصلاة هو حضرتها عامرة بالتكبير الذى هو احرامها وتحليلها هو حضرة السلام الذى به انعقادها ومرامها ويدلك على أصالة كل منهما اشتراط نية الخروج من كل لكل اتفاقا في الصلاة وخلافا في حضرة السلام ومقابلة قاض بالاشتباك فكما استصحب لفظ التكبير الذى انعقدت به حضرة الصلاة من

أولها إلى انتهائها كذلك استصحب لفظ السلام فى حضرته من ابتدائها إلى انقضائها وكما كان الشرع دائرا بين التحليل والتحريم كذلك دارت الحضرتان بين الاحرام والتسليم . فاذا تمهد هذا فاعلم أن لكل من هاتين الحضرتين رجالا منقسمين إلى عامة وخاصة . فالعامة هم أهل حضرة السلام والخاصة هم أهل حضرة الركوع والقيام

خلق الله للحروب رجالا * ورجالا لقصعة من ثريد

وكمال كل من الفريقين أن يقوم بوظائف حضرته ويضيف إليها غيرها فأما أهل حضرة السلام وهم العامة فقد استعانوا بحضرة الصلاة على القيام بمؤنة ماهم فيه من حضرة السلام لتنهاهم الصلاة بالخشوع فيها عن الفحشاء والمنكر عند اطلاق أعنة أنفسهم فى تناول طيباتهم واستعمال شهواتهم والوقوف مع عاداتهم * ومن رحمة الله تعالى بهم أن جعل النوم فى أوقات هذه الحضرة تقصير اللاعنة لما أيقنوا ان الخلل السارى لحضرة الصلاة إنما هو من تضييع حضرة السلام إذ لا يخطر بالبال فى الصلاة عندهم إلا بقايا الخواطر الوهمية والغفلات الدنية الواردة من حضرة التسليم ومداخلها الردية * وأما الخاصة فقد طلبوا إضافة حضور خلطة السلام إلى حضور خلوة الصلاة حتى لا يشغلهم شاغل عن الله فى خلطتهم * وأما فى خلوتهم بربهم فمما لا يتصور عندهم الاشتغال بغير معبودهم لما علموا أن الاستغراق فى شئون مايعلق بهم من حضرة الصلاة أذهلهم عن الاقامة بالرسوم الشرعية فى حضرة السلام فالكمال عندهم القيام بوظائف الحضرتين ثم لا أقل لاهل كل منهما من استصحاب معنى ما به انعقاد كل منهما مادام بواحدة منهما فلما كانت حضرة السلام مشتملة على تناول المباحات المحفوفة بأنواع الطاعات الشاملة العموم والخصوص قيل لاهل الجنة سلام عليكم ادخلوا الجنة الآية ثم لما كان من جملتهم من علم الله تعالى ان تملِّيهم إنما هو بخصوصية لهم من ربهم مترقبين ماليس للعموم من حظوظ أنفسهم من انس فوق أنسهم وحضرة قدس أولى من حضرة قدسهم وان مرادهم بمناجاة صلاتهم النظر إلى وجهه الكريم أرفع صلاتهم خصهم بالنظر إلى ذاته العلية وأوصافها البهية واسمائها السنية فكان على قدر تفاوت مشاربهم فى الصلاة تفاوت قضاء مآربهم فى التجليات فالجزاء من جنس العمل فالعام للعام والخاص للخاص جزاء وفاقا فلن يهلك على الله إلا هالك فمن لم تعلق به من حضرة الصلاة القدسية رائحة علق به لا محالة من حضرة السلام النافحة والله يدعو إلى دار السلام أى يدعو إلى حضرة الله وهو السلام وتتناول كلتا الحضرتين فمن أرشد إلى القيام بحق الحضرتين باعطاء ماينا سبهما من الادب الفخم استوت عنده حضرة التحليل والتسليم وذلك قوله تعالى – ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ه ومن حرم من نفحات الحضرتين فهو المحروم حقا والهالك صدقا وكلاهما مجيب لدعوته فالاول مجيب لدعوة الامر بالايمان والثانى مجيب لدعوة المشيئة والسلطان ممتثل بقاطع البرهان – ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها . قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهديكم أجمعين – فبهذا تعلم أن العبد لا يزال أبدا فى حضرة الله تعالى علمها من علمها وجهلها من جهلها وبالله تعالى التوفيق انتهت الطريقة الثانية فى السلوك بالصلوات الخمس * وتتلوها ان شاء الله الطريقة الثالثة فى السلوك بصلاة الفاتح لما أغلق لمن بها قلبه تعلق

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

(الطريقة الثالثة : طريقة السلوك بصلاة الفاتح لما أغلق لمن بها قلبه متعلق)

ولا بد من تمهيد فى بيان فضل الصلاة المذكورة وذكر بعض أسرارها المستورة . فنقول أما فضل صلاة الفاتح فيكفيك ما ذكره صاحب الجواهر عن شيخنا رضى الله عنه بعد سؤاله اياه (ونصه خاصية صلاة الفاتح لما أغلق أمر إلهي لا مدخل فيه للعقول فلو قدرت مائة ألف أمة فى كل أمة ألف قبيلة فى كل قبيلة مائة ألف رجل وعاش كل واحد منهم مائة ألف عام يذكر كل واحد فى كل يوم مائة ألف صلاة على النبى ﷺ من غير صلاة الفاتح لما أغلق وجمعت ثواب هذه الأمم كلها فى مدة هذه السنين كلها فى هذه الأذكار كلها ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق فلا تلتفت لتكذيب مكذب ولا لقدح قادح فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فان لله سبحانه وتعالى فضلا خارجا عن دائرة القياس ويكفيك قوله سبحانه ويخلق ما لا تعلمون فما توجه متوجه إلى الله تعالى بعمل يبلغها وإن كان ما كان ولا توجه متوجه إلى الله تعالى بعمل أحب إليه منها ولا أعظم عند الله حضرة منها إلا مرتبة واحدة مرتبة الإسم العظيم الأعظم لا غير فليس لفضله غاية ولا فوق مرتبته نهاية، وهذه الصلاة هى التى تليه فى الرتبة والتوجه والثواب والفوز بمحبة الله لصاحبها وحسن المآب فمن توجه إلى الله تعالى مصدقا بهذا الحال فاز برضا الله وثوابه فى دنياه وأخراه بما لا تبلغه جميع الأعمال وشاهد هذا الفيض الذى لا تبلغه الآمال ولا يحصل هذا الخير الكثير إلا مع التسليم ومن ناقش فى هذا الباب فليترك فان الخوض فى ذلك ردا وجوابا كالبحر لا تنقطع منه الأمواج والقلوب أبدا إقبالا وإدبارا فمن أراد سعادته والفوز بهذه الياقوتة الفريدة جذب الله قلبه إلى التصديق بما سمع فيها وعرفه التسليم بفضل الله سبحانه فانه لا يأخذه الحد والقياس فيصرف همته فى التوجه إلى الله بها والاقبال على الله بشأنها فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين. ومن حرمه الله صرف قلبه إلى الوسوسة فيقول من أين يأتى خبرها فاشتغل بما قلناه لك فإنا أخذناه من الوجه الذى نعلمه، قال وسألته رضى الله عنه هل خبر سيد الوجود ﷺ بعد موته كحياته، فأجاب رضى الله عنه بما نصه قال الأمر العام الذى كان يأتيه عاما للأمة طوى بساطه بموته ﷺ وبقى الأمر الخاص الذى كان يلقيه للخاص فان ذلك فى حياته وبعد مماته دائما لا ينقطع ، قال وسألته رضى الله عنه وهل كان سيد الوجود ﷺ عالما بهذا الفضل المتأخر فى وقته قال نعم هو عالم به . قلت ولم لم يذكره لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين لما فيه من هذا الخير الذى لا يكيف قال منعه أمران علمه بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره الله على يديه فى ذلك الوقت. الثانى أنه لو ذكر لهم هذا الفضل العظيم فى هذا العمل القليل لطلبوا اظهاره لشدة حرصهم على الخير ولم يكن ظهوره فى وقتهم. وأيضا لما علم الله تبارك وتعالى ضعف أهل الزمان وما هم عليه من التخليط والفساد رحمهم وجاد عليهم بخير كثير فى مقابلة عمل يسير يختص برحمته من يشاء فى الوقت الذى يشاء ولا يقال ان خبره ﷺ بعد موته ليس كخبره فى حياته بل هما سيان فى جميع ما أخبر به ﷺ إلا فى التفصيل المتقدم من العام للعام والخاص للخاص ومن توهم أنه ﷺ انقطع جميع مدده على أمته بموته ﷺ كسائر الأموات فقد جهل رتبة النبى ﷺ وأساء

الأدب معه ويخشى عليه أن يموت كافراً إن لم يتب من هذا الاعتقاد لكن مدد الصحابة ليس كمدد من بعدهم فان كل واحد من الصحابة الذين بلغوا الدين مكتوب فى صحيفته جميع أعمال من بعده من وقته إلى آخر هذه الأمة فاذا فهم هذا فضل الصحابة لا مطمع فيه لمن بعدهم ولو كان من أهل هذا الفضل المذكور من هذا الباب لرتبة الصحبة. ثم ضرب مثلا رضى الله عنه لعمل الصحابة مع غيرهم قال عملنا مع عملهم كمشى النملة مع سرعة طيران القطاة وصدق رضى الله عنه فيما مثل به لأنهم رضى الله عنهم حازوا قصبة السبق بصحبة سيد الوجود ﷺ وقال فى حقهم ﷺ إن الله اصطفى أصحابى على سائر العالمين ما عدا النبيين والمرسلين وقال لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه انتهى بحذف وتلفيق من الجواهر فليطالعها من أراد شفاء الغليل. ثم قال وسألته رضى الله عنه عن معنى ﴿صلاة الفاتح لما أغلق فاجاب رضى الله عنه قال معناه الفاتح لما أغلق من صور الأكوان فانها كانت مغلقة فى حجاب البطون وصورة العدم وفتحت مغاليقها بسبب وجوده وخرجت من صورة العدم إلى صورة الوجود ومن حجابية البطون إلى نفسها فى عالم الظهور إذ لولاه ما خلق الله موجودا ولا أخرجه من العدم والمعنى الثانى أنه فتح مغاليق أبواب الرحمة الالهية وبسببه انفتحت على الخلق ولولاه ما رحم الله مخلوقا فالرحمة من الله لخلقه بسبب نبيه ﷺ والمعنى الثالث هى القلوب أغلقت على الشرك مملوءة به ولم يجد الإيمان مدخلا لها ففتحت بدعوته حتى دخلها الإيمان وطهرها من الشرك وامتلأت بالإيمان والحكمة. قوله ﴿والخاتم لما سبق﴾ يعنى من النبوة والرسالة لأنه ختمها وأغلق بابها ﷺ فلا مطمع فيها لغيره وكذلك الخاتم لما سبق من صور التجليات الالهية التى تجلى الحق سبحانه وتعالى بصورها فى عالم الظهور لأنه أول موجود أوجده الله فى العالم من حجاب البطون وصورة العمى الربانى ثم زال يبسط صور العالم بعدها فى ظهور أجناسها بالترتيب القائم على المشيئة الربانية جنسا بعد جنس إلى أن كان آخر ما تجلى به فى عالم الظهور الصورة الآدمية على صورته ﷺ وهو المراد فى الصورة الآدمية فكما افتتح به الوجود كذلك أغلق به ظهور صور الموجودات ﷺ وعلى آله انتهى. قلت أشار رضى الله عنه فى ذلك إلى المعانى الجامعة من اسمى الفاتح والخاتم وإلا فما من ذرة ولا معنى فى الوجود إلا ويتناول طرفيه الفتح والختم ووسطه النصر والهداية الشامل لها آخر الصلاة المذكورة وهى ليست من تأليف البكرى رحمه الله تعالى كما قال شيخنا رضى الله عنه عن سيد الوجود ﷺ لكنه توجه إلى الله تعالى مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبى ﷺ فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فاتاه بهذه الصلاة الملك مكتوبة فى صحيفة من النور. ثم قال شيخنا رضى الله عنه فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والإنس والملائكة اهو ستقف قريبا على بعض أسرارها ورواياتها أربع ﴿اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم﴾ وفى رواية إلى الصراط المستقيم وهاتان قصرياها. وفى رواية بزيادة وصحبه وسلم إثر وعلى آله وهى وسطاها. وفى رواية صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إثر صراطك المستقيم وهى طولاها وأما أسرارها فما لا يدخل تحت حصر بعد ولا قصر ولا يمكن استيفاؤها فى هذه العجالة وعباراتها بل الفحص عن بعض اشاراتها فمنها أن جواهر اسمه الشريف ظاهر الجسم والنفس ووصفية تالية وافية على التحقيق بغير حدس بصيغ السير والترحل إلى الله تعالى بأنواع الخير وذلك أن اسم محمد ﷺ مشتمل على أربعة أحرف بلا تضعيف

فالميم الأولى دالة على ابتداء السير لأنها شفاهية المخرج والشفة مبدأ المخارج. والحاء دالة على انتهاء السير لأنها حلقية المخرج والحلق آخر المخارج وهذا سير السالكين والمريدين الواصلين. وأما الميم المضعفة ودالها فللدلالة على سير غير الواصلين إذ الدال ليس بحلقي فقد قصر دون الوصل سير صاحبه بعد ابتداء السير بالميم ومن لم يرد الله به الدخول في زمرة الإسلام استدارت دونه الميم فرام الدخول من جوف الدال الذي ليس بنافذ فيؤنس ولا بمستدير فيؤيس فلم يدخل غير حضرة امداد الايجاد التي لا بد من وصولها من سيد الوجود للجمع والآحاد لا امداد التقريب والإرشاد وفي الاسم الشريف غير ذلك من الأسرار التي لا يوقف على كنهها من كون جواهر حروفه آتية على الصورة الآدمية فالميم رأسها والحاء جناحاها والميم المضعفة سرتها والدال رجلاها فلا نطيل بأسرار الاسم الشريف مع أنه لا خصوصية لهذه الصلاة به دون غيرها من الصلوات. وأما الوصف الفاتح فأوله الفاء وهي الميم مبدأ ومختتمه الحاء والتاء واسطة بينهما فيؤخذ منه سير السالك الذي ابتدأ ثم توسط ثم اختتم، وأما الوصف الخاتم فقد دل سير المجذوب المراد لأنه ابتدأ بالحلق ثم ختم بالشفاهي فالتقى الوصفان عند حرف التاء المتوسط والسالك والمجذوب ربما التقيا في الطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه كالتقاء لفظي الوصفين عند حرف التاء ومنها مجيء الاسم. وأوصافه الأربعة على كيفية حضرات الأنس بالمعنى والحس وكمية الصلوات الخمس أما الحضرات فأولها حضرة الناسوت وهي حضرة الأجسام الكثيفة فقد استولى على مقتضياتها ولوازمها الاسم الشريف بالصورة الشريفة. الثانية حضرة عالم الملكوت وهي مرتبة فيض الأنوار القدسية وهي من السماء الأولى إلى السماء السابعة فقد تكفل بأنوارها المتصلة وأفلاكها المتحملة الوصف الفاتح لما أغلق لانغلاق حقائقها. وانسداد طرائقها على من هو بحضر الناسوت. الثالثة حضرة عالم الجبروت وهي من السماء السابعة إلى الكرسي وهي حضرة فيض الأسرار الالهية فتحقق بها الوصف الخاتم لما سبق إذ عند هذه الحضرة ختم المكونات المتكونة إذ هي عالم الأرواح المجردة وهي عالم الملائكة الرابعة حضرة اللاهوت وهي حضرة ظهور أسماء الله تعالى وصفاته بأسرارها وأنوارها وفيوضها وتجلياتها فتولى ذلك ناصر الحق بالحق أي ناصر الاسم الحق بالوصف الحق أي قام لله بالله فانما قام الوجود بأسماء الله وصفاته وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى الخامسة حضرة الهاهوت وهي حضرة البطون الذاتي والعمى النفساني فاحتيج إلى الوصف الهادي إلى الصراط المستقيم والصراط هو التعقل لأحدية الذات فقط إذ لا مطمع في نيل معرفة تلك الحضرة إلا بالتعقل ولا يكون ذلك إلا بمحض التوفيق لتشوق قاطع الحضرات قبلها إلى أن ينال وصلها ولا يكون أبدا فاحتاج الى الهداية للقصد. وأما الصلوات الخمس فإن جزء الاسم الشريف باشتقاقه من مادة المحو والمد يشيران الى الجملتين من قول بعض الأعلام محا الله به الكفر ومد به الاسلام وذلك صريح في محو الظلام عند الصبح ومد الضياء بالجنح فدل على ركعتي الصبح جزآ الاسم اه بالحكم القائم مقام الوسم واثنينية الجزأين كاثنينية الركعتين كما أن ظهور فتح الفاتح تناول مكتوبة الظهر بالوصف العام لأنها أول صلاة ظهرت في الإسلام وعدد الأصول من الوصف كمثل أسلاك جواهر المكتوبة في الوصف وختم الخاتم للسادات الأطهار يفي باختتام العصر صلاة النهار والأصول كالأصول في تحرير الفصول وناصر الحق عند ظلم الشرك الحالك يؤذن بصلاة الشاهد عند تلاطم الأمواج على عمل العبد من مواخر الفلك فتجتمع عندها ملائكة الليل والنهار الحفظة الكاتبون كل لفظة فمن غلبت حسناته قام بنصر الله والا فقد باء بسخط من الله فالمناسب لظلمات سجال الحرب الأربع نصر الناصر ورابعة الركعات

الوتر الآخر وهداية الهادى فى جوف الليل يطلبها السارى على ظهور الخيل اذ بقوائمها الأربع بعد المساء تتقوى على قطع لحمة العشاء أربع قوائم على أربع دعائم . ومنها مجىء كلماتها فى الجملة على عشرين كلمة بعدد حروف البسملة ثم كون حروفها بوسطى رواياتها الأربع الواضحة على عدد حروف الفاتحة ومنها ورودها على ثلاثة وعشرين حرفا من أحرف الهجاء كعدد أحرف فاتحة الكتاب على السواء . ومنها أن قافاتها وميماتها بجعل المضعف من القافات حرفين وترك تضعيف الميمات بعدد الإحدى عشرة صفة التى فى كل موقف من مواقف المقامات يعنى الحميدة التى تنفى مثلها عددا من الصفات الذميمة . ومنها أن حاآتها بعدد حضرات القدس ودالاتها كالصلوات الخمس وباآتها بعدد منازل المقامات الأس ومداتها فى قصرى الروايات وبا آياتها فى وسطاها وتاآتها فى كلها بعدد الثلاث المقامات الى غير ذلك من الأسرار التى يقف عليها من لاحت له لوائحها وهبت عليه روائحها فالمقصود هنا أن يشم منها حال أهل السلوك وحال أهل الجذب وذكر المقامات الثلاث وما اشتملت عليه من الصفات الحميدة والذميمة والحضرات والصلوات فيستروح منها حينئذ أنها هى الصلاة الوسطى لأخذها قسطها من كل من المذكورات فتوسط بين الصلوات منحاها ودارت عليها فهى قطب رحاها وهذا ما أفصحت عنه العبارة وسمحت به الإشارة . فاذا تمهد هذا فاعلم أن المتوجه بهذه الصلاة واصل لا محالة لمراده وآخذ طريق رشاده ما ظفر بالتصديق بأسرارها وفضائلها وقطع بادراك نائلها وبيان ذلك أن تعلم ان المريد متى أعوزه وجود شيخ مرب وأيقن أنه لابد من العثور عليه وإلقاء الزمام بيديه لما شاهد من احتياجه اليه فى علل نفسه ولهج بعدده لهج الأعمى بالقائد ولجأ الى الله تعالى فى طلبه طلب الظمآن للماء البارد وتوجه بالصلاة على النبى ﷺ بأى صيغة كانت فى طلبه ظفر به لا محالة * والظفر به يكون بأحد وجهين أحدهما أن يكون المريد وجد الحال فى عهدة شيخ وكان ذاك الشيخ فى أستار الاستتار عن كشفه للمريد حقيقة نفسه لما علق بالمريد من القواصع عن الأمداد المانعة من الاستعداد بالأغراض الفاسدة والمقاصد الجايدة فواظب على الصلاة على النبى المختار آناء الليل وأطراف النهار وساقه لمعان بارق الصلاة عليه ﷺ بنسيم مواهب الصلاة إلى العثور على حقيقة ذلك الشيخ فيصح معتقد المريد فيه فيجعله الشيخ من خاصة حزبه فحينئذ يتوجه الشيخ لتصفية قلبه فيصفو قلبه بنفس ذكره الذى كان يستعمله المريد قبل فيكون كأن ذلك الذكر لم يطرق سمعه قبل ذلك وما ذلك إلا لتحققه بمقتضى ما هنالك وقد كانت أنسته العوائق مقتضى ذكر ربه فلبث ما لبث فى السجن مدد قلبه وأعمته العلائق عن رؤية حقيقة الشيخ وما خص به من الفتح المبين فانطوت عنه خصوصيته فى بشريته بحكم القوى المتين وقد تقدم لنا أنهم يجعلون مريدهم بحيث جعلهم فإن صحبهم محاورة صحبوه معاشرة وإن صحبهم محاضرة صحبوه مباشرة ويكيلون له بمكياله مكاثرة * قال فى الجواهر ناقلا عن شيخنا رضى الله عنه فالذى يجب على المريد قبل لقاء شيخ أن يلازم الذكر والصلاة على النبى ﷺ بشدة حضور القلب فى تأمل المعانى حسب الطاقة مع اعتقاد أنه جالس بين يديه ﷺ مع دوام الاعراض عن كل ما يقدر عليه من هوى النفس وأغراضها والسعى فى كل ما يحبه الى الله تعالى من نوافل الخيرات وهى مرفوعة فى الأوقات كوقت الضحى والرواتب وبعد النهوض من اليوم وليقلل من ذلك ويجعل اهتمامه بالذكر والصلاة على النبى ﷺ أكثر من النوافل فإن الذكر والصلاة على النبى ﷺ مفتاح أبواب الخير مع العزلة فى وقت الذكر وتقليل الغذاء والماء واستعمال شىء من الصيام والصمت إلى غير ذلك مما هو مسطور عند

أهل الطريق قال فان من داوم على هذا واهتم بالوصول الى الله تعالى اهتمام الظمآن بالماء أخذ الله بيده وجذبه اليه بشيخ كامل واصل أو بنبيه ﷺ يربيه أو يفتح باب الوصول ورفع الحجب بسبب ملازمته للصلاة على حبيبه فما لازمها أحد قط في طلب الوصول الى الله تعالى فخاب قط انتهى الوجه الثاني أن يكون المريد أيما خاليا عن عهدة شيخ وتوجه بالصلاة إلى العثور على وجوده كما ذكرنا آنفا ظفر بالشيخ لامحالة فظفر الأول بهظفر مشاهدة وظفر هذا ظفر مصاحبة فالمشاهدة من مبادى المعرفة إذ ليس بعد المشاهدة إلا المعرفة لاغير فشأن صاحب المشاهدة أن يشد على الشيخ يد الضنين وينافس في علقه الثمين لما رأى قبل العثور على معرفة حقيقة الشيخ من رهج القطيعة وقبح الفضيحة إذ كان بعده من الشيخ بعدا معنويا .

* أشد النوى مالا تقربه النجب والمصادفة من مواد الوصلة فمن بطىء السير ومن سريعه لكن الصلاة بالوجه المأثور تعطى المواصلة بمجرد العثور وإذا كانت الصلاة على النبى (صلعم) موصلة بأى صيغة إلى حد الانتفاع فما بالك بصلاة أتت على العنق من السير والإيضاع وحثت بطىء الخطو الى نهاية الإسراع

بقلبك فانظر كى ترى باهر السر … قد اكتنفته زهر ألفاظها الغر
وما نسبة الألفاظ فى جنب سرها … ولو وجهت الا الحباب من البحر
فمقدارها بين الصلاة بأسرها … كوسطى صلاة الفرض فى خمسها الزهر
فسر آمنا بين المقامات صادقا … بخمستها واطو المسافة بالشكر
وكن كغريق البحر حين تقطعت … وسائله أو مثل من ضل فى القفر
أو اعمى ينادى من لأعمى مدافع … أحاطت به الأعداء فى مسلك وعر
فتظفر بالوصل المظفر من الاسر … باسرع من لحظ على صهوة الفكر
لعمرك ما سير الجياد وركضها … بميدانها سير العيى من الحمر
فما لصلاة الفاتح الغلق مدرك … بجد ولا قيس لزيد ولا عمرو

وقد وقفت أرشدك الله على ماحثك على معرفة فضلها وأسرارها مما شمت به بارق أنوارها وقد علمت بديهة أنه لابد دون الوصل إلى الله تعالى من لدغ ابر النحل وأن الجمع على الشيخ جمع على الله وعلى رسوله والجمع على الله ورسوله لابد من قطع المواقف قبله كما وقفت عليه فى الطريقة الأولى ، فاذا بالتقرب إلى الله تعالى بهذه الصلاة الفريدة ومزيتها الوحيدة سير فى مقامات الدين الثلاث إذ المقامات كما علمت مشتملة على مواقف مغلقة الابواب ، أولها باب المتاب إلى آخر ما بعده من الأبواب فالغلق شامل لجميعها اشتمال باب واحد والفتح مطلوب فى كلها والكل قائم وقاعد والختم محتاج إليه فى كافة عوارضها المعادة وأن فى الختم معنى للزيادة وغلقا بين المريد وبين موانع جادة الافادة وأن فى النصر لعدة لما يكون من الاعداء المذهلة والآفات المعضلة من الآمال الخائبة واللوائح الكاذبة ولقد كان المريد للهداية عند تلاطم أمواج بحار حقائق الاسرار وللتوفيق لقطع مهامه تلك الاخطار والاهتداء إلى الحضرة وما لهام من الأنوار فى غاية الاحتياج والاضطرار فكان الاليق بالمريد أن يتعلق بهذه الصلاة من بين كافة صلوات نبيه الكريم إذ ما كل صلاة تفى بما تفى هى به فى ظلمة ذلك الليل الأليل البهيم ويسأل الإعانة من مولاه الفتاح العليم على أن يقدر نبيه حق قدره ومقداره العظيم ولينو عند استعمال هذه الصلاة بالوصف الفاتح فتح كل باب من أبواب المواقف وبالخاتم غلقا بينه وبين كل مانع من طيف عائق طائف وبناصر الحق النصر على كافة الأعداء حتى يصبح بهم ظاهرا

وبالهادى الهداية إلى سواء السبيل فى كل أمر كان فيه حائرا وأنه فى ساعته ألقى عصاه بساحة نبيه فى كل ما التجاه اذ هو الكفيل بذلك والمرجو لتحقيق ماهنالك وأن نختم وظيفته هنا بقوله اللهم بجاه الفاتح لما أغلق افتح لى من كل باب خير افتتحته على محمد رسول الله وبجاه الخاتم لما سبق اختم لى بخاتمة الناجين الراجين الذين قيل لهم قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله وبجاه ناصر الحق بالحق انصرنى على جميع الأعداء نصر الذى قيل له أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله وبجاه الهادى إلى صراطك المستقيم اهدنى صراط الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله

﴿ خاتمة فى تحصل الطريقة الأولى من هذا الباب أعنى الخامس من الأبواب وهو لباب الكتاب لمسيس الحاجة غالبا إلى التحصيل بعد البسط والتطويل مشيرا بالباء للشروط المشروطة ومنها بمع على الآداب المنوطة ﴾

* اعلم أصلح الله أحوالنا وأحوالك وختم بالصالحات أعمالنا وأعمالك ان حاصل مقام الاسلام التوبة والاستقامة والتقوى وأن التوبة والاستقامة مقدمتان للتقوى وهى نتيجتها فالتوبة هنا هى الرجوع من كفران النعم بالمخالفات لشكرها بالطاعات من فعل واجب وترك محرم ورد مظلمة شكرا لان شرع له مايتقرب به لحضرة ربه وهو لاغنى له عنها باقلاع وبندم وبعزم على عدم العودة وبقصد معاملة الحى القيوم مع ترك الأصحاب الذين ألفهم على التقصير ومع مواصلة أهل الخير ومع اجتناب مواضع اللهو ومع عدم ذكره شيئا من لذاته التى خلت على وجه الالتذاذ وهى فى مقام الإيمان من الغفلة إلى استصحاب الذكر وفى مقام الإحسان من الأوهام إلى الحقائق وأن توحيدها هنا التقليدى وأن الصلاة فيها على النبى صلعم خالية من الأوصاف وأن مقاصدها المعاهدة على ترك المخالفة على يد القدوة وأن ذكرها الاستغفار وأن ثمرتها الخوف أو الشوق وأن نتيجتها توجع الباطن لفوات الخير والمحاسبة على فواته والاشفاق والحذر من الوقوع فى موجب الهلاك والهرب منه فعلا والرجوع إلى صلاح الحال والمبادرة إلى الخلاص والمحافظة على ذلك والرفق بأهل الإسلام وعقد التوبة بروابط الانابة والوفاء بما عاهد عليه من ترك المخالفة ٥ والفرق بين الاشفاق والحذر ان الاشفاق لايفارقه الترحم ٥ وحاصل هذه النتائج التشمير لاستدراك مافات من الخير فلا قسوة ولا انهماك فى الشهوات ولا اخلاد إلى التضييع ولا استرسال يؤدى إلى الوبال ولا تثبيط مع الشهوات بالتلبس بالمحرمات ولا تفريط فى الواجبات ولا إعراض عن إجابة داعى الحق ولا بطالة فى الأعمال ولا طوارق للعدوان ولا تردد باوهام الهوى ولا ميل إلى الشهوات وان علامتها توقع الغبن يوم التغابن لما فاته من الغنيمة فيورثه الفرار فيما يأتى من موجب العودة إلى انفصام تلك العروة والانتهاض لاداء كافة الحقوق من غير توان والفرق من الموت قبل الفيئة والمواظبة على مايديم ذلك من الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة مصدقا بالوعد والوعيد حتى يكون كأنه هو المقصود بذلك كله فيرى التقصير والتضييع ملازمين له، وأن الاستقامة على قسمين استقامة خاصة واستقامة عامة فالخاصة استقامة السير فى نهج المشاهدة من غير التفات لغير الله تعالى والعامة اعتدال السير على نهج السنة وهى المقصودة هنا فهى حافظة من الزيغ هادية إلى الصراط المستقيم ولا مطمع فى الترقى إلى منازل التخصيص إلا بها ومن حرمها ضاع عمره وخاب سعيه فاستقامة الظاهر تحلية الجوارح بحلية السنة وتعديلها بقانون الشرع وتهذيبها بآدابه وطهارتها من جميع المخالفات واستقامة الباطن تحليته

باخلاق الشريعة وتهذيبه بآداب السنة فاستقامة الباطن أصل فى استقامة الظاهر لان الباطن هو المنفق على الظاهر والظاهر خديمه وهى تكون بمواصلة أهل السنة ومجانبة أهل البدعة وبتعلم العلم النافع الهادى إلى وظائف الشرع والداعى إلى أحكام السنة وبتسليم النظر للشارع صلعم فى جميع ماصدر عنه من قول أوفعل بحسن ظن وصدق طوية وأنشراح صدره من غير تأويل صادعن السبيل وباستعمال آثار السنة من قول أوفعل أومقصد باعتدال من غير تعمق ولا ميل مع أوهام الوسواس لاخراج ذلك العبادة عن مقصدها الشرعى وببناء كل حركة أوسكنة له من أمور السنة على قاعد قصد القربة وحسن المعاملة لله تعالى إذ لا أثر لها فى تنوير الباطن ان خلت عن ذلك المقصد مع متابعة النبى صلعم فى كل ما يرجع إلى العبادة والعادة من أقواله صلعم وأفعاله وحركاته وسكناته ولا يتساهل فى ذلك اذلم يصدر عنه صلعم فعل لا عبودية فيه قطعا ومع الاخذ بالاعم فالاعم من أقواله وأفعاله ومع قصد تعديل الحركات والسكنات بالمتابعة ومع بناء أمره فى المتابعة على أن يضبط نفسه بضابط شرعى ومع دفع الخواطر العارضة عند التلبس بالاتباع بان يمضى على قصده ويلغى جميع الأوهام وأن توحيدها النظرى الناشىء عن الاستدلال وأن مقصدها المتابعة على يد قدوتك وأن ذكرها الصلاة على النبى صلعم وأن ثمرتها انطباع صورته الكريمة فى النفس انطباعا تاما وأن نتيجتها ايثار محبته ﷺ عزما ومحبته الامة وحسن الظن بالله تعالى فى التعلق باذيال الشفيع والحرص على السعى على سبيل السنة بصدق توجه ورعاية الاعمال من شوائب الاخلال وتعظم حرمة الامر والنهى واساءة الظن بالنفس فى الخروج عن السكره والحظر والصبر على حمل اذاية الخلق وصيانة النفس من هفوات اللسان والتواضع فى غير مهانة والشفقة على الأمة وحاصل هاته النتايج التحقق بالرجاء فى الانحياز إلى اتباع مرادات النبى ﷺ ظاهرا وباطنا فلا عدول عن العدل فى اتباعه ولا حقد على أحد ولا بأس من رحمة الله من غير ميل الى أمن من مكر ولا كسل عن نفل ولا مقاربة لسبيل بدعة ولا تجاسر باستسهال مكروه ولا قرب لما لا يعنى ولا اساءة ظن بمسلم ولا تشتيت لقوعد الكلام ولا تكبر ولا تضييع حق وان علامتها تطهير الظاهر مع ما أمكن من الباطن بالمواظبة على أفعال السنن والحرص على التخلق بأخلاق الشرع حتى يرى الصدود عنه نقصا وعلى استعمال الادب مع الجناب النبوى وعلى متابعته ﷺ وموافقته فيما قل أوجل واستحسان مالوفات شرعه فى العادات والعبادات وأن هذا المقام مقام أحكام الالفاظ ومواطأة السمع للسان قبل تلمح المعانى بالجنان وأن التقوى هى التحرز من مواقعات المخالفات بالاعراض عن جميع المخالفات رأسا بالباطن وبالصدود عن جميع أسبابها من مواضع الفتن ومراتع الشهوات وبمواصلة الطاعات فهي المجن الواقى من الخذلان وباخاض القصد فى التقوى لله تعالى فلا تأثير لما كان منها لغير الله تعالى مع التحفظ من الشبهات وهى الوسائط المشكلة بين طرفى الحلال والحرام ومع التوقى من فضول الحلال ومع سلوك الاعتدال فى سبيل التقوى من غير إفراط ولا تفريط ومع التستر بذلك وسع الامكان ليسلم من الرياء وجدال العامة له وأن توحيد اليقين الذى لا تردد معه أعنى الذى ينيل ذوق مبادى أسرار التوحيد ليخرج عن معرة التقليد وليرقى عن شعب النظر والاستدلال وذلك حين يجنى من معنى التهليل ثمرة يستطعم منها وحدانية الذات والصفات والافعال فيسكن باطنه لافراد الموحد بتحقيق وحدانيه بنفى الاضداد والاشباه والانداد بلا تمثيل ولا تصور فلا يزال مشيرا بذكر التهليل إلى اثبات الوحدانية له وسلبها عن غيره حتى يرسخ معنى ذلك فى نفسه فحينئذ تتقعد له قاعدة تقوم عليها أركان توحيد الصفات

وتوحيد الذات فمقصد توحيد الافعال فى التلقين اعلم علم يقين أنه لا إله إلا الله وفى توحيد الصفات اعلم عين يقين وفى توحيد الذات اعلم حق يقين فلكل مرتبة من مراتب التوحيد الثلاث موقفان كما ستقف عليه وأول مواقفها الاخلاص وآخرها المعرفة وأن مقصدها القيام بمعاملة الله تعالى بطاعته توقيا من واردات العقوبات على يد قدوتك ونبيك وان ذكرها التهليل ليتحرك الباطن الى المعرفة بالله تعالى بما تضمنه مقصده من دواعى الارادة واقتضاه من أسباب القرب وهو باب تلج عليه النفس الى بحبوحة مختلفات ثمرات التوحيد فتطالع الاسرار الربانية وتشرف على الألطاف القدسية بل التهليل هو ذكر كل موقف بعد هذا الموقف مع أنه لا بد من غيره ولو كان تابعا فالتهليل يختص بمراتب التوحيد وبالصلاة عليه تستثمر ثمرتها وبالاستغفار تحصل تنقية مكان مستودع الثمرات وقد تقدم لنا أن التثمير بذكر الهيللة وهنا قلنا ان الصلاة على النبى ﷺ تستثمر الثمرة كما رأيت وذلك جرى منا وتنبيه على أن الصلاة عليه ﷺ مدار هذه الطريقة اذ الحقيقتان حقيقة واحدة فلا معارضة فكما كان يستحضر فى موقف التوبة فى الهيللة لا يغفر الذنوب إلا الله وفى الاستقامة لا موفق إلا الله فكذلك يستحضر هنا عند ذكر الهيللة لا واقى من واردات العقوبة إلا الله وفى الاخلاص لا فاعل إلا الله وفى الصدق لا منزه إلا الله وفى الطمأنينة لا مثبت إلا الله وفى المراقبة لا مطلع على الاسرار إلا الله وفى المشاهدة لا حاضر إلا الله وفى المعرفة لا موجود إلا الله وأما فى حال الاستثمار بالصلاة على النبى (صلعم) فيستحضر لا مرسل لهذه الواسطة إلا الله ويعم بذلك جميع المواقف إذ لا تنوع بالهيللة في موقف ما من هذه الطريقة وإنما التنوع بأوصاف الواسطة المرسل فبقدر معرفة الواسطة تكون معرفة المرسل ومهما اشرأبت النفس لمعرفة المرسل بالكسر لمحت حجابية الواسطة (صلعم) فصرفت الهمة لمعرفته فغرقت فى بحارها ولهجت بأوصافها وبحسب معرفة أوصافها تكون معرفة صفات مرسله إذ لا صفة كونية إلا ولها مستند إلى صفة الهية وإلا فمن يمسك عليها وجودها وان ثمرتها التعلق بعبادة الله تعالى والميل إلى طاعته بقوة وعزم وشدة رغبة وان نتيجتها إجابة داعى الحق حيث كان من غير خروج عن سبيل العلم ولا عدول عن السنة فلا يوجد وارد غفلة بالركون إلى الشهوات وقيام الظاهر مع تعلق الباطن بالطاعات مع استحلاء الذكر فلا يوجد موت العزيمة والصبر العام فلا يجزع والورع فلا يطمع وسكون النفس لواردات الحق تلذذا بالامر واستئناسا للحكم فلا يقسو قلبه والرغبة الباعثة على طلب الحرية فلا يخلد إلى وهن الترخص والاقتصار على الضرورى فلا يترفه والادب فى طريق العبادة مع الملك المعبود بالتزام العدل فلا يتقلب بين أهداف الهوى والانقياد فلا يعارض المنقول بالمعقول والتهذيب بلزوم الحق فلا يأبى عن مساق وظائف العبادة والعزم على بذل النفس فى رضا الله تعالى فلا يجيب داعى الهوى * وحاصل هذه النتائج تحريك الباطن إلى المعرفة بالله تعالى ارادة وعزما وان علامتها إيثار الآخرة على الدنيا فيورثه التشمير عن ساعد الجد واستحقار الاعمال فى جنب عظم الامر وتصاعد الانفاس وضيق العطن عند ذكر الله لضعفه عن حمل أعباء ما يراد والله الموفق للمراد * وحاصل مقام الايمان الاخلاص والصدق والطمأنينة وهو مقام المعانى إذ الايمان قلبى ولا تسامح فيه فى ترك تلمح المعانى بتدبر إذ المراد من الذكر انطباع معناه حتى تتصف النفس بمقتضاه فالاخلاص والصدق مقدمتان للطمأنينة وهى نتيجتهما وهو أى الاخلاص تصحيح الوجهة إلى الله تعالى فى جميع الحركات والسكنات جريا على سبيل العبودية ويضاده الاشراك فالشرك أخفى من دبيب النمل فالجلى بالجلى مقابلة والخفى بالخفى منازلة وهو يكون باتحاد معنى العبادة فى القلب

مجردة عن واردات الخواطر المنافية للاخلاص وبغية القلب فى أعمال الطاعات عن الالتفات لغير الله تعالى والاعراض عن الاغراض الصارفة عن الاخلاص حتى لا تمتزج الطاعات بما يغايرها من المباحات وبالصبر على تجرع مرارة ماينافى الطباع وينافر الهوى من أمور الاخلاص وبعدم المبالات بغير الله تعالى تعويلا على أنه المولى الذى يجب ان يكون له الدين الخالص مع الجزع من سلب الاخلاص بسابقة الاهمال ومع اتهام النفس فيما تدعيه من توفية حق الاخلاص ومع اللجإ إلى الله تعالى بالضراعة والفزع إلى الدعاء ومع مطالبة النفس بالاخلاص فى المباحات والعادات وان المختص به من مراتب التوحيد بداية توحيد الافعال أى اثبات أفعال الله تعالى بنفى أفعال غيره فلا فاعل إلا هو وان ترى أفعال الخلق ليس لهم منها إلا ما للالة المصرفة حتى يرسخ المعنى فى القلب ويثبت فيه فيتحلى بموجبه تحلية لا ينفك عنها فتجد صاحبه لا يتأثر بشيء من افعال من سواه ولا يكترث به مع قيام ظاهره فى ذلك بما يقتضيه من الوظائف الشرعية واقامة باطنه على مقتضى ذكره من نفى واثبات ولا يكون ذائقا إلا بذلك وأما مجرد العلم فلا أثر له فى هذا المعنى وأن تجزئة التوحيد إلى المراتب التوحدية أى إلى توحيد الافعال وتوحيد الصفات وتوحيدا الذات إشارة إلى أن بعض هذه المراتب يسبق بعضها بعضا فى ورود معارف ذلك على السالك أعنى المعارف الذوقية إذ الايمان لا يتجزأ إذ لا يقوم إلا بعلم اليقين الذى لا شك فيه ان الله واحد فى افعاله وصفاته وفى ذاته ومعارف كل من المراتب ليس كمعارف غيره إلا أن بعضها يوصل إلى بعض وان مقصده اتحاد الوجهة له تعالى على يد قدوتك ونبيك وأن ذكره المناسب له التهليل وأما الصلاة على النبى ﷺ فيه فللاهتداء إلى حقائق المعتقدات كما أنها قبل للاهتداء إلى أعمال الطاعات والمختص بهذا المقام من صلوات لازم الطريقة روح الصلوات وسطى صلواته الثلاث وأما الاستغفار فيه فمن الغفلة إلى استصحاب الذكر ومن عدم القيام بوظيفة الشكر كما قدمنا وأن ثمرة التهليل فى هذا الموقف سكون الباطن إلى جريان الأحكام الإلهية الواصلة إليه بسبب أو بغيره وأنها لا تفارقها الحكمة البالغة فقد ربط الله عز وجل جميع الكائنات بعضها ببعض ورتب بعضها على بعض ولكن النفس لا يكاد يفارقها سوء الظن فلذلك تلونت واضطربت لورود ما يخالف مألوفها ولو اتصفت من عللها الحاجبة لها عن رؤية الحقائق لارتفع عنها الإشكال لكن المطالب به فى هذا الموقف حصول يقين جلى بحسن أفعال الله تعالى جميل عوائده حتى لا يبقى عنده اعتراض * وموقف الصدق يأتى بذهاب ما بقى من البقايا الوهمية فمن رزق طعم مذاق التوحيد استراح من شره الطباع فصاحب الذوق كلما ورد عليه وارد مؤثر حرك فى نفسه دواعى التهليل بما اقتضاه ذكر التهليل فاتصفت النفس بمقتضاه فيرجع الطبع خاسئا مذعنا لمعنى التوحيد ولم يبق عنده من الشره ما يحمله على خرق حجاب الأدب بتسخط أو اعتراض بوجه قائما على إقامة الشرع من إقامة الحدود وإنفاذ الأدب والحب فى الله وشكر المحسن فتجده قائما بأمر الله فى ذلك كله مع سكون باطنه إلى حقيقة التوحيد جامعا بين الحقيقة والشريعة فوظيفة الذائق مبادىء توحيد الأفعال رؤيتها كلها حركة كانت أو سكونا صادرة عن الله تعالى نافذة بقدرته وإرادته لا معقب لحكمه ولا غالب لقدرته وأن نتيجتهما الزهد خلو القلب من الثقة بزائل تنزها عن اشتغال بمضمون قد يتعلق بزائل والتوكل ثقة القلب بالوكيل تصديقا بوعده وتعويلا على مسبب الأسباب فلا يقدح تلبس الظاهر بالأسباب إذا فرغ القلب حال وجودها وعدمها فلا يركن إلى الخلق ذهولا عن الحق وتعظيم الله تعالى بدوام ذكره والتزام أمره ونهيه والإمساك عن الشكوى إلى غيره فلا يتسخط بمقدور نافى الطباع جرت به الأحكام وغنى القلب بالسلامة

من فتن الأسباب والإذعان فلا يعترض على أحكام الخالق بتعليلات فارغة وشرك خفي لو كان كذا لكان
كذا ونفض اليد من الدنيا ضبطا وطلبا والسكوت عنه مدحا وذما فلا يميل إلى الاكثار بالتأويل وإيثار الخلق
على نفسه فيما لا يذمه الشرع فلا يشح ولا يقاشح والتجافي عن مطالبة الخلق مع الاحسان اليهم وتصفية
الباطن لهم فلا يحقد ولا يعاتب والشكر وهذا مراد القلب بالثناء على المنعم الواحد بتلمح النعم في طي النقم
تبصرا بحكمة الأحكام وأسرار نظم الوجود فلا يتناول عن تلمح حكمته الأحكام ولا يتعام عن استبصار
أسرار نظم الوجود بلا مطعن فيه للعقل العبودية تكاليف الباطن بأحكام ما وقف عليه القلب بعين اليقين
من حقائق التوحيد فتنتفي عنه عوارض الشكوك وطوارق الأوهام والخلق الصادر عن ذوق وتحقيق بأن
جميع تصاريف الخلق على اختلافها اقتضتها حكمة نظم هذا الوجود فلا حركة ولا سكون إلا بالقدرة القديمة
والارادة الأزلية فينتفي عن القلب وهن الشك وشعب الإشراك واستطعام تصديق القلب بالغيوب سكونا
إلى الأحكام فلا يتعلق بالأماني ولا يرسل الفكر في الآمال ٥ وحاصل هذه النتائج استطعام الحكمة البالغة
في سائر الأكوان المتكونة وأن علامتها استواء المدح والذم من العامة بلا حقد من غير كلفة مجازيا الاساءة
بالاحسان ناسيا الجزاء على العمل تعلقا بمن يصعد اليه العمل والتجرد عن الالتفات لاستحلائه تعظيم الخلق
وإطلاق الثناء فلا يبقى في القلب تعلق بغير الله تعالى وقد ينتهي الاخلاص إلى حد نسيان العمل استغراقا
في الوجهة إلى الله تعالى وأن الصدق عبارة عن صفاء معاملة الله عز وجل من امتزاج الخواطر الجلية والخفية
وأنه هو أول صفقة يعقدها السالك مع الله عز وجل في بيعه منه فالاخلاص يختص برسوخ قواعد توحيد الأفعال
في النفس والصدق يختص بتصفية مشرب ذلك التوحيد من كدرات الأوهام بطرح العلائق القادحة
في سبيل الصدق خروجا عن الشواغل القاطعة عن الوفاء بالخلاص في تصفية مشرب التوحيد من غير
ترخص ولا تأويل وباسقاط حظوظ النفس في الوجهة إليه تعالى باخماد نار الأهوية من غير كسر لميزان الشرع
ولا اصغاء لحديث النفس وبتصحيح العزم باخلاص القصد في المعاملة وسداد السعي بموافقة القلب حتى
يجتمع القصد والسعي على منهج مقتضى التوحيد ويتوارد الظاهر والباطن على سواء السبيل وهي حالة
من أحوال العدل أرق من الشعرة وأحد من السيف وبملازمة الكتمان غيرة على اسرار الرحمن مع حفظ
الوقت من الخواطر وتعلق القلب بعالم السرائر ومع تلمح الحكم من مختلفات الوجود ومع اتهام النفس مع
وفائها في توفية حقوق الخلق ومع ترك الاجتهاد بالتأويل حفظا لرسوم القوم من التغيير والتبديل وان توحيده
نهاية توحيد الأفعال وهي تصفية مشربه من كدرات الاوهام كما قدمنا آنفا وان التصفية أيضا على
يد القدوة هي مقصده وان ذكره المستعمل عندهم ألفاظ التسبيح وهو أي التسبيح حاصل عندنا باستشعار
ما تضمنته أذكار لازم الطريقة الثلاثة من التنزيه حتى يقوم ذلك مقام لفظ التنزيه إذ التنزيه نفي النقص
باستحالة ما يستحيل والاستغفار كفيل بذلك وبجواز ما يجوز والصلاة عليه ﷺ تأتي به فربك يخلق
ما يشاء ويختار وقد اختار هذا الرسول واصطفاه من غير عمل صدر منه وبوجوب ما يجب في حقه تعالى والهيللة
وافية بما هنالك بل تكفي وحدها لولا طلب التنصيص على لفظ التنزيه الصريح والتحضيض على إفراد
معناه ولكن باستشعار ما ذكرناه يقوى التأثير حتى يقوم مقام تأثير لفظ التنزيه صريحا إذ لا تغيير للازم
الطريقة الا بتنوع التصلية كما علمت وأن ثمرة القصد رؤية جميع الواردات والكائنات جمالا وكما لا ينفي
التلون والخروج عن الاضطراب سكونا إلى الواحد الصمد ولا فرق عنده بين حالة الحياة وحالة الموت لتمسكه

بطرف من الحياة الدائمة ولو لاطلب كمال التصفية لاختار الموت وان نتيجتها التفويض وهو يكون قبل وقوع السبب وبعده بخلاف التوكل فعند وقوعه لايتأثر لآثار الحوادث والثقة ثلج اليقين بمادارت عليه الأحكام وثبت فى أم الكتاب من جريان الأقدار فى الوجود فلايتلجلج الفكر بماجرت به الأقدار والتسليم نزوع القلب من شغب التدبير فيماغابت عاقبته خلف استار الغيوب فلا يميل إلى تحكم الهوى على مالمله يموت فلا يحصل أو يحصل فلايفوت * والرضا سكون القلب لجريان الأقدار فلا ينفعل إلى ماخالف الطباع أو وافقها واليقين توطن القلب على كل مضمون وموعود من قبل الحق وهدوء من الخفقان عند جريان الأحكام فتنحسم مصادر الشكوك فيمن ضمن وموارد العتاب على مالم يخلق والقصد والعزم على التجرد عن القواطع فلاينتبط مع العادة والفهم نور يضعه الله تعالى فى قلوب الصادقين يطلعون به على أسرار وحكم فينفى عن النفس كثافة الاستبصار المتولد عن توارد الخواطر وحسن الظن ولايصح مع الغفلة فينفى تردد الافكار فى مراعاة الحظوظ والحكمة وهى صادرة عن استقامة عمود الفهم بفتح أبواب المعانى فينفى الجمود على الظاهرية المحضة والاستبصار العثور على حقيقه العدل فى التصاريف الإلهية فينفى العمارية عن تلمح أسرار الوجود والتعظيم لله بتسليم الحكم له من غير عوض فينفى الركون إلى الحظوظ طلبا للاغراض، وحاصل هذه النتائج استقامة الفهم عن الله فى التدانى وان علامتها استواء السر والعلانية مع القيام بالعدل فى كليهما فى الحركات والسكنات والهيبة والتنزه عن الموجودات والمعدومات ثقة بالموجود المعدم والسلوة عن الحق والرجاء واليأس وقوة العزم على القيام بحقوقه تعالى بطرح حقوق النفس مع اتهامها واستحلاء جميع الواردات باتساع الباطن ولزوم الكتم عن جميع المخلوقات وحب الوحدة وغلبة الذكر على القلب حتى لا يلهيه عن ذلك سمع المسموعات ولا سائر صنوف الحركات والسكنات وان الطمأنينة هى أول منزل من منازل المراد وان فيها تهب روائح توحيد الصفات وفى أول موقف من مواقف مقام الاحسان يكمل ولا تدخل المشاهدة إلا بتوحيد الذات فطمأنينة القلب بذكر الله وطمأنينة الجوارح بحفظ حدود الله وطمأنينة الروح بمعرفة الله فالطمأنينة هى غاية كل مقام من مقامات الدين وان سعى صاحب هذه جار على مهيع الذكر راجعة إليه مقاصد تصرفاته وأنها سكون القلب إلى ثلج اليقين يشبه العيان عارية عن الاضطراب بنفى جميع الهموم عن القلب حتى يصير همه واحدا للواحد القيوم والهم أعظمه الاستغراق وأقله خطرة واحدة ويغسل القلب من تبعات الاوهام وطهارته من آثار الهوى وبنبذ هواجس الآراء تعويلا على الحق واتهاما لنفسه وبمراعاة الرسوم الشرعية قياما بالوظائف الدينية وتحكيم أحكامها فى الباطن والظاهر لانه مبدأ مطالع أسرار الحقائق وعرضة لذهول القلب عن التلبس بأمور الشرع ولا يجمع بين الحقيقة والشريعة إلا موفق بتأييد الله تعالى مع الحرص على العمل الظاهر والباطن بالتزام الادب ومع مباحثة الانفاس فى التصفية خشية الفضيحة عند ورود سلطان المراقبة ومع عدم الاكتراث بالطمأنينة عن حركة الانتهاض إلى مبادىء المراقبة والسعى إلى مراقيها ومع خمود نار الفكر بورود نور معنى الذكر من غير ان يبلغ به مبلغ الشكر وأن [illegible] بداية توحيد الصفات وأن مقصدها لتلقى لما يلقى الشيخ المربى واستحضار المريد له بحيث لايغيب عن فكره فى حالة من الاحوال ولا فى قول من الاقوال فمن هذا الموقف لايسامح المريد فى غيبة فكره عنه ساعة ما فقد اشتدت اليه الحاجة وأن ذكرها مازيد على لازم الطريقة بكيفيته المتقدمة من الوظيفة المشتملة على ماينجى من الصدمات والغمرات فى تلك الحضرات ولو كان الاسم المفرد هو الخاص به وما بعده من المواقف عندهم فيشمر مريد

هذه الطريقة عن ساعد الجد فى شأن الصلاة على النبى ﷺ وفى شأن الاستغفار المعد لهذا الموقف ولما بعده لما فيه من أسماء الذات وأسماء الصفات التى يطلبها الوجود حتى يحصل الجمع بعد الفرقة فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة متشبثا باذيال الشفيع متعلقا بباء الاستعانة بعد مجاوزة لام المعاملة وان ثمرتها استغراق القلب فى الانتظار لانجاز الوعد بالكشف عما تضمنه معنى الباء من الحقائق مع الرجوع لعالم الحس متى استشعر هلاك النفس من واردات الحقائق المتلفة للنفس والحس وأن نتيجتها صحة الانقطاع إلى الله والخروج عن تعلق القلب بغيره بتلج اليقين الصادر عن التوحيد فينفى تلمح بروق الاوهام والوجد المؤجج نارا فى القلب ليوقظ الروح ليحمل عنه ماعرض له لان العارض من عالم الروح فتجد الروح تجذبه مبادى أسراره إلى العالم الاحسانية والمشاهد التحقيقية فيظفر من أنوارها بقبس ويتحلى من أسرارها بنفس فينفى عن النفس سنة السلوان ويوقظها من رقدة مقتضى الجثمان ومايعرض قبل هذا مما يشبهه فهو تواجد ومايعرض بعده مما يضارعه فهو وجود البرق وهو باكورة طرب أهل التحقيق يلمع فيعثر بالورود على مبادى نفحة حضرة التخصيص ويحرك دواعى الطرب فينفى عن النفس خبث العادة وقذر الهوى والانس وهو الكشف عن حقيقة مبادى توحيد الصفات فيقل معه الاضطراب ويثقل حمله على القلب فينفى الانقباض مما يخالف الهوى والسكينة وليست بسكينة المعرفة التى فوق الاشارة وهذه تفصح عنها العبارة فينفى سراب الخطرات القادحة فى المراقبة والهمة وهى عبارة عن غلبة الانبعاث إلى حصول الأمل ترقى بصاحبها عن طلب الاعواض واعتبار الدرجات فتنفى الرضا بالادنى دون الاعلى والفراسة من ثمرات غرس الايمان ومن إخوان الالهام والعلم الخفى الثابت فى قلوب أهل الطهارة المؤذن بأوائل عين اليقين فتنفى الغموض عن تلمح الاسرار والعجز عن الاكتيال بمكيال أهل الوفاء والعلم ونعنى به هنا العلم الخفى الثابت فى قلوب أهل الطهارة والرياضة المعرب عن مبادى حقائق توحيد النعوت فينفى الجهالة بوارد الحكم والتعامى عن بوارق أسرار التوحيد والصفات بسقوط التلوين أى صفاء الحال التى تبدو بها شواهد التحقيق وتنسى على الجسم فتنفى التنبط مع كدورات الوهم والالتفات إلى الرسم والنفس بفتح الفاء وهو باب يشرف منه السالك على ساحة المراقبة التى هى بداية مقام الاحسان فينفى غمة الكمد والذكر ونعنى به اتصال حقيقة الذكر فى القلب مع الانفاس مخلصا من وهن الغفلة لعز الحضور فينفى دخان ظلم الغفلة وزكام هوى الاضطراب * وحاصل هذه النتائج دوام الحضور مع الحق وان علامتها دوام ذكر القلب بحيث لايفتر من غير كلفة ولا مؤنة وتيسير المطالب وقبول الدعوات وقضاء الحاجة واستراحة قلبه بذكر الله * وحاصل مقام الاحسان المراقبة والمشاهدة والمعرفة وأن أوليهما مقدمتان للثالثة وهى نتيجتهما وأن المراقبة هنا مايصدر عن علم صادر عن تصديق ثابت يعنى الصادر عن كشف وذوق باطلاع لانها مراقبة مطالع شمس المشاهدة فى أفق التوحيد بالقيام بجميع حقوق الله سرا وعلنا خالصا من الاوهام صادقا فى الاحوال سالما عن الدعوي وباسترسال الروح فى تلمح عالمه اعراضا عما سوى الله تعالى وباقامة رسوم الشريعة أحسن إقامة وبالتجافى عن الاشارات الواردة عليه فى مراقبته والاعراض عن تلمح لائح أو طالع مع قوة المباحثة فى تصفية الروح بشدة عزم ومع الاعراض عن عالم الحس بالمعنى ومع الكتم لما يظهر ويلوح من مبادى الاسرار وتنزه الروح عن الالتفات لشىء كتمه ومع ملازمة الانكسار والخضوع بحفظ الادب وان توحيدها نهاية توحيد الصفات وان مقصدها وذكرها كالطمأنينة وان ثمرتها الذهول عن جميع الاكوان

لاستغراق الروح فى غيبة الجلال بمطالعة مبادى الادناء وان نتيجتها ولوع بمأمول وهو التجلى الذى مادونه سحاب هوى ولا طبع ولا بعده انتظار فيسلو عن الطبع والشوق وهو هبوب الريح إلى غائب أو ما فى معناه فلا يقنع بالدون حياطة على الطباع من تأثرها والقلق وهو الفرق من الاياس وضيق الصدر لتوقع الخيبة فلا يقنع بالاطلال والهيمان وهو ذهاب الروح عن التماسك بالالف حيرة فلا يتمسك بعض المقاومات الواردات والذوق وهو استطعام مبادى الاتصال فى بستان الجمع على موائد القرب فلا يتلمح بوادى الانوار واللحظ وهو تلمح مستغرق على خجل بملاحظة نور الكشف فلا يذهل بمقتضى الجسم عن أسباب الرقى والوقت وهو هنا مايقتضى المراقب من أنوار جمال الحضرة أوقاتا فيرقى عن الاستمرار على رأى الرسوم والفناء وهو المحو عن الحس بسبب إشارات المكاشفة فلا يتلمح سراب المألوفات والتمكن وهو صحة الانقطاع إلى الله تعالى بصفاء مشرب التوحيد فلا يتخبط فى بحار [illegible]يرة والتجريد عن مقتضى أثر الاوهام طرحا لتلمح الشواهد فلا يتلبس بثياب التفرقة * والخلاص وهو الانتفاض من قيود الاهوية وإغلاق الاوهام فيرقى عن غبش الجثمان وظلام الهوى * وحاصل هذه النتائج الاستغراق فى الخلق عن الخلق وأن علامتها مواطأة الروح على معنى ذكر الافراد بمايقتضيه مقصده والفهم للاشارة والوقوف بالادب عندها والعمل بمقتضاها وإيثار ما آثر الله وتعظيم ماعظم وتصغير ماصغر والذهول عن الخلق استغراق فى الخالق وان المشاهدة عبارة عن مشاهدة من غير ريبة ولا تهمة ولا بقية باطلاع الروح على كافة الموجودات بنظرة واحدة فيراها كالجزء الذى لايقبل القسمة ولا الحركة ثم يغيب عنها فى الوجد لها مع بقائها على عظمها وكثرتها والاتصاف الاستهتار بسر التوحيد وبحفظ الرسوم الشرعية محفوظة عليه فى حال استغراقه أو صحوه وبرفع أوصاف العادة ومحوها من جميع مايقدح فى المواصلات مع الحياة بالحق من الحق ومع الثبوت عند أول الواردات ومع الرجوع إلى الشاهد كلما ضعف الروح عن حمل مؤنة واردات المشاهدة ومع عثور الروح على حقيقة نفسه ولا تصح المشاهدة لمن بقى عليه عريق قائم يعنى نهاية التصفية وهى تكون بمحض المحو والفناء التام حتى يفنى عن نفسه وعن شعوره بفنائه وهذا المحو لاتسبب لصاحب هذا الموقف فيه ولا إرادة بخلاف ما يكون من المحو فى غيره من المواقف وأن توحيد بداية توحيد الذات وأن مقصده وذكره كما قدمناه في الطمأنينة نعم حقيقة مقصد هذه الطريقة العثور على معرفة بعض أسرار الحقيقة المحمدية من مراتب بطونها الأربع ولا مطمع فى خامستها كما تقدم فالحقيقة المحمدية هى عين جميع المعارف الربانية فلم تشذ عنها شاذة منها وصورتها البشرية هى باب تلك الحقيقة فكما لاتؤخذ أحكام الله إلا من أفعال تلك الصورة البشرية وأقوالها كما قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا كذلك لاتوجد المعارف إلا من تلك الحقيقة وأحوالها فباتباع الصورة يحصل الاقتداء فى أحكام الله الأزلية وبمعرفة بعض الحقيقة يحصل الاهتداء إلى معرفة الله القدسية قال تعالى وإن تطيعوه تهتدوا وقال بعضهم العالم يقتدى به والعارف يهتدى به فدلالة هذه الحقيقة على المعرفة كدلالة حدوث العالم على وجوده تعالى سواء بسواء إذهى [illegible]عالم كله فالذى يفيد حدوث العالم من معرفة وجود العالم سبحانه هو الذى يفيده العثور على هذه الحقيقة من المعرفة بمعانى أسماء الله وصفاته من غير تفريق بين الذات والصفات وهذا هو أخص مقتضى المعرفة وإن كان لها عموم يصح به أن تطلق على العالم من حيث ماهو وأيضا فانك بعثور روحك على حقيقة نفسك تمكين معرفتك لخبر من عرف نفسه فقد عرف ربه فبقدر مايفوتك من معرفة نفسك يفوتك من معرفة ربك وأنت جزء من هذه الحقيقة

كما علمت نعم الوسيلة غير القصد وهو غيرها لكن لما كان المقصد لا سبيل إلى معرفة ذاته والمطلوب معرفة
مرتبته لا ذاته إذ لا نسبة بينهما وبين المتوسل صح أن يستودع المقصد المعنى المراد منه أقرب وسيلة اليه بالضدية
فرتبة الحق عبارة عن معقولية نسبة كونه إلها معبودا وهذه النسبة تسمى بالألوهية وتنضاف إليها فى كل
مؤثر فيه صفات تسمى أحكام المرتبة كالقبض والبسط والاحياء والاماتة وغير ذلك وتعقل كون الحق لها
اعتبار زائد على ذاته تعالى ومرتبة الوسيلة عبارة عن عبوديتها وما لوهيتها وتنضاف إذ لها أحكام هى الأطوار
والصفات الموصوف بها من كونه عبدا ممكنا مألوها ومن كونه أيضا مرآة ومجلى إلا يبعد أن يقول الملك لأهل
مملكته من طلب خدمتى فلينظر إلى عمل الوسيلة إلى ومن طلب معرفة مرتبتى فليقف على حقيقة خير
صنعتى فقد أنبته منابى وجعلته خليفتى من غير أن يدخل ذلك نقصا على ذلك الملك أو يخرج الوسيلة عن
معرفه الوساطية * وكأن يقول العالم من أراد أن يعرف مرتبتى مثلا فى سائر الفنون فعليه بمطالعة كتابى الفلانى
فانى أودعته ما يشفى الغليل . وإنما أطلنا الكلام هنا لمسيس الحاجة إلى ذلك فلو كان المقصد الذات لأوهم
ولكنه معرفة المرتبة ثم لا يحصل بمعرفة المرتبة الادراك للمرتبة وأحرى للذات إذ العارف بمعاني الأسماء
والصفات إنما أدرك معرفتها بواسطة عرفانه القائم به فما أدرك إذ إلا المعرفة ولا يلزم من ادراك المعرفة ادراك
المعروف ه فتحصل من هذا أن المقصود معرفة المرتبة وهى نسبة معقولة ولا تعقل تلك النسبة إلا فى هذه
الحقيقة المحمدية فهى عينها أى المعرفة فارتباط هذه الحقيقة بالذات العلية ارتباط إضافة وحكم إذ الألوهية هى
مرتبة الذات ولا يعقل إله بدون مألوه كما لا تعقل أبوة بدون بنوة وشتان ما بين المتضايفين فالمتوقف عليه
من الأبوة للبنوة رسم للوجود فلا وجود لذات الابن أصلا بوجه ما لم يوجد الأب بل هو فى عدم العدم حتى
يوجد الأب فاحتياجه إلى وجود اليه احتياج ذاتى والمتوقف عليه من النبوة للابوة تعقل نسبة فقط
للاب لم تكن لا غير ثم إن الأبوة قد تكون صلاحية بدليل أن المرء اذا بلغ الاشد يطلق عليه اسم الأب
صلاحيا ولو لم يلد بخلاف الابن فانه لا يتناوله اسم البنوة ولا غيرها ما لم يبرز للوجود والعثور المذكور
يكون بالمواظبة على الصلاة عليه ﷺ لاسيما بصلاة الفاتح والصلاة بالجوهرة وأن ثمرة مقصد المشاهدة
الاطلاع على الحقائق على ما هى عليه من غير شك ولا ريب ما عدا كنه الحقيقة المحمدية فلا عثور على كنهها
بوجه وأن معيار تحقيق الحق فى ذلك القيام بجميع رسوم الشريعة و ن نتيجتها المحبة الخالصة الناشئة
عن مشاهدة المحبوب فليست محبة الخبر كمحبة العيان فلا يقنع بما يقتضيه العقل من المحبة لتوالى
الإحسان والدهش الناشىء عن المحبة عند صولة الاتصال وصدمة التجلى بنور القرب الرافع شوق
العيان فيرقى عن الركون إلى شوق الخبر والفناء التام وهو المعبر عنه بفناء الفناء وهو الفناء عن الوجود
وعن شهود الفناء بقاء مع الحق بعين الجمع فلا يستغنى بفناء شهود العيان الحاصل له فى موقف المراقبة والشكر
وهو ناشىء عن المحبة وهو حالة بين العلم والفناء لكنها أقرب للفناء منها إلى العلم فيرقى عن الهيمان الذى أصله
الحيرة فى ميدان المراقبة والمكاشفة وهو بلوغ ماوراء الحجاب وجودا فيرقى عن وهن الظن والمعاينة
بعين الروح لحق الحق عيانا محضا وهى فوق المكاشفة فيرقى عن المعاينة القلبية والسرور الكائن
عن سماع الحق بمحو آثار الاستيحاش فيرقى عن الأفراح بمبادى الوصلة والغيرة وهى التى تؤذن بالمعرفة
وهى عبارة عن التلبيس بالرسوم والكتم عن السر والإشارة دون تصريح فيرقى عن ضيق الحمل ومطاوعة
البوح والحياة المؤذنة بالبقاء الدائم وهى التى تنشأ عن الفناء التام وتعرب عن الجمع الصحيح فيرقى عن حياة

العلم إلى حياة اليقين * والتفريد وهو تخليص الاشارة إلى الحق بالحق عن الحق فيرقى عن توحيد الصفات إلى توحيد الذات من غير مفارقة النعوت والغربة وهى غربة الهمة فى طلب الحق فيرقى عن التلبيس بالشواهد ولو لمحة * وحاصل هذه النتائج محو جميع أوهام العادة فى النفس بالمعنى لا بالحس وان علامتها اتصال البروق على الروح مع الثبات على حمل اعبائها وإقامة رسوم الشريعة فى أوطانها وإن كان ماحيا أوهام العادة فبالمعنى واستدامة حال التجلي ارتقاء من غير ميل عن التحلي بالحاء المهملة والتخلى بالمعجمة بلا ظلام ولا غيم إنما هو ضياء متصل وترادف خوارق العادة مع العلم بها والتنزه عنها وعدم الاشارة الهاغيبة عنها من دون استغراق فيها وإن المعرفة عبارة عن تمكين حال المشاهدة واستصحابها مع إقامة العدل وملازمة الحكمة وهى صادرة عن عين الجمع المعربة عن الخلاص التام المفصحة عن دوام السر مع الله تعالى المتضمنة تحديث الحق إياه بتعريف أسراره فيما يجرى من تصاريف اقداره وان أعرف الناس بالله أشدهم تحريا فيه إنما هو شهود خفى من غير إحاطة ولا وقوف على كنه وتكون بالقرب الدائم فلا يشهد غير الله ولا يرجع إلا إلى الله سبحانه كرجوع العاقل إلى قلبه فيما يعرض له وبالعجز عن الإدراك المؤذن بالإدراك وبالمحافظة على الرسوم الشرعية واقامة الوظائف الدينية وبصيانة ما حصل عليه من تصفية الروح حتى يبقى متخلقا بأخلاق الحق فيكون خليفة على الحقيقة مع اعطاء الحكمة أهلها ومنعها من غيرهم ومع التزام الأدب فى كل شىء مع الله تعالى ومع ملازمة الهيبة والصعود الى غايتها ومع الصعود أبدا الى الغاية فلا يقنع مع الله تعالى بحال وقت وان مقصدها كمقصد المشاهدة قبلها وذكرها كذكرها فى مباديها حتى إذا تمكن فى بحار المعرفة وحصل على لباب سر التوحيد وانكشف من معناها أنوار الحقائق متصلة معربة عن المعارف الإلهية فيكون جميع ما فى المملكة مستحضرا عنده يعرب كل جوهر فرد منه عن لباب سر التوحيد فهو ذاكر بحركاته وسكناته ولحظاته وخطراته ولحاته فالغيبة معه غائبة والحضرة معه حاضرة فالحالات عنده واحدة والاذكار لديه متساوية فصار كل شىء منه ظاهرا وباطنا هو المقصد التام الكامل الذى ينفق منه على جميع الأذكار لاستهلاكه فى بحار الحقائق وهل المقصد الا دليل يدل بمعناه على ما يراد من الذكر وان ثمرة مقصد المعرفة أن يكون العارف طبعة لجمع الاسرار شمسا تستمد منه جميع الأنوار من وأن علامة عقد المعرفة أن لا يرد على روحه من أسرار الغيب إلا ما يشهد بصحته الشرع وان نتيجتها الحرية فلا يكون تحت رق شىء من الموجودات فيرقى عن تلمح الشواهد والعوائد والموجودات وهو الفوز بحقيقة الشىء وهو وجود مقام تضمحل فيه الرسوم حتى رسم الوجود فى الاستغراق فى الأولية فيرقى عن تلمح ضلال الأوهام والجمع الأتم وهو جمع الجمع يقضى بقطع الإشارات والبراءة من جميع التلوين فلا يشهد غير الله تعالى والصحو وهو لا ينال إلا بحياة الروح موارد الجمع مع هدوء الروح من لدغات الدهش فيرقى عن سكر الدهش المذهل عن تمكينه من مطالعة جمال الحضرة * والتحقيق وهو الوصول إلى المعرفة التى لا تدركها الحواس بتخليص المشرب من الحق بالحق فى الحق فيرقى من الحيرة فى فى أودية مهامه الحقائق * والبسط وهو ارسال الشواهد فى الرسوم العلمية مع حفظ السر بسربال الإخلاص فيرقى عن واردات القبض المستمد من الطبع * والتلبس وهو تغطية الأسرار باستار الأسباب فيرقى عن اطلاق العبارات بما لا تحمله العقول * والبقاء والمراد به الخروج عن فناء المشاهدة إلى بقاء المعرفة فيرقى عن الضعف عن حمل أعباء الوصول والسر وهو قريب من التلبس لكن التلبيس أقوى فيرقى عن ضيق البوح الهاتك لستر السر * والاتصال وهو اتصال الوجود بتوالى الجمع فيرقى عن وهن الانفصال

والحكمة وهى التى هبت بها رياح التخصيص فيرقى عن التصميم بالغيرة إلى دلالة الخلق إلى الله تعالى * وحاصل هذه النتائج القيام فى الأسباب بالوقوف بين يدى رب الأرباب وان علامتها أن لا يقيده حال عن حال ولا يحجبه موقف عن موقف ولا يتلبس عليه مقام مع مقام * واستعمال الاذكار كلها مع اختلاف كيفياتها استعمالا واحدا وصعوبة أمر البكاء إلا عند الرجوع لمقتضى الطبع ثم ان العارف إما أن يكون ممن أذن له فى ارشاد الخلق فليتخلق بأخلاق الحق والا فليلازم الاسفار وبالله تعالى التوفيق اهـ

﴿تتمة﴾ قد آن لنا أن نذكر فى شأن المعرفة مالم يتقدم له ذكر فى المحصل الذي جلبنا حاصله فى هذه الخاتمة استيفاء للغرض واستئناسا بما المعرفة من الوصف والعرض * قال فى الفتوحات المكية ﴿اعلم﴾ أن المعرفة نعت إلهى لا عين لها فى الأسماء الإلهية من لفظها وهى أحدية المكانة لا تطلب إلا الواحد والمعرفة عند القوم محجة فكل علم لا يحصل إلا عن عمل وتقوى وسلوك فهو معرفة لأنه عن كشف محقق لا تدخله الشبهة بخلاف العلم الحاصل عند النظر الفكرى لا يسلم أبدا من دخول الشبه والحيرة فان صاحبه لا يعلم شيئا إلا بقوة من قواه التى أعطاه الله وهى الحواس والعقل فالإنسان لابد أن يقلد كل حقيقة فيما تعطيه وقد تغلط وقد توافق الأمر على ماهو عليه ومآل كل قوة إلى قوة العقل فيقلد هو قوة العقل فيما تعطيه من ضرورة أو نظر والعقل يقلد الفكر ومنه صحيح وفاسد فيكون علمه بالأمور بالاتفاق فما ثم الا تقليد وإذا كان الأمر هكذا فمن أراد أن يعرف الله تعالى فليقلد، فيما أخبره به عن نفسه فى كتبه وعلى ألسنة رسله وإذا أراد أن يعرف الأشياء فلا يعرفها بما تعطيه قواه وليسع بكثرة الطاعات حتى يكون هو سمعه وبصره وجميع قواه فيعرف الأمور كلها بالله لم يدخل عليه فى ذلك جهل ولا شبهة ولا ريب ولا شك فقد نبهتك على أمر ماطرق سمعك قط فان العقلاء من أهل النظر يتخيلون أنهم علماء بما أعطاهم النظر والحس والعقل وهى مقام التقليد لهم وقد علموا أنه مامن قوة إلا ولها غلط ولا يقدر أحد على انكار هذا فانه يجده من نفسه فلا يصح العلم لأحد إلا لمن عرف الأشياء بذاته فكل من عرف شيئا بأمر زائد على ذاته فهو مقلد لذلك الزائد فيما أعطاه ومافى الوجود من علم الأشياء بذاته إلا الله فقد سد سبحانه وتعالى باب العلم إلا منه ولا بد ولهذا ينزهه العقل ويرفع المناسبة من جميع الوجوه ويجيء الحق فيصدقه فى ذلك بليس كمثله شيء يقول لنا صدق العقل فانه أعطى مافى قوته لا يعلم غير ذلك فاني أعطيت كل شيء خلقه وذلك قوله تعالى أعطى كل شيء خلقه والعقل من جملة الأشياء وتمم الآية فقال ثم هدى أى بين فبين سبحانه أمراً لم يعطه العقل ولا قوة من القوى فذكر لنفسه أحكاما هو عليها لا يقبلها العقل إلا إيمانا أو بتأويل يردها تحت احاطته لابد له من ذلك فطريقة النجاة لمن لم يكن على بصيرة من الله أن لا يتناول ويسلم ذلك إلى الله على علمه فيه فالحق سبحانه يصدق كل قوة فيما تعطيه فإنها وفت بجميع ما أعطاها الله فأهل الله يعتقدون فيه كل معتقد إذ لا يخلو منه تعالى وجه فى كل شيء هو حق ذلك الوجه ولو لم يكن الأمر كذلك ما كان الها ولا استقل العالم بنفسه دونه وهو محال لخلو وجه الحق عن شيء من العالم محال وهذه المعرفة عزيزة المنال فإنها تؤدي إلى رفع الخطإ المطلق فى العالم ولا يرتفع الخطأ الاضافى وهو المنسوب إلى مقابله فهو خطأ بالمقابل وليس بخطإ مع عدم التقابل فالكامل من أهل الله من نظر فى كل أمر على حدته حتى يرى خلقه الذى أعطاه الله فانه خلق الخلق أطوارا فعدد الطرق الموصلة إلى العلم به إذ كل طور لا يتعدى منزلته بما ركب الله فيه وبعد أن تقرر هذا فلنرجع إلى

الطريقة المعهودة فى هذا الباب التى بأيدى الناس من أهله فان هذه الطريقة التى نبهناك عليها طريقة غريبة فنقول قد ذكر المحاسبي ان للمعرفة هى العلم بأربعة أشياء الله والنفس والدنيا والشيطان والذى قال رسول الله ﷺ إن المعرفة بالله مالها طريق إلا المعرفة بالنفس فقال من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه فجعلك دليلا أى جعل معرفتك بك دليلا على معرفتك به فإما بطريقة ما وصفك بما وصف به نفسه من ذات وصفات وجعله اياك خليفة نائبا عنه فى أرضه وإما بما أنت عليه من الافتقار إليه فى وجودك وإما الأمران معا لا بد من ذلك ورأينا الله تعالى يقول فى العلم بالله المعبر عنه بالمعرفة سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فأحالنا الحق على الآفاق وهو ماخرج عنا وعلى أنفسنا وهو مانحن عليه وبه إذا وقفنا على الأمرين معا حينئذ عرفنا وتبين لنا أنه الحق فدلالة الله أتم وذلك انا إذا نظرنا فى أنفسنا ابتداء لم نعلم هل يعطى النظر فيما خرج عنا من العالم وهو قوله فى الآفاق علما ما بالله لا نعطيه أنفسنا أو كل شىء فى نفوسنا فإذا نظرنا فى نفوسنا حصل لنا من العلم به ما يحصل للناظر فى الآفاق فأما الشارع فعلم ان النفس جامعة لحقائق العالم فجمعك عليك حرصا منه كما قال فيه حريص عليكم حتى يقرب الدلالة فتفوز معجلا بالعلم بالله فتستعد به * وأما الحق فذكر الآفاق حذرا عليك مما ذكرناه أن تتخيل أنه قد بقى فى الآفاق ما يعطى من العلم بالله ما لا تعطيه نفسك فأحالك على الآفاق فإذا عرفت عين الدلالة منها على الله فى نفسك فوجدت ذلك بعينه الذى أعطاك النظر فى الآفاق هو الذى أعطاك النظر فى نفسك من العلم بالله فلم تبق لك شبهة تدخل عليك لأنه ما ثم إلا الله وأنت وما خرج عنك وهو العالم فالرسول عليه الصلاة والسلام ما أحالك إلا على نفسك لما علم أنه سيكون الحق قواك فتعلمه به فانه العزيز والعزيز هو المنيع الحمى ومن ظفر به غيره فليس بمنيع الحمى فليس بعزيز فلهذا كان الحق قواك فاذا علمته وظفرت به يكون ما علمه ولا ظفر به إلا هو فلا يزول عنه نعت العزة وهكذا هو الامر ثم ان كل شىء يعطيه النظر الفكرى هو كسبى عند الطائفة اه فتوحيد المرتبة وهى الالوهية هو مجال النظر وهو الذى تعرض له الشارع ونص على واحديته أنه لا إله إلا هو وأما أحدية الذات فى نفسها فلم يتعرض لها بشىء لأنها لا تعرف ماهيتها حتى يحكم عليها لأنها لا تشبه شيئا من العالم ولا يشبهها شىء فلا يتعرض العاقل إلى الكلام فى ذاته تعالى إلا بخبر من عنده ومع اتيان خبر فانا نجهل نسبة ذلك الحكم اليه لجهلنا به بل نؤمن به على ما قاله وعلى ما نعلمه فان الدليل ما يقام إلا على نفى التشبيه شرعا وعقلا وهذه طريقة قريبة عليها أكثر علماء أهل النظر فالتعرض لتوحيد الذات إنما هو من فضول العقل لأن العقل عنده فضول كثير أداه اليه حكم الفكر عليه وجميع القوى التى فى الإنسان فلا شىء أكثر تقليلا من العقل وهو يتخيل أنه صاحب دليل الهى وإنما هو صاحب دليل فكرى فان الدليل الفكرى يمشى به حيث يريده العقل كالأعمى بل هو أعمى عن طريق الحق فالفطرة الذكية التى تقبل النظر فى المعقولات من أكبر الموانع لحصول ما ينبغى أى يحصل من العلم الالهى * ولا تقل ما مزية العقل لأهله إذا كان ضره أقرب من نفعه * لانا نقول إن بالعقل يحصل نصف الإيمان وهو التنزيه وبتمييزه من نسبة التشبيه يفوته النصف الآخر فاما أهل الله فلم يحكموه فى شىء لا فى التنزيه ولا فى التشبيه بل أخذوا التنزيه من قوله ليس كمثله شىء والتشبيه من قوله وهو السميع البصير فلم يحكموه عليه تعالى إلا بكلامه فبذلك عصموا من الخطإ فإذا خاطبنا بالمناسبة قلنا بها حيث خاطبنا لا نتعدى ذلك الموضع ونقتصر عليه وإن خاطبنا برفع المناسبة رفعناها فى ذلك الموطن الذى رفعها فيه ولا نتعداه فيكون الحكم له لا لنا * وبعد أن

قررنا ماذكرناه فلنقل إن المعرفة فى طريقنا وجدناها منحصرة بالعلم بسبعة أشياء وفيها يندرج ما قال المحاسبي وغيره اه ، قلت وقد عدها كما ترى وجعلها سبعة أنواع ورتبناها على سبيل السلوك ، أحدها علم العلل والأدوية ، وثانيها علم الإنسان بنفسه من جهة حقائقه ، وثالثها العلم بالكمال والنقص فى اللاوجود ، ورابعها العلم بخطاب الحق عباده بألسنة الشرائع ، وخامسها علم التجلى ، وسادسها علم الخيال المتصل والمنفصل ، وسابعها علم الحقائق وهو العلم بالأسماء الالهية فنقلناها بحذف واختصار وتلفيق وبعضه بالمعنى مع زيادة إيضاح فى بعض ما انبهم أما الأنواع بعدتها فقد جمعها فى باب واحد وربما أدمجنا فيها ما أتى به متفرقا فى الفتوحات مما ينحو ذلك المنحى إيضاحا لبعض كلامه فيها وربما كان الإيضاح والزيادة من كتاب مطلع الجود للشيخ الشعرانى رحمه الله عازيا فى بعض الأنقال لابن اسحاق القونوى وفى بعض الأنقال لغيره ولا تقل إن فى هذه العلوم التى حمتم حواليها من الأسرار ما يثقل سماعه على الآذان ويتعدى طور الأذهان ولا يجوز افشاؤه إلا لمن قام به عذر من الأعذار كغلبة الحال من هيجان نفحة الأنوار والافليترك تحت طباق الاستار ومن لم يتركه فقد خالف قوله ﷺ حدثوا الناس بما يفهمونه أتريدون أن يكذب الله ورسوله ، لانا نقول إن الخوض فى الجواب عن هذا يحتاج إلى تفتيش متاع وكشف قناع وإلى تشحذ اسلحة عن الحقائق مفصحة فنقول ، اعلم أن فى العارفين بالله تعالى للمنصف لاسوة حسنة فتآليفهم مشحونة من هذه الحقائق ولم تزل مستحسنة بل شيدوا فى ذلك المنوال قرى محصنة ودونوا فيها الدواوين ونصبوا فيها الموازين كما فعل الشيخ محي الدين ابن العربى الحاتمى قدس الله روحه فى فتوحاته المكية هذه فهى تزيد على خمسمائة باب ولم يقيد فيها من أولها إلى آخرها إلا ما يحير الالباب ويقضى بالعجب العجاب وكما فعله تلميذه صدق الدين محمد بن إسحاق القونوى وفعله صاحب مطلع الجود بتحقيق التنزيه فى وحدة الوجود وغيرها وغيرهما ممن يفوت الحصر بل جعلوه من العلم الوارد فيه إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله تعالى فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم الآية ولولا التصريح بهذا العلم لما وقع إنكار لمنكر بعد الذى جاءت به الرسل الأخيار على أتباعهم السادات الأطهار والأولياء الأبرار والانكار المأثور أشهر من نار على علم لأولى الأبصار يعلم ذلك من طالع كتب التصوف ومن كان له يد فى التصرف فما من ولى ظهر فى عصر إلا وقد ابتلى بمنكر واضع أصر شديد أسر مرهق عسر فلولا مثل هذه المعارف التى يثقل سماعها متى كشف قناعها لكان انكار ذلك المنكر المتهوع صريحا فى انكاره على الرسول المشرع ولم يبق انكاره تلويحا لزعمه مخالفة هذا الولى الكامل لسنة نبيه فلا مخالفة رأسا فى رسم العلم وإنما المخالفة فى مواقع الفهم هنا والدعاة إلى الله تعالى كلهم إنما جاءوا داعين إلى المعرفة بالله إذ هى سبب ايجاد الخلق أصلا كما يشهد له حديث الرسول مخبرا عن ربه كنت كنزا مخفيا لم أعرف فاحببت أن أعرف وهى أصلا السبب الواصل من الخلق إلى حضرة الحق لكن المعرفة تشتمل على تنزيه وعلى تشبيه ولا قيام لأحدهما بدون الآخر فالتنزيه من مدارك العقل والتشبيه من وراء دائرته فلا تكاد تجد واحدا منهما فى آية ولا فى سنة إلا والآخر مقرون به أوفى حيزه تصريحا أو تلويحا فالعقل إنما أخذ التنزيه فقط لأنه هو الذى فى قوته وترك التشبيه حذرا من الزيغ وغرته ظنا منه أن إيراد مصادر التشبيه والتلبس بسرابيله من قبيل قوله تعالى ـ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ـ فرد التشبيه إلى التنزيه وجعل المعرفة محصورة فيه وما علم أن ذلك الرد

والجعل عين ماهرب منه من التأويل الضالة عن سوء السبيل فلا يجد آية ولا سنة ناحية منحى التشبيه إلا أولها بتأويل يدخله تحت حيطة التنزيه والوجود المطلق يأبى ذلك كما ستراه إن شاء الله مسطورا فى النوع السادس من هذه الأنواع السبعة ولو سلم العقل لسلم من القوادح فى فهمه وخرج من دائرة قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ـ وليس الإفشاء لمثل هذا مخالفا لقوله حدثوا الناس بما يفهمون إذ معناه والله أعلم أى بما فى طباعهم أن يفهموه ولا طبع إلا وهو مجبول على فهم المعرفة والا لكانت الدعوة إليها والايجاد بسببها لهوا ولعبا وقد قال تعالى ـ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ـ فما خلق الحق تعالى شيئا عبثا وما خلق الخلق إلا ليعرفوه لكن المعرفة درجات يوصل بعضها إلى بعض فأقلها حصول العلم بالمعلوم حصولا مافيكون أولا جملة ثم تفصيلا إلى مالا نهاية له وعند مبادى كل درجة يثقل عليه ماوراءها حتى يكون عند ظهوره كأن على القلب غشاوة حاجبة عن مشاهدة نوره وكأن فى أذنيه وقرا من سماعه وفى الحقيقة فهمه من جملة طباعه يشهد لذلك قوله تعالى ـ وهديناه النجدين أى طريق الخير والشر وقوله تعالى ـ ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها ـ وقوله وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقوله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة الحديث فما جهله سبحانه وتعالى أحد من خلقه ولا يغرنك كون فهم مواقع المعرفة يكبر فى صدر السامع أولا ويعمى عليه خبرها فلا يقضى بأنه إذا خوطب بها وكبرت فى صدره أنه قد حدث بما لا يفهم إذ لو كان كل ما كبر على المرء سماعه وفهمه أولا لا يدعى اليه ولا يخاطب به لما دعا الرسول ﷺ المدعوين أن يعبدوا الله وحده ويذروا ما كان يعبد آباؤهم من قبل كيف وقد دعاهم ودعاهم وقال ـ هذه سبيلى أدعو الى الله ـ فتيسر ذلك على من تيسر عليه فأجاب وكبر على من كبر عليه فأشرك يشهد لذلك قوله تعالى ـ كبر على المشركين ماتدعوهم اليه ـ ثم إن المدون لعلوم المعارف إن أظهر فيها مايقبله العقل من التنزيه فتلك دعوة الجفلى ولا جميل للعقل فى قبوله منه لأنه أظهر مااشترك فى ذوقه العام والخاص وإن أظهر مالا يقبله العقل من المناسبة والتشبيه على الوجه الذى جاء به الرسول ولم يتعد خطاه بأن وضع التشبيه فى محله حيث وضعه الشارع ورفعه حيث رفعه فتلك أيضا كالدعوة الأولى عموما إذ لم تنزل آيات التشبيه مخصوصة بالتبليغ إلى قوم دون آخرين لقوله تعالى ـ وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ـ لكن العقل جعلها فى ذلك العموم كالخصوص فجعل لتسليمه إياها جميلا فمن أجمع على أن لا يدون إلا ماتمجه أولا الاسماع فقد بطل منه الانتفاع . وقد علمت حالة السير أولا حتى وصلت مقام المعرفة بحيث يحصل من هذه الانواع الآتية نفعك بما لا يمجه سمعك ومن نظرها من غير سبق سير قبلها فلاجرم أنه وان مجها سمعه أولا فسيسير إليه منها نفعه آخرا فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ـ فظهر أن تدوين علوم المعارف وان كبرت على قلب من لم تطرق سمعه لا يدخلها ذلك تحت حيطة الخطاب بما لا يعلم ومعاطاة مالا يفهم أو بما يشوش حتى يؤدى إلى تكذيب الله ورسوله وقد علمت أن الداعى إلى المعرفة إمام العارفين صلعم قد حدث بها وقد صدق وكذب ومعلوم أنه لم يرد أن يكذب الله ورسوله ولكن يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا فلم يبق إلا أن فهم علوم المعرفة مركوز فى الطبع والجبلة إذ الرسول مطلع على مافى طباع المرسل إليهم فأمرهم بمقتضيات طباعهم وبما يفهمونه جبلة فصدق من صدق وكذب من كذب نعم التربية بصغار العلوم قبل كبارها من شيم الربانيين وقد رأيت وجه التدريج بها فى الطريقة الأولى وحاصلها وهو موضوع جلب هذه الأنواع السبعة ومحط ذكر هذه التتمة رأسا ومثل هذا السالك هو المقصود بها الموزون له فيها

بميزان فهمه والعامل فيها بمعيار عقله ولو كان الكتاب يقع بيد غير أهله فليربع على نفسه المنكر لجلبها في موضعها ولم نضع هذه العجالة كما قدمنا لمن يبتغي على قرنه الحمل بل لمن لا يتعلل في شأن تلقيها بعسى ولعل ٭ وإذا تقرر هذا فنقول معتمدين على ما في الفتوحات من النقول وبالله حصول المأمول

﴿ النوع الأول من علوم المعرفة علم الأدوية وما يحتاج إليه من يربى من الشيوخ ولا تنفع هذه الأدوية إلا فيمن يقبل استعمالها وإلا فلا يظهر لها أثر ﴾

فلنبين العلل بطريق الحصر لامهاتها ثم نذكر الادوية المختصة بها العلل في هذه الطريقة ولا محل هنا إلا لعلل النفوس خاصة ولا حظ للعقول فيها ألبتة ولا للابدان فان علل العقول وأمراضها معروفة وأثرها في الاعتقادات وأدويتها اتخاذ الخلوات بالميزان الطبيعي وإزالة التفكر فيما يعني في المحسوسات ومداومة الذكر لا غير وعلل الابدان موقوفة على الاطباء فلم يبق لنا الخوض إلا في علل النفوس وهي ثلاثة أمراض مرض في الأقوال ومرض في الأفعال ومرض في الأحوال . وأما مرض الاعتقادات فهو مرض العقول ٭ وقد ذكرنا دواءه آنفا كما رأيت ، فلنذكر أمراض الأقوال وأدويتها فمنها التزام قول الحق وهو من أكبر الأمراض وأدهاها ، دواؤه معرفة المواطن التي ينبغي أن يصرفه فيها فان الغيبة حق . وقد نهي عنها وكذا ذكر ما يفعله مع أهله في فراشه فقبيح بالرجل أن يفشي سر أهله وهذا القول من أكبر الكبائر وكذا النصيحة في الملا بالحق حق وهو فضيحة ولا تقع إلا من الجهلاء وأصحاب الأغراض لان الفائدة المطلوبة من النصيحة حصول المنفعة وثبوت الود فاذا وقع النصح في الملإ لم يحصل القبول وأثمر عداوة وذمه الله فانه يخجل بتلك النصيحة في الملإ وربما كانت سببا إلى فساد كبير فلو نصحه في خلوة بطريقة حسنة بان يظهر للمنصوح عيب نفسه ولا يشعره أنه يقصده بذلك ليعلمه ان كان جاهلا بقبح ذلك الأمر الذي نصحه فيه لشكره في نفسه وأحبه ودعا له وأثمر له الخير فما كل حق مأمور به ولا مستحسن شرعا ولا عرفا وكذلك مواجهة الناس بما يكرهون وان كان حقا فانه يدل على لؤم الطباع والجهل وقلة الحياء من الله فانه بعيد أن يسلم في نفسه من عيب يكون فيه لا يرضى الله فلو اشتغل بالنظر في عيبه لشغله ذلك عن عيب غيره ومن التزم تتبع حركات صاحبه بحيث أن يقيد أنفاسه فهو من أشد الأمراض فانه شغل بما لا يعنيه ولاسيما ان خزن ذلك في زمن صداقته ليوم ما هو لا يشعر ويحجبه عن هذا الشعور محبته فيه في الوقت فاذا وجد في نفسه أدنى كراهة في صاحبه أو اعراض لملل أو هفوة أخرج ما كان مخزونا عنده من القبائح وذلك من تتبع المثالب الذي لا يكون إلا لسوء الطبع ودناءة الأصل والفرع وهذا يوجد في الأصحاب والاصدقاء كثيرا ويعود وباله على صاحبه وإن كان حقا ومنها السؤال عن أحوال الناس وما يفعلون ولم جاء فلان ولم متى فلان والسؤال عن كل ما لا يعني وسؤاله عن أهله ما فعلوا في غيبته دواؤه التأسي برسول الله ﷺ في كونه ما أتى أهله من سفره ليلا وقد نهى أصحابه عن ذلك حتى لا يفجأهم فيرى منهم ما يكره ولذلك شرع الاستئذان ابقاء للستر فانه قد علم أن لكل أحد هنات أيضا فما كل ما يعمله الإنسان وان كان خيرا يحب أن يعلمه منه كل أحد فاذا ألح هذا السائل عن العلم به أضر بالمسئول حيث جعله ينطق بما لا يريده أو يكذب فان لم ينطق أثر في نفس السائل كزازة ويقول لو كنت عنده بمكانة ما ستر عني ما سألته عنه فينقص ذلك من مودتهما بينهما وهذا باب قل أن يقع الا ممن لا دين له سيء السريرة قال ﷺ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه . ومنها الامتنان والتحدث بما يفعله من الخير

مع الشخص على طريق المن . دواؤه أن تعلم أنه يبطل الأجر قال تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى - وأن يعلم أن لا يرى أنه أوصل إليه مما كان يده إلا ماهو له فى علم الله وان ذلك كان أمانة بيده ما كان له وقد أحسن الأخذ إليه بأخذه هذه الأمانة من يده وقد كان مخاطبا بأدائها بقوله تعالى أن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها - وهو لم يكن يعرف لمن قبل أخذه لها فيشكر الله على أدائها ومن أعطي بهذا النظر فلا يصح منه أصلا . ومنها أن يحكى الشخص اصطناع شخص مع قريب له أو حبيب بحضرة قريب لذلك الشخص من ولد أو أخ أو زوجة أو حبيب ممن يفعل معه ذلك الاصطناع ويقول له لم تفعل مثل ذلك مع هذا الولد وهذا الحبيب فهذا من فضول الكلام حيث قاله بحضرة من لم يفعل معه ذلك الاصطناع لاثارة ذلك الشنئان بين الاقرباء وخالص العداوة والشحناء فانها كلمة شيطانية ولا دواء لها بعد وقوعها وأما قبل وقوعها فدواؤها أن ينظر فى حد ث من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه . ومنها أن يقول المرء أنا أقول الحق ولا أبالى عز على السامع أو لم يعز من غير أن ينظر إلى فضول القول ومواطنه ثم يقول قلت لفلان الحق وعز عليه سماعه ويزكى نفسه ويجرح غيره وينسى قوله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - . ودواء هذه العلة - لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة - ولها مواطن وصفة مخصوصة وهو أن يأمر فى السر لا فى الجهر فان الجهر علة لا يشعر بها لانه قد يعطيها لغير الله ثم قال - أو معروف - وقول المعروف هو القول فى موطنه الذى عينه الله ويرجو حصول الفائدة به فى حق السامع ثم قال - أو إصلاح بين الناس - فيعلم ان مراد الله التودد والتواصل فيسعى فى ذلك وان لم يحصل الكلام فى موضعه أدى إلى التقاطع والتدابر ثم بعد هذا كله قال فى حق المتكلم - ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله - ولا يكون ذلك إلا ممن يعلم ما يرضى الله ولا يعلم ذلك إلا بالعلم بما شرع فى كتابه وعلى لسان رسوله فيرى عند ما يريد أن ينطق بالأمر هل نطقه به فى ذلك الموطن يرضى الله من جميع الوجوه أم لا فان وجد وجها يقدح فيه فالكل غير مقبول فانه لا يحتمل التجزء أو الانقسام وهذا موضع غلط ودواؤه ماقلناه من العمل المشروع مما يرضى الله . ومنها أيضا تغيير المنكر على شخص معين من سلطان أو غيره دون أن يعم دواؤه معرفة الميزان فى ذلك وبراءته فى نفسه من كل منكر ويعلم أن الشرع ينكره عليه فى مذهبه واجتهاده لا غير ولا يلزمه ماهو عند غيره منكر وعنده مباح ثم الذى هو عنده منكر ينظر إلى من يغير عليه ذلك ان كان ممن هو عنده معروف كالنبيذ عند الحنفى المتخذ من التمر إذا رآه يشرب به أو يتوضأ به وهو عنده حرام فلا يغيره إلا على من يعتقد تحريمه خاصة أو يكون من المنكر المجمع عليه فهذا هو الميزان وتفاريع الأقوال كثيرة وحصر عللها وأدويتها فى أمرين ، أحدهما أن تتكلم إذا اشتهيت أن تسكت وتسكت إذا اشتهيت أن تتكلم والأمر الآخر أن لا تتكلم إلا فيما إذا سكت عنه كنت عاصيا وإياك والكلام عند ما تستحسن كلامك وتستحليه فان الكلام فى ذلك الوقت من أكبر الامراض وماله دواء إلا الصمت هذا هو الضابط * وأما أمراض الافعال فهو أن يكون أداؤك لذلك الفعل بحضرة الناس كالصلاة مثلا أحسن من أدائك فى السر يقول ﷺ فى مثل هذه العلة استهانة استهان بها ربه فى رجل حسن صلاته فى الملأ وأساءها فى الخلوة وهو من أصعب الامراض النفسية. ودواؤه استحضار صاحبها قوله تعالى - ألم يعلم بأن الله يرى - ويعلم سركم وجهركم - والله أحق أن يستحى منه وأمثال هذا من الآيات والاخبار ولهذا دواء آخر ولكن يغمض تركيبه وهو ينوى بتحسينه تعليم الجاهل وتذكرة الغافل. ومنها أيضا

ترك العمل من أجل الناس وهو الرياء عند الجماعة وأما العمل من أجل الناس فذلك شرك ماهو رياء عند السادة من أهل الله تعالى دواؤه قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون وما أشبه ذلك فالعمل ليس لك إلا اسماً ومنها أن يظهر من الأحوال في مجالس الصالحين حتى يشتهر في المجلس أنه منهم وهو في نفسه مع شهوته فإن حضر وسمع القول فتشوق بجارية أو غلام والجماعة لا تعلم بذلك فأصابه وجد وغلب عليه الحال لتعلقه بذلك الشخص الذي في نفسه فيتحرك ويصيح ويتنفس الصعداء ويقول الله الله هو هو ويشير باشارات أهل الله والجماعة تعتقد فيه أن ذلك حال إلهي مع كونه ذا وجد صحيح وحالة صحيحة . دواؤه قوله تعالى ـ وقد خاب من دساها ـ وما أشبهها من الآيات والأخبار . ومنها أن يلبس دون ما في نفسه دواؤه أن يلبس ما في نفسه مما يحمله لباسه كأن يكون قد لبس الخرقة المعروفة لأهل التصوف ثم ابتلى بحال يناقض حالهم فليخلع الخرقة وليرجع إلى الصوفية وليلبس لباس حاله الذي هو عليه في نفسه ليرفع اللبس والتلبيس على الناس لمن يعرف هذه العلل ودواءها وليستعملها في نفسه نفعه فهذا حظر الأمر فإن الانسان لا يخلو أن يقام في قول أو فعل أو حال وما ثم رابع إلا أن تفاريع الاقوال والافعال والاحوال كثيرة فليحذر من الكذب في ذلك وليلزم الصدق ولا يظهر للناس إلا بما يظهر لله في الموطن الذي ينبغي فإن الحكم لحكم الله في تفاصيل هذه الامور شرط في أهل الله ولا بد من ذلك فما عند الله من لم يعلم حكمه فإن الله ما اتخذ وليا جاهلا

{ النوع الثانى من علوم المعرفة علم الانسان بنفسه من جهة حقائقه }

اعلم أن الانسان ما أعطى التحكم في العالم بما هو انسان وإنما أعطى ذلك بقوة الهيئة الربانية إذ لا يتحكم في العالم إلا صفة حق لا غير وهي في الانسان ابتلاء لا تشريف ولو كانت تشريفا لبقيت معه في الآخرة ثم دار السعداء ولو كانت تشريفا ماقيل له ـ ولا تتبع الهوى ـ تحجيرا عليه ولما ندم المتحكم الجائر غدا يوم القيامة فإذا وقف الانسان على معرفته بنفسه واشتغل بالعلم بحقائقه من حيث ماهو إنسان فلم ير فرقا بينه وبين العالم ورأى ان العالم الذى هو ماعدا الثقلين ساجدا لله فهو مطيع قائم بما تعين عليه من عبادة خالقه ومنشئه طلب الحقيقة التي يجتمع فيها مع العالم فلم يجد إلا الامكان والافتقار والذلة والخضوع والحاجة والمسكنة ورأى نفسه محلا قابلا لوجود التغيير فعلم بذلك أن له ربا يربيه ويغذيه وينقله من حال إلى حال بتلك التغذية وتغذيته حقيقة إنما تكون بالمعرفة فحينئذ تجلى له تعالى وقال له ما اسمى عندك فقال أنت ربى فلم يعرفه إلا في حضرة الربوبية وأما قبل ذلك فلم يشهده فقال له سبحانه أنت مربوبي وأنا ربك أعطيتك أسمائي وصفاتي فمن رآك رآنى ومن أطاعك أطاعنى ومن جهلك جهلنى فغاية من دونك أن يتوصلوا إلى معرفة نفوسهم منك وغاية معرفتهم بك العلم بوجودك لا بكيفيتك كذلك أنت معي لا تتعدى معرفة نفسك ولا ترى غيرك ولا يحصل لك العلم بوجودي إلا من حيث الوجود ولو أحطت علما بي لكنت أنت أنا ولكنت محاطا لك وكانت أنيتي أنيتك وليست أنيتك أنيتي فأمدك بالأسرار الالهية وأريك بها فتجدها مجمولة فيك فتعرفها وقد حجبتك عن معرفة كيفية امدادي لك بها إلا طاقة لك لحمل مشاهدتها إذ لو عرفتها لاتحدت الآنية واتحادها محال فمشاهدتك لذلك محال هل ترجع انية المركب انية البسيط لا سبيل إلا قلب الحقائق ثم نظر إلى ما وصف به العالم كله فرآه قد وصفه بالسجود له حتى ظله ورأى أنه ما وصف بذلك من جنسه إلا الكثير لا الكل كما وصف كل جنس من العالم فخاف أن يكون من الكثير الذى حق

عليه العذاب ثم رأى ان العالم قد فطر وابالذات على عبادة الله وافتقر هذا الإنسان إلى من يرشده ويبين له الطريق المقرب إلى سعادته عند الله لما سمع الله يقول ـ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ـ ولم يصله هذا القول إلا على يد رسول إنسان لما قال له أولا إنه يمده بالأسرار ويجدها مجعولة فيه وهى المعرفة فعبده بالافتقار إليه كما عبده سائر العالم ثم رأى ان الله تعالى قد حد له حدودا نهاه أن يتعداها وان يأتى من أمره سبحانه ما استطاع فتعين عليه العلم بما شرع الله ليقيم عبادة الله الفرعية كما أقام عبادة الله الاصلية فان العبادة الاصلية هى التى تطلبها ذوات الممكنات والعبادة الفرعية هى أعمال يفتقر فيها العبد إلى أخبار الهى من حيث ما يستحقه سيده وما تقتضيه عبوديته فاذا علم أمر سيده ونهيه ووفى حق سيده تعالى وحق عبوديته فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه وعبده بأمره فما ثم من جمع بين عبادة الامر وعبادة النهى إلا الثقلان فان أرواح الملائكة لا نهى عندها ولهذا قال فيهم ـ لا يعصون الله ما أمرهم ولم يذكر لهم نهى وقال فى عبادتهم الذاتية ـ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ـ فان حقيقة نشأتهم تعطى ذلك فهذه هى العبادة الذاتية السارية فى كل ما سوى الله فالانسان هو مجموع حقائق العالم فاذا عرف نفسه من جهة حقائقه عرف ان عبادتها ذاتية . وصورة معرفته بذلك أن يشاهد جميع حقائقه كلها فى عبادتها كشفا كما هى عليه فى نفسها سواء كوشف بذلك أو لم يكاشف فاذا شاهدها لم يتمكن له مخالفة سيده فيما أمر به من عبادته بالوقوف عند حدوده فيما دخل فيه وفيما خرج عنه فاذا قال سبحان الله بكله على ما رسمنا انتقش فى جوهر نفسه جميع ما قاله العالم كله من حيث تلك التسبيحة وهذه هى النفس الزكية التى تسمى لسان العالم بحيث لو قدرنا العالم كله ما سوى الله غفل عن عبادة الله طرفة عين وكان هذا الانسان ذاكر الله قائما بحقه فى تلك اللحظة ناب مناب العالم وسد مسده فجوزى بجزاء العالم كله مع أنه لا يتصور فى العالم غفلة من غير الثقلين خاصة فانظر ما أعطاك العلم بنفسك لما أنت عليه من حقائق الكون إذ ليس فى الكون شيء إلا وقد أودع الله فيه امانة لك أمنه عليها يؤديها اليك متى أبرزك الله للوجود فلما وجد أبوك آدم عليه الصلاة والسلام أدت إليه جميع الكائنات ما كان مودعا له فى حقائقها من حقائقك فلذا كنت العالم الصغير وغيرك من الأكوان كان العالم الكبير فجوزيت فى عبادتك وأنت صغير بجائزة العالم كله وهو كبير

﴿ النوع الثالث من علوم المعرفة العلم بالكمال والنقص فى الوجود ﴾

اعلم أن من كمال الوجود وجود النقص فيه إذ لو لم يكن لكان كمال الوجود ناقصا لعدم النقص فيه قال تعالى فى ذلك الكمال ـ ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ـ فما نقصه شيئا أصلا حتى النقص أعطاه خلقه فهذا كمال العالم الذى هو كل ما سوى الله إلا الله ثم الانسان فلله كمال يليق به وللانسان كمال يقبله ومن نقص من الاناسى عن هذا الكمال فذلك هو النقص الذي فى العالم وما كل انسان قبل الكمال وما عداه فكامل فى مرتبته لا ينقصه شىء بنص القرآن قال ﷺ فى الانسان كمل من الرجال كثيرون ومن النساء مريم وآسية وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام فما ظهر فى العالم نقص الا فى الانسان وذلك لانه مجموع حقائق العالم فهو المختصر الوجيز والعالم المطول البسيط *وأما كمال الألوهية فظاهر بالشرائع وأما بأدلة العقول فلا فعين ما يراه العقل كمالا هو النقص عند الله ولو كان هو ما يقتضيه دليل العقل فجاء العقل بنصف معرفة الله وهو التنزيه وسلب أحكاما كثيرة عنه تعالى وجاء الشرع يخبر عن الله بثبوت ما سلب عنه العقل وتقرير ما سلبه عنه فجاء بالأمرين للكمال الذي يليق به فحير العقول

فهذا هو الكمال الالهى فلو لم يعط الحيرة لما ذكره لكان تحت حكم ماخلق فان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها لترى موجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها من نفى واثبات ووجوب وجواز واستحالة لتعلم موجدها فخاطب الحواس والخيال بتجريده الذى دلت عليه أدلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا مابأيدينا منه شيء وخاطب العقول بتشبيهه الذى دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالوا مابأيدينا منه شيء تعالى عن ادراك العقول والحواس والخيال وانفرد سبحانه بالحيرة فى الكمال فلم يعلمه سواه ولا شاهده غيره فلم يحيطوا به علما ولارأواه عينا فآثار تشهد وجناب يقصد ورتبة تحمد وإله منزه ومشبه يعبد هذا هو الكمال الالهى وبقى الانسان متوسط الحال بين كمال الحيرة والحد وهو كمال العالم فبالانسان كمل العالم وما كمل الانسان بالعالم فلما انحصرت فى الانسان حقائق العالم بما هو انسان لم يتميز عن العالم الا بصغر الحجم خاصة وبقيت له رتبة كماله لجميع الموجودات قبلت كمالها والحق كامل وانقسم الانسان قسمين قسم لم يقبل الكمال فهو من جملة العالم غير أنه مجموع العالم جمعية المختصر من الكبير وقسم قبل الكمال فظهرت فيه لاستعداده الحضرة الالهية بكمالها وجميع أسمائها فاقام هذا القسم خليفة وكساه حلة الحيرة فنظرت الملائكة الى نشأة جسده فقالت فيه ماقالت لتنافر حقائقه التى ركب الله فيها جسده فلما أعلمها الحق بما خلقه وأعطاه إياه حارت فيه فقالت لا علم لنا والحائر لاعلم له فأعطاه علم الاسماء الالهية التى لم تسبحه الملائكة بها ولا قدسته كما قال عليه الصلاة والسلام إنه يحمد غدا فى القيامة عند سؤاله الشفاعة بمحامد لايعلمها الآن تقتضيهما الموطن فان محامد الله بحسب ماتطلبه الموطن والنشأة فاعطت نشأة آدم ومن أشبهه من أولاده الاهلية للخلافة فى العالم وما كان ذلك لغيرهم فكان كمال الانسان بهذا الاستعداد لهذا التجلى الخاص وظهر باسماء الله على تقابلها من معز ومذل ونحوها وأعطاه الحق فيما بذله مصارفها فهو يظهر بما ظهر به من استخلفه وهو المسمى فى الخلافة بالحق والعدل قال الله تعالى ياداوود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيهدى بمتبعه عن هذه الدرجة التى أهلته لها ثم اذا أعطى هذا الانسان الكامل الخلافة فان شاء تحكم وظهر كعبد القادر الجيلى وان شاء سلم وترك التصرف لربه فى عباده مع التمكن من ذلك لابدمنه كأبى السعود الشبلى الا أن يقترن به أمر الهى كداود عليه السلام فلاسبيل إلى مرد أمر الله فانه الهوى الذى نهى عن اتباعه وكعثمان رضى الله عنه الذى لم يخلع ثوب الخلافة من عنقه حتى قتل لعلمه بما للحق فيه فان رسول الله ﷺ نهاه أن يخلع عنه ثوب الخلافة فكل من وجب عليه الظهور به لم يزل مؤيدا وان لم يقترن به أمر الهى فهو إن شاء الله ظهر به بحق وان شاء لم يظهر به فاستتر بحق وترك الظهور أولى لمناسبة مقام العبودية والسلام

(النوع الرابع من علوم المعرفة العلم بخطاب الحق عباده بألسنة الشرائع)

﴿اعلم﴾ أيدك الله أن ماعدا الثقلين من كل ماسوى الله تعالى على معرفة بالله ووحى من الله وعلم من تجلى له مفطور على ذلك سعيد كله واليه الاشارة بقوله ألم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض فعمم ثم فصل ليبين للناس ما نزل اليهم فقال والشمس والقمر والنجوم إلى قوله وكثير من الناس وهو قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم يقول وماهم قليل يعنى أنهم كثير فهو قوله وكثير

من الناس ثم قال وكثير حق عليه العذاب * وسبب ذلك أنه وكله من حيث نفسه الناطقة الموجودة بين الطبيعة والنور بما جعل الله فيها من الفكر ليكتسب به المعرفة بالله تعالى اختيارا من الله واعطاها العقل كما أعطى سائر الموجودات وأعطاه صفة القبول وعشقه بالقوة المفكرة لاستنباط العلوم من ذاته لتظهر فيه قوة الهية فانه يحب الرياسة والظهور والشفوق على أبناء جنسه لاشتراكهم فى ذلك ثم وجوده تعالى وتلك الدلالات بأعيانها هى التى نصبها للدلالة على الحدوث فسلبه عن الذات القديمة لما أعطاهم القوه المفكرة نصيب لهم دلائل وعلامات تدل على القدم الذى هو عبارة عن نفى الأولية عن المسماة الله فكان للدلالة وجهان وهى عين واحدة يدل ثبوتها على حدوث العالم وسلبها على موجد العالم فلما نظر بهذا النظر وقال عرفت الله بما نصب من الأدلة على معرفتها بناو به وهي الآيات المنصوبة فى الآفاق وفى أنفسنا حتى يتبين لنا أنه الحق وقد تبين وهو المعبر عنه بالتجلى فان التجلى انما هو موضوع للرؤية وذلك قوله تعالى سنريهم آياتنا فذكر الرؤية والآيات للتجلى فتبين لهم أنه الحق يعنى ذلك التجلى رأوه علامة أنه علامة على نفسه فتبين لهم أنه الحق المطلوب ولهذا تمم فقال فى الآيات عينها أولم يكف بربك يعنى أن يكون دليلا على نفسه وأوضح الدلالة الشرع على نفسه بظهوره فلما حصلت لعقولهم هذه المعرفة بالتنزيه عما نسبه اليه ذوات العالم وهو دليل واحد العين متردد فى الدلة بين سلب لمعرفة الله وبين اثبات لمعرفة العالم أقام الحق لهذا الجنس الانسانى شخصا ذكر أنه جاء اليهم من الله برسالة فنظروا بالقوة المفكرة فرأوا أن الأمر جائز ممكن فلم يقدموا على تكذيبه ولا رأوا علامة تدل على صدقه فوقفوا وسألوه علامة على صدقه فإنه لافرق بينهم وبينه إذا ما رأوا له أمر اتميز به عنهم وباب الدعوى مفتوح ومن الدعوى مايصدق ومنها مالا يصدق فجاء بالمعجزة فنظروا اليها نظرا نصاف وهى اما أن تكون مقدورة للبشر ويدعى الصرف عنها فلا تظهر إلا على يد رسول الى يوم القيامة فان المعجزات نصبت للخصم الألد الفاقد نور الإيمان وإما أن تكون خارجة عن مقدور البشر بالحس والهمة معا فتحجا بأحد الأمرين وتحققه الناظر دليلا آمن برسالته وصدقه فى مقالته ولا يمكن بطريق الذوق تصديقه إلا بتجل الهى أظنه من اسمه النور فاذا انصبغ باطنه به فذلك نور الإيمان لا نور العلم بدليل أن الخالى من هذا التجلى الذى هو نور الإيمان قد يعلم أنه صادق من حيث الدلالة وحدها بلا نور فيجحد وهو مستيقن بصدقه قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فتيقن الصدق بنور العلم وجحده لفقد نور الإيمان مع أن هذا المؤمن المتجلى له بنور الإيمان لا علم له أنه انما صدقه بنور الإيمان لا بنور العلم فاعتمد فى تصديقه على عقله هذا المصدق وجاء آخر من المصدقين به أيضا كان كشف الله له عن نور ايمانه ونور علمه وجاء ثالث ما عنده من العلم النظرى شيء ولا يعرف موضع الدلالة من تلك المعجزة وقذف الله فى قلبه نور الإيمان فآمن وصدق وليس معه نور علم نظرى ولكن فطرة سليمة وعقل قابل وهيكل نور بعيد من استعمال الفكر فسارع فى القبول فقعد هؤلاء الثلاثة الأصناف بين يدى هذا الرسول فأ[illegible] سول يصف لهم مرسله ليعرفهم به المعرفة التى ليست عندهم مما كانوا قد أحالوا مثل ذلك على الحق تعالى وسلبه عنه أهل الأدلة النظرية وأثبتوا تلك الصفات للمحدثات دلالة على حدوثها فلما سمعوا ماتنكره الأدلة العقلية النظرية افترقوا عند ذلك على فرق فمنهم من ارتد على عقبه وشك فى دليله الذى دل على صدقه أى الرسول وقامت عنده الشبهات القادحة فصرفته عن الإيمان والعلم به فارتد على عقبه ومنهم من قال لو فى جمعنا هذا من ليس عنده سوى نور الإيمان

ولايدرى ماالعلم وماطريقه وهذا الرسول لايشك فى صدقه وفى حكمته ومن الحكمة مراعاة الأضعف فخاطبه الرسول بهذه الصفات التى نسبها إلى ربه أنه علمها هذا الضعيف الذى لا نظر له فى الدلالة وليس عنده سوى نور الإيمان رحمة به لأنه لايثبت إلا بمثل هذا الوصف وللحق أن يصف نفسه بماشاء على قدر عقل القابل وان كان فى نفسه على خلاف ذلك والمراعى حق هذا الأضعف وقد وقفنا مع دليلنا ولا يقدح شىء من هذا فيما عندنا إذ قد عرفنا مقصود هذا الرسول بالأمر فثبتوا على إيمانهم مع كونهم أحالوا ما وصف به الرسول ربه فى أنفسهم وأقر واحكمه استجلابا للأضعف ومنهم من قال هذا الوصف يخالف الأدلة ونحن على يقين من صدق هذا المخبر وغايتنا فى معرفتنا سلب ما نسبناه للحوادث فهذا أعلم بالله منا فى هذه النسبة فنؤمن بها تصديقا له ونكل علم ذلك إليه وإلى الله فان الإيمان بهذا اللفظ لايضرنا ونسبة هذا الوصف إليه مجهولة عندنا لأن ذاته مجهولة من طريق الصفات الثبوتية والسلب فما يعدى عليه والجهل بالله هو الأصل فالجهل بنسبة ماوصف الحق به نفسه فى كتابه أعظم فلنسلم ولنؤمن بما قاله عن نفسه ومنهم من قال لانشك فى دلالتنا على صدق هذا المخبر وقد أتانا فى نعمة الله الذى أرسله إلينا بأمور إن وقفنا عند ظاهرها وحملناها عليه تعالى كما نحملها على نفوسنا أدت إلى حدوثه وزال كونه إلها وقد ثبت فنظر هل لها مصرف فى اللسان الذى جاء به فان الرسول ما أرسل إلا بلسان قومه فطلبوا بابا يرجع اليه ذلك الوصف مما يقتضى التنزيه وينفى التشبيه فحملوا تلك الألفاظ على ذلك التأويل فاذا قيل لهم فى ذلك ما دعاكم إلى هذا قالوا أمران أحدهما القدح فى الأدلة فإننا بالأدلة العقلية أثبتنا صدقه فى دعواه ولا نقبل ما يقدح فى الأدلة العقلية لئلا يسري ذلك الخلل الى صدقه والثانى قد قال لنا هذا الصادق ان الله الذى أرسلنى ليس كمثله شىء ووافق الأدلة العقلية فقوى صدقه عندنا بمثل هذا فلو قلنا ما قاله فى الله على الوجه الذى يعطيه ظاهر ذلك اللفظ ونحمله عليه كما نحمله على المحدثات ضللنا فأخذنا بالتأويل اثباتا للطرفين وفرقة أخرى هى أضعف الفرق لم يتعدوا حضرة الخيال وما عندهم علم بتجريد المعانى ولا بغوامض الأسرار ولا علموا معنى قوله ليس كمثله شيء ولا قوله وما قدروا الله حق قدره وهم واقفون فى أمورهم مع الخيال وفى قلوبهم نور الإيمان والتصديق وعندهم جهل باللسان فحملوا الأمر على ظاهره ولم يردوا علمه الى الله فيه فاعتقدوا نسبة ذلك النعت الى الله مثل نسبته إلى أنفسهم وما بعده هذه الطائفة طائفة فى الضعف أكثر منها فانهم على نصف الإيمان حيث قبلوا نعوت التشبيه ولم يقبلوا نعوت التنزيه لمن ليس كمثله شىء * والفرقة الناجية من هؤلاء الفرق المصيبة للحق هى التى آمنت بما جاء من عند الله على مراد الله وعلمه فى ذلك مع نفى التشبيه بمن ليس كمثله شىء فهذه ألسنة الشرائع فى العالم فجاءت بالصورة فى حق الحق والعين واليد والرجل والسمع والبصر والرضا والغضب والتردد والتبشبش والتعجب والفرح والضحك والمجىء والمكر والخداع والاستهزاء والسخرية والسعى والهرولة والنزول والإستواء والغيرة والصلاة والنسيان والقدوم والكيد والفراغ والاشتغال والتحول والنفس والتحديد فى القرب والصبر على الأذى وما جرى هذا المجرى مما هو نعت المخلوقين ذلك لنؤمن عامة ولنعلم أن التجلى الالهى فى أعيان الممكنات أعطى هذه النعوت فلا شاهد ولا مشهود إلا الله وهى أحوال الهية يجب الايمان بها ولا يعقل لها كيفية إلا من خصه الله بها فألسنة الشرائع دلائل التجليات والتجليات دلائل الأسماء الالهية فاختلاف الشرائع لاختلاف النسب الإلهية لأنه لو كانت النسبة الإلهية لتحليل أمر ما فى الشرع كالنسبة لتحريم ذلك الأمر عنه فى الشرع

لماصح تغيير الحكم وقد ثبت تغير الحكم ولماصح قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا جاء بذلك نبيها ورسولها وأثبته فعلمنا قطعا أن نسبته تعالى فيما شرعه محمد ﷺ خلاف نسبته إلى نبي آخر والا لو كانت النسبة واحدة من كل وجه وهي الموجبة للتشريع الخاص لكان الشرع واحدا من كل وجه ثم ان اختلاف النسب الألوهية لأجل اختلاف الأحوال فمن حاله المرض يدعو يا معافي ويا شافي ومن كان حاله الجوع يقول يا رزاق ومن حاله الغرق يقول يا مغيث فاختلفت النسب لاختلاف الاحوال وهو قوله تعالى ـ كل يوم هو في شأن وسنفرغ لكم أيه الثقلان وقوله ﷺ لما وصف ربه بيده الميزان يخفض ويرفع فلاجل حالة الوزن فيه قيل فيه الخافض الرافع فظهرت هذه النسب وهكذا في اختلاف أحوال الخلق وإنما اختلفت الأحوال لاختلاف الأزمان عليها فحالها في زمان الربيع يخالف حالها في زمان الصيف وحالها في الصيف يخالف حالها في زمان الخريف وذلك يخالف حالها في الشتاء وذلك يخالف حالها زمان الربيع يقول بعض العلماء لما تفعله الأزمان في الأجسام الطبيعية تعرضوا لهواء زمان الربيع فانه يفعل في أبدانكم ما يفعل في أشجاركم وتحفظوا من هواء زمان الخريف فانه يفعل في أبدانكم ما يفعل في أشجاركم وقد نص الله تعالى على أنا من جملة نبات الأرض فقال ـ والله أنبتكم من الأرض نباتا ـ لأن مصدر أنبتكم إنما هو انباتا كما قال في نسبة التكوين إلى نفس المأمور به فقال ـ كن فيكون ـ فجعل التكوين اليه واختلاف الأزمان لأجل اختلاف الحركات وأعني بالحركات الحركات الفلكية فانه باختلاف الحركات الفلكية حدث زمان الليل والنهار وتعينت السنون والشهور والفصول وهذه هي المعبر عنها بالأزمان واختلاف الحركات لاختلاف التوجهات أريد بذلك توجه الحق عليها بالايجاد لقوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فلو كان التوجه واحدا عليها لما اختلفت الحركات وهي مختلفة فالتوجه الذي حرك القمر في فلكه ماهو التوجه الذي حرك الشمس ولا غيرها من الكواكب والافلاك ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت السرعة والابطاء في الكل على السواء قال تعالى كل في فلك يسبحون فلكل حركة توجه إلهي أي تعلق خاص من كونه مريدا وإنما اختلفت التوجهات لاختلاف المقاصد فلو كان قصد الحركة القمرية بذلك التوجه عين قصد الحركة الشمسية بذلك التوجه لم يميز أثر عن أثر والآثار مختلفة بلا شك فالتوجهات مختلفة لاختلاف المقاصد فتوجهه بالرضا عن زيد غير توجهه بالغضب على عمرو فانه قصد تعذيب عمرو وقصد تنعيم زيد فاختلفت المقاصد ثم إن اختلاف المقاصد لاختلاف التجليات فان التجليات لو كانت في صورة واحدة من جميع الوجوه لم يصح أن يكون لها سوى قصد واحد وقد ثبت اختلاف المقاصد فلا بد أن يكون لكل تجل قصد خاص ماهو عين التجلي الآخر فان الاتساع الالهي يعطي أن لا يتكرر شيء في الوجود وهو الذي عولت عليه الطائفة والناس في لبس من خلق جديد ولذلك قال بعض رجال الله ان الله ما تجلى قط في صورة واحدة مرتين ولهذا اختلفت الآثار في العالم وكنى عنها بالرضا والغضب وإنما اختلفت التجليات لاختلاف الشرائع فان كل طريقة طريق موصلة اليه وهي مختلفة فلابد أن تختلف التجليات كما تختلف العطايا ألا تراه عز وجل إذا تجلى لهذه الأمة في القيامة وفيها منافقوها اختلف نظرهم فيه كما اختلف نظرهم في الشريعة فصار كل مجتهد على شرع خاص هو طريقه إلى الله ولهذا اختلفت المذاهب في شريعة واحدة فاختلفت التجليات بلا شك فان كل طائفة قد اعتقدت في الله أمرا ما إن تجلى في خلافه انكرته فاذا تحول لها في العلامة التي قد قررتها تلك الطائفة مع الله في نفسها أقرت فاذا تجلى إلى

الاشعري في صورة اعتقاد من يخالفه في عقيدة في الله وتجلى للمخالف في صورة اعتقاد الاشعري مثلا أنكره كل واحد من الطائفتين كما ورد وهكذا في جميع الطوائف فاذا تجلى لكل طائفة في صورة اعتقادها فيه تعالى وهي العلامة التي ذكرها مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أقروا له بانه ربهم وهو سبحانه لم يكن غيره فاختلفت التجليات لاختلاف الشرائع واختلفت الشرائع لاختلاف النسب الالهية وقد تقدم ودار الدور بكل شيء أخذته من هذه المسائل صلح أن يكون أولا وآخرا ووسطا وهكذا كل أمر دوري يقبل كل جاء منه بالفرض الاولية والاخروية وما بينهما فارتبطت أبواب المعرفة بعضها ببعض فكل لفظ جاءت به الشريعة فهو على ما جاءت به لكن علمنا يعرف بأي لسان تكلم الشرع ولمن خاطب وبمن خاطب ولمن ترجع الافعال وإلى من تنسب الاقوال ومن المتقلب في الاحوال ومن له ضرب الامثال وما أخذ من أخذ في التشبيه إلا من جهة ضرب الامثال فلذلك نهانا الله تعالى عن ضربها له فقال ـ فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون ـ فان ضرب المثل مقام وراء طور العقل أي أنه لا يستقل العقل بادراكه من حيث ماهو مفكر فان الذي عند العقل من العلم بالله من حيث فكره علم التنزيه وضرب الامثال تشبيه وموضع التشبيه من ضرب المثل دقيق لا يعرفه إلا من عرف المشبه به والمشبه به غير معروف فالامر الذي تحقق منه ضرب المثل مجهول فالنظر فيه من حيث الفكر حرام على كل مؤمن وهو في نفس الامر ممنوع الوصول إليه عند كل ذي عقل سليم فلذلك حذر الشارع من التفكر في ذات الله قرآنا وحديثا كقوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد فأعلمنا أنه إنما منعنا من ذلك رأفة بنا ورحمة وكقوله تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله وكلكم حمقى في ذات الله فهو سبحانه وتعالى يشبه بالاشياء تنزلا لادراك الافهام لقوله تعالى مثل نوره كمشكاة وقوله كل يوم هو في شأن وسنفرغ لكم أيه الثقلان ولا تشبه به الاشياء لدخولها تحت الحدود والاحكام لقوله تعالى ليس كمثله شيء ولم يقل ليس هو كمثل شيء فتشبيهه بالاشياء تنزل وتشبيه الاشياء به ترفع ونقل عن حدود الامكنة وتعقلاتها إلى سراح مطلق وجود المكانة وسماتها فللسيد أن يتقيد لعبيده ليعرفوا مرتبته ولا يخرجه ذلك عن اطلاقه وليس للعبد أن يخرج من تقييده طلبا لاطلاق سيده بدعوى استحقاقه كما ستراه في النوع السادس مبسوطا فالحقائق منزهة والتجليات مشبهة إذ المتجلي عليه أعيان الممكنات والحكم لها كما أن الاثر للتجليات كما ستقف عليه في النوع الذي يليه

﴿ النوع الخامس من علوم المعرفة علم التجلي ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن التجلي الإلهي دائم لا حجاب عليه ولكنه لا يعرف أنه هو وذلك ان الله تعالى لما خلق العالم سمعه كلامه في حال عدمه وهو قوله كن فكان مشهودا له سبحانه ولم يكن الحق مشهودا للعالم وكان على أعين الممكنات حجاب العدم لم يكن غيره فلا تدرك الوجود وهي معدومة كالنور ينفر الظلمة فانه لا بقاء للظلمة مع وجود النور كذلك العدم والوجود فلما أمرها بالتكوين لامكانها واستعداد قبولها سارعت لترى ما ثم لان في قوتها الرؤية كما أن في قوتها السمع من حيث الثبوت لا من حيث الوجود فلما وجد الممكن انصبغ بالنور فزال العدم وفتح عينيه فرأى الوجود الخير المحض فلم يعلم ولا علم أنه هو الذي أمره بالتكوين فأفاده التجلي علما بما رآه من الوجود لا علما بانه هو الذي أعطاه الوجود لانه لم يشهده إلا في حضرة الربوبية والامداد وتفرد القديم بحضرة الالوهية والايجاد فانه لا يعرفه فيها إلا هو فاعماه عن رؤية نفسه فبقي لا يعرف

من أين صدر ولا كيف صدر ولكن تحقق عنده حدوثه وعرف ذاته نفسه معرفة احاطة فكانت تلك المعرفة له غذاء يتقوت به وتدوم حياته آخر إلى غير نهاية ولم يخلق سبحانه خلقا إلا وهو أى ذلك الخلق يعرفه فما جهله أحد ولذلك خلقهم فلما انصبغ الممكن بالنور التفت على اليسار فرأى العدم فتحققه فاذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث من الشخص إذا قابله النور فقال ماهذا فقال له النور من الجانب الايمن هذا هو أنت فلو كنت أنت النور لما ظهر للظل عين فانا النور وأنا مذهبه ونورك الذى أنت عليه إنما هو من حيث ما يواجهني من ذاتك ذلك لتعلم أنك لست أنا فانا النور بلا ظل وأنت النور الممتزج لامكانك فان نسبت إلى قبلتك وان نسبت إلى العدم قبلك فانت بين الوجود والعدم وأنت بين الخير والشر فان أعرضت عن ظلك فقد أعرضت عن امكانك وجهلتني ولم تعرفني فانه لا دليل لك على أني الهك وربك وموجدك إلا امكانك وهو شهود ظلك فان لم تعلم أنه ظلك وتخيلت أنه ظل المحال والمحال والواجب متقابلان من جميع الوجوه فان دعوتك إلى أى إلى وجودي لم تجبني ولم تسمعني فانه يصمك ذلك الشهود لظل المحال الذى تخيلت عن دعائي فلا تنظر إلى نظرا يفنيك عن ظلك فتدعى أنك أنا فتقع في الجهل ولا تنظر إلى ظلك نظرا يفنيك عني فانه يورثك الصمم فتجهل ماخلقتك له فكن تارة وتارة وماخلق الله لك عينين إلا لتشهدني بالواحدة وتشهد ظلك بالاخرى فعدم المحال ظلمة وعدم الممكن ظل لا ظلمة ولهذا في الظل راحة الوجود فقال له عند هذا التجلي الاقدس ما اسمى عندك فقال أنت ربي لعلمه به في حضرة الربوبية فقال له سبحانه أنت مربوبي كما قدمنا في النوع الثاني وهذا التجلي الاول الذى حصل للممكن عندما اتصف بالوجود وانصبغ بالنور اه * والتجلي للأرواح النورية التي ليست لها هذه منها الهيا كل الظلمة ولكن لها ظل امكانها الذى لا يبرح فيها وهي وان كانت نورا بما انصبغت به فظلها فيها لا ظهور له عليها وحكمه فيها لا يزول ثم بعد هذا التجلي الابداعي تجلى تجليا لبعض هذه الارواح المبدعة فعلم هذا البعض منه أى المتجلي في هذا التجلي المراتب التي تظهر عنه في عالم الانوار والظلم واللطائف والكثائف والبسائط والمركبات والجواهر والاعراض والازمنة والامكنة والاضافات والكيفيات والكميات والاوضاع في الفاعلات والمنفعلات إلى يوم القيامة وأنواع العالم * ومبلغها أى المراتب مائتا ألف وسبعة آلاف وستمائة مرتبة وهي علم العقل الاول الذى هو أول ماخلق الله ويعبر عنه مرة بالقلم فلما علم العقل المسمى بالقلم من هذا التجلي هذه المراتب وهي علومه كان من جملة ذلك انبعاث النفس الكلية عنه وهي المعبر عنها باللوح وهي أول مفعول انبعاثي وهي ممتزجة بين ما انفعل عنها وبين ما انفعلت عنه فالذى انفعلت عنه نور والذى انفعل عنها ظلمة وهي الطبيعة فظهر ظل النفس في ظاهرها مما يلي جانب الطبيعة لكن لم يمتد عنها ظلها كما امتد عن الاجسام الكثيفة وانتقش فيها جميع ما للعقل من العلوم التي ذكرناها وله وجه خاص إلى الله لا علم للعقل به فانه سر الله الذى بينه وبين كل مخلوق ولا تعرف نسبته ولا يدخل تحت عبارة ولا يقدر مخلوق على إنكار وجوده فهو المعلوم المجهول وهذا هو التجلي في الاشياء المبقى أعيانها * وأما التجلي للأشياء فهو تجل يفنى أحوالا ويعطى أحوالا في المتجلي له ومن هذا التجلي توجد الاعراض والاحوال في كل ماسوى الله ثم له تجل في مجموع الاسماء فيعطي في هذا التجلي في العالم المقادير والاوزان والامكنة والازمان والشرائع ومايليق بعالم الاجسام وعالم الارواح والحروف اللفظية والرقمية وعالم الخيال ثم له تجل آخر في الاسماء الاضافية خاصة كالخالق وما أشبهه فيظهر في العالم التوالد والتناسل والانفعالات والاستحالات والنسب وهذه كلها حجب على أعيان الذوات الحاملة لهذه الحجب عن إدراك ذلك التجلي

الذى لهذه الحجب الموجود أعيانها فى أعيان الذوات وبهذا القدر تنسب الافعال للأسباب ولولاها لكان الكشف فلا يجهل ولكن كما قال تعالى ــ مايبدل القول لدى ــ ووقوع خلاف المعلوم محال فبالتجلى تغير الحال على الأعيان الثابتة من الثبوت إلى الوجود وبه ظهر الانتقال من حال إلى حال فى الموجودات وهو خشوع تحت سلطان التجلى فله النقيضان يمحو ويثبت ويوجد ويعدم فالله متجل على الدوام لأن التغيرات مشهودة على الدوام فى الظواهر والبواطن والغيب والشهادة والمحسوس والمعقول فشأنه التجلى وشأن الموجودات التغير بالانتقال من حال إلى حال فمنا من يعرفه ومنا من لا يعرفه فمن عرفه عبده فى كل حال ومن لم يعرفه أنكره فى كل حاله ثبت فى الصحيح انه ﷺ قال الحمد لله على كل حال فأثنى عليه على كل حال لأنه المعطى بتجليه كل حال فالمنكر لتغير التجليات منكر لقوله تعالى ــ كل يوم هو فى شأن ــ فتجلى إحدى العين بأحوال الهية فى أعيان كيانية مختلفة الكون بأسماء نسبية عينتها تغييرات كونية فالعالم فى حال شهود أبدا والتغير كائن أبدا لكن بالملائم وغير الملائم وهو المعبر عنه بالنفع والضر فلا صفة كونية إلا ولها مستند إلى حقيقة الهية وإلا فمن يحفظ عليها وجودها إذا المرتبة كما علمت مرتبطة بوجود العالم ارتباطا معنويا فوجوده من كمالها فله الكمال العرضى كما أن للذات الكمال الذاتى وسمى عرضيا لتوقفه على الأفعال وهى عارضة كما علمت فلولا الكون لم يكن ربا على نفسه وهو رب فلابد من العالم فلهذا الارتباط لم يجعل له عليهم حقا إلا وجعل مثله لهم عليه جعل له عليهم الطاعة بأنواعها وجعل لهم على نفسه المثوبة بأصنافها فعملوا له ففعل لهم لكن عملهم تسخير وخدمة وفعله لهم قيام بالمصلحة لحشمه فقاموا له وقام لهم كل بما يليق به وعلل فعله بأفعالهم فقال ــ من يطع الله ورسوله يدخله جنات ــ ومن يعص الله ورسوله يدخله نارا ــ ومعلوم ان اللاحق لا يكون سببا للسابق لكن اقتضت المرتبة وحدوث من ظهرت فيه وهو العالم ذلك ثم انه لم يكلفهم إلا بما يطيقون فالتكليف بما لا يطاق محال على العالم الحكيم أن يشرعه ولا تقل ان التكليف بإيمان من سبق فى العلم أنه لا يؤمن كأبى جهل تكليف بما لا يطاق، لأنا نقول إنا نعنى بالتكليف بما لا يطاق التكليف بما لم تجر العادة بعدم طاقته كاصعد إلى السماء بغير سبب واجمع بين الضدين وأما ماجرت العادة بطاقته كاعتقاد الإيمان أو التلفظ به وكلاهما يجد الإنسان فى نفسه التمكن منه كسبا فهذه هو الذى وقع به التكليف وهو الذى تقوم به الحجة لله على العبد يوم القيامة كما قال تعالى ــ قل لله الحجة البالغة ــ والا لكان يقول ولله أن يفعل مايريد كما قال ــ لا يسئل عما يفعل ــ فانهم إذا قالوا له لم أمرتنا مع علمك بما قدرته علينا من مخالفتك يقول لهم هل أمرتكم بما تطيقونه أو بما لا تطيقونه فلابد أن يقولوا كلفتنا بما جرت العادة به أن نطيقه فثبت أن لله الحجة البالغة فانهم جاهلون بعلم الله فيهم زمن التكليف فهذا علم التجلى ومن لم يعرفه فلا معرفة له

﴿ النوع السادس من علوم المعرفة علم الخيال وعالمه المتصل والمنفصل ﴾

وهو ركن عظيم من أركان المعرفة. وهو علم البرزخ. وعلم سوق الجنة وعلم التجلى الإلهى فى القيامة فى صور التبدل. وهو علم ظهور المعانى التى لا تقوم بنفسها مجسدة مثل الموت فى صورة كبش أملح . وهو علم مايراه الناس فى النوم. وعلم الموطن الذى يكون به الخلق بعد الموت وقبل البعث . وهو الصور. وفيه تظهر الصور المرئية فى الأجسام الصقيلة كالمرآة وليس بعد العلم بالأسماء الالهية ولا التجلى وعمومه أتم من هذا الركن فإنه واسطة العقد إليه ترجع الحواس . وإليه تنزل المعانى وهو لا يبرح من موطنه

ـ يجبى إليه ثمرات كل شيء ـ وهو صاحب الإكسير الذي تحمله على المعنى فيجسده في أي صورة شاء لا يتوقف له النفوذ في التصرف والحكم تعضده الشرائع وتثبته الطبائع فهو المشهود له بالتصرف التام وله التحام المعاني بالأجسام يحير الأدلة والعقول، فنقول اعلم أنه ما من معلوم كائن ما كان إلا وله نسبة إلى الوجود بأي نوع كان من أنواع الوجود ومراتبه الأربع * أحدها الوجود العيني وهو الوجود في نفسه على أي حقيقة كان من الإتصاف بالدخول والخروج أو بنفيهما فيكون مع كونه موجودا في عينه لا داخل العالم ولا خارجه لعدم شرط الدخول والخروج وهو التحيز وليس ذلك إلا لله خاصة وأما ما هو من العالم ما هو قائم بنفسه غير متحيز كالنفوس الناطقة والعقل الأول والنفس الكلية والأرواح المهيمنة والطبيعة والهباء وأعني بهذه كلها أرواحها فكل ذلك داخل في كرة العالم إلا أنه لا داخل أجسام العالم ولا خارج عنها فانها غير متحيزات * الثانية الوجود الذهني وهو كون المعلوم متصورا في النفس على ما هو عليه في حقيقته فان لم يكن التصور مطابقا للحقيقة فليس ذلك بوجود له في الذهن، والثالثة الكلام والمعلومات فلها وجود في الألفاظ وهذا الوجود اللفظي ويدخل في هذا الوجود كل معلوم حتى المحال والعدم فان له الوجود اللفظي لأنه يوجد في اللفظ ولا يقبل الوجود العيني أبدا أعني المحال وأما العدم فان كان العدم الذي يوصف به الممكن فيقبل الوجود العيني وإن كان العدم الذي هو المحال فلا يقبل الوجود، والرابعة الوجود الكتابي وهو الوجود الرقمي فالمحال وإن كان لا توجد له عين فله نسبة وجود في اللفظ والخط فما ثم معلوم لا يتصف بالوجود بوجه ما وسبب ذلك قوة الوجود الذي هو أصل الأصول وهو الله تعالى اذ به ظهرت هذه المراتب وتعينت هذه الحقائق وبوجوده عرف من يقبل مراتب الوجود كلها ممن لا يقبلها فما في العلم معدوم مطلق العدم ليس له نسبة إلى الوجود بوجه ما هذا ما لا يعقل فافهم هذا الأصل وتحققه، ثم اعلم ان حقيقة الخيال المطلق هو المسمى بالعماء الذي هو أول ظرف قبل كينونة الحق ورد في الصحيح أنه قيل لرسول الله ﷺ أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء وإنما قال هذا من أجل ان العماء عند العرب هو السحاب الرقيق الذي تحته هواء وفوقه هواء فلما سماه بالعماء أزال ما يسبق إلى فهم العرب من ذلك فنفى عنه الهواء حتى تعلم أنه لا يشبهه من كل وجه فهو أول موصوف بكينونة الحق فيه فان للحق على ما أخبر به خمس كينونات. كينونة في العماء وهو ما ذكرناه. وكينونة في العرش وهو قوله ـ الرحمن على العرش استوى ـ وكينونة في السماء وهي قوله ينزل ربنا إلى السماء الدنيا . وكينونة في السماء والأرض وهي قوله ـ وهو الله في السموات وفي الأرض ـ وكينونة عامة وهي معينة للموجودات على مراتبها حيث ما كانت كما قال ـ وهو معكم أينما كنتم ـ وكل هذه النسب بحسب ما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه ولا تصور بل كما تعطيه ذاته وما ينبغي أن ينسب إليها من ذلك ـ لا إله إلا هو العزيز ـ فلا يصل أحد إلى العلم به ولا إلى الظفر بحقيقة الحكيم الذي تنزل لعباده في كلماته فقرب البعيد في الخطاب لحكمة أرادها تعالى ففتح الله تعالى في ذلك العماء صورة كل ما سواه من العالم إلا أن ذلك العماء هو الخيال المحقق ألا تراه يقبل صور الكائنات كلها ويصور ما ليس بكائن هذا لاتساعه فهو عين العماء لا غيره وفيه ظهرت جميع الكائنات ولهذا يتخيل في الخيال المتصل من لا معرفة له بما ينبغي لجلال الله بتصوره فاذا تحكم عليه الخيال المتصل فما ظنك بالخيال المطلق الذي هو كينونة الحق فيه وهو العماء فمن تلك القوة ضبطه الخيال المتصل ثم جاء الشرع في أماكن يقرر ما ضبطه الخيال المتصل من كينونة الحق في قبلة المصلي وفي مواجهة المصلي إياه

فقبله الخيال المتصل وهو من بعض وجوه الخيال المطلق الذى هو الحضرة الجامعة ثم ظهر فى عين هذا العماء الملائكة المهيمنة وما هم ملائكة بل أرواح مطهرة ثم مازال يظهر فيه صور أجناس العالم شيئا بعد شىء وطورا بعد طور إلى أن كمل من حيث أجناسه فلما كملت بقية الأشخاص من هذه الأجناس تتكون دائما تكوين استحالة من وجود إلى وجود لا من عدم إلى وجود فخلق آدم من تراب وخلق بنى آدم من الماء المهين ثم خلق النطفة علقة فلهذا قلنا فى الأشخاص إنها مخلوقة من وجود لا من عدم فان الأصل على هذا كان هو العماء فما خلق شىء من عدم لا يمكن وجوده بل ظهر فى أعيان ثابتة وتشكل فى صور مختلفة من الاستحالة الكائنة والاستحالة منها البطىء كاستحالة النطفة انسانا والعناصر نباتا . ومنها السريع كاستحالة الصور فى القوة المتخيلة فى الإنسان وهو الخيال المتصل ثم إن هذا العماء هو عين البرزخ بين المعاني التى لا أعيان لها فى الوجود وبين الأجسام النورية والطبيعية كالعلم والحركة هذا فى النفوس وهذه فى الأجسام فتجسد فى حضرة الخيال كالعلم فى صورة اللبن وكذلك تعين النسب وإن كانت لا عين لها لا فى النفس ولا فى الجسم كالثبات فى الأمر نسبة إلى الثابت فيه فيظهر هذا الثبات فى صورة القيد المحسوس فى حضرة الخيال المتصل وكالأرواح فى صورة الأجسام المتشكلة الظاهرة بها كجبريل فى صورة دحية ومن ظهر من الملائكة فى صور الذر يوم بدر هذا فى الخيال المنفصل وكالعصى والحبال فى صور الحيات تسعى كما قال تعالى ــ يخيل إليه ــ أى إلى موسى ــ من سحرهم ــ أى من علمهم بما فعلوه ــ أنها تسعى ــ فأقاموا ذلك فى حضرة الخيال فأدركها موسى مخيلة ولم يعرف حقيقتها بل ظن أنها مثل عصاه فى الحكم ولهذا خاف فقيل له ــ لا تخف إنك أنت الأعلى ــ وقد تقدم لك فى موقف الاستقامة فرقان بين الخيال المتصل والخيال المنفصل فان المنفصل حضرة ذاتية وهى ما نحن فيه من هذا النوع السادس والمتصل يذهب بذهاب المتخيل ومن هذا الباب التجلى الالهى فى صور الاعتقادات وهذا مما يجب الايمان به أخرج مسلم فى الصحيح من حديث أبى سعد الخدرى رضي الله عنه وهو حديث طويل . وفيه حتى اذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر فيأتيهم رب العالمين تبارك وتعالى فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال فيقول ماذا تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم قال فيقول أنا ربكم قال فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبين ربكم آية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود ولا من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره من طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول عن صورته التى رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم قال فيقولون نعم أنت ربنا الحديث فانظر نظر المنصف فى هذا الخبر من تحول الحق سبحانه فى الصور وهو سبحانه لا غيره فأنكر فى صورة وأقر به فى صورة والعين واحدة والصور مختلفة فهذا عين ما أردناه من اختلاف الصور فى العماء أعنى صور العالم فالصور بما هى صور هى المتخيلات والعماء الظاهرة فيه هو الخيال وفى هذا الحديث شفاء لكل صاحب علة إذا استعمله بالنظر السديد على الانصاف وطلب الحق وهكذا تجلى على القلوب وفى أعيان الممكنات فهو الظاهر وهو الصور بما تعطيه أعيان الممكنات باستعداداتها فيمن ظهر فيها واختلاف أعيان الممكنات فى أنفسها فى ثبوتها والحكم لها فيمن ظهر فيها وهذا أيضا تجلى الحق للنائم فى حال نومه ويعرف أنه الحق ولا يشك ويقول له عابر

الرؤيا حقا رأيت وهو فى الخيال المتصل فما أوسع حضرة الخيال وما أضيقها فهى ضيقة من حيث إنها لا تجرد المعانى عن المواد أصلا ولهذا كان الحس أقرب شىء إليها فان الخيال من الحس يأخذ الصورة فلا يقبل المعانى أبدا مجردة عن موادها كما فى ذاتها فيرى العلم فى صورة لبن أو عسل ولؤلؤ ويرى الاسلام فى صورة عمد والقرآن فى صورة سمن والدين فى صورة قيد ويرى الحق فى صورة إنسان وهى أيضا واسعة إذ فيها يظهر وجود المحال بل لا يظهر فيها على التحقيق الا وجود المحال فان واجب الوجود وهو الله تعالى لا يقبل الصور وقد ظهر بالصورة فى هذه الحضرة فقد قبل المحال الوجود فى هذه الحضرة وفيها يرى الجسم فى مكانين كما رآه آدم نفسه خارجا عن قبضة الحق فلما بسط الحق يده فاذا فيها آدم وذريته الحديث فهو فى القبضة وهو عينه خارجا عن القبضة فلا تقبل هذه الحضرة الا وجود المحالات وكذلك الانسان فى بيته نائم ويرى نفسه على صورته المعهودة فى مدينة أخرى وعلى حالة أخرى تخالف حالته التى هو عليها وهو عينه لا غيره لمن عرف أمر الوجود على ماهو عليه ولولا هذه الرائحة ماقدر العقلاء على فرض المحال عند طلب الدلالة على أمر ما لأنه لو لم يقبل المحال الوجود فى حضرة ما ماصح أن يفرض ولا يقدر فاذا قلت مثل هذا لمن فرضه ينسى بالخاصية حكم مافرضه ويقول لا يتصور وجود المحال وهو يفرض وجوده ويحكم عليه بما يحكم على الواقع فلو لم يتصوره ماحكم عليه وإذا تصوره فقد قبل الوجود بنسبة ما فتحقق ماقلناه تجد الحق ومن هذا الباب مشاهدة المقتول في سبيل الله فى المعركة ميتا وهو فى نفس الأمر حى يرزق ويأكل يدركه المؤمن بإيمانه والمكاشف ببصره وكالميت فى قبره تشاهده ساكتا وهو متكلم يسئل ويجيب * فان قلت لمن يرى هذا أنه خيل إليه يقول لك بل أنت خيل لك أنه ساكت وهو متكلم وخيل إليك أنه مضطجع وهو قاعد ويعضده الايمان بالخبر الصحيح الوارد فهو أقوى فى الدلالة منك فعينه أتم نظرا من عينك والكامل الذى هو أكمل من الاثنين يقول لكل واحد منهما صدقت هو ساكت متكلم مضطجع قاعد مقتول حى وكل صورة مشهودة فيه من هذا الباب الذى ذكرناه وكذلك إدراكات الجنة فاكهتها لامقطوعة ولاممنوعة مع وجود الأكل وارتفاع الحجر فيأكلها من غير قطع بمجرد القطف وتربه من الشخص وعدم امتناعها من القطف ووجود الأكل وإبقاء العين فى غصن شجر غير مقطوع وكذلك سوق الجنة تظهر فيه صور حسان إذا نظر إليها أهل الجنان فكل صورة يشتهيها أحدهم يدخل فيها فيلبسها ويظهر بها فى ملكه وهو يراها فى السوق ما انقطعت ولا فقدت ولو اشتهاها كل من فى الجنة دخل فيها وهو على حالها فى السوق مابرحت فهذا كله نظير الحقائق كالبياض فى كل أبيض بذاته لا أنه انقسم ولا تجزأ بل حقيقة البياضة معقولة ماانتقص منها شىء مع وجودها فى كل أبيض وكذلك الحيوانية فى كل حيوان والانسانية فى كل إنسان فيعترف بهذا جميع العقلاء وينكرون ماذكرناه من هذه الأمور فى التجلى وغيره فما جاء من ذلك فى الكتاب والسنة اعترف به المؤمنون وساعد عليه أهل الكشف وأنكره أصحاب النظر وإن قبلوه قبلوه بتأويل بعيد وتسليم لمن قاله إذا كان القائل له الله ورسوله فان ظهر عنك مثله جهلوك وأنكروا ذلك ونسبوك إلى فساد الخيال فهم يعترفون بما أنكروه فانهم أثبتوا الخيال وفساده ولا يدل فساده على عدمه وإنما فساده حيث لم يطابق عندهم الصحيح الذى هو صحيح وسواء عند العارفين قلت فيه صحيح أو فاسد قد ثبت عينه ولم يكن مقصود العارفين إلا إثبات وجود الخيال من غير تعرض إلى صحة مايظهر فيه ولا إلى فساده فقد ثبت أن الحكم له بكل وجه وعلى كل حال فى المحسوس المعقول والحواس والعقول وفى

الصور والمعانى وفى المحدث وفى القديم وفى المحال وفى الممكن وفى الواجب ومن لا يعرف مرتبة الخيال فلا معرفة له جملة واحدة وهذا الركن من المعرفة إذا لم يحصل للعارفين فما عندهم من المعرفة رائحة اهثم إنه يؤكد ماذكرنا أنك لاتشك أن مدركات نومك خيال ولاتشك أنك مدرك لكل ماأدركته بحسك فى اليقظة وهذا رسول الله ﷺ يقول الناس نيام فاذاماتوا انتبهوا فنبه على أن ماأدركتموه فى هذه الدار هو مثل إدراك النائم بل هو إدراك النائم فى النوم وهو خيال ولا شك إن الناس بين هذه الدار والدار الآخرة فى البرزخ وهو مقام الخيال فانتباهك بالموت هو كمن يرى أنه استيقظ من النوم فى حال نومه فيقول فى النوم رأيت كذا وكذا وهو يظن أنه قد استيقظ يعضد هذا الخبر قوله تعالى ـ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ـ أى تدرك مالم تكن أدركته بالموت فهو يقظة بالنسبة لما كنت عليه فى حال الدنيا وأنت لاتشك فى ادراكاتك الدنيوية فى اليقظة مادامت فى الدنيا أنها غير خيال ثم إذا بعثت فى النشأة الآخرة يقول المبعوث ـ من بعثنا من مرقدنا هذا فكان كونه في مدة موته كالنائم فى حال نومه مع كون الشارع سماه يقظة وهكذا كل ماتكون فيه لابد لك من الانتقال عنه وتبقى مثل ما كنت عليه فى خيالك المتصل وهو بعض من الخيال المنفصل فالوجود الخيالى ليس بوجود فى الحقيقة إذ لو كان وجودا حقيقيا لما تغير ولا انتقل فأن الحقائق لاتتبدل وحقيقة الخيال التبدل فى كل حال والظهور فى كل صورة ولا وجود حقيقى لايقبل التبديل إلا الله فما فى الوجود المحقق إلا الله وأما ماسواه فهو فى الوجود الخيالى وإذا ظهر الحق فى هذا الوجود الخيالى فلا يظهر فيه إلا بحسب حقيقة الخيال فالحكم لحضرة الخيال لايظهر بذاته التى لها الوجود الحقيقى ولهذا جاء فى الحديث الصحيح تحوله فى الصور فى تجليه لعباده وهو قوله كل شىء هالك فإنه لاتبقى حالة أصلا فى العالم لا كونية ولا الهية إلا وجهه يريد ذاته اذ وجه الشىء ذاته فلا يهلك أين الصورة التى تحول فيها من الصورة التى تحول عنها هذا حظ الصورة التى تحول عنها من نسبة الهلاك اليها فكل ماسوى ذات الحق خيال حائل وظل زائل فلا يبقى كون فى الدنيا والآخرة وما بينهما ولا روح ولا نفس ولا شىء مما سوى الله أعنى ذات الحق على حالة واحدة بل تتبدل من صورة إلى صورة دائما أبدا وليس الخيال إلا هذا فهو لا هو عين معقولية الخيال انظره فى الاصل حيث قال فى العماء فشبه بالخيال والتشبيه تخيل والعماء هو جوهر العالم كله فالعالم ماظهر إلا فى الخيال فهو متخيل لنفسه فهو هو وماهو ومما يؤيد ماذكرناه ومارميت إذ رميت فبقى عين ماأثبت أى تخيلت انك رميت ولا يشك أنه رمى ولهذا قال إذ رميت ثم قال الرمى صحيح ولكن الله رمى أى ظهرت يا محمد بصورة حق فاصابت رميتك ما لا تصيبه رمية البشر وبالجملة فالخيال لا موجود ولا معدوم ولا مجهول ولا معلوم ولا منفى ولا مثبت فانك إذا أدركته وكنت عاقلا تعلم أنك أدركت شيئا وجوديا وقع بصرك عليه وتعلم قطعا أنه ماثم شىء رأسا فما هذا الذى أثبت له شيئية وجودية ونفيتها عنه فى حال اثباتك إياها فرؤيتك لهذا المدرك ببصرك لم تخرجه عن حقيقة الخيال فكذلك أعيان الممكنات فايجادها من قدرته تعالى واتصافها بالوجود فى حضرة امكانها مع ما اخرجها عن حقيقتها ولكنه كساها خلعة الوجود فاتصفت به بعد أن كانت موصوفة بالعدم مع ثبوت العين فى الحالتين وبقى الكلام فى ذلك الوجود الذى كساه الحق لهذا الممكن ولم يخرجه عن موطنه ماهو ذلك الوجود هل كان معدوما ووجد فالوجود لا يكون عدما ولا يكون موجودا وإن كان معدوما فما حضرته فإن كانت الإمكان فلا فرق بينه وبين هذا العين التى خلع عليها الوجود فإن هذا الوجود من حيث هو معدوم فى هذه الحضرة يحتاج إلى وجود وهذا تسلسل

يؤدى إلى أن لا توجد هذه العين وهى قد وجدت وما أخرجها وجودها عن حضرة الإمكان فكيف الأمر
﴿اعلم﴾ أنه سبحانه وتعالى ما خلق هذه الأجسام الصقيلة التى تصف الأشياء متى قابلتها كالمرآة والسيف إلا لنعتبر بها فى مثل هذا الوجود الذى فيه الكلام فهو أشبه شيء بالصورة التى ترى فى المرآة ما هى عين الرائى ولا هى غير عين الرائى فالناظر ناظر من حيث ذاته والمرآة مرآة من حيث ذاتها وبمجموعها ظهرت الصورة الظاهرة وتنوعت بتنوع المرآة فالناظر اكسب الصورة الوجود بحكم التجلى والمرآة اكسبتها بحكم المجلى الأشكال من الطول والعرض والكبر والصغر والاستدارة وغير ذلك من الأشكال التى تختلف باختلاف أنواع المرايا ولكل منهما عمل فى الصورة فالناظر هو فى نفسه على غير تلك الصورة من وجه وعلى تلك الصورة من وجه آخر بدليل أن اليمنى للصورة هى اليسرى للناظر واليمنى للناظر هى اليسرى للصورة ووجه الناظر إلى غير جهة وجه الصورة والناظر له الوجود من خارج المرآة بخلاف الصورة بل هى غيب فيها فلهذا ترى الصورة تبعد فى المرآة إذا بعد الناظر وتقرب إذا قرب وتفقد إذا لم يقابلها الناظر فتبقى للمرآة مستعدة للصورة منتظرة مقابلة الناظر ويبقى الناظر قابلا لما استعدت له المرآة فحصلت المؤاخاة بين الاستعداد والقبول على وجود الصورة فالأثر فى وجود الصورة للناظر القابل المقابل إذ لا تظهر المرآة المستعدة الصورة إلا بمقابلة الناظر لها ثم بعد المقابلة تحكم عليها المرآة بما استعدت به من الأشكال فلذا اختلفت الصورة فى المرآة مع توحد ذات الناظر فيها فى نفس الأمر فكل مرآة تظهره بحسب ماهي عليه فلما رأينا المرآة لها بذاتها حكم فى الصورة ورأينا الناظر في نفسه يخالف تلك الصورة من وجه علمنا أن الناظر فى ذاته ما أثرت فيه ذات المرآة بل تركته على حقيقة ما هو عليه فى ذاته ولما لم تتأثر ولم تكن تلك الصورة عين المرآة ولا عين الناظر وإنما ظهرت من حكم التجلى للمرآة علمنا الفرق بين الناظر وبين المرآة وبين الصورة فلو قلت ما فى المرآة إلا من تجلى لها لصدقت مع علمك أنه ما فى المرآة شيء أصلا ولا فى الناظر فيها شيء مع إدراك النوع والتأثر بالحكم فى عين الصورة من المرآة وإدراك كون الناظر على ما هو عليه لم يتأثر فلهذا قال بعض الرجال ما فى الجبة إلا الله يريد ما فى الوجود إلا الله فالصورة الظاهرة برزخية بين الناظر والمرآة فالمرآة حضرة الامكان والناظر الحق تعالى والصورة امكانيتك من ملك أو إنسان أو فرس بحسب أصناف الممكنات فاشكالها لم تخرجها عن حضرة إمكانها كما أن اختلاف الهيآت فى المرآة لم يخرجها عن كونها مرآة بل هى مرآة فى كل حال فلم تظهر الصورة فى المرآة على وجود الناظر من جميع الوجوه بل حكمت عليها المرآة المعبر عنها بحضرة الإمكان بحكم يخالف حكم حضرة واجب الوجود لنفسه وهو الناظر فى هذه المرآة فالصورة من حيث رسم الوجود هى هو ومن حيث مقدارها وشكلها ما هى هو وإنما هى من حكم حضرة الإمكان التى هى المرآة تتنوع بتشكلها فى نفسها ومقدارها فى الصغر والكبر ولا تعلق لحقيقة وجود الناظر فى تنوع الاشكال فى المرآة فقد كساها الوجود على الوجه الذى وقع به الاستعداد فتنوع الصورة والوجود باق على حاله كما علمت فلا بد اذن من نسبة الصورة لكل من الناظر والمرآة كل بحسب ماله فيها فالناظر بالتجلى والمرآة بالمجلى والناظر بالقبول والمرآة بالاستعداد والناظر بالتأثير والمرآة بالحكم والفرق بين الأثر والحكم هو أن الناظر متمكن من عدم المقابلة التى تنشأ عنها الصورة فله الأثر والمرآة لا تتمكن من عدم اعطاء الصورة ما لها من الأشكال متى تجلى لها الناظر فلها الحكم بالشكل فاظهر الله هذه الحقيقة لعبده ضرب مثل ليعلم ويتحقق أنه إذا عجز وحار فى درك حقيقة هذه وهى من العالم ولم يحصل له علم بحقيقتها فهو بخالقها أعجز وأجهل وأشد حيرة

ونبه بذلك على أن تجليات الحق أرق والطف معنى من هذا الذى قد حارت العقول فيه وعجزت عن إدراك حقيقته إلى أن بلغ عجزها إلى أن تقول هل لهذا ماهية أولا ماهية له فانها لا تلحقه بالعدم المحض وقد أدرك البصر شيئا ما ولا بالوجود المحض وقد علمت أنه ماثم شيء ولا بالامكان المحض وأوضح من هذا من البيان لا يكون فالعدم المرجح عليه الوجود فى الممكن ليس هو العدم المتقدم على وجوده وإنما هو العدم الذى هو له فى مقابلة وجوده فى حال وجوده إذ لو لم يكن الوجود لكان العدم فذلك العدم هو المرجح عليه الوجود فى عين الممكن هذا هو الذى يقتضيه النظر العقل . وأما مذهب أهل الكشف فالعين الممكنة إنما هى ممكنة لا تكون مظهرا الا لأن تقبل الاتصاف بالوجود فيكون الوجود عينها إذا فليس الوجود فى الممكن عين الوجود بل هو حال لعين الممكن به يسمى الممكن موجودا مجاز الاحقيقة لأن الحقيقة تأبى أن يكون الممكن موجودا فلا يزال كل شيء كالم يزل فالوجود وجود والعدم عدم والموصوف بانه موجود موجود والموصوف بانه معدوم معدوم فلم يزل سبحانه وتعالى ربالنا فى حال عدمنا وفى حال وجودنا والامكان لنا كالوجوب له تعالى فليس كل منهما بجعل جاعل كما أن الاستعداد منا والقبول له ذاتيان وإنما العارض تعيين استعداد عن استعداد آخر يكون المحل صالحا لهما فالاستعداد المؤثر إنما هو استعداد ذاتي وأما الاستعداد العرضى فلا حكم له بل الاستعداد العرضى رتبة أظهرها الاستعداد الذاتى وغاب هذا القدر من العلم عن أكثر الخلق وأما كونه أى المعدوم الممكن معد الماحصل له فلابد أن يكون فى نفسه على ذلك لا بجعل جاعل وإخفاء العدم الممكن فلولا أن العدم الممكن هو معد فى نفسه لقبول أثر المرجح ما كان له الترجيح إلى أحد الجانبين فى وقت وترجيح الجانب الآخر فى وقت آخر فالكامل منا ينظر إليه بعينين فالعين الواحدة تنظر إليه من كونه ذاتا غنيا عن العالمين فلا يراه فى شيء ولا فى نفسه والعين الاخرى تنظر إليه من اسمه الرحمن من كونه يطلب العالم ويطلبه العالم فيراه سارى الوجود فى كل شيء إذ كل حقيقة تعقل للحق لا تعقل مجردة عن الخلق فهى تطلب الخلق بذاتها أى الحقيقة ولابد من معقولية حق وخلق لان تلك الحقيقة الإلهية من المحال أن تبقى معطلة الحكم لان الحكم لها ذاتى ومن المحال أيضا أن يكون لها تعلق أثرى فى ذات الحق فلابد من معقولية الخلق سواء اتصف بالوجود أو بالعدم فثبوت عينه فى العدم بالتهيؤ كالبذرة لشجرة الوجود فهو فى العدم بذرة وفى الوجود شجرة فمن عرف نفسه أنه لم تزل عينه فى إمكانها عرف ربه بانه الموجود فى الوجود ومن عرف ان التغيرات الظاهرة فى الوجود هى أحكام استعدادات الممكنات عرف ربه عين مظهرها فالعالم كله حرف جاء لمعنى معناه الله ليظهر فيه أحكامه فلا يزال المعنى مرتبطا بالحرف فلا يزال الله مع العالم قال تعالى ـ وهو معكم أين ما كنتم ـ فالحضرة مجلى لما اكسبها التجلى الالهى والتجلى قابل لما استعدت له فلهذا الارتباط المعنوى كان الله سبحانه وتعالى يقبل التجلى فى الصور الطبيعية كثيفها ولطيفها وشفافها لأهل القيامة والقيامة برزخ ومافى الوجود غير البرازخ لأنه انتظام شيء بين شيئين * فتحصل من هذا كله ان التجلى إنما هو بالوجود الذاتى وهو واحد إنما تعدد بحسب تعدد أعيان الممكنات ومراتبها لا أنه إذا اعتبر مجردا يتعدد فى نفسه فتجليه سبحانه فى صور المعتقدات على اختلافها تجل واحد لا تعدد ولا اختلاف فيه وإنما الاختلاف لصور المعتقدات كما أن حقيقة البياض مثلا حقيقة واحدة فى نفسها لا تتجزأ ولا تختلف وإنما الاختلاف للاعيان التى قام بها البياض من ثوب وحيوان وغير ذلك منصاغة بحسب استعداد العين القائم بها فهو بياض على كل حال لا تختلف بياضيته فى نفسها فالعارف الكامل عرفه الله تعالى فى كل

صورة تجلى له فيها فانه اعتقد فيه قبول التجلى والظهور المتجلى له فى كل صورة وغير العارف الذى قيد التجلى بصورة معتقدة انكره فى غيرها فلم تختلف إلا المعتقدات لا التجلى فبهذا يرتفع الاشكال العقلى ومن أشكل الأمور فى العلم الالهى اختلاف الصور لماذا يرجع هل إلى الحق فى نفسه وهو الذى وقع به الانباء الإلهى وأحاله الدليل العقلى الذى أعطته القوة المفكرة فان كان الامر على ما أعطاه الانباء الالهى فما رأى أحد إلا الله فهو المرئى عينه فى الصور المختلفة وهو عين كل صورة وان رجع اختلاف الصور لاختلاف المعتقدات وكانت تلك الصور مثل المعتقدات لا عين المطلوب فما رأى أحد إلا اعتقاده سواء عرفه فى كل صورة كالعارف الكامل أو عرفه فى صورة مقيدة ليس غيرها كغير العارف ثم إن مثل هذا العلم لا يعلم إلا باخبار إلهى وقرينة حال فأما الاخبار الإلهى فقوله ﷺ إنه الذى يتحول فى الصور فى الحديث الصحيح وأما قرينة الحال فهى كونه ماخلق الخلق إلا ليعرفوه فلابد أن يعرفوه اما كشفا أو عقلا أو تقليدا لصاحب كشف أو عقل والرؤية تابعة للمعرفة فكما تعلقت به المعرفة فكان معروفا كذلك تعلقت به الرؤية فكان مرئيا والصحيح أنه يعلم ويرى فان الله تعالى خلق المعرفة به المحدثة لكمال مرتبة العرفان ومرتبة الوجود ولا يكمل ذلك إلا بتعلق العلم المحدث بالله على صورة ماتعلق به العلم القديم وماتعلق القديم بالعجز عن العلم به كذلك العلم المحدث به ماتعلق إلا بما هو المعلوم عليه فى نفسه والذى هو عليه فى نفسه أنه عين كل صورة فهو كل صورة فما وقع العجز من هذا العبد إلا فى كونه قصره على صورة واحدة وهى عين صورة معتقدة فما عجز إلا عن الحكم عليه بما ينبغى له ولا يتصف بالعجز عن العلم بالله إلا من أخذ العلم عن دليل عقله وأما من أخذ العلم بالله من تعريف الله وإخباره عن نفسه لا من دليله ونظره فهذا لا يعجز عن حصول العلم بالله فانه ماحاول أمرا يعجز عنه فيعترف بالعجز عنه وأما العجز عن احصاء الثناء فهذا قول كامل محقق فانه لا يكون العجز عن إحصاء الثناء عليه إلا بعد العلم بالمثنى عليه فيعلم أنه أعظم من أن يحيط به ثناء ويبلغ فيه وصف منتهاه فالثناء منا عليه دائم يتجدد لانه في كل نفس يتجدد علينا علم بالله فنثنى عليه به أو علم بأمر مالم يكن عندنا فنثنى عليه والحق معلوم معروف فى نفسه والعالم به عاجز عن إحصاء الثناء عليه كما ينبغى له فانه ليس فى الوسع حصول ذلك وإلا يعطيه استعداد ممكن أصلا فالعالم مستعد لأن يعرف موجده على ما هو عليه والحق تعالى قابل لذلك فمعرفة وجود الحق معرفة العقول من حيث ماهى مفكرة وصاحبة دلالة ومعرفة الحق على ماهو عليه فى نفسه هو ما أعطاه الوجود لكل إدراك فى عالمه من الملك والملكوت والبرزخ * قلت ولا يستبعد التحول في الصور من عرف أن الرؤية تابعة للمعرفة وعرف أن المعرفة إنما هى معرفة المرتبة المختلفة باختلاف الأسماء لا معرفة الذات التى لا يدرك كنهها وعرف أن الرؤية حجابية إذ الحجب الظلمانية والنورية التى احتجب بها الحق تعالى عن العالم إنما هى ما اتصف به الممكن فى حقيقته من النور والظلمة لكونه وسطا فهو لا ينظر إلا نفسه فلا ينظر إلا في الحجاب فلو ارتفعت الحجب عن الممكن لارتفع الامكان وارتفع الواجب والمحال لارتفاعه فالحجب لاتزال مسدلة ولا يمكن إلا هكذا فانظر إلى قوله فى ارتفاع الحجب ماذكر من احراق سبحات الوجه ما أدركه بصره من خلقه وقد وصف نفسه بأن الخلق يراه ولا يحترق فدل على أن الحجب لم ترتفع مع الرؤية * ولا يقال إن العلم الذى قررتموه بالله تعالى أن يكون بما هو عليه تعالى فى نفسه يرده قوله تعالى ــ ولا يحيطون به علما * لانا نقول إن العلم المراد إنما هو العلم بما شاء الله أن يعلمه خلقه منه بدليل قوله ــ ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ــ ولو لم يحصل هذا العلم لأحد لأشكل قوله

في الحديث القدسي فاحببت أن أعرف إذ المراد بالحب هنا المشيئة بدليل قوله تعالى - إلا ما شاء - ولا بد
من نفوذ المشيئة فيما تعلقت به فصح أن يعلم تعالى من غير إحاطة إذ الاحاطة إنما تتصور وبانتهاء التجليات
بالوجود الماضي ولا نهاية لوجوده تعالى فالتجليات للمرتبة دائمة أبد الآباد وفي كل تجل يطرأ للعالم علم به تعالى
لم يكن قبل فهو الظاهر المعلوم بتجلياته المشاهدة على الأعيان وهو الباطن المجهول في هوية بطون ذاته
التي لا يدرك منتهاها المرتفع عن الأكوان * قال ومن أعجب الأمور أن يكون الإنسان يقلد فكره ونظره
وهو محدث مثله وقوة من قوى الإنسان التي خلقها الله فيه وجعل تلك القوة خديعة للعقل ويقلدها العقل فيما
تعطيه هذه القوة ويعلم أنها لا تتعدى مرتبتها وأنها تعجز في نفسها عن أن يكون لها حكم قوة أخرى مثل
القوة التي هي الحافظة والمتصورة والمتخيلة والقوى التي هي الحواس من لمس وطعم وشم وسمع وبصر ومع
هذا القصور كله يقلدها العقل في معرفة ربه ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله
فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط وكل صاحب فكر تحت حكم هذا الغلط بلا شك إلا من نور الله
بصيرته فيعرف أن الله قد أعطى كل شيء خلقه فأعطى السمع خلقه فلا يتعدى ادراكه وجعل العقل فقيرا اليه
يشهد منه معرفة الأصوات وتقطيع الحروف وتغيير الألفاظ وتنوع اللغات فيفرق بين صوت الطير وهبوب
الرياح وصياح الانسان وثغار الشياه ورغاء الابل وما أشبه هذه الأصوات كلها وليس في قوة العقل من حيث
ذاته ادراك شيء من هذا ما لم يوصله السمع وكذلك القوة البصرية جعل الله العقل فقيرا اليها فيما توصله اليه
من المبصرات فلا يعرف الالوان ما لم ينعم البصر عليه بها وهكذا جميع القوى المعروفة بالحواس * ثم ان الخيال
فقير الى هذه الحواس فلا يتخيل أصلا إلا ما تعطيه هذه القوى ثم إن الحافظة ان لم تمسك على الخيال ما حصل
عنده من هذه القوى لا يبقى في الخيال منها شيء فهو فقير الى الحواس والى القوة الحافظة من الضعف لوجود
المانع فافتقر الى القوة المذكرة فتذكره ما غاب عنه فهي معينة للقوة الحافظة على ذلك ثم إن القوة المفكرة
متى طرقت الخيال افتقرت الى القوة المصورة لتركب بها مما ضبطه الخيال صورة دليل على أمر ما استندفيه الى
المحسوسات أو الضروريات وهي مركوزة في الجبلة فاذا تصور الفكر ذلك الدليل حينئذ يأخذه العقل منه
فيحكم به على المدلول وما من قوة إلا ولها موانع وأغاليط فيحتاج الى فصلها من الصحيح الثابت ومحال أن
يعرف بين صحيح النظر الفكري وفاسده بنفسه فلا بد أن يحتاج الى الله في ذلك حتى يحكم به فلجؤه اليه ابتداء
أولى فانظر يا أخي ما أفقر العقل حيث لا يعرف شيئا مما ذكرناه إلا بواسطة هذه القوى وفيها من العلل ما فيها
ثم اذا اتفق ان أخبره الله بأمر ما توقف في قبوله وقال إن الفكر يرده فما أجهل هذا العقل بقدرة ربه كيف
قلد فكره وترك ربه فقد علم أن العقل لا يكتسب إلا ما عنده من صفة القبول للعلم فقبوله إذا من ربه لما
يخبر به عن نفسه تعالى أولى من قبوله من فكره وقد عرف أن فكره مقلد لخياله وخياله مقلد لحواسه ومع
تقايده فهو غير قوي على امساك ما عنده ما لم تساعده على ذلك القوة الحافظة والمفكرة ويعلم أن كل قوى
لا تتعدى خلقها وما تعطيه حقيقتها وأنه بالنظر الى ذاته لا علم عنده إلا الضروريات التي فطر عليها ومع هذا
كله لا يقبل قول من يقول له ان ثم قوة أخرى وراءك تعطيك خلاف ما أعطتك القوة المفكرة نالها أهل الله
من الملائكة والأنبياء والأولياء ونطقت بها الكتب المنزلة وآمنت بها الرسل ورأت أن تقليد ربها في معرفة
نفسه أولى من تقليد أفكارها فمالك أيها العاقل المفكر لا تقبلها ممن جاء بها ولا سيما عقول تقول أنت انها محل
الايمان بالله ورسوله وكتبه ولما رأت عقول أهل الإيمان بالله أن الله قد طلب منها أن تعرفه لحديث اعرف

ربك بعد ان عرفته بأدلتها النظرية علمت ان ثم علما آخر بالله لاتصل اليه من طريق الفكر فاستعملت الرياضات والخلوات وقطع العلائق والانفراد والجلوس مع الله بتفريغ المحل وتقديس القلب عن شوائب الافكار إذ كان متعلق الافكار الاكوان واتخذت هذه الطريقة من الانبياء والرسل وسمعت قوله تعالى من أتانى يسعى أتيته هرولة وان قلبه وسع جلال الله وعظمته فتوجه اليه بكليته وانقطع من كل ما يأخذه عنه من هذه القوى فعند هذا التوجه أفاض الله عليه من نوره علما الهيا عرفه من طريق المجاهدة والتخلى بأن الله تعالى لا يقبله كون ولا يرده ولذلك قال ان فى ذلك يشير الى العلم بالله من حيث المشاهدة لذكرى لمن كان له قلب ولم يقل غير ذلك فان القلب معلوم بالتقلب فى الأحوال دائما فهو لا يبقى على حالة واحدة فكذلك التجليات الالهية فمن لم يشهد التجليات بقلبه ينكرها فان العقل وغيره من القوى يتقيد إلا القلب فانه لا يتقيد بشىء وهو سريع التقلب فى كل حال ولهذا قال الشارع إن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمان يقلبه كيف شاء فهو يتقلب بتقلب التجليات والعقل ليس كذلك فالقلب هو القوة التى وراء طور العقل فلو أراد الحق فى هذه الآية بالقلب أنه العقل ما قال لمن كان له قلب والتقلب فى القلب نظير التحول الالهى فى الصور فلا تكون معرفة الحق من الحق إلا بالقلب لا بالعقل ثم يقبلها العقل من القلب كما يقبل من الفكر فالحق انما وسعه القلب * ومعنى ذلك أنه لا يحكم على الحق تعالى بأنه يقبل ولا يقبل فان ذات الحق وآنيته مجهولة عند الكون ولاسيما وقد أخبر سبحانه عن نفسه بالنقيضين فى الكتاب والسنة فشبه فى موضع ونزه فى موضع فنزه بليس كمثله شىء وشبه بقوله — وهو السميع البصير — فتفرقت خواطر التشبيه وتشتتت خواطر التنزيه فان المنزه فى الحقيقة قد قيده وحصره فى تنزيهه وأخلى عنه التشبيه والمشبه أيضا قيده وحصره فى تشبيهه وأخلى عنه التنزيه والحق فى الجمع بالقول بحكم الطائفتين فلا ينزه تنزيها يخرج عن التشبيه ولا يشبه تشبيها يخرج عن التنزيه فلا يطلق ولا يقيد فهو المقيد بما قيد به نفسه من صفات الجلال وهو المطلق بما سمى به نفسه من أسماء الكمال وهو الواحد الحق الجلى الخفى لا إله إلا هو العلى العظيم فلا يعقل الحق تعالى إلا إلها غير معقول ولا تعقله الا متحيزا مادمت محبوسا فى دائرة عقلك فاذا أعطاك الحق القوة التى فوق طور العقل شهدته من غير تحيز وكذلك أيضا لا تكاد تشهده الا ذا جهة لكونك كذلك ومتعاليا فى جهة الفوق منعزلا عن العالم ببعد اقتضاه له تنزيهه فتجعل نفسك فى جانب والحق تعالى فى جانب إذ لا حلول ولا اتحاد وما ثم بعد فى نفس الامر الا بعد مرتبة سيادة من مرتبة عبودية لا غير فلا يصح قط ان ترقى عن التجلى الصورى الا ان خرجت عن العالم المواد أى الصور أليس الحق تعالى لنا باين لان من لا أينية له لا يقبل المكان وذلك نظير قولهم المكان لا يقبل المكان فاذا كان لا أين لمن له أين فكيف يكون الاين لمن لا أين له والسلام

الله الله لا عقل يصوره والوهم يعبده فى صورة البشر

والشرع يطلقه وقتا ويحصره والكون يثبته فى سائر الصور

فهو تعالى له الوجود المطلق ولم يكن له تقييد مانع من تقييد بل له التقييدات [illegible]ها فهو مطلق التقييد لا يحكم عليه تقييد دون تقييد فافهم معنى نسبة الاطلاق إليه فهو من حيث إطلاقه الذاتى لا يصح أن يحكم عليه بحكم أو يوصف بوصف أو تضاف إليه نسبة ما لأن كل ذلك يقتضى بالتعيين والتقييد بل تصور اطلاقه يشترط فيه أن يتعقل بمعنى أنه وصف سلبى لا بمعنى أنه اطلاق ضده التقييد بل هو اطلاق عن الوحدة والكثرة المعلومتين وعن الحصر أيضا فى الاطلاق والتقييد والحصر فى الجمع بين كل ذلك والتنزيه عنه فيصح فى حقه كل ذلك حال

تنزهه عن الجميع فهو فى كل متعين قابل للحكم عليه بانه متعين مع العلم بانه غير محصور في التعين و بانه من حيث هو غير متعين أى بتعين زائد مانع من الحكم عليه بالتعينات الخاصة لانه متعين بذاته والتعين الذاتى أوسع التعينات والاطلاق الحقيقى مصحح لتجلى الحق تعالى فى مظاهر مع بقاء التنزيه لان الاطلاق ذاتى له وما بالذات لا يزول فاطلاقه عدم تقييده بغيره فى عين الظهور فى القيود لا ظهوره فى القيود ولا عدم ظهوره إلا فى القيود ومنه اجراء المتشابهات على ظواهرها مع التنزيه بليس كمثله شىء * وبيانه أن تعلم أنه قد ثبت بالبرهان أن الواجب لذاته موجود والوجود إما المجرد عن الماهية المتعين بذاته القائم بذاته وإما الوجود المقترن بالماهية المتعين بحسبها أو الماهية المعروضة للوجود المتعين بحسبها أو المجموع المركب من الماهية والوجود المتعين بحسبها لا سبيل إلى الرابع لان التركيب من لوازمه الاحتياج ولا إلى الثالث لاحتياج الماهية فى تحققها الخارجى إلى الوجود ولا إلى الثانى لاحتياج الوجود إلى الماهية وتشخصه بحسبها والاحتياج فى الجميع ينافى الوجوب الذاتى فتعين الأول فالواجب الوجود لذاته هو الوجود المجرد عن الماهية المتعين بذاته ثم هو إما أن يكون مطلقا بالاطلاق الحقيقى وهو الذى لا يقابله تقييد القابل لكل اطلاق وتقييد وإما أن يكون مقيدا بقيد مخصوص لا سبيل إلى الثانى لان المركب من القيد معروضه من لوازمه الاحتياج المنافى للوجود الذاتى فتعين الأول فالواجب الوجود لذاته هو الوجود المجرد عن الماهية القائم بذاته المتعين بذاته المطلق بالإطلاق الحقيقى غير مقيد بغيره ولا معلول من شىء ولا علة لشىء بل هو خالق المعلولات والعلل والملك القدوس الذى لم يزل فان من ثبت له الغنى الذاتى لا يكون معللا لشىء ولا علة موجبة بالذات لشىء، أما الأول فظاهر وأما الثانى فان العلية تقتضى الارتباط الذاتى بين العلة والمعلول لأن العلة بالذات مقتضية للمعلول وبين الغنى الذاتى عن العالمين والإرتباط الذاتى بشىء ما منافاة لكن الحق تعالى غنى بالذات عن العالمين بالنص المتواتر فلا يكون علة مقتضية بالذات لشىء من العالم بل هو فاعل مختار راعى الحكمة فيما خلق وأمر تفضلا ورحمة لا وجوبا فاتضح أن الله تعالى مطلق الوجود غير مقيد بغيره متعين بذاته لا بأمر زائد على ذاته وتعيناته فى تعقل كل متعقل وفى كل تجل تعينات خاصة تتفاوت مراتبها بتفاوت مراتب ادراك المتعقلين واستعداد المجالى والتعين الذاتى لا مانع له من مجامعته للجميع لكونه أوسع التعينات وإنما المانع من سعة التعين الزائد الخاص لكن الله تعالى واسع حكيم بالنص فيكون متعينا بذاته فمن سعته يجامع الجميع ومن حكمته تختلف مراتب تجلياته وتعيناته باختلاف استعدادات المظاهر فهو رفيع الدرجات ومع كونه تعالى واسعا اطلق عليه فى الحديث اسم الشخص ولا منافاة بين سعته وتشخصه لان تشخصه بذاته وهو أوسع التعينات الجامع لجميعها والتعين المنافى للسعة هو التعين بالزائد وهو منتف ولهذا لم يكن له تقييد مانع من تقييد كما ذكرنا وهذا الوجود المجرد عن الماهية هو المشار إليه بقوله تعالى ـ والله من ورائهم محيط ـ وأما الوجود المقترن بالماهيات المفاض عليها وهو المشار إليه بقوله تعالى ـ وهو معكم أينما كنتم ـ فافهم وهو الذى بانضمامه إلى الماهيات يترتب عليها آثارها المختصة بها ولا بد أن يكون موجودا فى الخارج بوجود هو نفسه دفعا للتسلسل وضمه إلى الماهية تعينه بحسب استعدادها الذاتى لاقيامه بها لان الوجود لا يقوم بالمعدوم فالحصص المضمومة إلى الماهية إنما هى حصص الوجود المفاض الذى هو النور المضاف المشار إليه فى قوله تعالى ـ الله نور السموات والارض ـ الآية وفى قوله (صلعم) فى صحيح البخارى أنت نور السموات والارض ومن فيهن لا حصص الموجود المجرد عن الماهيات الغني عن العالمين فالاعيان الثابتة التى هى

الماهية المعدومة المتميزة فى أنفسها ظهورها بهذا الموجود المفاض عليها ليس بانقلاب ثبوتها وجود لأن ثبوتها ذاتى لها وما بالذات لا يزول وانما الظهور للوجود الفائض عليها بأحكامها وآثارها وهو عين ظهور أحكامها فى الوجود المتعين بحسبها وأحكامها هى الصور الوجودية المتعددة فهذه الاحكام تنسب لكل من الاعيان والوجود * فان قلت هى أحكام الوجود الفائض على الاعيان صدقت وإن قلت هى استعدادات الاعيان التى ظهرت بالوجود المفاض صدقت فكل ما فى الوجود بالاضافة إلى قدرة الله فهو كالظل بالاضافة إلى الشجرة والنور بالاضافة إلى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع لوجود الشمس ووجود الظل تابع للشجرة وإليه الاشارة بقوله تعالى ـ إلى ألم تر ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ـ الآية فان الاشارة بالظل هنا إلى الوجود المفاض على الحقائق وإلى أن الاضافة كانت بالاختيار لا بالايجاب الذاتى وهذا يدلك على ان العالم ما هو عين الحق وإنما ظهر فى الوجود الحق إذ لو كان عين الحق ما صح كونه بديعا فالحق تعالى هو الوجود المحض فكل ما يدرك فى الاعيان ويشهد فى الاكوان فذلك أحكام الوجود من حيث اقترانه بكل عين موجودة ليس هو الوجود المحض المجرد عن الماهيات بل هو من تجليه النورى العمانى فهو لا هو ولا غيره كما أنه هو من حيث الاشراق وانه من غيره حيث الاقتران والاشتراك والتعين والتعدد الحاصل بالاقتران ثم ان فسر النور فى الآيه وهو قوله ـ الله نور السموات والارض ـ بالمنور رجع إلى هذا المعنى أيضا لان تنوير الحقائق العلوية والسفلية اظهارها بتنفير ظلمة العدم عنها وذلك بجعل النور المضاف متعينا بحسبها لا بجعل حصة منه قائمة بالماهية لما تبين من استحالته وجعل النور المضاف متعينا بحسبها عين ايجاد أشخاصها والاشخاص عين ظهور الماهيات فى الوجود الحق المفاض وهى عين الماهية أيضا لما تبين من اتحادهما فى الخارج والاشخاص عين النور المفاض المتعين بحسبها فرجع الامر إلى أن الله نور العلويات والسفليات ـ ألا إلى الله تصير الامور ـ فجعل الماهية إنما هو بجعل حصة من الوجود المطلق المفاض مقترنة بأعراض وهيئات يقتضيها استعداد حصة من الماهية النوعية فيكون شخصا وايجاد الشخص من الماهيات على الوجه المذكور عين ايجاد الماهية فقد تبين مما قررناه انه تعالى من حيث انه مجرد عن الماهيات غيره من حيث تجليه النورى المنبسط على الماهيات المتعين بحسبها وأن ذلك الوجود المنبسط عليها عين كل صورة من صورها وان جميع تلك الصور من كمالاته وان تفاوتت مراتبها بالاضافة وليس شىء منها عين الوجود المنبسط عليها وان الاطلاق الحقيقى ذاتى للحق فلا تقيده الأكوان بظهور تعيناتها فى تجليه المنبسط عليها والخلق مقيد والقيد ذاتى له لأن الخلق عبارة عن تعين خاص فى الوجود المنبسط اقتضته ماهيته الثابتة فلو ارتفع القيد لم يكن خلق فلا يصح أن يقال الخلق عين الحق لأن المقيد الذى يكون القيد ذاتيا له لا يكون عين المطلق الذى يكون الاطلاق ذاتيا له بخلاف أن يقال الحق عين الخلق فانه صحيح لأن المطلق الحقيقى لا يقيده الاكوان فتجليه فيها لا ينافى التنزيه بليس كمثله شىء . فكون المقيد عين المطلق محال بخلاف الثانى لأن الاطلاق الحقيقى ذاتي للحق كما علمت فلا يزول بتجلى نوره فى المقيد بحسبه فإن التجلى فى المقيدات بحسبها من مقتضيات الاطلاق الحقيقى وهو من كمالات الإطلاق كما أن اشراق الشمس فى الأقطار من كمالات الشمس فله تعالى التفرد عن الظهور فى الأشياء بمقتضى كان الله تعالى ولا شىء معه وله التجلى فيما يشاء من المظاهر بمقتضى ـ وهو معكم أينما كنتم ـ لكنه لا يتقيد بذلك فانه من وراء ذلك بمقتضى

والله من ورائهم محيط. فهو قابل لأن يتجلى فيقترن نوره بالماهيات وأن لا يتجلى فيها فليس الاقتران أو عدمه قيدا ذاتيا له بل هو قابل لكل وهذا الوجود المفاض هو المعبر عنه بالعماء في حديث أبي رزين العقيلي من طريق الطيالسي إذ بحر العماء كما علمت برزخ بين الخلق والحق في هذا البحر اتصف الممكن بعالم وقادر وجميع الأسماء الالهية التي بأيدينا واتصف الحق بالتعجب والضحك والتبشبش والفرح والمعية وأكثر النعوت الكونية فردماله وخذمالك فله النزول ولنا المعراج وإجراء المتشابهات على ظواهرها هو ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم وهو القول الأخير للشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى في كتابه الإبانة الذي هو آخر مصنفاته المعتمد من بينها. وقد علمت بأنه قائل بأن الوجود عين الذات فإذا قال مع ذلك باجراء المتشابهات على ظواهرها ما التنزيه بليس كمثله شيء فقد قال بأنه تعالى هو الوجود المطلق بالإطلاق الحقيقي إذ التجلي في المظاهر كما أن مقتضى اجراء المتشابهات على ظواهرها مع التنزيه لا يتم إلا أن يكون الوجود الذي هو عين الذات وجودا مطلقا بالاطلاق الحقيقي وهو الوجود الخاص الواجب الوجود لذاته القائم بذاته المتعين بذاته الجامع لكل كمال منزه عن كل نقص غير أن الشيخ الأشعري رحمه الله لم يسمه المطلق ولا نزاع في إطلاق اللفظ بعد صحة المعنى فان المراد بالوجود المطلق بالاطلاق الحقيقي هو الوجود الخاص الواجب الوجود لذاته المتصف بجميع صفات الإله المتجلي فيما شاء من الظاهر بمقتضى اجراء المتشابهات على ظواهرها مع بقاء التنزيه وهذا بعينه هو مذهب الشيخ الأشعري رحمه الله تعالى في كتابه الذي عليه التعويل المذكور آنفا وإذا تحققت ما قلناه علمت أن التجلي المفاض نوره على الماهيات المظهر لأحكامها لا تفاوت بين مراتبه إن أضيف إلى نفس التجلي النوري لقوله تعالى ـ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ـ أي من حيث إنه مضاف إلى الرحمن لكونه على طبق الحكمة بمقتضى الوجود والرحمة ولو كان تحقق التفاوت إذا أضيف بعض المراتب إلى بعض كما قال تعالى ـ قل لا يستوي الخبيث والطيب ـ إذ من المعلوم أن ظهور التفاوت عند إضافة بعضها إلى بعض هو الذي يقع به التمييز بين مراتب النقص والكمال الإضافيين وما به تتميز المراتب كمال فالنقص من كمال الوجود فلو لم يوجد النقص في المستعد للنقص لم يتم الكمال لكن الكمال قد تم فلابد من النقص النسبي فالنقص والكمال راجعان لاختلاف استعداد الماهيات كمالا ونقصا طهارة ونجاسة كلها مستحسنة حكمة في عين كون بعضها مستقذرا شرعا فلم يقع في الوجود الا ما دل الشرع على أنه كامل حسن حكمة مع حكم الشرع على بعضه بأنه ناقص أو قبيح أو خبيث أو مستقذر وكما كان كذلك لم يكن في شيء من صور الوجود ما يجب تنزيه الحق تعالى شرعا عن خلقه وايجاده واظهار تعينه والا لوجب تنزيه الحق تعالى عن كونه تعالى راعى الحكمة فيما خلق وأمر وهو باطل لقوله تعالى ـ صنع الله الذي أتقن كل شيء ـ وقوله الذي أحسن كل شيء خلقه فبمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا فاعتصم بالشرع في الكشف فقد فاز بالخير عبد قد اعتصم به وما أطلقه على الله فأطلقه عليه فقد ثبت باسناد حسن كما قال الحافظ ابن حجر في الإصابة من حديث لقيط بن عامر رضي الله عنه فتخرجون من الأضواء يعني القبور فتنظرون اليه ساعة وينظر اليكم قال قلت يارسول الله فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد الحديث بطوله فقد اطلق الصحابي الشخص على الله وأقره رسول الله ﷺ وتقريره حجة وهذا الحديث شاهد على أن المفضل عليه من أفراد موضوع القضية في حديث البخاري لا شخص أغير من الله فصح الاستشهاد به على صحة اطلاق الشخص على الله تعالى ومع ذلك كله ورد ليس

كمثله شيء وورد وهو معكم أين ما كنتم وأينما تولوا فثم وجه الله ومقتضى الجمع بين التنزيه وهذه المتشابهات هو أنه تعالى شخص مطلق بالاطلاق الحقيقي فلهذا لا ينافي معيته السارية التنزيه بليس كمثله شيء فقوله تعالى – إن الله واسع عليم – بعد قوله – فثم وجه الله – يدل على أن الواسع معناه المطلق بالاطلاق الحقيقي والالما صح سريان الوجود مع كمال التنزيه بليس كمثله شيء وقد صح النصان فحصل منهما أن الله تعالى لا يتقيد بشيء مع ظهوره في كل قيد شاء الظهور فيه وهذا هو الواسع الحقيقي إذ لو تقيد بقيد أو اطلاق اضافي لم يكن واسعا لكنه واسع بالنص وهو المطلق بالاطلاق الحقيقي والى هذا يرجع قول من فسر الواسع بمعنى الغنى فيما نقله البيهقي في الاعتقاد فإن الغنى بالذات له الاطلاق الحقيقي إذ لو تقيد بقيد مالم يستوعب الكمال فله الاطلاق الحقيقي فافهم راشدا فظهر أن الاطلاق الحقيقي ليس بمعنى العموم بل بمعنى عدم تقيد الوجود الخاص بقيد ذاتي فله الظهور في كل قيد شاء مع بقاء الاطلاق لأن الاطلاق ذاتي له كما علمت ت نوحود الخاص أعني الواجب لذاته هو الوجود المطلق بالاطلاق الحقيقي والوجود العام هو الوجود الشامل للواجب والممكن فالوجود الخاص فرد من أفراد الوجود العام فتجرد وجوده التجرد الذاتي على الماهية أوجب له الخصوصية بالوجود المتعين بالذات والخصوصية أوجبت له الاطلاق والاطلاق أوجب له الظهور في كل قيد شاء مع بقاء الاطلاق إذ الوجود المطلق المفاض كما علمت قابل لكل صورة والأعيان الثابتة لكل منها استعداد خاص يقتضي صورة خاصة فإذا اقترن الوجود بالماهية ظهرت صورة خاصة في الوجود فهذه الصورة الخاصة حكم الماهية في الوجود المفاض وحكم الوجود المفاض باعتبار اقترانها بالماهية فيصدق على الصور الظاهرة أنها أحكام الاعيان الثابتة في الوجود المفاض وأنها أحكام الوجود المفاض بالاعتبار مقارنته للماهيات فقد اتضح لك كون الصورة الوجودية الظاهر بها وفيها الحق مستورة بهذا الظاهر فيها فإن الوجود هو الظاهر بحكم العين الثابتة ومقتضاها والعين الثابتة باقية على عدمها الأصلي وإنما الظاهر حكمها في الوجود الحق وظهور حكمها عين ظهور الحق بحكمها فالظاهر واحد بالذات مختلف باعتبار فإذا قلنا الظاهر هو الوجود اندرج الممكن في الواجب عينا الاندراج عينه أي صورته الوجودية في الوجود الواجب إذ فيه ظهرت الصورة واندرج الواجب في الممكن حكما لأن الوجود الواجب وإن كان هو الظاهر لكنه إنما ظهر بحكم العين الثابتة ومقتضى استعدادها وحكم العين صورة ممكنة تتبدل والحق لا يتبدل ولا يتغير من حيث هو لكنه عند اندراجه في الممكن يجرى عليه أحكامه فهو حق في خلق بالاعتبار الأول خلق في حق فافهم راشدا * فتحصل أنه قد اتصف هذا المظهر وهذا الظاهر فيه بالإمكان حكم عليه بعين المظهر الذي هو الممكن فاندرج الممكن في واجب الوجود لذاته عينا واندرج الواجب الوجود لذاته في الممكن حكما فهو تعالى مع الأعيان لأن الوجود يصحبها وليست معه لأنها لا تصحب الوجود وكيف تصحبه والوجوب لهذا الوجود ذاتي ولا ذوق للعين الممكنة في الوجوب الذاتي فهو يقتضيها فيصح أن يكون معها وهي لا تقتضيه فلا يصح أن تكون معه فالعالم لا يكون مع الله أبدا سواء اتصف بالوجود أو العدم والواجب الوجود الحق لذاته يصح له نعت المعية مع العالم عدما ووجودا وتجليه في العالم لا ينافي التنزيه بليس كمثله شيء ولا يقتضي الحلول لأن وجود كل شيء عين حقيقته أي أن ما صدق عليه حقيقة الشيء من الأمور الخارجية هو بعينه ما صدق عليه وجوده أي ليس لوجود الشيء وحقيقته هويتان متمايزتان في الخارج يقوم أحدهما بالأخرى كالسواد بالجسم لاستحالة ذلك لأن الوجود إن قام بالماهية وهي معدومة لزم التناقض وإن قام

بهاوهى موجودة لزم أن تكون موجودة بوجودين مع لزوم الدوران كان السابق عين اللاحق والتسلسل إن كان السابق غيره فإن الماهية المعدومة فى الازال متصفة بالامكان وهو أمر اعتبارى فظهر أنه ليس الماهية والوجود هو يتان متمايزتان فى الخارج بل لاتحقق فى الخارج إلا الوجود الخاص المتعين بمقتضى استعداد الماهية وهو عين الماهية فى الخارج أيضا إذ لا وجود فى الخارج إلا للاشخاص والاشخاص عين تعين الماهيات وعين الماهيات أيضا فى الخارج لاتحادهما فى الخارج مع تمايزهما ذهنا

(النوع السابع من علوم المعرفة علم الرؤيا * وفيه العلم بالاسماء الالهية)

إعلم أن الله تعالى جعل للانسان حالتين وفى كلتا الحالتين جعل له ادراكا يدرك به الأشياء تسمى تلك الادراكات فى اليقظة حسا وفى النوم حسا مشتركا فكل شىء يبصره فى اليقظة يسمى رؤية وكل مايبصره فى النوم يسمى رؤيا وجميع مايدركه الإنسان فى النوم وهو ماضبطه الخيال فى حال اليقظة من الحواس فالأصل الحس والادراك به فى اليقظة والخيال تبع فى ذلك فلذا كان كل من نقصه شىء من ادراك الحواس فى أصل خلقته فلم يدرك فى اليقظة ذلك الأمر الذى نقصه وفقده لم يدركه فى النوم أبدا فإن بالنوم تنتقل هذه الآلات من ظاهر الحس إلى باطنه الذى دفعت اليه الحواس ماأخذته من المحسوسات لترى هذه النفس الناطقة التى ملكها الله هذه المدينة مااستقر فى خزانتها مما صورته القوة المصورة التى هى بعض خدم هذه الخزانة كما جرت العادة فى الملوك إذا دخلوا خزائنهم فى أوقات خلواتهم ليطلعوا على مافيها وعلى قدر ما كمل لهذه النشأة من الآلات التى هى الجوارح والخدم الذين لهم القوى الحسية يكون الاختزان فثم خزانة كاملة لكمال الجهات وثم خزانة ناقصة كالابكم فانه لاتنتقل إلى خزانة خياله صور الأصوات لفقد حاسة النطق فى أصل نشأته لا ان طرأ فقدانها فلا يمنعه ذلك من تصور صور الحروف والأصوات فى خياله * ثم اعلم أن العلوم كلها منشؤها النبوة وهى وحى من الله تعالى ومبدأ الوحى الرؤيا وهى لاتكون إلا فى حال النوم قالت عائشة رضى الله عنها فى الحديث الصحيح أول مابدىء به رسول الله (صلعم) من الوحى الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وسبب ذلك صدقه (صلعم) فانه ثبت عنه أنه قال أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا فكان لايحدث (صلعم) أبدا بحديث عن تزور يزوره فى نفسه بل يحدث باحدى قواه الحسية أو بكلها ما كان يحدث بالفرض ولا يقول مالم يكن ولا ينطق فى اليقظة عن شيء يصوره فى خياله مالم ير لتلك الصورة بجملتها عينا فى الحس فهذا سبب صدق رؤياه * وإنما بدىء الوحى بالرؤيا لان المعاني المعقولة أقرب إلى الخيال منها إلى الحس لان الحس طرف أدنى والمعنى طرف أعلى والخيال بينهما والوحى معنى فاذا أراد المعنى أن ينزل إلى الحس فلابد له أن يعبر عن حضرة الخيال قبل وصوله إلى الحس والخيال من حقيقته أن يصور كل ماحصل عنده فى صورة المحسوس لابد من ذلك فان كان ورد ذلك الوحى الالهى فى حال النوم سمى رؤيا وان كان فى حال اليقظة سمى تخيلا أى خيل إليه فلهذا بدىء الوحى بالخيال ثم بعد ذلك انتقل الخيال إلى الملك من خارج فكان يتمثل له الملك رجلا أو شخصا من الاشخاص المدركة بالحس فقد ينفرد هذا الشخص المراد بذلك الوحى بادراك هذا الملك وقد يدركه الحاضرون معه فيلقى على سمعه حديث ربه وهو الوحى وتارة ينزل على قلبه عليه الصلاة والسلام فتأخذه البرحاء وهو المعبر عنه بالحال بان الطبع لايناسبه فلذلك يشتد عليه وينحرف عليه مزاج الشخص إلى أن يؤدى ماأوحى به إليه ثم يسرى عنه فيخبر بما قيل له وهذا كله موجود فى رجال الله من الاولياء والذى اختص به النبى من

هذا دون الولى التشريع فلايشرع إلا رسول الله خاصة فيحلل ويحرم ويبيح ويأتى بجميع ضروب الوحى والاولياء ليس لهم من هذا الامر إلا الاخبار بصحة ماجاء به هذا الرسول وتعيينه حتى يكون هذا التابع على بصيرة من ربه فيما يعبد به ربه على لسان هذا الرسول إذا كان هذا الولى لم يدرك زمانه حتى يسمع منه كما سمع أصحابه فصار الولى بهذا النوع من الخطاب بمنزلة الصاحب الذى سمع من رسول الله ماشرع يشير إلى ذلك قوله تعالى ــ أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ــ وهم هؤلاء الذين ذكرناهم فرب حديث صحيح من طريق رواية صحيحة الثقات ليس بصحيح فى نفس الامر فتأخذه عن طريق غلبة الظن لا على العلم وهذه الطائفة التى تأخذ من هذا الطريق تكون من عدم صحة ذلك الخبر الصحيح عندهم أنه ليس بصحيح فى نفس الامر أو بالعكس وهو أن يكون الحديث ضعيفا من أجل ضعف الطريق من وضاع فيه أو مدلس وهو فى نفس الامر صحيح فتدرك هذه الطائفة صحته فتكون فيه على بصيرة فهم ورثة الانبياء لاشتراكهم فى الخبر وانفراد الانبياء بالتشريع قال تعالى ــ يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق فجاء بمن وهى نكرة لينذر يوم التلاق فجاء بما ليس بشرع ولا حكم بل بانذار فقد يكون الولى بشيرا ونذيرا ولكن لايكون مشرعا * فلنرجع إلى معنى مانحن بصدده فنقول ثبت عن رسول الله (صلعم) أنه قال ان الرسالة والنبوة قد انقطعتا فلا رسول بعدى ولا نبى قال فشق ذلك على الناس فقال لكن المبشرات فقالوا يارسول الله وما المبشرات فقال رؤيا المسلم وهى جزء من أجزاء النبوة وفى رواية ان الرؤيا جزء من أجزاء النبوة فقد بقى للناس من النبوة هذا وغيره ومع هذا فلا ينطلق اسم النبوة ولا النبى إلا على المشرع خاصة وقال (صلعم) إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة ٥ والرؤيا ثلاث فالرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث الرجل به نفسه وإذا رأى أحدكم مايكره فليقم وليتفل ولا يحدث بها الناس الحديث وقال ان رؤيا المسلم على رجل طائر مالم يحدث بها فاذا حدث وقعت ﴿فاعلم﴾ أن لله ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا وبيده صور الاجساد التى يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصورة مايحدث من تلك الصور من الاكوان فاذا نام الانسان أو كان صاحب غيبة أو فناء أو قوة ادراك لا تحجبه المحسوسات فى يقظته عن ادراك مابيد هذا الملك من الصور فيدرك هذا الشخص بقوته فى يقظته مايدركه النائم فى نومه وذلك ان اللطيفة الانسانية تنتقل بقواها من حضرة المحسوسات إلى حضرة الخيال المتصل بها الذى محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الاذن الالهى مايشاء الحق ان يريه لهذا الرائى من نائم أو مكاشف فقد يشاهد الروح الذى بيده هذه الحضرة وقد لا يشاهده ثم ان الله تعالى إذا أرى أحدا رؤيا جعل لصاحبها فيما يراه حظا من الخير والشر بحسب ماتقتضيه رؤياه فيصور الله له الحظ طائرا وهو ملك فى صورة طائر كما يخلق من الاعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية وإنما جعلها فى صورة طائر لانه طار له سهمه بكذا والطائر الحظ قال الله تعالى ــ طائركم معكم ــ أى حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر * ثم ان تسمية النبى (صلعم) لها بشرى ومبشرة لتأثيرها فى بشرة الانسان فان الصورة البشرية تتغير بما يرد عليها فى باطنها مما تتخيله من صورة تبصرها أو كلمة تسمعها إما بحزن أو فرح فيظهر لذلك أثر فى البشرة لا بد من ذلك فانه حكم طبيعى أودعه الله فى الطبيعة فالنوع عالم التجليات وحضرته الخيال وقد علمت انه مائم فى طبقات العالم مايعطى الامر على ماهو عليه سوى

هذه الحضرة الخيالية وفيها تظهر الحقائق على ماهى عليه لان الحق فى الامور أن تقول فى كل أمر تراه أن تدركه بأى قوة كان الادراك ذلك الذى أدركته هو لا هو كما قال تعالى ـ وما رميت إذ رميت فلا تشك فى حال الرؤيا فى الصورة التى تراها أنها عين ماقيل لك إنه هو وما تشك فى التعبير إذا استيقظت أنه ليس هو ولا تشك فى النظر الصحيح أن الامر هو لا هو فكل عين متصفة بالوجود فهى لا هى فالعالم كله هو لا هو والحق الظاهر بالصورة هو لا هو فهو المحدود الذى لا يحد والمرئى الذى لا يرى وماظهر هذا الامر إلا فى هذه الحضرة الخيالية فى حال النوم والغيبوبة عن ظاهر المحسوسات بأى نوع كان وهى فى النوم أتم وجودا وأعم لانه للعارفين والعامة وحال الفناء والمحو لا يكون للعامة فى الالهيات ﴿قلت﴾ ووجه جعل علم الرؤيا من علوم المعرفة بل جعلها رأس المعرفة هو ان العالم إنما خلق ليعرف موجده كما تقدم فلما لم يصح وجود العالم إلا بالقول من الله والسماع الكونى ولم يظهر وجود طريق السعادة وعلم الفرق بينها وبين طريق الشقاء إلا بالقول الالهى والسمع الكونى لا يكون مبدؤه إلا بالرؤيا فى النوم توجه ذكر علم الرؤيا لتعلم انه من أهم علوم المعرفة قال فجاءت الرسل بالقول جميعهم من قرآن وتوراة وانجيل وزبور وصحف فما ثم إلا قول وسماع غير هذين لم يكن فلولا القول ماعلم مراد المريد مايريده منا ولولا السمع ماوصلنا إلى تحصيل ماقيل لنا فبالقول يتصرف وعن القول نتصرف مع السماع فهمامر تبطان لا يصلح استقلال واحد منهما دون الآخر وهما نسبتان فبالقول والسماع نعلم مافى نفس الحق إذ لا علم لنا إلا باعلامه وإعلامه بقوله ولا يشترط فى القول الآلة ولا فى السماع فأول شىء علمناه من الحق وتعلق به منا القول منه والسماع منا فكان عنه الوجود فقدمه سبحانه على العلم والبصر فى قوله ان الله سميع عليم سميع بصير فمن حضرة صفة السمع نشأ السماع عند أهل الله بقوله تعالى للشىء قبل قوله كن هو الذى يراه أهل السماع فى قول القائل وتهيء السامع المقول له كن للتكوين كتهيؤ النائم للاستيقاظ فالوجود كله فى الحقيقة نوم يقظته ونومه والمشاهد فيه خيال ورؤيا ناشئة عن قول الهى وسماع كونى وأهل الله مازالوا سامعين الخطاب الأزلى من قوله للتكوين فالسماع منه المطلق ومنه المقيد فالمطلق هو الذى عليه أهل الله ولكن يحتاجون فيه إلى علم عظيم بالموازين حتى يفرقوا بين قول الامتثال وقول الابتلاء وليس يدرك ذلك كل واحد ومن أرسله من غير ميزان ضل وأضل والمقيد هو السماع المقيد بالنغمات المستحسنات المحركة للطبع * والسماع على هذا الحد ينقسم إلى ثلاثة أقسام سماع إلهى وسماع روحانى وسماع طبيعى فالسماع الالهى بالاسرار وهو السماع من كل شىء وفى كل شىء بكل شىء والوجود عندهم كله كلمات الله وكلماته لا تنفد ولهم فى مقابلة هذه الكلمات أسماع لا تنفد تحدث لهم هذه الاسماع فى سرائرهم بحدوث الكلمات وهو قوله مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه فمنهم من أعرض بعد السماع ومنهم من وقف عند ماسمع وهذا مقام لا يعرفه كل أحد ومافى الوجود إلا هو ولكن يجهل ولا يعلم وهو متعلق بأسماء الله تعالى على كثرتها فلكل اسم لسان ولكل لسان قول ولكل قول سمع والعين واحدة من القائل والسامع فان كان نداء أجبنا وامتثلنا وكان من قوله ادعونى أستجب لكم فكما قال وسمعنا أمرنا عندما جعل فينا قوة القول أن نقول فيسمع هو تعالى فمنا من يقول به سمع الله لمن حمده كما جاء فى الحديث إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فكلام صاحب هذا المقام كله نيابة ومنا من يقول بنفسه فى زعمه وماهو كذلك فى نفس الأمر فان الله عند لسان كل قائل فكما انقسم منا القول إلى من يقول بربه وإلى من يقول بنفسه كذلك سماعنا فمنا من يسمع بربه

وهو قوله كنت سمعه الذي يسمع به ومنا من يسمع بنفسه في زعمه والأمر على خلافه فهذا هو السماع الإلهي وهو سار في جميع المسموعات، وأما السماع الروحاني فمتعلقه صريف الاقلام الالهية في لوح الوجود المحفوظ من التغيير والتبديل فالوجود كله رق منشور والعالم فيه كتاب مسطور فالأقلام تنطق وآذان الأرواح تسمع والـكلمات ترتقم فتشهد وعين شهودها عين الفهم وأما الطبيعي فهو علم الالحان والأوزان وهو سماع الناس اليوم فالسماع من حيث هو سماع أصله على التربيع فكان أصل السماع الالهي عن ذات ونسبة وتوجه وقول ويكون معه علم ومعرفة في مواد وفي غير مواد عام التعلق والروحاني أصله عن ذات ويد وقلم وصريف قلم ويكون معه أيضا علم ومعرفة في غير مواد جملة واحدة ،والطبيعي مبناه على أربعة أمور محققة فإن الطبيعة معقولة في فاعلين ومنفعلين فأظهرت الأركان الأربعة فظهرت النشأة الطبيعية على أربعة أخلاط وكل خلط منها يطلب بذاته من يحركه لبقائه وبقاء حكمه فإن السكون عدم ولا يكون مع هذا الطبيعي علم أصلا وإنما صاحبه يجد طربا في نفسه وحزنا عند سماع هذه النغمات من هذه الآلات ومن أصوات القوانين ولا علم معها أصلا فصاحب السماع الالهي ينظر إلى ترتيب الأسماء الإلهية فيسمع عند معصية العاصي مثلا تعارض الاسماء الإلهية مثل الاسم المنتقم وسريع الحساب وشديد العقاب فيكون سماعه من هناك وصاحب السماع الروحاني ينظر ترتيبها في العالم الأعلى والأسفل فيسمع في تموج البحر مثل التردد الالهي في الحديث القدسي ماترددت في شيء أنا فاعله الحديث فيفتح له في باطنه من العلوم الالهية مالا يناله إلا عند مثل ذلك التموج فمن أهل السماع من تكون له حركة محسوسة ومنهم من لا تكون له وأما الحركة المعنوية فلابد منها فالسماع المطلق لا يمكن تركه والذي يتركه الاكابر انما هو السماع المقيد المتعارف وهو الغناء ، قيل لسيدنا أبي السعود ماتقول في السماع فقال هو على المبتدى حرام والمنتهى لايحتاج إليه فقيل له فلمن قال لاقوام متوسطين أصحاب قلوب لاتلتبس عليهم رقة الطبيعة ورقة الجناب الالهي من الاسماء وآثارها؛ ثم اعلم أن الموجودات تطلبها الحدود ولا يطلبه تعالى حد فيأخذ الحد ذلك الاسم اذا دل على الحادث ولا يأخذه الحد إذا سميت الله به فيحد اللفظ ولا يحد مدلوله ولا يلزم من الاشتراك في اللفظ الاشتراك في المعنى فاللفظ لك لا له وأنت مشترك فيك فلهذا قبل اللفظ الاشتراك كما تراه في الألفاظ المشتركة كالمشتري في اطلاق الاسم ولهذا يقع التفصيل إذا طولب بالحد فيقال أي مشتر تريد المشترى الذي هو كوكب في السماء أم المشترى الذي هو عاقد البيع فاذا حده تميزت كل عين عن صاحبتها فليس في اللفظ من ماهية المدلول شيء فبهذا نطلق على الحق جميع ما أطلقه على نفسه مما لا يتمكن للعقل أن يطلقه عليه لأنه لم يعلم ذلك الاطلاق إلا على المحدثات ولولا الشرع والأخبار النبوية الالهية التي جاءت بذلك الاطلاق ما أطلقناها عليه ومع هذا فنفي التشبيه لا يتناول أمرا بعينه لجهلنا بذاته لكن قبلنا التشبيه نقلا كما أثبتنا التنزيه عقلا وقد جمعتهما آية واحدة وهي قوله تعالى ـ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ـ فالتنزيه للعقل معقول عيانا والتشبيه عنده مقبول إيمانا ثم ان الذي يعتمد عليه أهل الله في أسمائه سبحانه هو ماسمى به نفسه في كتبه أو على ألسنة رسله وأما إذا أخذناها من الاشتقاق وعلى جهة المدح فانها لاتحصى كثرة والله يقول ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وورد في الصحيح ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وما قدرنا على تعيينها من وجه صحيح فان الأحاديث الواردة فيها كلها مضطربة لا يصح منها شيء وكل اسم إلهي يحصل من طريق الـكشف لا يورد في كتاب وان كان أهل الـكشف يدعون به في أنفسهم لما يؤدي إليه ايراده

من الفساد لكثرة المدعين * فان قيل مابدء الاسماء ، فالجواب اطلاق هذا اللفظ فى الطريق يقتضى أمرين أحدهما سؤال عن أول الاسماء والثانى سؤال عما يبتدىء به الاسماء من الآثار وهذان الأمران فرعان عن مدلول لفظ الأسماء ماهو هل هو وجود أو عدم أو لا وجود ولا عدم وهى النسب فاعلم أن هذه الأسماء التى بأيدينا هى الأسماء الالهية التى سمى بها نفسه من كونه متكلما فيصح الشرح الذى كنا نوضح به مدلول تلك الأسماء على هذه الأسماء التى بأيدينا وهى المسمى بها من حيث المظاهر من حيث كلامه وكلامه علمه وعلمه ذاته وهو مسمي بها من حيث ذاته والنسب لاتعقل الموصوف والا حدته من جميع الوجوه إذن فلا تعقل الاسماء إلا بأن تعقل النسب ولا تعقل النسب إلا بأن تعقل المظاهر من حيث هى أعيان لاتحدث ومن هى مظاهر هى حادثة فالنسب حادثة فالاسماء تابعة لها تعقلا ولا وجود لها مع كونها معقولة الحكم إذا ثبت هذا فالقائل مابدء الاسماء هو القائل مابدء النسبة والنسبة أمر معقول غير موجود بين اثنين فامّا ان نتكلم فيها من حيث نسبتها إلا الأزل أو من حيث دل الأثر عليها فان نظرنا فيها من حيث المسمى بها لا من حيث دلالة أثرها كان قوله مابدء الاسماء معناه ماأول الاسماء ، فلنقل أول الاسماء الواحد الأحد وهو اسم واحد مركب تركيب بعلبك ورامهر مز وإنما كان الواحد الأحد أول الاسماء لأن الاسم نسبة مايوصف بها الأسماء الجوامد للاشياء وليس أخص فى العلمية من الواحد الأحد لأنه اسم ذاتى يعطيه هذا اللفظ بحكم المطابقة ، فان قلت فالله أولى بالأولية من الواحد الأحد لأن الله ينعت بالواحد الأحد ولا ينعت بالله ، قلنا مدلول الله يطلب العالم بجميع مافيه فهو له كاسم الملك والسلطان فهو اسم للمرتبة لا الذات والواحد اسم ذاتى لاتتوهم معه دلالة على غير العين فلهذا لم يصح أن يكون الله أول الأسماء فلم يبق إلا الواحد الأحد حيث لا يعقل منه إلا العين من غير تركيب فهو دليل على ذات غير مركبة وإلا لم يصح تسميها به وهو الواحد الأحد فى ذاته ومع هذا فقد تقرر ان الأسماء عبارة عن نسب فما نسبة هذا الاسم الأول ولا أثر له منه يطلب قلنا أما النسبة التى أوجبت له هذا الاسم فمعلومة وذلك ان فى مقابلة وجوده أعيانا ثابتة لا وجود لها إلا بطريق الاستفادة من وجود الحق فتكون مظاهره فى ذلك الاتصاف بالوجود وهى أعيان لذاتها ماهى أعيان لواجب ولا لعلة كما أن وجود الحق لذاته لا لعلة فالغنى له على الاطلاق والفقر لهذه الأعيان على الاطلاق إلى هذا الغنى الواجب الغنى لذاته بذاته وهذه الاعيان وان كانت بهذه المثابة فمنها أمثال وغير أمثال متميزة بأمر وغير متميزة بأمر يقع فيه الاشتراك فلا يصح على كل عين منها اسم الواحد الأحد فلاجل هذا الاشتراك سمينا هذه الغنية على الاطلاق بالواحد الأحد لانه لاموجود الا هى فهى عين الوجود فى نفسها وفى مظاهرها وهذه النسبة لاعن أثر اذ لا أثر لها فى كون الاعيان الممكنات أعيانا ولا فى إمكانها وأما إذا كان قوله مابدء الاسماء أى ما أول اسم يطلب أن يظهر أثره فى هذه الاعيان فاعلم أن ذلك الاسم هو الاسم الوهاب خاصة وهو اسم أحدثته الهيئات لهذه الاعيان من حيث فقرها فلما انطلق عليها اسم مظهر وقد كانت عرية عن هذا الاسم ولم يجب على الغنى أن يجلها مظاهر له طلبت هذه النسبة الاسم الوهاب فلهذا لا نجعله تعالى علة لشيء لأن العلة تطلب معلولها كما يطلب المعلول علته إذ العين لاتتصف بالطلب إذن فلا يصح أن تكون علة والوهب ليس كذلك فانه امتنان على الموهوب له وان كان الوهب له ذاتيا فانه لايقدح فى غناه عن كل شيء والذي يبتدىء به من الوهب إعطاء الوجوب لكل عين حق وصفها بما لا يقتضيه عينها من كل ما يمكن أن يتصف به العبد حقيقة من حيث ماهو مظهر لا من حيث

عينه لأنه لو اتصف به من حيث عينه لكان له الغنى ولا غنى له أصلا فاذا اتصفت هذه الاعيان
التى هى المظاهر بمثل الغنى وتسمت بالغنى فيكون معنى ذلك الغنى بالله عن غيرها من الاعيان لأن العين
غنى بذاته فالمظهر لايزول عنه اسم الفقر مع وجود اسم الغنى والظاهر فيه إذا تسمى بالغنى يصح له لانه يعطى
جودا ومنة وهو الوهاب الذى يعطى لينعم كقوله ـ يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم
ذكرانا وإناثا ـ وهذا عطاء تنزيه وقد يعطى ليعبد كقوله ـ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ـ وهذا
عطاء عوض ففيه طلب فإعطاء هذا الخلق اعطاء طلب لا اعطاء هبة ومنة واعطاء الوهب اعطاء إنعام لا يطلب
فيه عوض فمنزلة خلقهم له ماهى منزلة خلقهم لهم فخلقهم لهم من أسماء التنزيه وخلقهم له من أسماء التشبيه
فانكر حكمة الله تعالى فى كونه لم تجعل له صفة فى كتبه بل نزه نفسه عن الوصف فقال ـ ولله الاسماء الحسنى ـ
فجعلها أسماء وما جعلها نعوتا ولا صفات وقال ـ فادعوه بها ـ وبها كان الثناء والاسم ما يعطى الثناء وإنما
يعطيه النعت والصفة وماشعر أكثر الناس بكون الحق ماذكر له نعتا فى خلقه وإنما جعل ذلك أسماء كالاسماء
الاعلام التى ماجاءت للثناء وإنما جاءت للدلالة وتلك الاسماء الالهية الحسنى هى لنا نعوت يثنى علينا بها وأثنينا
عليه بها وأثنى الله على نفسه بها لانا قدمنا أن نزول الشرائع فى العالم إنما هو بحكم ما تواطأ عليه أهل ذلك
اللسان سواء صادف أهل ذلك اللسان الحق فى ذلك أولا وقد تواطأ الناس على أن هذه الاسماء التى سمى
الحق بها نفسه مما يثنى بها فى المحدثات إذا قامت بمن تقوم به نعتا وصفة فاثنى الله على نفسه بها ونبه على أنها أسماء
لا نعوت ليفهم السامع الفهم ان ذلك حكم التواطؤ لا حكم الامر فى نفسه ألا تراه ﷺ قال للسوداء الخرساء
أين الله فاطلق عليه لفظ الاينية لعلمه أن الاينية فى حقه بمنزلة الاسم لا بمنزلة النعت فقالت السوداء فى السماء
بالاشارة فقبل ما أشارت به وجعلها مؤمنة لان الله أخبر عن نفسه أنه فى السماء فصدقته فى خبره فكانت
مؤمنة ولم يقل ﷺ فيها عند ذلك إنها عالمة وأمر بعتقها والعتق سراح من قيد العبودية تنبيه منه
ﷺ بالعتق فى حقها من قيد العبودية والملك على أن ليس كمثله شىء سراح من قيد الاينية ومن فاء الظرف
التى أتت بها السوداء فى الجواب فانظر ما أعجب الشارع العارف بالله وهذا كله تنزيه فالثناء على الله بصفات
الاثبات التى جعلها الله أسماء وجعلها الخلق نعوتا كما هى لهم يدخل الحق تعالى تحت الحد والحصر فالشأن
أن لا يفارق المثنى التسبيح جملة واحدة فالاسماء بنا ولنا ومدارها علينا وظهورها فينا وأحكامها عندنا وغايتها
إلينا وعباراتها عنا وبدايتها منا فمعقول الاسماء هو ما يطلب الكون * ثم إن الاسماء الإلهية على أقسام منها
ما يدل على الذات وهو الاسم العلم الذى لا يفهم منه إلا ذات المسمى لا يدل على مدح ولا ذم وهذا قسم لم نجده فى
الاسماء الواردة علينا فى كتابه ولا على لسان الشارع إلا الاسم الله وهو اسم مختلف فيه بين الاشتقاق وعدمه
والظاهر أنه للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق وان كانت فيه رائحته * ومنها ما يدل على أعيان وصفات معقولة
يجب وجودها مثل الحى فهو يطلب ذاتا موصوفا بالحياة والعليم يسمى الموصوف به عالما والقادر الموصوف
بالقدرة والمريد الموصوف بالإرادة والسميع البصير والمتكلم الموصوف بالسمع والبصر والكلام وهذه
كلها معان قائمة بالموصوف أو نسب على خلاف ينطلق عليه منها أسماء ولها أحكام فى الموصوف بها وتلك
الاسماء وان كانت تدل على ذات موصوفة بصفة تسمى علما وقدرة ولكن لها مراتب فمن قام به العلم يسمى
عالما وعليما وعلاما وخبيرا ومحيطا هذه كلها أسماء لمن وصف بالعلم ولكن مدلول كونه عالما خلاف مدلول
كونه عليما وخبيرا يفهم من ذلك ما لا يفهم من العالم فان من يعلم أمرا ما من المعلومات يسمى عالما ولا يسمى

علما ولا علاما إلا إذا تعلق علمه بمعلومات كثيرة وخبير التعلق العلم بعد الابتلاء قال تعالى ـ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ـ وكذلك المحصى يتعلق بحصر المعلومات من وجه يصح فهو تعالى خاص وهو العلم بحقائق المعلومات الذاتية والرسمية واللفظية ومنها ما يدل على صفات الأفعال صريحا كالمصور والخالق وتضمنا كقوله ـ ومكر الله * وأسماء الأفعال كلها أسماء الإرادة ومنها ما هو مشترك يدل بوجه على صفة فعل مثلا وبوجه على صفة تنزيه كالاسم الرب فالرب المربى والرب الثابت وإذا حصل بيدك اسم من الأسماء الإلهية فانظر فى أية مرتبة هو من هذه المراتب فادع به من حيث مرتبته لا تخرجه عنها جملة واحدة ولا تغفل عن دلالته على الذات التى لها هذه النعوت كلها تكن إحدى العين فى عين الكثير فتكون الواحد الكثير فالحلم معنى معقول يطلق منه أسماء على من ظهر فيه حكمه وهو الحلم مع القدرة والتجاوز والصفوح والعفو وكذلك مرتبة الكرم معنى معقول يطلق منه أسماء على من ظهر فيه حكمه كالكريم والجواد والمعطى والوهاب وهكذا تأخذ جميع الاسماء على حد ما أشرت لك ولا تتعدبها مراتبها مع علمك أنه تعالى من حيث ذاته هو الواحد الأحد ولو كثرت أسماؤه قال تعالى ـ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ـ فاذا دعوته عرفت من يجيبك وهل يجيبك من حيث ذاته أو من حيث نسبة يطلبها ذلك الاسم ماهى عين الذات ولا يجيبك تعالى مع ارتفاع وجود تلك النسبة فإذا عرفت هذا عرفت أمورا كثيرة فى عين واحدة لا تعقل الذات عند الدعاء بهذه الاسماء دون هذه النسب ولا تعقل النسب دون هذه الذات فاذا قلت يا عليم علمت أن معقوله خلاف معقول يا قدير وكذلك يا مريد ويا سميع ويا بصير إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى فهى وان كثرت فالمسمى واحد وهو المنسوب إليه هذه النسب فإذن لا تعقل الكثرة فى هذا الواحد إلا هكذا فكل اسم قد شارك غيره من الأسماء الإلهية فى دلالته على الذات وتميز عن صاحبه بمعقولية حقيقية فالاسماء الإلهية مترادفة من وجه متباينة من وجه مشتبهة من وجه فالمترادفة كالعليم والعالم والعلام والعظيم والجبار والكبير والمتباينة كالقدير والحى والسميع والمريد والمتكلم والمشتبهة كالعليم والخبير والمحصى * فالاسماء المشتركة وان كانت تطلب صفة واحدة فلا بد أن يكون الطلب بوجوه مختلفة إذ لا يصح الترادف فى العالم لأن الترادف تكرار ولا تكرار فى العالم كما علمت * ومن أراد أن يقف على أسماء الله تعالى على الحقيقة فلينظر فى قوله تعالى ـ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله تعالى ـ وعلى الحقيقة فما فى الوجود إلا أسماؤه ولكن حجبت عيون البصائر عن العلم بها أعيان الأكوان كما حجب تعالى ذاته بصفاته وحجب صفاته بأفعاله وحجب أفعاله بأسمائه وهى بأعيان الممكنات والركون لمألوفات طباع الانسان والاستئناس بعاداته فلما لم نر إلا الأسباب المفتقر اليها قائمة وهو قد قال لنا أنتم الفقراء إلى الله علمنا أن كل سبب احتيج اليه يتجلى فيه حكم الاسم المؤثر فيه حتى ينقضى أثره فيعقبه أو يصحبه سبب آخر فيتجلى فيه أيضا حكم الاسم الذى هو لذلك السبب ثم كذلك إلى ما لا نهاية * قلت وفى هذا رد على من يقول بعدم رؤية الأسباب ويلزمه على مذهبه أن لا ينظر بعين بصره ولا يسمع بأذن رأسه ولا يبطش بيده ولا يمشى برجله إلى غير ذلك من الأسباب المتعاقبة والمصطحبة التى لا تدخل تحت حصر مما يتناول اسم السبب ولو عقل لعلم أن الأفعال كلها أسباب يتوقف بعضها على بعض بمضى سبب ويعقبه سبب آخر ويصحبه فالفقير الصادق فى فقره من يرى نفسه مفتقرة إلى ذرات الوجود ذرة ذرة ولا يرى إلى أحد له احتياجا فما افتقر الفقير إلا إلى الله فى افتقاره إلى سمعه وبصره إذ هذه الأشياء مظاهر الحق * قال ثم إن الأسماء الإلهية تتغير بتغير الأحكام فان الحكم يغير

الاسم للاسم الآخر الذى يطلبه ذلك الحكم والعين واحدة وفى أحكام الشرائع عكس هذا فتغير الأحكام تبع لتغير الأسماء والأحوال والعين واحدة فقد قيل لمالك رحمه الله تعالى ما تقول فى خنزير البحر فقال هو حرام فقيل له فسمك البحر ودوابه وميتته حلال فقال أنتم سميتموه خنزيرا والله قد حرم الخنزير فتغير الحكم عند مالك لتغير الاسم فلو قالوا له ما تقول فى سمك البحر ودواب البحر لحكم بالحل وكذا بتغير الاحوال تتغير الأحكام فالشخص الواحد الذى لم يكن حاله الاضطرار أكل الميتة عليه حرام فاذا اضطر ذلك الشخص بعينه فأكل الميتة عليه حلال فاختلف الحكم لاختلاف الحال والعين واحدة فاذا عرفت ان لأسماء الله تعالى معانى تقوم بالأعيان ولا قيام للاعيان الابها وعرفت ان المعانى المعقولة أقرب إلى الخيال منها إلى الحس لأن الحس طرف أدنى والمعنى طرف أعلى فاعلم أن حضرة النوم كالجسر بين الشطين للعبور عليه من هذا الشط الى هذا الشط فجعل النوم معبرا وجعل المشى عليه عبورا قال تعالى ـ ان كنتم للرؤيا تعبرون ـ وجعل ادراك ذلك فى حالة تسمى راحة وهى النوم من حقيقة قوله تعالى ـ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ـ فأضاف العمل اليه وذكر فى الخلق أنه بيديه وبأيد وبيده وبقوله كن ثم أعلمنا أنه غير متناه وأعلمنا أنه تعالى وان اتصف بالعمل لم يؤثر فيه تعب فقال ـ وما مسنا من لغوب ـ وقال ـ ولم يعى بخلقهن ـ فمن هذه الحقيقة ظهرت الأعمال العظيمة المحرجة المتعبة في النوم الذى هو راحة البدن لأن الطبيعة مستريحة فى هذا الحال من الحركات الحسية الظاهرة فهو فى هذا العمل فى راحة من حيث لا يشعر أنه فى راحة ولاسيما اذا رأى فى النوم أمورا هائلة مفزعة فاذا استيقظ وجد الراحة فعلم أنه كان قبل النوم فى راحة من حيث لا يشعر ومنهم من يعلم فى النوم أنه فى النوم والناس فيه على طبقات * ثم ان النوم على قسمين أحدهما يسمى انتقالا وهو انتقال المعانى عن تجريدها عن المواد الى الباس المواد كظهور العلم فى صورة اللبن والانتقال الثانى انتقال الحواس من الظاهر المحسوس إلى هذه الحضرة بالظاهر المحسوس ولكن ماله فى هذه الحضرة ثبوته الذى له فى حضرة اليقظة فانه سريع التبدل فى هذه الحضرة كما يتبدل فى اليقظة فى صور مختلفة فى باطنه لا فى ظاهره فباطنه فى اليقظة هى هذه الحضرة وجعل الليل لباسا لها فان الليل لا يعطى للناظر فى النظرة سوى نفسه فهو يدرك ولا يدرك به فانه غيب وظلمة والغيب والظلمة يدركان ولا يدرك بهما والضوء يدرك ويدرك به وهو حال اليقظة فلهذا تعبر الرؤيا ولا يعبر ما أدركه الحس فاذا ارتقى الانسان فى درج المعرفة علم أنه نائم فى حال اليقظة وان الأمر الذى فيه رؤيا إيمانا وكشفا ولهذا ذكرنا الله أمورا واقعة فى ظاهر الحس وقال ـ فاعتبروا ـ وقال ـ إن فى ذلك لعبرة ـ أى جوزوا واعتبروا مما ظهر لكم من ذلك العلم إلى ما بطن فيه وما جاء له وقال عليه الصلاة والسلام الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ولكن لا يشعرون وقد تقدم طرف من هذا فى النوع الذى قبل هذا فالوجود كله راحة والراحة رحمة فوسعت كل شىء فالبها المآل وان حصل فى الطريق تعب فهو تعب فى راحة كالاجير يتحمل ألتعب ويستلذه لما يكون فى نفسه من راحة الأجرة التى لأجل حصولها عمل فيحجبه عن التعب وجود راحة الأجرة فى حال التعب إلى راحة النوم فمن اعتبر الرؤيا رأى أمرا هائلا ويتبين له ما لا يدركه من غير هذا الوجه ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا أصبح فى أصحابه سألهم هل رأى أحد منكم رؤيا لا نبوة فكان يحب أن يشهدها فى أمته والناس فى غاية من الجهل بهذه المرتبة التى كان رسول الله ﷺ يعتنى بها ويسأل كل يوم عنها والجهلاء فى هذا الزمان إذا سمعوا بأمر وقع فى النوم لم

ي ضوا به رأسا وقالوا بالمنامات يريد أن يحكم هذا خيال وما هي الارؤيا فيستهزأ بالرأى إذا اعتمد عليها وهذا كله بجهله بمقامها وجهله بأنه فى يقظته وتصرفه فى رؤيا وهى منامه فى رؤيا فهو كمن يرى أنه استيقظ فى نومه وهو فى منامه وهو قوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار — وقوله عليه الصلاة والسلام الناس نيام فما أعجب الأخبار النبوية لقد أبانت عن الحقائق على ماهى عليه وعظمت ماستهونه العقل القاصر فإنه ماصدر إلا من عظيم وهو أحق ﴿وأما القسم الآخر من النوم﴾ فهو قسم الراحة وهو النوم الذى لا يرى فيه رؤيا فهو لمجرد الراحة البدنية لاغير فهذا هو حال الرؤيا وبقى معرفة المكان والمحل فأما المحل فهو هذه النشأة والعنصرية لا يكون للرؤيا محل غيرها فليس للملك رؤيا وإنما ذلك للنشأة العنصرية الحيوانية خاصة ومحلها فى العلم الإلهى الاستحالات في صور التجلى وأما المكان فهو فى الدنيا ماتحت مقعر فلك القمر خاصة وفى الآخرة ماتحت مقعر الكواكب فلا نوم وأعنى به هذا النوم الكائن المعروف فى العرف وأما الذى ذهبنا إليه أولا فى معرفة حال النوم فذلك أمر آخر قد بيناه وصورة مكانه هكذا فانظر إلى ماصورناه فى الهامش وهو هذا صورة مكان الرؤيا وهو يشبه القرن وهو الصور وقد غلط الناس فى هذا القرن فأكثر العقلاء جعل أضيقه المركز وأعلاه الفلك الأعلى الذى لافلك فوقه وأن الصور التى يحتوى عليها صور العالم فجعلوا واسع القرن الأعلى وضيقه الأسفل من العالم وليس الأمر كما زعموا بل لما كان الخيال كما قلنا يصور الحق فمن دونه من العالم حتى العدم كان أعلاه الضيق وأسفله الواسع وهكذا خلقه الله فأول ماخلق منه الضيق وآخر ماخلق منه ما اتسع وهو الذى يلى رأس الحيوان ولا شك أن حضرة الأفعال والأكوان أوسع ولهذا لا يكون للعارف اتساع فى العالم إلا بقدر مايعلمه من العالم*ثم إنه إذا أراد أن ينتقل إلى العلم بأحدية الله لا يزال يرقى من السعة إلى الضيق قليلا قليلا فنقل علومها كلما رقى بذات الحق كشفا إلى أن لا يبقى له معلوم إلا الحق وحده وهو أضيق مافى القرن فضيقه هو الأعلى على الحقيقة وفيه الشرف التام وهو الأول الذى يظهر منه إذا أنبته الله فى رأس الحيوان فلا يزال يصعد على صورته من الضيق وأسفله يتسع وهو لا يتغير عن حاله فهو المخلوق الأول ألا ترى الحق أول ماخلق القلم أو قل العقل كما قال فما خلق إلا واحدا ثم أنشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم وكذلك العدد منشؤه من الواحد ثم يقبل الثانى لامن الواجب الوجود ثم يقبل التضعيف والتركيب فى المراتب فيتسع اتساعا عظيما إلى مالا يتناهى فإذا انتهيت فيه من الاتساع إلى حد مامن الآلاف وغيرها ثم تطلب الواحد الذى نشأ منه العدد لا تزال فى ذلك تقلل العدد ويزول عند ذلك الاتساع الذى كنت فيه حتى تنتهى إلى الاثنينية التى بوجودها ظهر العدد إذا كان الواحد أولاها والواحد أضيق الاشياء وليس بالنظر إلى ذاته بعدد فى نفسه ولكن بما هو اثنان أو ثلاثة أو أربعة فلا يجمع بين اسمه وعينه أبدا والناس فى وصف الصور بالقرن على خلاف ماذكرناه فلهذا قد ذكرنا جماع أبواب المعرفة وفصولها التى إذا حصلها الانسان سمى عارفا خاصة فإن زاد على هذا العلم بالله وما يجب له وما يجوز عليه ومايستحيل ويفرق بين علمه بذاته وبين علمه بكونه الها فهذا مقام العلماء بالله لامقام العارفين فإن المعر[illegible]جة وطريق العلم حجة والعلم نعت إلهى والمعرفة نعت كيانى نفسانى ربانى وهذا لباب المعرفة غير[illegible] الكشف من أهل الله وقد أطلقوا على العلماء بالله اسم العارفين وعلى العلم بالله من طريق الذوق معرفة [illegible] بتائجه ولوازمه يظهر عن هذه الصفة فى أهلها ﴿سئل الجنيد رحمه الله﴾ عن المعرفة والعارف فقال لون الماء لون انائه أى متخلق بأخلاق الله حتى كأنه هو وماهو وهو هو فتح الله علينا فتح العارفين الواصلين [illegible]

وجعلنا فى الزمرة الأولى من الوافدين عليه ﴿قال جامعه﴾ الفقير لمولاه القدير عبيدة بن محمد الصغير بن انبوج سهل الله له العروج إلى ما تضمنته المعارف من المنازل والبروج وتداركه الفتاح العليم برحمته ونظمه فى سلك أهل محبته وحققه بمحبة مصطفيه الأخيار الجلة وألحقه بصالح سلف خير ملة فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة هنا انتهى بنا الكلام على ما حصل به الغرض والمرام وربنا هو المسئول أن يبلغ به المأمول وأن يعلينا درجات عليين. مع الرعيل الأول الآمنين. وأن يتولانا ويتولى جميع الأقدمين من مشايخنا المكرمين . واخواننا المقدم عليهم والمقدمين ويلطف لنا ولكافة المسلمين آمين آمين آمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين ﴿وسميته ميزاب الرحمة الربانية فى التربية بالطريقة التيجانية اه﴾ وسبب تسميته بذلك رؤيا رأيتها رأيت كأنى واقف على سطح بيتى فى ساعة مطر ووجدت شيئا من الماء على السطح لا يجد بنفسه مصرفا فبذلت جهدى وكشفت عن ساعدى فى تمهيد مصرف لذلك الماء حتى إنى خلعت لباسى غير سراويلى وبحذائى امرأة صالحة تدعى بمريم واسم أبيها أحمد بن محمد واسم أمها عائشة شريفة النسب وبحذاء المرأة بنية أو حفيدة من بنت فاجتهدت فى تسليك المصرف حتى تم أمره إلا أنى أحب عرضه على غيرى ثم رأيت كأنى فى غابة على شاطىء وادفيها حدائق وهى قريبة من وطنى وكأنى مع قافلة لى فيها جمل أخضر كامل الوبر كأنه معروف بأكل الناس أو تخاف منه الصبيان لا يكاد صبى يتعرض له وكأن القافلة سارت عنى وبقيت فى طلب جملى وقد كنت شددت عليه رحلى وتركته يرعى أمام القافلة وتأخرت بنفسى أنتظر مسيرهم والقافلة مجتهدون فى شد رحالهم فلما سار واذهبت أطلب جملى فبينما أنا فى طلبه إذ لقيت شخصا يدعى بحمى الله واسم أبيه أحمد وأمه مريم شريفة النسب وفى القافلة من يدعى بذلك الاسم غيره شريف النسب وفيها من يدعى بالشريف المختار ثم لقيت شخصا آخر يدعى بزيدان فسألته عن جملى فقال لى إن جملك أكترى ظهره آخرون بأجرة وهم أمامك إلى ناحية وطنك فكأنى استرحت من طلب الجمل ووثقت بوصولى إلى وطنى فرحا بما استفدت من ظهر الجمل من الأجرة فتوجهت نحو وطنى وهو الموعد بينى وبين من اكترى الظهر وأنا لا أجد عليهم فى نفسى لقدرتى على بلوغ الوطن راجلا فانتبهت فأولتها من أولها بأن الماء النازل على السطح ذكر نافع مشتهر شهرة مورد جامع مورده الربانى بارد يرده كل وارد ولعل الله تعالى فيضك بجعل مصرف له يكون جريانه تدريجا يحيى الله به قلوبا ميتة بعد كشفك عن ساعد الجد فانتفع به العام والخاص كعموم نفع المطر إذ الماء سبب الحياة وماء المطر ربما يكنى به عن الوحى كما قيل فى قوله تعالى ـ أنزل من السماء ماء فسألت أودية ـ الآية فكما أن بالماء حياة الأشباح كذلك بالذكر تكون حياة الأرواح والمرأة الصالحة التى بالحضرة تؤذن بأن الذكر المذكور طريقة شيخ تعبد ربه بطريقة الشكر الموهوبة له بها الأرزاق الهنيئة التى كانت بغير حساب كرزق المتبتلة مريم عليها السلام سميت المرأة الصالحة المذكورة واسم الشيخ المذكور لا بد أن يكون اسمه أحمد واسم أبيه محمد واسم أمه عائشة وحرفا ميمى اسم المرأة وميم اسم الجمل الميمات الثلاث تؤذن بان الطريقة المذكورة مأخوذة من سيد الوجود ﷺ وفق ميمات اسمه ﷺ وبنيتها التى بحذائها تؤول بزائد من تلقاء الشيخ خارج من مجموع ما أعطاه له سيد الوجود ﷺ وحدائق الغابة الكائنة على الشاطىء تدل على الشكر أيضا فان أول أمره منة وآخره جنة والاشخاص الاربعة المكرر فيها لفظ الحمى وسائط مجهولة حمى وواسطة بينك وبين هذا الشيخ شيخ الطريقة لان أحدهما هو الذى أخبرك بأمر الجمل وأنه اكترى ظهره آخرون وقرب الوطن قرب السند من رسول الله ﷺ الذى هو

منتهى السير والجمل الاخضر الكامل الوبر هو وردك الذى أنت عليه يحملك ويحمل أثقالك إلى بلد لم تكن بالغه لولا هو إلا بشق الانفس إلى حيث تحط الرحال وتوضع الأثقال وكونه يأكل الناس أكله الاوراد سواه كالقرية التى تأكل القرى لحروف الجمل ثلاثة ولعل هذا الورد مركب من ثلاثة أذكار وتكرير الحماية حماية أهل تلك الطريقة من الزيغ وان أهلها مختارون لاجل الشريف المختار فى الاشخاص والشخص المدعو يزيد ان يدل أيضا على الشكر قال تعالى — لئن شكرتم لأزيدنكم — وحصول النفع من الظهر المكترى هو المقصود من إجراء المصرف أولا وهو الإيصال والوصول وعدم الإذن منك فى استعمال الجمل يؤذن بان النفع من المصرف عم كل العموم وأزال كل الهموم والغموم حتى صار يستعمله من شاءه بايداع كيفية التربية بذلك الذكر كتابا تتداوله الايدى وينتفع به من أراد الانتفاع منه بإذن وبغير إذن ويوصل نفعه المنبت من لم تزده به ومن أردت وفحولة الجمل تؤذن ببعد مقام شيخ هذه الطريقة وعموم نفعه كعموم نفع الجمل فانه يراد للركوب وللضراب وفيه من الجمال ما ليس فى غيره من المراكب ووبره للنفع أيضا وكذلك خضرته تؤذن بالتهنئة دنيا وأخرى فهى فى الآخرة لباس أهل الجنة وفرشهم وفى الدنيا تجلى عن القلب الهم والحزن فبهذا التأويل علمت أن المرأة طريقتنا طريقة الشيخ التجانى بلازمها وأن البنية أو الحفيدة الوظيفة التى أخرجها شيخنا رضى الله عنه من لازم الطريقة بترتيب من سيد الوجود ﷺ وهو رضى الله عنه اسمه أحمد واسم أبيه محمد واسم أمه عائشة رضى الله عن جميعهم وطريقته كما علمت طريقة شكر وأرزاقها موهوبة بغير حساب كرزق أمنا مريم عليها السلام كما حكى الله تعالى عنها قال — يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب . والوسائط بيني وبين الشيخ رضى الله عنه أربعة كما وقفت عليه فى التنبيه الرابع آخر مقام الاحسان ﴿واعلم﴾ أن لازم الطريقة ثلاثة اذكار كحروف اسم الجمل واعلم أن أشهر ما انتشر فى البلاد اليوم من الاوراد الورد القادرى الذى قال فيه صاحبه شيخ المشايخ وقطب الاقطاب البيضة منا بألف والفرخ منا لا يقوم وورده كان ستمائة بعد كل فرض مع زيادة ركعات الورد المشهور وورد بلازم الطريقة ثلاثمائة صباحا وثلاثمائة مساء ولا ركوع فيه فاعرف نسبة ذلك وتذكر أمر الجمل فى الرؤيا الذى يأكل الناس أو تخاف منه الصبيان فلما يسر الله تعالى هذا المجموع علمت انه — تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا — ولقد تم بحمد الله تعالى وقدرته وإنما لم يسعنى أوقات اشتغالى بجمعه لبس مخيط بعضو غير سراويلى على طبق حالى حين تسليك المصرف فى الرؤيا ثم بعد لم يقر بى قرار حتى عرضت المجموع برمته على الشيخ الاخ على نحو اللهج فى الرؤيا بعرض تسليك المصرف على غيرى لانى لم يتقدم لى علم بعمل المصارف والميازب قبل * نسأل الله جلت قدرته وعمت رحمته أن ينظمه فى سلك الافادة ويجعل من اعتنى بشأنه من أهل الخير والسعادة والله على مانقول وكيل وهو الهادى الى سواء السبيل وقد وافق الفراغ منه بمحروسة تيشيت عمرها الله بالتقوى وإمنها من كل بلية وبلوى ضحوة الاثنين فى السابع والعشرين من شهر الله الحرام رجب الفرد سنة ثمان وستين ومائتين وألف اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم * سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين انتهى من خط المؤلف مباشرة نسخا وتصحيحا بقدر الطاقة انتهى

تقريظ

وقد قرظه بقصيدة عصماء الولى الواصل مولانا الشيخ سيدى حموده تاج أحد أعيان الطريقة التيجانية ألبسه الله تاج العارفين ووفقه طريق السالكين

ميزاب روض الرحمة الربانى   يجرى بسر طريقة التجانى
ويفيض فيها بالحقائق والدقا   ئق والرقائق من سنا العرفان
ويضىء من أورادها لمريدها   بأشعة من ساطع البرهان
ويضيف من نسج الوظيفة ضافيا   من حلة الايمان والإحسان
فكأنه شخص يريك شخوصها   مخصوصة بجلوة الأعيان
ياحسنه صنعا جلاه عبيدة التـ   ـشيق فهو حقيقة حسنان
إذ هو مجلى من مظاهر شيخنا الـ   ـختم الممد على مدى الأزمان
فبه إذ لاغروان يرقى الى   ماليس تلحقه قوى الإنسان
ويكون سبحه فى علوم القدميز   رى فى البيان على مدى سحبان
فانظر الى هذا الكتاب فانه   هو أول ما آن له من ثانى
غزل يشد له الغزالى رحله   ومشاعر يصبو لها الشعرانى
منهاجها ضربت صواه لشائق   تبدو اليه كشاهق البنيان
فهلم بالأحباب وادن بهم لما   قد جاء فى هذا الجنى الدانى
يتضلعون بما أكن من العلى   يتطلعون لنقطة الأكوان
ويرون فى الخمس التى كتبت خـ   ـميسا زاحفا للفتح فى الابان
احرامها وقيامها وركوعها   وسجودها وجلوسها نو الشان
كل لحكم حكمة أزلية   مقروة فى منزل القرآن
فاذا توفق مؤمن منا لها   سحت عليه سحائب المنان
وغدى بها وبوارد الوردين حا   ل سلوكه يمشى به نوران
والفضل فضل الله يؤتيه بلا   حد ولا عد ولا ميزان
فالله يشكر سعيه من عالم   مصداق مثل الوابل الهتان
وعلى ضريحه رحمة قدسية   منهلة بالروح والريحان
هذا وقد طبع الكتاب موفق   ليعم نفعه شاسع البلدان
العبد لاوى الهمام محمد   عبد التجانى دون ما كتمان
فلنا به البشرى وحق لمثله   أن يقتنى بنفائس الأثمان
ما راق أثر الطبع قول مؤرخ   ميزاب روض الرحمة الربانى

ترجمة المؤلف

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(هو الشيخ سيدى عبيدة بن محمد الصغير ابن أنبوجا)

هذا السيد الجليل الشنقيطى التيشيتى هو من افراد أعلام الطريقة التجانية الشريفة والتعريف بقدره المنيف لا تسعه العبارة لا بالصريح ولا بالاشارة اذ هو ممن فاضت عليه بحار القطب المكتوم ، وارتوى من ذلك الرحيق المختوم ، ولذلك رأينا أن نقتصر على ما جاء في كتاب روض شمائل أهل الحقيقة ، في التعريف بأكابر أهل الطريقة لسيدى أحمد بن محمد بن العباس العلوى الشنقيطى رضى الله عنه قال ﴿ومنهم سيدي عبيدة المذكور﴾ صاحب رحلة التهانى في حلية الشيخ التجانى * وميدان الفضل والافضال في شم رائحة جوهر الكمال ورواية البشر والبشارة في وجه منع المريد من الزيارة ، ومنجية السالك من ورود المهالك ، والمد الباهر في التمييز بين الخواطر ، وميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التيجانية وفيه يقول الفقيه سيدى محمد بن أحمد الكنسوس

يا آل أنبوجا لازالت بدوركم	تنير حيران للانوار طلابا
وياعبيدة نعم الرأي قمت به	قد أعجب الناس ذاك الرأى إعجابا
فقد وثبت له والناس قد رقدوا	عنه ففتهم لازلت وثابا
لما رأيت أخاك البحر طامية	أمواجه وأردت نفع من خابا
سقيتنا الرى منه لا ظمئت كما	أجريت من علمه الفياض ميزابا

كان اخوه سيدي محمد الصغير صاحب الجيش يعترف بفضله وخصوصيته ﴿ بلغنى ﴾ أنه قال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى وليا عارفا من آل أنبوجا يعنى سيدى عبيدة وأنا سمعت منه نحو هذا بغير هذا اللفظ وهؤلاء السادة جاءهم التقديم من الشيخ محمد الحافظ في وقت واحد وخط واحد بيد حسان الطريقة سيدى محمد ابن سيدى عبد الله ﴿وتوفى﴾ سيدى عبيدة في جمادى الأخيرة عام أربع وثمانين ومائتين وألف اه من الروض المذكور ﴿وممن﴾ نوه بشأن سيدى عبيدة العارف الكبير سيدى محمد العربى ابن السائح صاحب بغية المستفيد على منية المريد في أثناء ترجمة سيدى محمد الحافظ ووصفه بالعالم الكبير العارف بالله تعالى وقال وهو الذى أذن لنا وأجاز بهذا السند وكتب بخط يده رحمه الله تعالى ورضى عنه آمين

فهرس

كتاب ميزاب الرحمة الربانية فى التربية بالطريقة التيجانية

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿انتهى﴾